

١٠٠ كتاب

بلا أمبيرز النهرين

الحضارتان البابلية والآشورية

تأليف

ل. ديلاپورت

راجعه
الدكتور عبد المنعم أبو بكر
أستاذ جامعة القاهرة

ترجمه
محمّد كمال
الرئيس الأول بالمعهد المصري

بإشراف إدارة الثقافة المسامة
بوزارة التربية والتعليم



2 3 86 9

935

دي ل

ب

بلاؤ ما بين النهرين
العضارتان البابلية والأشورية

الألف كتاب الثانى

الإشراف العام

د سمير سرحان

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

عزت عبدالعزیز

الإخراج الفنى

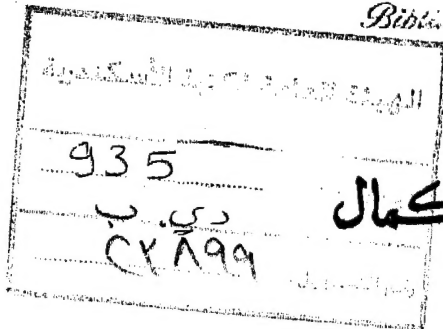
محسنة عطية

بلاد ما بين النهرين الحضارتان البابلية والآشورية

تأليف

ل. د. ديلاپورت

Bibliothèque de la Faculté de Théologie



ترجمة

محرم كمال

مراجعة

د. عبد المنعم أبوبكر

الطبعة الثانية



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٧

هذه هي الترجمة العربية الكاملة للكتاب :

LA MESOPOTAMIE

تأليف

ل + ديلايوت

الفهرس

الموضوع

الصفحة

مقدمة ٧

الجزء الأول الحضارة البابلية

الكتاب الأول : الحقائق التاريخية

الفصل الأول : البلاد ومواردها ١٧
الفصل الثاني : السكان والأسرات ٢٢

الكتاب الثاني : النظم

الفصل الأول : الدولة والعائلة ٦٨
الفصل الثاني : التشريع ٩٥
الفصل الثالث : النظام الاقتصادى ١٠٦

الكتاب الثالث : المعتقدات والحرف

الفصل الأول : الدين ١٣٨
الفصل الثاني : الفنون ١٧٣
الفصل الثالث : الآداب والعلوم ١٩٨

الجزء الثانى الحضارة الآشورية

الكتاب الأول : الحقائق التاريخية ٢٤٣

الكتاب الثاني : النظم

الفصل الأول : الدولة والأسرة ٢٧٨
الفصل الثاني : التشريع ٢٩٨
الفصل الثالث : النظام الاقتصادى ٣٠١

الكتاب الثالث : المعتقدات والحرف

٣١٦	• • • • •	الفصل الأول : الديانة
٣٢٢	• • • • •	الفصل الثاني : الفنون
٣٤٥	• • • • •	الفصل الثالث : الآداب والعلوم
٣٦٠	• • • • •	خاتمة
٣٦٥	• • • • •	المراجع

مقدمة

ان المصادر التي نستمد منها معلوماتنا عن الحضارتين البابلية والآشورية - اللتين ازدهرتا في سهول دجلة والفرات ، قبل العصر المسيحي ، - تكاد تكون مقصورة على النقوش والآثار الخاصة بهاتين الحضارتين . ويرجع الفضل الى بوتا Botta ، قنصل فرنسا بالموصل ، في البدء بعمل حفائر منظمة بغية الكشف عن آثار امبراطورية آشور القديمة ، فهو الذي كشف في عام ١٨٤٢ م في جهة خورساباد Khorsabad عن مدينة دور شاروكين Dour-Sharrookin التي شادها سرجون Sargon في اواخر القرن الثامن قبل الميلاد . ولم يمض على ذلك زمن طويل حتى استأنف الانجليزى لايارد Layard طائفة من الأعمال التي كان بوتا قد تركها فكشف عن اطلال، نينوى القديمة وفيها المكتبة الهامة للملك آشور بانيبال ، Assurbanipal (القرن السابع) . وليس يدخل ضمن نطاق بحثنا سرد جميع الأبحاث التي أجريت بعد هذا البدء السعيد والتي اشترك فيها علماء آثار فرنسيون وانجليز وألمان وأمريكيون (١) بيد أننا لانستطيع أن ننسى - فيما يتعلق ببابل - ذلك العمل الذي قام به ارنست دى سارزك Ernest de Sarzec فقد عين هذا الرجل وكيلًا لقنصلية فرنسا بالبصرة وتسلم أعمال وظيفته في يناير من عام ١٨٧٧ م ولم يكدهمضى شهران على تعيينه حتى بدأ ينقب في أكوام الرمال التي يطلق عليها « تلو » واستمر في حفائره الناجحة حتى وافاه الاجل فحمل عنه العبء الكولونيل كروس Cros وكان من نتيجة هذه الحفائر أن خرجت عشرات الآلاف من النصوص ، وأن برز تاريخ لاجاش Lagash - تلك المدينة الهامة - خلال الألف الثالثة كلها . وعلينا أن نذكر كذلك البعثة العلمية التي أوفدها وزارة المعارف العمومية الى بلاد فارس من عام ١٨٩٧ م حتى عام ١٩١٢ م تحت الادارة الحازمة نسيو جاك دى مورجان ، فقد كشف عن اطلال سوس Suse وهي عاصمة بلاد مجاورة كانت في كثير من الأحيان عدوة لبلاد بابل ، كما كشف عن طائفة من قطع فنية ونقوش مما يلقي ضوءا كبيرا على الحضارة البابلية . ويكفي أن نذكر لوح النصر الخاص بـ « نارام سن » Naram-Sin

(القرن ٢٨) وقانون حمورابي Hammuorabi (القرن ٢١) وهو أهم نص خاص بالقوانين القديمة كشف عنه حتى اليوم .

وانه لمن الصعب أن نجد معلومات جديدة بالاعتبار عن موضوعنا فيما أورده كتاب الاغريق والرومان ، اذ أن المصادر التي استقى منها هؤلاء الكتاب لم تعد في الأغلب الأعم روايات السياح وأقاصيصهم ، ونحن اذا أردنا أن نحققها بأسانيد آشورية أو بابلية ، فاننا لا نلبث أن نجد أغلاطا وأخطاء كثيرة : فقد شهد هيرودوت مثلا بأن أرض بلاد بابل « فائقة الخصب في انشاء الحبوب فهي تغل مائتين عادة في مقابل كل حبة » وفي الأراضي بالغة الجودة تغل ثلاثمائة « فالمؤرخ الاغريقي قد زار بنفسه البلاد فشهادته اذن صادقة بيد أنه مما لاشك فيه ، أنهم قد أروه حقلا من حقول التجارب حيث أمكن الحصول على غلة تفوق المتوسط بكثير ، فمنذ مدة قريبة ورد ذكر نوع من الحنطة زرع في أرض جيدة بجهة مريناك Merignac (جيرون) ، فعاد بغلة مقدارها ٢٢٥٠ للحبة الواحدة (١) . ولكن لا ينبغي لنا أن نستنتج من ذلك أن مثل هذه النتيجة يمكن الحصول عليها في الأحوال العادية للزراعة . وفي سهول الفرات السفلى ، فإن محصول الغلال الذي يبلغ من ٣٠ الى ٤٠ ضعف البذور ، لم يتغير الا قليلا عما كان عليه في الزمن القديم ، اللهم الا في الألف الثالثة ، حيث زاد المحصول عن ذلك طبقا لبعض الوثائق الحسابية في اقليم لاجاش على سافة غير بعيدة من الخليج الفارسي (٢) .

وحل رموز الكتابات البابلية والآشورية - وهي التي يطلق عليها المسامرية (أو الاسفينية) ، لأن كل علامة منها تشبه المسام (الاسفين) ، - يرجع الى أبعد من كشف بوتا ، فلقد كانت المحاولات الأولى تجرى على مجموعة من احدى وأربعين علامة مشتقة من الكتابة البابلية ، كانت تكون العلامات المقطعية في النقوش الفارسية الأكمينية (الكيانية) (٣) . وبعد بيثرو ديلا فالى Pietro dellavalle الذي نقل في عام ١٦٢١ خمس علامات من أطلال برسيبوليس Persépolis ، وتبين معنى الكتابة ، أتى شاردان Chardin (١٦٧٣) ، وكمبر Kaempfer (١٧١٢) ، وكورني دي برين Corneille de Bruyn (١٧١٨) . بيانات أكثر أهمية . وحوالى ١٧٦٥ تمكن نيبور Niebuhr من ايجاد نطق بعض كتابات كاملة ، ولاحظ أنها تتكون من مجموعات كل مجموعة

(١) G. HEUZÉ : Les plantes Céréales. Le Plé. p. 182.

(٢) LII p. XLVI.

(٣) LXXII.

فيها ثلاثة أشكال مختلفة من الكتابة ، إذا نقشت في سطر واحد ، فإن أبسطها يكون دائما جهة اليمين وأصعبها جهة اليسار . وفي عام ١٧٩٨ توصل تايشن Tyschen الى معرفة أن كلمات نصوص النوع الأول يفصل بعضها عن بعض علامة على شكل المسمار المائل . وفي عام ١٨٠٢ قدر مونتر Münter ان لغة هذه الكتابة الأولى ، لابد أنها تقارب لغة الزند التي تفصل كذلك بين الكلمات . وقد حاول أن يحل رموز هذه اللغة ، ولكنه لم يوفق الا في ثلاث علامات للحركة ، وثلاث علامات صامتة . وفي نفس العام اعتمد جروتفند Grotefend على بعض الاعتبارات الأثرية ، في محاولته حل معميات هذه الكتابة الأولى ، وقد وجد أن الكلمة - التي اعتقد تايشن ومونتر أنها تتضمن اللقب الملكي - توجد كثيرا مكررة مرتين عند مستهل النص . وفي المرة الثانية تنتهي بنهاية رأى فيها علامة الجمع مما يعطي مجموعها معنى « ملك الملوك » . ولا شك في أن الكلمة السابقة تتضمن الاسم نفسه للملك بحيث تكون الصيغة فلان « ملك الملوك » . والمجموعة التي تعنى ملكا ، ترد أحيانا ككلمة ثالثة بعد هذه المجموعة وفي هذه الحالة لابد أن يكون لدينا اسم الأب يسبقه لفظ معناه « الابن » . أى تكون الصيغة « فلان » ملك الملوك ، « ابن » فلان ، « الملك » . وفي مكان آخر يوجد بالمقارنة « فلان » « ملك الملوك ابن فلان » ، دون أن يكون هذا الأخير ملكا . ولما كان الأمر يتعلق بنقوش « برسبوليس » ، فإن هذه الصيغة الثانية لابد وأنها تذكر اسم مؤسس الأسرة الأكمنية فإذا كان الأمر يتعلق بكورش Cyrus الذي كان كل من أبيه وابنه يحمل نفس الاسم فإن فلان ، وفلان يكونان شخصا واحدا ويكون فلان هو دارا Darius . وحينئذ فإن الترجمة يجب أن تكون :

اكسر كسس ملك الملوك ابن دارا الملك

دارا ملك الملوك ابن هستاسب

ولكى يحل جروتفند رموز ثلاثة الأسماء الأعلام هذه ، استعان بالنطق القديم وأمكنه أن يحقق بصفة نهائية حركتين ويعين الحرف الصامت في عشر علامات مقطعية . ولقد أكمل عمله أحد عشر عالما من بينهم لاسن Lassen وبرنوف Burnouf وهنكس Hincks وراولنسون Rawlinson . ولم يعرف أوبير Oppert المقطع « لا - la » الا في عام ١٨٥١ أما العلامة الرمزية التي يختفى وراءها اسم « أورمزد » الإله الوطني فقد ظلت مستعصية على الحل حتى عام ١٨٧٤ .

أما ثمانية كتابات برسبوليس فقد كانت مثار صعوبات كثيرة ولكن الرأى اتجه بحق الى أن ثلاث الأقاصيص لابد وأنها تروى نفس الشيء بثلاث لغات مختلفة ولقد لوحظ أولا وجود علامة خاصة تسبق أسماء

الأعلام ثم بذلت محاولات لترتيب العلامات تبعا لعدد واتجاه عناصرها . وكانت أول محاولة جدية للترجمة هي التي قام بها عام ١٨٤٤ الدانمركي وسترجارد Westergaard . وقد كشف هنكس عن مقاطع بعض العناصر (١٨٤٦) ودرس سولسي Sauley (١٨٥٠) الصيغ النحوية . وفي عام ١٨٥٣ نشر نورس Norris نقوش بهستون Béhistoun التي جمعها رولنسون وقد روجع فيها الحل الذي اقترحه وسترجارد . ولقد كان من نتائج الحفائر التي قامت بها البعثة في بلاد العجم ان كثر عدد النصوص المكتوبة بهذه اللغة الانزوية التي كان يتحدث بها سكان عيلام غير الساميين .

أما الكتابة الثالثة فالفضل في معرفة الكلمات الأولى منها يعود أيضا الى جروتفند فقد تمكن ان يفصل مجموعات العلامات التي تقابل أسماء كورش وهستاسب ودارا واكرزكس . ولما كان قد لاحظ مشابهة هذه الكتابة لكتابة الأجر الذي عثر عليه في أطلال بابل ، فقد وفق الى تعيين المجموعة التي تتضمن اسم نبوخذ نصر . وهكذا كانت الأحوال على وجه التقريب فيما يتعلق بمحاولة حل رموز هذه اللغة عندما أعلن بوتان عن كشفه . أما عن النوع الثالث من كتابة برسيوليس ، فقد أمكن فقط الوصول الى معرفة عشرين من أسماء الأعلام المعروفة من النوعين الآخرين . ولقد حاول لوفنشتيرن Lowenstern أن يصل الى حلها فوجد لبعض العلامات أشكالا أخرى تكتب بها ووضع أساسا لما أطلق عليه « توافق الأصوات » أي وجود علامات مختلفة تؤدي صوتا واحدا . وقد تمكن لونجبريه Longpérier من حل رموز بروتوكول سرجون على الآثار التي كشف عنها بوتان ورتبها الى ٦٤٢ علامة مختلفة فوجد كما وجد لوفنشتيرن علامات ذات صوت واحد ومير كتابه خورزباد عن كتابتي برسيوليس وبابل وأكده أخيرا أن اللغة سامية . وفصل سولسي Sauley جملا صغيرة في نصوص برسيوليس تطابق جملا في النص الفارسي وعين ١٢٠ حرفا ووجد نطقها . وكشف هنكس في دبلن عن أساس الحروف المقطعية بمعنى أن بعض العلامات تساوي مقاطع وليس حروفا فقط . ثم اهتم سولسي أخيرا بنصوص خورزباد واقتنع بأن النص نفسه قد كرر عدة مرات وعمل مقارنات وبفضل استخدامه لقراءته السابقة للعلامات أمكنه الوصول الى ترجمة ٩٦ سطرا . واقتراح رولنسون - الذي كان قد نشر اذ ذاك ترجمة لمسألة نمروود دون تعليق - ترجمة فيها اختلاف بسيط . وفي عام ١٨٥١ قرأ رولنسون وترجم نص بهستون الذي ينتسب الى النوع الثالث من الكتابة فبين قيمة ٢٤٦ حرفا وكشف عن مبدأ « تعدد الأصوات » أو وجود علامات لكل منها عدة قيم وعدة أصوات . وفي السنة التالية تحقق هنكس من أن بعض العلامات تكون

مقاطع مركبة وكلما تعمق البحث في حل رموزها ، ازداد أمرها تعقيدا
وعند ذلك رأت الجمعية الآسيوية بلندن أن تقترح على عدة علماء أن يحل
كل منهم على طريقته الخاصة ومبادئه رموز نص تزييد سظوره على الثمانمائة
وأرسل رولنسون وهنكس وفوكس تالبيوت وأوبر مخطوطاتهم فتمتحت
في ٢٥ مايو سنة ١٨٥٧ وكانت النتيجة مرضية تماما . وقد طبعت التراجم
الأربع لهذا النص الخاص بملك آشور تجلات فلاسر الأول
Teglath-phalassar على أربعة أعمدة لكي يتأكد الجميع من أنه قد عثر
على مفتاح الكتابة الثالثة للنصوص الآكمنية وهي كتابة الآشوريين
والبابليين .

★ ★ ★

أما الأدب البابلي والآشوري فهو متنوع جدا فآلاف النصوص ،
سواء أكانت أصلية أم نسخا قديمة ، المحفوظة الآن في متاحف أوروبا
وأمریکا تتراوح بين عصر يرجع الى ما قبل عام ٣٠٠٠ ق م . ويصل حتى
القرن الأول ومن هذا الأدب نقوش تاريخية : حويات وتقويم وتكريس
مبان وكتابات نذور وقوائم تأريخية . وكذلك نصوص دينية : أناشيد
وصلوات ومزامير توبة . ثم نصوص سحرية : رقى وتعاوين . ثم طوابع
طبقا للأرصاء الفلكية أو لحركات الانسان والحيوان والأشياء والزيت
الذى يصب في الماء . كما يوجد من بينه الشعر : ملحم وأساطير وقصص
... هذا الى نصوص قانونية : لوائح وأحكام قضائية . ثم عقود من جميع
الأنواع ، من بيع وشراء وسلفة وشركات تجارية وزواج وطلاق وتبن .
وكذلك أمور حسابية لمحفوفات المعابد والتصور والعائلات . ثم مراسلات ،
سواء منها الرسمية أو الخاصة . ومجموعات لدراسة الخط والنحو
واللغة . وقوائم جغرافية وجداول حسابية وفلكية وشئون طبية .

وليس الفن وعلم الآثار بأقل تمثيلا ، فهناك تماثيل كبيرة وصغيرة
من الحجر أو المعدن ونقوش بارزة ومجسمة وألواح نصر وأشكال صغيرة
من المعدن أو الآجر وأوان محفورة وأختام تخليها المناظر الدينية وفخار
ملون ... كل أولئك يشهد في مختلف العصور بتقدم كامل أو بالعودة
الى نظريات أكثر بداءة وقدا هذا الى أن الحفائر قد كشفت عن طرق
البناء وتخطيط ونظام المدن ... وبعض البيانات الواردة في نص قديم
يمكن في بعض الأحيان تطبيقها اليوم مباشرة على أطلال الأثر الذى ذكر
وصفه .

ومع ذلك فان الآلاف من الوثائق مختلفة الأنواع ستؤلف حتما
سلسلة متصلة الحلقات على مدار الزمن . ثم ان أعمال الحفائر قد كشفت
عن مجموعات تكون في كل منها وحدة لعصر ومكان معينين على صورة

خاصة بيد أنه لا يمكن فى الوقت الحاضر تعيين مقابل لها لعصر آخر أو مكان آخر . وهكذا وصلت الينا حسابات المعابد وبخاصة من الألف الثالثة ، ومحفوظات عائلات من عصر الأسرة الأولى البابلية وأخرى من عصر الملوك الأكمنيين ولم يتكشف لنا الفن الآشورى إلا من القرن التاسع حتى القرن السابع على حين أن تاريخ آشور يرجع الى ما هو أبعد من عام ٢٤٠٠ ق م .

وأول ما توجه اليه العناية فى دراسة حضارة من الحضارات كائنة ما كانت هذه الحضارة يجب أن تنصرف أولا الى تبويب الوثائق وتقسيمها بحسب العصور : فالانقلابات الكبيرة الاجتماعية أو السياسية لا تضى دون أن تغير من الأخلاق والعادات تغييرا يتفاوت مقداره ودون أن تترك أثرا فى الفن والأدب . ويجب علينا منذ الآن أن نحدد الاطار التاريخى الذى نمت وترعرعت فيه النظم البابلية والآشورية .

وهذا الاطار ذو وجهين ان نحن نظرنا الى العلاقة الزمنية التى تربط الحوادث ببعضها البعض أو تلك العلاقة التى تربط هذه الحوادث بالزمن الخاص .

ولقد فرض نظام طبيعى على جميع الشعوب هو نظام اليوم الذى يتعاقب فيه الليل والنهار . فمهما تكن نقطة الابتداء المقررة - غروب الشمس أو شروقها - وقت الظهيرة أو منتصف الليل - فهو العنصر الأذى لكل تاريخ .

أما التقسيم الثانى فينتج عن تجدد الفصول فبعد عدد معين من الأيام تحدث فى الطبيعة الظواهر نفسها طبقا لعملية نظامية وهذا يتأتى عن انحراف سمت الشمس بالنسبة الى خط الاستواء الأرضى وينتج عن هذا : السنة الشمسية التى لم تحدد مدتها الا مؤخرا ولا تضم عددا مضبوطا متساويا من الأيام .

وعلى ذلك فان الشعوب القديمة اضطرت الى أن تلجأ الى تقسيم ثالث للزمن واعتمدت فى ذلك على مدار القمر الذى يضم كل من وجوه الأربعة عددا صغيرا من الأيام ولكنها كذلك لا تطابق هى الأخرى عددا صحيحا . ولقد اتبع البابليون والآشوريون طريقة تجريبية ثبت (بضم التاء وتشديد وكسر الباء) بها بدء الشهر الذى أصبح ٢٩ أو ٣٠ أو ٣١ يوما حسب بدء ظهور الهلال فى السماء . ولما كان من المستحيل الوصول الى مقياس عام بين الشهر القمرى ودوران الشمس فقد احتسبت السنة العادية اثنى عشر شهرا واستعيد التوازن عن طريق ادخال شهر ثالث عشر من وقت لآخر .

وفي أقدم الوثائق المسماة بما قبل السرجونية - لأنها تسبق اعتلاء سرجون ملك أجاده (القرن ٢٩) - بينت سنوات كل حكم برقم بسيط على لوحات الحساب أما عادة اعطاء كل سنة اسما تبعا لحادث معين يستحق التخليد في السنة السابقة ، فقد بدأ العمل بها منذ عصر « أجادة » واستمر حتى عهد الملوك الكاسيين الذين استعملوا طريقة الحساب لسنن الحكم التي عمل بها في بابل فيما بعد حتى انهيار الامبراطورية . أما في آشور فقد كانت أسماء الملك وكبار الموظفين تطلق متتابعة على السنين . وترجع هذه العادة الى عهد ممعن في القدم ٠٠٠ الى القرن الرابع والعشرين على الأقل وهو عصر ثبت اتباعها فيه كما يظهر على لوحات خاصة بمستعمرة لعبد آشور في كبادوكيا .

أجزاء الأول
الحفارة البابلية

الكتاب الأول :

الحقائق التاريخية

الفصل الأول

البلاد ومواردها

إذا نحن استثنينا منطقة اريدو Eridou (أبو شهرين)
Abou-Shahreïn وهي المدينة التي تقع في أقصى الجنوب بجزيرة في
الخليج الفارسي يفصلها عن وادي الفرات صخرة من الحجر الرملي ، فإن
اقليم بابل الذي عرفه الكتاب الأقدمون (اليونانيون والرومان) ينطبق
تماما على ذلك السهل الذي كونه نهرا دجلة والفرات عند وصولهما إلى
البحر - كونه من تراكم الرواسب التي أتت موادها من جبال ارمينيا
التي تنبع منها (حيث يوجد منبعها هذين النهرين) . وحدود هذا الاقليم
الطبيعية هي : في الغرب الصحراء العربية التي يسكنها بدو يقومون
بالغارات على السكان المستقرين ، وفي الشمال السهل الأعلى لبلاد ما بين
النهرين حيث يوجد الآشوريون ، يفصل بين هذا الاقليم وبينهم خط يبدأ
من حت Hit على الفرات ويبلغ دجلة على مسافة قليلة شمال ملتقى
الأدهم l'Adhem ، وفي الشرق التحصينات الأخيرة من التلال التي
تكون الجد الحالي لبلاد الفرس وفيها قبائل من أصول مختلفة . استقرت
في جميع الوديان ، ومن هنا يأتي الحبر والمعادن وخشب البناء ، وفي
الجنوب الخليج الفارسي ومستنقعات لا تكاد تمتد الملاحة خارجها - وهذا
السهل في بدء العصور التاريخية لم يهبط كثيرا إلى ما تحت القناة الحالية
المسماة « شط - الحى » : واقليم لاجاش Lagash وهي المدينة التي
توجد أطلالها (تلو) على مسافة الساعة وربع الساعة إلى غرب هذه القناة
وتبعد مائتي كيلو متر عن الخليج كانت تدخل ضمن المنطقة البحرية .

ونظام النهرين ليس واحدا : فدجلة بشطآنه المرتفعة الصلبة
ذو مجرى سريع ويبدأ فيضانه في أوائل مارس ويبلغ أشده في الأيام
الأولى من شهر مايو وينتهي حوالى منتصف يونيه وتوجد على شواطئه
المستنقعات . أما الفرات فيماحه أقل مرتين ويبدأ فيضانه متأخرا نحو
خمس عشرة يوما ولا ينتهى قبل شهر سبتمبر . ولما كانت ضفافه أقل
ارتفاعا فانه ينتشر بسهولة في السهل . ويضفي عليه فيضانا مباركا نافعا

مليثا بالخيرات . ولقد فضل السكان الأول ضفافه ليؤسسوا عليها مدنها . ومجرى الفرات الحال لا يصل الى اطلال معظم هذه المدن القديمة ومع أن بابل (حلة Hillé) وأور (مغير Moughéir) يقعان على مقربة من مجراه فان المدن الأخرى تقع على مسافة ما الى الغرب فى السهل . لكن ما ورد فى النصوص القديمة يثبت تحول النهر بسبب رخاوة الأرض وتداعى الشواطئ أثناء الفيضان والعلامة التى تدل فى الخط على الفرات معناها « نهر سيبار Sippar » « واذن فان سيبار (أبو حبة) كانت تقع على شواطئه واحدى سننى « سمسوايلونا Samsoo-illouna » « وهو ملك من الأسرة الأولى البابلية - تحيى ذكرى بناء حائط سور كيش Kish (الأحيمر) « على شاطئ الفرات » وتقع اطلال كيش على قناة تدعى « شط النيل » التى تمر كذلك بـ « نهر Niffer » « وهى اطلال نبور . ولقد كانت إحدى فروع الفرات فى عهد دارا الثانى تدعى « نهر سيبار ونبور » . ولقد كانت شوروباك (فارا) (Fara) Shourouppak كذلك « على شاطئ الفرات » طبقا لما ورد بأسطورة جلجامش Gilgamesh . أما لارسا (Larsa) (سنكره) (Senkerek) ، فان المعلومات نفسها تعطىها الرسائل المتبادلة بين حمورابى وسينيدينام Sinidinnam حاكم هذه المدينة . ولقد كانت فروع النهر كثيرة وكانت أوما Oumma (جوما Djoha) تقع على الفرع الذى يمر على مقربة من لاجاش ومنذ العصور التاريخية الأولى - عندما كانت المدينتان فى كفاح مستمر - حفر انتمينا (Entéména) أمير هذه المدينة الاحيرة قناة تصل بين النهرين وكان دجلة - الذى تحول مجراه تبعا لذلك نحو الشرق - يتبع فى ذلك العصر تقريبا المجرى الحال لشط الامارة Shatt-el-Amâra .

ولقد كان الانسان الذى استقر فى هذه الجهات منذ أصبحت صالحة للسكنى صاحب حضارة عالية . فلكى يتقى الفيضان شيد مدنا على منحدرات صناعية وبنى بيوتا ومعابد من اللبن واقتنى قطعانا كبيرة من الماشية الكبيرة والصغيرة وعرف كيف يروى زراعته ويحفر القنوات ويصنع آلات الري وكان يشكل النحاس والفضة ويصنع الأسلحة من المعادن . ومع أن ما كان ينحته كان لايزال بدائيا غير متقن الصنع فان كتابته تشهد بتقدم كبير : فلم تعد كتابة تصويرية وانما وجدت الى جانب العلامات المشتقة من الصور علامات صوتية بحتة . ولقد وجدت فى الطبقات شديدة العمق آثار صناعة العصر الحجري الحديث ممثلة فى قطع من الطران المشطوف المجلوب من المناطق الجبلية .

وعندما زار العالم الطبيعى أوليفيه Olivier بلاد ما بين النهرين فى مستهل القرن التاسع عشر وجد الشعير والغلal والحنطة تنمو بوفرة

فى قطعة ارض غير صالحة للزراعة تقع الى الشمال الغربى من د عنة .
 Anah على الضفة اليمنى للفرات . وهذه المنطقة هى الموطن الاصلى
 لهذه النباتات الثلاثة منذ اقدم الازمنة وقد انتشرت منها وامتدت الى بلاد
 بابل ، والشعير بوصفه الأساس الذى يقوم عليه غذاء الانسان والحيوان
 هو فى جميع عصور التاريخ أكثر النباتات انتشارا وهو العملة البارية
 التى يقدرها الجميع والتى ظل اقراضها حتى نهاية الامبراطورية البابلية
 الحديثة اعلى من اقراض الفضة .

وكان الدخن (الذرة البيضاء) يزرع كذلك على أنهم فيما يبدو
 كانوا يجهلون الجاودار والشوفان . أما السمسم فانهم كانوا يهتمون
 بأمزه لحاجتهم الى زيتيه الجيد وإلى شراب كانوا يستخرجونه منه .
 أما الأثل فكانوا يقدرونه من أجل صمغه الحلو وكذا الكروم لعنبها
 وزبيبها ونبيذها . ولقد ورد ذكر شجر التين والرمان فى النصوص
 السابقة على عصر سرجون ، واعتبر جوديا Goudéa ثمرها خليقا بأن
 يقدم الى الآلهة (١) . أما أشجار النخيل فهى من أهم مصادر الثروة فى
 البلاد وهى على حد قول استرابون : « تكفى لسد جميع حاجات السكان فمنها
 يتخذون نوعا من الخبز ، ويستخرجون نبيذا وخلا وعسلا وفطائر ومثاق
 أنواع النسيج ويستخدم الحدادون نواها وقودا كما أن هذا النوى نفسه
 كان يستعمل بعد أن يسحق وينقع لغذاء الأبقار والثيران والخراف
 لتسمينها ، وكانوا يزرعون فى الحدائق البصل والخيار وكثيرا من النباتات
 الأخرى التى لم تعرف أنواعها بعد على وجه التحقيق . وقد ذكر على لوحة
 صغيرة من عصر اجاده Agadé (حوالى القرن ٢٨) زراعات بصل
 مساحتها ربع ونصف بل و « جان » (٢) كامل (٣٥ آر) (حوالى ١/٢
 فدان) (أو ٣٥٠٠ م ٢ تقريبا) أما أعواد القصب الضخمة فقد كانت
 تستخدم فى اقامة الملاجئ والسياجات وعمل الأقلام والرماد اللازم
 للغسيل (٣) .

أما الحيوان الذى ثبت وجوده من النصوص القديمة أو الصور
 المنقوشة : منه المستأنس وهو الحمار والبقرة والثور والكبش والماعز
 والخنزير والكلب والدواجن ، ومنه غير المستأنس وهو الأسد والبقرة
 الوحشى والتيتل والأيل والفهد والعنز البرى والوعل والصقر والثعبان
 والعقرب وأنواع عديدة من الأسماك وذوات القشور .

LXXXVI, p. 123.

(١)

XIX, t. 11 no 3070.

(٢)

والعلاقة بين المقاييس القديمة ونظام المقاييس المعروف مبين فى الفصل الثالث .

I, t. VII, p. 107 et suis.

(٣)

ويوجد نوعان من الحيوان من فصيلة الحمار يمكن تمييزهما تماما منذ أقدم العصور ، ربما كانا الحصان والبغل .

ويبدو أن السكان القدامى كانت لديهم فكرة عن تربية النحل ووجود النحل في الوادي الأسفل للفرات ، إذ أنهم كانوا يجمعون العسل ويتخذونه غذاء . ولقد كان حيوان بلاد بابل ونباتها ينمو ويتزعرع على أرض من الرواسب كونها دجلة والفرات من متخلفاتهما . وكانا يزيدها خصبا في كل عام بفيضانهما المبارك المملوء بالخيرات . وكان على الانسان أن يتخذ مسكنه فوق مستوى الفيضان ولهذا صنع مرتفعات صناعية كان يقيم فوقها كوخا من القصب أو بيتا من الطمي . ولقد أمدته الأرض الطميية بالمادة اللازمة لصناعة اللبن وكان يحرقه أو يكتفى بتجفيفه في الشمس كما كان يصنع منه أيضا كل الأواني الفخارية اللازمة للاستعمال في الحياة المنزلية من صحاف وأوان للشرب وقدر وجرار . كما شكل منه اللوحات الصغيرة التي كان يستخدمها في تخليد ذكر الأحداث العامة أو تسجيل المعلومات الخاصة مستعملا في تسجيلها قلما من القصب ، كما كان يتخذ من الأصناف والعظم أدوات الزينة ، ولكنه لم يجد في اقليمه حجرا أو معدنا ، فقوائم أبواب القصر وكتل الديوريت أو المرمر التي كانت تنحت منها تماثيل الآلهة والملوك والأحجار الكريمة التي كانت تصنع منها الأختام المنقوشة وخشب الأرز الذي كانوا يقدرونه ويبحثون عنه لتزيين الهياكل ، والذهب والفضة والحديد والنحاس الذي كانوا يصنعون منه الأدوات المختلفة . كل هذا كان يستورده اهل بابل من الخارج .

وقد دفعتهم هذه الحاجة الى أن يوثقوا صلاتهم بغيرهم من الاقوام ، فالى الجنوب تمتد المستنقعات الى شاطئ البحر ، فلم تصب الملاحة أي تقدم مطلقا ، والى الجنوب الغربي توجد الصحراء الجرداء التي تخيلها الناس مليئة بالشياطين المرعبة ، وفي الشمال الغربي ينفسح طريق طبيعي : فعندما يسير المرء مصعدا في مجرى الفرات فانه يبلغ - فيما وراء ملتقى خابور Habour - جبلا يكثر فيها الديوريت . وبعد مسافة في غرب انحناء النهر في جبال طوروس توجه مناجم الفضة التي كان يدور العمل في استغلالها منذ أقدم العصور . وفي أمانوس Amanus ولبنان توجد غابات الأرز وغيرها من الأشجار التي تستخدم كأطواف تحمل عليها كتل الأحجار ، ثم تستعمل هي نفسها في البناء وكانت قوافل بابل تهبط على طول ساحل البحر الأبيض الى دلتا النيل كأنما تمهد الطريق للأشوريين ولنبوخذنصر . وفي آسيا الصغرى خلال الألف الثالثة استعملت الكتابة المسماة على لوحات الطين ، استخدمها ساميون من عبدة آشور ، وكان يبدو في فنيهم حينذاك بعض الصفات المعينة التي تميز آثار الحيثيين

والآشوريين • وقد تسربت من هذه الطريق نفسها فى اتجاه عكسى تأثيرات
أجنبية دخلت بلاد بابل : ففى نحو نهاية الألف الثالثة تمكن العموريون -
بعد أن تسربوا ببطاء - من أن يستولوا على السلطة ويحققوا وحدة
الامبراطورية • وبعد ذلك يأتى الحيثيون ويحطمون قوتهم ولكنهم
لا يتمكنون من ابادة أعمالهم •

أما فى الشمال ففى نهاية الألف الثالثة أقامت بابل حاميات فى
المدن التى أخذ يزداد فيها سلطان آشور فأخضعتها فترة من الزمن • وفى
الشرق تقع وراء نهر دجلة منطقة جبلية غنية بما فيها من أحجار ومعادن ،
كانت تسكنها أقوام كان الكفاح ضدها مستمرا وإن اختلفت نتائجها • •
فقد تمكن واحد ممن يحملون اسم سرجون ، وآخر ممن يحملون اسم نرام
سن وثالث ممن يحملون اسم دونجى أن يفرضوا عليهم سلطانهم
ويخضعوهم تحت نير حكمهم ولكن ذلك كان له رد فعل فقد سيطر اوان
Awan ، وجوتيوم Goutioum على جنوب السهل وأسس العيلاميون
مملكة فى لارسا واستقرت أسرة كاسية Kassite أكثر من خمسة قرون
فى بابل ثم خرج أخيرا من هذه المناطق كورش Cyrus الانزى الذى
كان مقدورا له أن يحطم الامبراطورية البابلية الجديدة •

الفصل الثاني السكان والأسرات

كان يقطن هذا السهل جنسان مختلفان : ففي الجنوب سكان غير ساميين ، وفي الشمال ساميون . فمن كان أول الوافدين ؟ وهل كان عليهم أن يتخلوا عن جزء من أرضهم ؟ وليس لهذا من ذكر في التواتر ، وكل ما يشير إليه هذا التواتر لا يعدو أن مدينة من الشمال ، أو مدينة من الجنوب ، أو مدينة أجنبية في بعض الأحيان ، - قد غزت مجموعة المدن وأصبحت تمارس سلطة غير ثابتة سرعان ما تزول وتفتنى . وتشهد وثيقة تعود من أقدم الوثائق بتدخل أحد ملوك كيش - وهي مدينة تقع في الجزء الشمالي - بين أهالي أوما Oumma وأهالي لاجاش . وهما من مدن المجموعة الجنوبية .

وكان يسمى غير الساميين بالسوميريين نسبة إلى سومير وهو الاسم الذي أطلقه جيرانهم الساميون على اقليمهم وفي كثير من الأحيان في الوثائق القديمة يطلق أيضا على هذه المنطقة المسماه كنجي Kengi باللغة السوميرية اسم بسيط وهو « كلم » Kalam « القطر » تميزا لها عن كوركور Kourkour « الأقطار » وهو تعبير يطلق بصفة عامة على كل العالم الأهل بالسكان ولكن على الأخص على كل ما يخرج عن نطاق سومير من عالم خارجي . وقد أطلق انشاكو شانا الأول Enshakoushana على نفسه « سيد سومير وملك القطر » وبعد ذلك بما لا يقل عن قرنين من الزمان اتخذ لوجالزا جيسي من أوروك Lougalzaggisi d'ourouk (القرن ٢٩) لنفسه لقب « ملك القطر » بعد أن جمع تحت سلطانه جميع مدن المنطقة ونصبته الآلهة - على حد قوله - نائبا لها في هياكل سومير وقد امتد سلطانه فشمّل نبور - وهي العاصمة الدينية والمدينة التي تقع في أقصى الشمال - وأور Our وأوروك Ourouk ولارسا Larsa . وكانت لاجاش تكون جزءا من هذا الاقليم وقد طلب جوديا Guudea أحد أمرائها من الآلهة أن تصبح « سومير على رأس الأقطار » وحصل من اله مدينة على تأكيد بأن يسيل الزيت في سومير بغزارة عند ارساء أسس معبده وفي عصر أقدم من ذلك ورد في معاهدة السلام التي فرضها اياناتوم Enantoum من لاجاش على أهالي أوما ذكر الهه كيش Kesh بين آلهة

سومير التي تتقبل قسم المقيهورين وتدخل مدينتا شوروپاك وأريدو.
Shourouppak & Erldou في هذه المنطقة كذلك .

أما الساميون فكانت لهم مـون بابل Babylone ، سسيبار Sippar ، كيش Kish ، أوبيس Opis ، اكشاك Akshak كوتا Koute ، أكد Akkad أو أجاده Agadé وهذه المدينة الأخيرة التي أسسها أو قام بتجديدها سرجون في القرن التاسع والعشرين أطلق اسمها على كل الإقليم الشمالي وسمى السكان بالأكديين وأصبح سرجون الأكدي « ملكا للقطر » عندما أتم إخضاع البلاد بعد أن قبر لوجازا جيسى ولكن يبدو أن ملوك أور هم أول من اتخذ في القرن الرابع عشر لقب « ملوك سومير وأكد » وقد ظل هذا اللقب باقيا حتى في نقوش كورش Cyrus بعد سقوط الامبرطورية البابلية الجديدة . وقد جمع الملوك العموريون الذين أسسوا أسرة بابل الأولى تحت سلطان واحد وبصفة نهائية المنطقتين وأصبح الجنس السوميري مضمجلا متلاشيا الى حد كبير خلال كفاحه ضد عيلام : ودمرت النار لاجاش وإوما وشـوروپاك وكيسورا وأداب ، فلم تقم لها قائمة واختفت اللغة السوميرية ولم تعد باقية الا في الطقوس الدينية وأطلق اسم أكد على القطرين وأصبحت الوحدة الجغرافية تتجاوب مع الوحدة السياسية . وعندما أخذت تتكون بعد ذلك بقليل سلطة مستقلة في منطقة الجنوب لم تدع لنفسها الصفة السوميرية وإنما قالت عن نفسها انها قامت في « قطر البحر » .

ولا يوجد تاريخ ثابت عن المدة التي تسبق الأسرة البابلية الأولى .
وأقدم تاريخ مضبوط أثبتته الأرصاد الفلكية هو تاريخ حكم اميزادوجا (١)

(١) كان الأب كوجلر Kugler قد حدد عام ٢٢٢٥ لبداية الأسرة الأولى البابلية وذلك كنتيجة لسلسلة من الأرصاد الخاصة بخسوف كوكب الزهرة في عصر الملك اميزادوجا Ammizadougá وخاصة ذلك الخسوف الذي حدث في السنة السادسة من حكمه والذي يعد من بين التواريخ التي يعتبرها معروفة وهو من أجل ذلك يرجع هذا الخسوف الى عام ١٩٧٢ - ١٩٧١ ق م . الا أنه عاد فغير رأيه في كتاب « من موسى الى بولس Von Moses bis Paulus p. 497 صفحة ٤٩٧ » اذ أدخل في حسابه بعض الاعتبارات المتعلقة بأوقات جنى المحصولات طبقا لما ورد في الواح ترجع الى نفس العصر وعلى هذا الأساس حدد عام ١٧٩٦ - ٩٥ بدلا من عام ١٩٧٢ - ٧١ . ولقد ترتب على ذلك أن حذف من عصر الأسرة الأول ومن كل ما سبقتها من أحداث مقدار ١٧٦ سنة . ومعنى هذا أن تبدأ الأسرة الأولى عام ٢٠٤٩ ق م وهو تاريخ شديد القرب من عام ٢٠٥٧ الذي يحدده « فيدندر Weidner » لبداية نفس الأسرة طبقا لاعتبارات أخرى . أما الفلكي « فوذرينجام Fotheringham texts, t. II, 1923, p. 111 » وفي كتابه (Oxford Editions of Cuneiform) فإنه لا يقبل الرأي الأول للاب كوجلر عن تاريخ =

Anmizadoug وهو الملك الذي يسبق آخر ملوك العموريين وأهم المصادر التي تعين على تحديد التأريخ النسبي هي أولا : نقوش ونصوص الملوك الأقدمين أنفسهم التي عثر عليها في أطلال المدن القديمة فهي تورد أسماء وتسلسل أنساب الأمراء الذين حكموا مدنا أخرى . ونستطيع أن نستنتج منها ترتيب مدد الحكم وتوافقا زمنيا في نشاط المراكز المختلفة .

يضاف الى ذلك التواريخ المأخوذة من الألواح الصغيرة الخاصة بالحسابات والقوائم التأريخية التي حررها الكتبة الأقدمون . وطريقة تعريف كل سنة بحدث من الأحداث لها فضلا في تزويدنا بمعلومات قيمة ولكنها لاتخلو من مضايقات للمعاصرين لأنهم اضطروا الى الالتجاء الى مجموعة اصطلاحات وأسماء خاصة بالسنوات ولما كان لكل مدينة تقويمها الخاص بها عندما لاتكون خاضعة لسيطرة مدينة أخرى فان هذه القوائم كان يجب أن تعمل وتحفظ بعناية . وقد ذكر في ألواح صغيرة عثر عليها في نبور كتيب في القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد نظام تعاقب أقدم الأسرات وهي اذا أضفناها الى غيرها من النصوص تمدنا بحلقة تكاد تكون متصلة منذ عصر سابق على أقدم الكتابات والنصوص العتيقة . ولما كانت تواريخ الأسرة الأولى البابلية قد حددت في التقويم العالمي فقد أصبحت سنة ٢٢٢٥ هي تلك السنة التي أسس فيها سومابوم Soumouaboum الأسرة الأولى . وتوجد لوحة صغيرة بمتحف اللوفر ذكر فيها تأريخ أسرة حكمت في لارسا ٢٦٢ سنة وانقرضت في السنة التاسعة والعشرين من عصر حامورابي أي عام ٢٠٩٥ وعلى ذلك يكون بدء هذه السلسلة من الملوك يرجع الى عام ٢٣٥٧ بالضبط وهذا يسمح بتحديد تواريخ الحوادث الخاصة بأسرة معاصرة استقرت في إيسين Isin خلال سنة ٢٢٥ سنة تقريبا اللهم الا اذا كان هناك شك في السنة الأخيرة فقد بدأت بين سنتي ٢٣٥٧ و ٢٣٥٢ وقد وقف العلماء مؤقتا عند أول هذين التاريخين . وقبل أسرة إيسين Isin تذكر ألواح نبور مباشرة أسرة أور الثالثة وتخصص لها ١١٧ سنة على أنه يوجد خطأ في الملك الرابع فقد حسب لحكمه سبع سنوات على حين تثبت الوثائق المعاصرة أنه حكم سنتين بالاضافة الى ما سبق . أما الأمر فيما يتعلق بملك آخر يدعى دونجي Doungi

= ١٩٧٢ - ٧١ ويعلن استحالة من الوجهة الفلكية كما يرفض أيضا قبول التصحيح المقترح وفي اعتقاده أن السنة الوحيدة التي يمكن أن تتطابق مع الوقائع الواردة في الوثيقة المسارية للعام السادس من حكم الملك « أميزادوجا Ammizadoug » هي ١٩١٦ - ١٥ ومن ثم فان بدء الأسرة يقع في عام ٢١٩٦ . وإذا كان الأمر كذلك فيجب حذف ٥٦ سنة من تاريخ هذه الأسرة وما سبقها من أحداث . ولكن قبل التعجل بتعديل التاريخ المعمول به في فرنسا يحسن الانتظار حتى يتم الاتفاق بين الفلكيين أو الى حين ظهور كشوف جديدة في عالم الآثار الآشورية .

فعلى العكس من ذلك ، اذ بينما حدد لحكمه ٥٨ سنة يبدو فى الوقت نفسه أن قائمة تأريخ من عصره (ناقصة للأسف) لاتفسح المجال لمثل هذا العدد الكبير من السنين . ومهما يكن من شيء ومع التحفظ الشديد فيما يتعلق بالخمس والعشرين سنة لحكم ايبى سين Ibi-Sin الملك الأخير فانه تظل لدينا حدود تقريبية لهذه الأسرة أى حوالى ٢٤٧٤ - ٢٣٥٨ . وقبل ملوك أور نجد أن حكما أجنيبا لـ « جوتيوم » Goutioum اعترض بين أسرتين من أوروك كان أمد كل منهما قصيرا . فاذا مرنا الى أبعد من ذلك عرضت لنا فى الحال أسرة أجادة التى حكم ملوكها الاثنا عشر مدة ١٩٧ سنة (حوالى ٢٨٤٥ - ٢٦٤٩) وقد أقام سريون مؤسس هذه الأسرة مملكته على أنقاض قوة لوجا لزاغيسى من أوروك ملك سومير خلال ربع قرن من الزمان وقد تغلب هذا بدوره على أوروك كاجينا Ourou Kagina من لاجاش

(١) هناك قائمة جديدة للملوك منذ بدء البشرية حتى أسرة « ايسن » Isin تضمها مجموعات متحف الاشموليان ولقد نشر هذه القائمة حديثا لانجدون Oxford Langdon فى كتاب Epitomes of Cuimeiform Texts T. 11 1923.

والنص الذى تكون من تجميعات لبعض اللوحات المهشمة والتى كانت معروفة فيما سبق لم يحدد تماما مكان الأسرة الثالثة فى كيش والأسرة الثانية فى أوروك بالنسبة الى الأسرة فى حمازى والأسرة الثانية فى أرو من ناحية والأسرة فى مارى والأسرة فى اكشاك من ناحية أخرى (قارن الجدول على صفحة ٦٥) ولقد تمكن (انجاد Ungnad) معتمدا على بعض الاعتبارات الخاصة بترتيب أجزاء هذا النص ، من أن يقتنع بإمكان إضافة الأسرة الثالثة فى كيش بعد الأسرة فى حمازى ، هذا مع أن الوثيقة الجديدة تضعها على العكس بعد الأسرة فى مارى وتحدد الأسرة الثانية فى أوروك بعد الأسرة فى حمازى . وهكذا فإن هذه الوثيقة قد حددت تماما تتابع الأسرات كما ذكرت أسماء معظم الملوك ومدة حكم كل منهم بل وعصر كل أسرة ، الا أننا لازلنا نجعل القاعدة التى اتبعت فى تكوين الأسرات فمثلا لم يرد ذكر بعض الأمراء ممن كان لهم شسآن كبير مثل « مسيليم » . وهناك النصوص التى تتحدث عن الأسرة الأولى فى « أور » والتى كشف عنها حديثا فانها لا ترجع فى تاريخها الى العصور السحيقة بل من المرجح أنها كتبت حوالى عصر الملك « أورنينا » وفى الواقع ، فإن النصوص المعاصرة هى فقط التى كانت تسمح بإضافة أسماء بعض الأمراء فى قوائم التأريخ الذين اعتبروا من بين أفراد الأسرات الأسطورية فى حين أنهم عاشوا فى عالم الحقيقة .

ولقد أبلغنى « فيدندر Weidner » بقرب ظهور مؤلف عن قائمة جديدة للأسرات محفوظة فى متحف برلين وهو يعتقد أن هذه القائمة سيكون فيها الحل الجزئى لهذه المسألة . (٢) فى اطلال مدينة كيش (حيث قام « جنويلاك H. de Genouillac » الفرنسى ببعض أعمال الحفر فى موسم شتاء ١٩١١ - ١٩١٢ مبعوثا من وزارة المعارف العمومية الفرنسية) عثر « لانجدون » مدير الحفائر الذى أرسلته كل من جامعتى أكسفورد وشيكافو فى مارس سنة ١٩٢٤ على عدة آلاف من الألواح التى ترجع الى عصر بدء الأسرات محفوظة بعناية فى قدور . ومن المعروف أن بعض هذه اللوحات يرجع الى عصور أقدم من عصور كل النصوص التى نشرت حتى الآن ويظهر أنها ستمدنا بمعلومات هامة عن تاريخ سومر وأكد قبل الألف الثالثة . أما « دى جنويلاك » فهو يعد حاليا مؤلفه عن الألواح التى كشف عنها .

وابتداء من هذا الملك توجد وثائق معاصرة تسمح بالذهاب الى أبعد من هذا حتى نصل الى أور - نينا Our-Nina . وأقدم أثر منقوش يتضمن واقعة مؤكدة هو رأس دبوس حلى برسوم الحيوانات مقدم للاله نينجرسو Ningirsou حامى المدينة والكتابة انتى عليه معناها ان ميسيليم Mésilim ملك كيش مشيد معبد نينجرسو قد أقام « هذا » من أجل نينجرسو عندما كان لوجال-شاج-انجور Lougal — Shag — engour ايشاكو (١) مدينة لاجاش .

وفى هذا العصر العتيق يكون أحد ملوك المنطقة الاكدية قد قام بعمل من أعمال السيادة على مدينة من الجنوب وبني فيها معبدا وفى نيبور يوجد أثر نذره للاله انليل Enlil ايشاكو من كيش يدعى اوتوج Outoug وعليه كتابة أكثر امعانا فى انقدم .

فاذا أردنا الذهاب الى أبعد من ذلك فان الوثائق المكتوبة المعاصرة تعوزنا تقرينا بحيث نضطر اضطرارا الى أن نلجأ الى روايات الخلف المتداولة . فالسوميريون والاكديون (ربما وفد الأولون من الجبال الواقعة الى شرق دجلة والآخر من سوريا) نسوا فيما يبدو المناطق التى وفدوا منها فى الأصل واعتقدوا أنهم من أصل هذه البلاد نشأوا فى وادى الفرات أصلا . فالعصر الأسطورى يشمل أولا ٦٢ مجموعة من السنين (٢٢٣٢٠٠ سنة) لم يكن فيها - طبقا لما رواه بيروس Bérosee - رؤساء .

(١) لا يعرف ما يقابل هذا اللقب فى اللغات الحديثة لأنه كان لقباً مديناً ودينية فى الوقت نفسه يجمع صاحبه بين السلطتين الدينية والمدنية وربما كانت له من الاختصاصات ما كان للخليفة فى الاسلام (المترجم) .

(٢) أمدتنا وثيقتان من الوثائق المحفوظة فى متحف الاشمويليان نشرتا حديثا باسم كل ملك ومدة حكمه ومدينته من الملوك السابقين على الطوفان ، فالوثيقة (W. B. 62, XI, 1923) تشير الى عشرة ملوك حكموا فى ست مدن خلال مدة قدرها ٤٥٦٠٠٠ سنة - والوثيقة W. B. 144 (Editions of Cuneiform texts, II, 1924) Oxford تذكر ثمانية ملوك فقط حكموا فى مدن كان من المعروف أنها المدن الوحيدة التى استست قبل الطوفان وهى : اريدو ، بادتيبيرا ، لاراك ، سنيبار ، شوروباك . ولم تذكر هذه الوثيقة اسم الملك الذى حدث فى عصره الطوفان . ولا يتعدى المجموع الاجمالى لسنى حكم هؤلاء الملوك أكثر من ٢٤١٢٠٠ سنة . وهناك قائمة أخرى لم تنشر بعد أشار اليها « فيدندر Weidner » فى مجموعة ألواح آشور .

ولقد حلت مدينة بابل محل اريدو وكانت على رأس القائمة فى الروايات التى اخذت عنها « بيروس Beose » ويبدو أن الوثيقة التى استخدمها تعرضت للاصلاحات والتهديبات فى عصر حورابى . وأن الدراسات التى قام بها المحدثون للاسماء الملكية لا يستحق معظمها سوى الاحمال . فلا ينبغي مثلا اعتبار Xisouthros كنطق محرف للاسم البابلي Atra-hâsis بل انه خطأ فى الكتابة والقراءة . وهذا الاسم Xisouthros يمثل النطق Zi Sorudda وهو الصيغة الذى اشتق منها الاسم السوميرى Ziousouddou



شكل (٢) كتلة نذر لمسيليم (اللوفر ، تلولو)

ثم تعاقب بعد ذلك عشرة ملوك خلال عصر بلغ مداه ٤٣٢٠٠ سنة هم
ألورس ملك بابل والحكيم الباروس (أو اداباروس أو ادايا بطل اسدى
الأساطير) واميلون صاحب بانتيبيليا (سيبار ٩) الذى هناك تقارب (٢)
بين اسمه وبين الكلمة السامية اميلو (بىسنى رجل) ثم اميتون العامل
الماهر (أومانو ٣) ثم ميجالاروس وداوونوس الراعى أو « ذاوس »
فى أبندين وربما كان الاسم مشتقا من لفظة بدائية هى راوس التى تقابل
اللفظة الاكدية رى عو (راعى ١) ثم افيدورانكوس وهو انميدورانكى
بالسوميرية ومعنى اسمه « سيد القرارات فى جميع أنحاء السماء والأرض »
وهو الذى كشف الالهان شمش وأداد عنه الحجاب وأنبأه بالغيب .
ثم اممبسينوس ملك لاراك ثم أوبارتس من لاراك وهو فى السوميرية
أوبارتوتو وأخيرا ابنه كسينيوتروس الملقب فى السوميرية بـ « زى -
أوسودو » ، وفى البابلية « اوتا - نا - بشتيم » . أما اسمه اليونانى فهو
مكون من تداخل عنصرين من اسمه البدائى اثرا - هاسس . وقد حكم
اكسينيوتروس مدى ٦٤٨٠ سنة . وقد قرر الآلهة فى عصره أن يهلكوا
البشرية وأن يغرقوها بالطوفان . والقوائم الملكية التى سلف ان أشرنا
اليها تعدد تسلسل بقية الأسرات التى تعاقبت فى سومير وأكد منذ الطوفان
حتى ملوك ايسين Isin .

وقد كانت عشر مدن كل في دورها عاصمة لامبراطورية صغيرة أو تسعة الأجزاء وقد ذكرت أسماء ١٢٣ ملكا قبل أسماء ملوك ايسين وقد فرض الأجانب حكمهم أربع مرات : اوان Awan وهامازى Hamazi من مدن عيلام ومارى (Mari) (Ouerdi) وهى مدينة واقعة عند الفرات الأوسط ثم جوتيوم Goutioum .

وقد تتابع على حكم كيش وهى مدينة فى الشمال ثلاثة وعشرون أميرا فى فترة خيالية تقع فى مدى أكثر من ١٨٠٠٠ سنة . وقد رفع نسر أبندهم وهو إيتانا البطل الالهى لاحدى الأساطير - الى السماء .

وقد كانت عاصمة الأسرة التالية فى أوروك Ourouk فى سومير وقد مجدت الأجيال التالية - كاله - الملك الثالث لوجال ماردا Lougal-marda وخليفته دوموزى Doumouzi (تموز Tammouzi) وله الابنات وعشيق الالهة عشتار Ishtar وقد تولى الحكم من بعدهم جلجامش Gilgamesh الذى يمثل العظمة السوميرية وهو بطل ملحمة رائعة خلد ذكره فيها عدة أمراء من أجل المنشآت التى أقامها فى المدينة . وبعد عدة أسر أخرى (١) نصل الى العصر التاريخى الذى لدينا عنه وثائق مكتوبة ومعاصرة .

والواقع أنه لا يمكننا أن نصل الى ما قبل مسيليم ملك كيش بأكد ذلك الأمير الذى مد سلطانه على سومير فقد كان يتدخل - عند وجود خلاف بين مدينتين متنافستين - بوصفه ملكا ويعيد بينهما السلام . وقد ذكر انتيمينا Entéména من لاجاش انه اضطر الى ممارسة السلطة المخولة له بوصفه ملكا فى خلاف دب بين بلده لاجاش وبين أوما فرسم بينهما الحدود وأقام عندها لوحة تذكارا لمعاهدة السلم بينهما ولم يكن تدخله هذا - تبعا للعقائد الدينية فى ذلك العصر - الا بناء على أمر الهة كيش بقصد تسجيل نص المعاهدة التى وضع تفصيلاتها الآلهة بعد أن أمر انليل الاله الأكبر لسومير آلهة لاجاش وأوما بأن يسود السلام بين البلدين وأن تثبت الحدود المشتركة بينهما .

وكان أورينا مؤسسا لأسرة محلية فى لاجاش ويظهر أن هذا الأمير لم يكن ذا ميول حربية وتشير كل النصوص الخاصة به الى أعماله السلبية : فهو يرمم الأسوار ويشيد أو يعيد بناء المعابد والعمائر العامة الأخرى ويكرس التماثيل للآلهة ويشق القنوات وقد كرس أحداها

(١) بدلا من « ١٨ ألف سنة » تقرا : « ٢٤٥١٠ سنة وثلاثة شهور وثلاثة أيام ونصف » وهو الرقم الكامل .

XIII, 1921, p. 241 et suiv XXIV b, t. I,

(٢)



شكل (٣) أورنيثا وعائلته (متحف اللوفر - تلو)

ل « أنليل » اله سومير الأكبر • وقد شـيـد في حى جرسو Girsou مخزنا للغلال عشر على جزئه الأسفل • وقد أمر أن يمثل فوق ألواح منحوتة وهو يحمل سلة بها أدوات محوطة بأفراد عائلته وحاشيته • وأمر بقطع الأخشاب من الجبال البعيدة واحضارها عن طريق الماء لاستعمالها أبوابا وسقوفا للمنشآت • وكان حكمه عصر يسر وتقدم لمدينة لاجاش •

وقد خلفه ابنه اكورجال Akourgial ولكن يظهر أن ايانتوم Eanatum أخذ مكانه ووجد نفسه مضطرا الى اصلاح حى جرسو واعادة بناء حى نينا وكذا سور المدينة المقدسة • ويظهر أن ذلك كان نتيجة للأضرار التي لحقت بمدينة لاجاش في عصر أكورجال • ومما هو جدير بالذكر أن هذا الأمير تخلى عن لقب ملك واسترد لقب إيشاكو •

وقد أزال اوش Oush إيشاكو اوما - بناء على أمر اله المسمى شارا - لوحة مسيليم دون استفزاز أهل لاجاش ، وفسخ المعاهدة التي سبق إبرامها بحضور جميع آلهة سومير وغزا جويدين Gouédin وهي أراضى نينجرسو Ningirsou المقدسة • فأمر اله لاجاش ، نائبه بأن يدافع عن نفسه وانحاز أنليل اله سومير الأكبر الى جانب ايانتوم ومع ذلك فان اللجاشيين لم يدخلوا الحرب فوراً لأنه يظهر أن الهجوم كان غير

وقطعان الماشية والأسلاب الى أوما فأعد ايانتوم العدة بعناية بقصد الانتقام متوقع وكان عبارة عن غارة خاطفة نهبت فيها القرى وحرقت واقتيد العبيد من هذه المهانة وتوجه الى معبد نينجرسو واستلقى ووجهه الى الأرض فظهر له الآله في الحلم ووعدته بالنصر ومعونه إله الشمس ولما علم الاوميون بمقدمه بادروا الى الخروج لمقابلته قبل أن يقترب بقصد حماية حقوقهم كي تكون الموقعة على اراضى لاجاش . وقد كانت المعركة عنيفة والمذبحة مروعة ولكي ندرك أهميتها نذكر أن عدد القتلى الذين تركوا في ساحة الوغى بلغ ٣٦٠٠ كما يقدر ذلك البلاغ الرسمي . وقد تراجع الاوميون ووصل اللاجاشيون تحت أسوار مدينتهم وحاولوا الهجوم ونجحوا في اجتياز الأسوار فبدأت المذبحة من جديد وساد الدمار والخراب فاستسلمت أوما استسلاما واستحالت جثث جندها طعاما للطيور الكاسرة على حين جمعت جثث جنود لاجاش واحتفل بدفنها في عشرين موضعا في السهل احتفالا جنزيا . وقد شق ايانتوم في حدود المقاطعتين قناة هي خط الحدود بينهما : وهي في نفس الوقت حاجز ضد أي هجوم جديد كما أعيدت اقامة لوحة مسيليم على الضفة وأقيم بالقرب منها نصب تذكاري لمعاهدة السلام الجديدة وفرض على أوما أن تدفع جزية من الغلال طلبت لاجاش تقديما فورا . وقد ثبتت المعاهدة بالقسم ووضعت تحت حماية الآلهة وأقام اللاجاشيون مقاصير للصلاة تمجيدا للمعبودات التي عاونتهم كما أقاموا نصب النصر المعروف تحت اسم « شاهد العقبان » (١) ولم تكن هذه المعركة ضد أوما أول حلة لا يانتوم فقد هزم عيلام من قبل وكذلك أوروا واسر الايشاكو الذي كان على رأسها وعرضه على بوابة لاجاش لسخرية الرعاع . وقد استولى على اوروك في حملة رابعة ثم سقطت عقب ذلك أور Our وكي بابار Ki-babbar وامتد سلطانه عقب ذلك على سومير جميعا ثم هجم خارج حدود البلاد على اورواز Ourouaz ومشيمة Mishimé واروا Aroua ونهب محتوياتها وحرقها . وقد اقلق نجاح ملك لاجاش بال زوزو Zouzou ملك اكشاك فتوجه للهجوم عليه في اراضى الاله نينجرسو ، ولكنه رد على أعقابهِ وطورد جيشه حتى أسوار عاصمته وأبيد . وهكذا سقط في يد اللجاشيين قطاع كبير من الاقليم الشمالى ونادت الالهة اينانا Innana بواسطة كهنة هيكلها بايانتوم ملكا على كيش .

وقد انتهزت فترة السلام التي أعقبت ذلك لشق قناة تغذى حوضا وقد بلغ الازدهار حدا دفع الى القول بأنه « في هذا العهد كان نينجرسو بحب ايانتوم » ولكن يظهر ان السنوات الأخيرة من حكم هذا الأمير طرات

عليها كآبة بسبب حرب جديدة ضد عيلام وفقد إيانتوم على التوالي لقب ملك كيش ثم لقب ملك لاجاش وعاد مجرد إيشاكو وقد وصل به الأمر عندما أهدى للآلهة نينا جرنا إن ناشدها « إلا يأخذه ملك كيش » .

ومات دون أن يترك نسلا فخلفه أخوه إناناتوم الأول Enanatum I ووجدت أوما الصراع وقامت بهجوم عنيف. وحدثت معركة غير حاسمة على أرض لاجاش وخلال حكم انتمينا Entéména حاولت أوما مرة أخرى أن تخلع النير ولكن « الإيشاكو » الخاص بها طورد إلى المدينة وقتل بالسلح وولى العرش مكانه أجنبي .

ومنذ عهد إناناتوم الأول كان الكهنة يبسطون نفوذهم إلى حد كبير ونقش أورهالوب Ur-Halub اسمه إلى جانب اسم الملك ، كما أن دودو Doudou نفسه كرس للاله - الذى كان هو كاهنه الأكبر قائما لدبوس كانت نقوشه البارزة تزيينها صورته وشعار المدينة ، مما يذكر بما سبق أن نخته أورنينا Our-Nina وحين قدم ستمائة من العلاميين كى يجتاحوا إقليم لاجاش فى حكم ايناناتوم الثانى نرى أن لويننا Louénna كاهن نمار Ninmar الذى قام بصلبهم لم يخبر الأمير مباشرة بنجاحه بل نراه يوجه رسالة إلى انيتارزى Enetarzi كاهن نجرسو . وقد استولى انيتارزى هذا على العرش وخلفه الكاهن انليتارزى Enlitarzi كما أن ابن هذا الأخير واسمه لوجالاندا Lougalanda كان هو نفسه إيشاكو مدى بضع سنوات وقد أساء هؤلاء المختصون استغلال مراكزهم وأخذوا على عاتقهم تعديل القوانين والعادات بما يتفق ومصالحهم الخاصة . وقد تبع هذا رد فعل فخلع لوجالاندا وحل محله أوروكاجينا Ouroukagina الذى استعاد لقب ملك بعده عام أو اثنين على أكثر تقدير . وقد أصلح هذا الأمير المساوى وتشهد نقوشه بذلك كما أن لوحات الحسابات تؤكد صحة النصوص الرسمية وتكشف مجموعة هذه الوثائق عن الحياة الحقيقية لمدينة سوميرية فى بدء الألف الثالثة (١) .

وقصة إصلاحات هذا الأمير - وهى مكتوبة فى أسلوب أدبى رائع - تصف أولا حالة السكان السيئة « منذ أقدم العصور - منذ البداية » . . . تصف الجور الذى كانوا فرائس له وكذا الظلم الذى كانوا يقاسونه . ثم يسرد الأمير إصلاحاته ويفاخر فى النهاية بأنه « وطد دعائم الحرية » فى المملكة (٢) . وكان كبار الموظفين قد بلغوا من الفساد مداه مجتذبن

Cf. LI.

(١)

LXXXVI, p. 74.

(٢)

حذو الايشاكو ولقد اتبع كبار رجال الدين عادة اشرارك الأمير وأصحاب
 المناصب الكبيرة في اقتسام ايرادات المعابد من شعير وملابس وفاكهة حتى
 يضمّنوا لأنفسهم الأمن حين يصرصون الجوز على الشعب : « كان الكهنة
 يقتلعون الأشجار من حدائق أم الفقير ويستولون على فاكهتها » ولم يعد
 الكهنة يدخلون حدائق أم الفقير ولم يعودوا يقتلعون أشجارها
 أو يسلبون فاكهتها » كانت ثيران الاله تستخدم في رى الأراضى الممنوحة
 للايشاكو وكان الكهنة يوزعون الشعير على رجال الايشاكو ويحضرون -
 كجزية - الملابس والقماش والطيور والماءز » أما فيما يختص بالجزية
 النى كان يحضرها الكهنة الى القصر فقد سحب المشرف عليها من وظيفته .
 والى بيت الايشاكو والى حقله أعاد وضع الاله ننجرسو سيدهم كما أعاد
 الى بيت زوجة الايشاكو والى حقل الزوجة وضع الاله باو Baou
 سيدهم وكذا أعاد الى بيت الأولاد وحقولهم وضع الاله دونشاجانا
 Dounshagane سيدهم » وقد فصل الموظفون الزائدون عن الحاجة
 أما الآخرون الذين لم تشب تصرفاتهم الرسمية شائبة فقد استبقوا في
 وظائفهم فذكر منهم الناظر انيجال Eniggal « كاتب بيت الزوجة
 (زوجة الايشاكو) منذ السنة الثانية لحكم لوجالاندا الذى صار
 « كاتب الاله باو » واستمر يستمتع بثقة الأمير . بل ويشهد عدد كبير
 من لوحات الحسابات على نشاطه في ادارة مشروعات الدولة الكبرى . ولقد
 جدد « اوروكاجينا » دخل رجال الدين : فحين كان يتناول عن عمل الدفن
 سبعة أوان من المشروبات المتخمرة و ٤٢٠ رغيفا و ١٢ (قا) من الحبوب
 ورداء وجديا وسريرا ٠٠٠ أصبح لا يحق له أن يتناول سوى ثلاثة أوان من
 المشروب وثمانين رغيفا وجديا وسريرا ٠٠٠ ومن كان يخصص له
 ٦٠ (قا) من الحبوب خفض نصيبه الى النصف . وقد كان العرافون
 موظفين ماجورين فى المعابد ولكنهم اعتادوا أن يتناولوا أجورا مقابل
 أداء خدماتهم الا أنهم أكرهوا على العودة الى سابق العهد وأعطاء
 استشاراتهم بالمجان . وقد حظر على الأغنياء اساءة استعمال السلطة .

وعندما أراد أوروكا جينا أن يضع فى القانون نصا يلزم الجميع
 بدفن ثمن ما يريدون امتلاكه من منقول أو عقار ويمنعهم من الحصول عليها
 بالقوة اختار حالة مملوسة الحمار أو البيت « اذا ولد جحش جيد لأحد
 وعايا الملك وقال له رئيسه : « أريد شراءه » وكان يعتزم حقا شراءه فان
 عليه أن يقول له « أدفع نقدا » وفى حالة ما اذا كان لا يريد الشراء فعلا
 فان الرئيس لايجوز له أن يأخذ الحمار » ٠٠٠ وعلى هذا استطاع كل
 شخص ان يستمتع بالحرية حسب مركزه .

وقد مثل أورو كاجينا نفسه في النقوش كذلك كملك بناء : فهو يخلد ذكرى إعادة تشييد عدة معابد وخاصة معبد انينو Eninnou حيث هيكل نجرسو . وتبين بعض البطاقات ، على هيئة «الزيتون المثقوب» ، مدى العناية التي بذلت خلال حكم هذا الأمير بقصد اخفاء الاشياء الثمينة ، الخاصة بالمعابد والآلهة وكبار الموظفين في برج من أبراج السور وربما كان ذلك في الوقت الذي أراد فيه الأوميون رفع النير عن أنفسهم فاجتاحوا المدينة تحت قيادة « الايشاكو » الخاص بهم لوجال زاجيسي Lougalzaggisi ممزقين المعاهدة التي أملاها عليها انتمينا وأعملوا في البلاد حرقا وسفك دماء فتحطمت ملكية لاجاش وكتب أحد الكتاب بعد فترة قصيرة مرثية عن خراب المدينة هي إحدى روائع صفحات الأدب السوميري .

وتبين القوائم الملكية التي وضعت في القرن الحادي والعشرين أن لوجالزاجيسي هو الملك الوحيد في الأسرة السادسة عشرة وأنه تولى الحكم حوالي خمسة وعشرين عاما (حوالي ٢٨٧٠ - ٢٨٤٦) وقد ذكرت قبله الأسرة الرابعة لـ « كيش » - وليس أورو كاجينا الذي يظهر أن سلطته لم تمتد إلى أبعد من مدينته نفسها .

وبعد انتصاره على لاجاش استولى ايشاكو أوما على عدة مدن من سومير ونادى بنفسه ملكا على البلاد وكاهنا لـ « أنو » Onou في أوروك وقد تنازل عن لقبه القديم « ايشاكو أوما » ولكنه احتفظ بلقب كاهن نيسابا Nisaba وسقطت نبور في يده وأصبح الايشاكو الأكبر لأنليل الذي كرس له بعض أوان من الحجر وتمثالا . « أخضع أنليل البلاد لسلطانه وقد فتح البلاد جميعا من الشرق إلى الغرب » وحارب حتى الخليج الفارسي وأغار نحو الشمال الشرقي حتى شواطئ سوريا . وقد اهتم من ناحية أخرى بمشروعات المنافع العامة ومنها مثلا مشروع ري لأراضي لارسا . والتمس من الآلهة « أن تمنحه في كرم جندا مثل عشب الحقول في كثرته » والا تغير حظه السعيد . وأن تبقى عليه راعيا لشعبه إلى الأبد . ويظهر أن سلطانه لم يمتد إلى أكد حيث كان يتزايد نفوذ سامي منافس سيوح الاقليميين تحت صولجان واحد . ثم أسس سارجون أسرة أجاده وهو الذي تمثله أسطورة فيما بعد أنه أتى به إلى العالم سرا ووضع في سلة من القصب مدهونة بالقار على الفرات وانتشله أكي Akki متولى شئون الري وهو الذي رباه كأنما هو ابن له . وتقول رواية أخرى أنه كان في أول الأمر بستانيا ثم ساكب مشروبات أور - زابابا Our-Zababa - ملك من ملوك الأسرة الرابعة في كيش . وقد سجل انهيار لوجال زاجيسي نقش على قاعدة نصب مشيد في معبد أنليل في نبور . وقد استولى سارجون على أوروك ، وأغلب الظن أن ذلك قد تم له من طريق المفاجأة وهدم حوائطها

المحصنة ثم نازل بعد ذلك قوات أوزوك وانتصر عليهم . وفي معركة ثانية أسر « لوجال زاجيسي » نفسه واقتاده مكبلا بالأغلال أمام أنليل اله سومير الأكبر ليفوز منه بالموافقة على خلع الملك القديم والحصول على لقب الايشاكو الأكبر وبذلك أصبح سييدا على المنطقة الشمالية من سومير . وقد سحق في حملة أخرى قوات أور وهدم أسوار هذه المدينة ثم سقطت أراضي لاجاش كلها في يده ولما وصل الى شاطئ الخليج الفارسي غسل أسلحته في مياه البحر وفقا لتقليد ديني استمر معمولا به حتى آخر أيام الامبراطورية البابلية . وفي طريق العودة أكمل فتح سومير بالاستيلاء على أوما وهدم أسوارها .

وقد ورد في النص نفسه كيف أن سارجون أصبح بفضل رعاية أنليل سييدا بغير منافس من البحر الأعلى (البحر الأبيض المتوسط) حتى البحر الأدنى (الخليج الفارسي) . وتقدم نقوش أحد التماثيل بعض التفاصيل عن الحالة السياسية في شمال غرب سومير وأكد اذ تذكر ثلاث ممالك : الأولى - ماري Mari على الفرات الأوسط التي امتد سلطانها فيما مضى حتى الخليج الفارسي وتحالفت أثناء حكم اياناتوم مع كيش ضد ملك لاجاش ، والثانية يارموتي Iarmouti الواقعة غرب انحناء الفرات . أما الثالثة فهي ابلا Ibla على منحدرات طوروس . وقد امتد سلطان سارجون خلال هذه الأراضي حتى « غابة الأرز » وهي لبنان أو ما وراء لبنان ثم الى جبال الفضة (طوروس) وقد كان هذا هدف فتوحاته .

وقد كانت بلاده - وهي أرض كثيرة الأمطار - لاتزود سكانها بأخشاب البناء ولا بالأحجار أو المعادن . وكان عليهم منذ البدء أن يعملوا على استحضار ما يلزمهم منها من الخارج : اما من الجبال الواقعة شرقي دجلة التي تقطنها شعوب معادية أو من ناحية طوروس ولبنان متبعين في ذلك الطريق الطبيعي للفرات ومنذ السنة الثالثة من حكمه - حين التمسست منه مستعمرة تجار ساميين في جانيش (Gul-tepé)-(Ganish) في كبادوكيا Cappadoce كان يضطهدهم نور داجان Nur-Daggen ملك بورساهاندا Boursahanda - سار نحو هذه المدينة حيث أرسل من هناك الى أكد (١) نوعين من أشجار التين والكروم والورد والنباتات الأخرى .

وقد بنى سرجون - أو هو أعاد بناء - أجادة أو أكد وهو الموقع الذي لم يمكن تحديده وجعل منها عاصمة لامبراطوريته . وكان بلاطه فخما : وهو يصف أحيانا في تفصيل عدد الأمراء الموجودين في حضرته كما يذكر أحيانا أخرى أن ٥٤٠٠ رجل كانوا يأكلون أمامه كل يوم .

وتذكر نقوش أثر آخر في ايسكور Ekour موقعتين انتصر فيهما على عيلام وبارهسى Barahsé وقد مثل بالنحت المهزومون والأسلاب وقيائل المدن التي أخضعت . وقد انتصر كذلك على كازاللو Kazallou الواقعة عند سفح جبال عيلام . ووصلت حملة أخرى الى شيريهوم Shirihoun على شاطئ الخليج الفارسي . ووفقا لروايات العهد البابلي الجديد يقال ان سرجون حمل جيوشه بحرا حتى يذهب لفتح دلمون Dilmoun .

وقد حدثت في أخريات أيامه فتنة عامة وحين حوصر في أجادة استطاع أن يهزم أعداءه وقدم غنيمة ضخمة للالهة عشتار . وقد عاونت سوبارتو Soubartou - وهي الاقليم الواقع الى شمال أكد - الشوار فهزمت كذلك .

وهنا تذكر بابل للمرة الأولى في التاريخ اذ أنها شاركت هي الأخرى في الثورة فكان جزاؤها ان نهبت وخربت ومع ذلك فان السلام لم يستقر . ومات سارجون ولم يأخذ ابنه سوى « شر » كيش Shar-Kish shatim ملك المجموعة التي كانت ترتبط بعبادة أنو Anou والتي هي في أكد تقابل لوجال كلما Lougal Kalama في سومير .

وكان على اوروموش Ouroumoush ان يحارب في كل جبهة فقام بمعارك ضد جيوش أور وأوما وذبح ٨٠٤٠ رجلا وأسر ملك أور « ايشاكو » ها وكذلك ٥٤٦٠ محاربا . وتابع طريق النصر حتى البحر مجتازا في ذلك الحقول ومحطما المدن ومستوليا على الرهائن . واستولى عند عودته على كازاللو وأشاع الرعب في عيلام . وكونت « أوما » مرة أخرى اتحادا مع دير Dêr ولكنه قضى عليه وقتل ٨٩٠٠ محارب وأخذ ٣٥٠٠ أسير .

وقد أسهمت هالاب Hallab ولاجاش فى هذا الصراع وقد كان ايشاكوهما
 ووزراؤهما من بين الأسرى • وقد أخضع عيلام وهزم ابالجاماش
 Abalgamash ملك بارهسى Barahsé وقامت معركة كبيرة على نهر
 كابنيتوم Kabnitoum بين اوان Awan وسوسه وهزم أنشان
 Anshan وشيريهوم Shirihoum واستطاع أوروמוש ان يعنن
 ما أعلنه أبوه من قبل من أنه أخضع لأنليل البحر الأعلى والبحر الأدنى
 وكنل المناطق الجبلية ومع ذلك ، فانه اتخذ لقب « شركيش » ولم يطلق على
 نفسه لقب « ملك اجاده » • ولقد أقام مبانى النصر التذكارية فى معبد
 نيبور Nippour ووضع تمثاله الشخصى المصنوع من الرصاص فى
 مواجهة تمثال الاله ، وكرس جانبا من الأسلاب له كما خصص أوقافا
 للقرابين •

ثم ضر مانيشتوسو Manishtousou انشان وسيريهوم وعبر
 الخليج الفارسى ليهاجم اثنين وثلاثين ملكا صغيرا على الشاطئ العيلامى
 يقصده ضمان استغلال مناجم الفضة والمحاجر • وقد حصل فيما يجاور
 اجاده على مساحات واسعة من الأرض وأمر أن تنقش وثيقة الملكية على
 مسلة من الديوريت وقد اعترفت سوسه بسلطانه ، فكرس ايشاكوها
 تمثالا تمجيذا له •

ولقد هد نرام سين Naram-sin نفوذه (حوالى ٢٧٦٨ - ٢٧١٢)
 من الخليج الفارسى حتى آسيا الصغرى • ويحمل عدد من الآثار الدليل
 على مجده ، وتقدم الفنون الجميلة فى عهده • وقد عثر فى بيرحسين على
 الامبارسو Ambar-sou على مدى أربع سيات ونصف الى شمال
 شرق ديار بكر على لوحة إقامها هناك • وقد مثل أحد مهرة النحاتين على
 لوحة أخرى حملها أحد العيلاميين الغزاة الى سوسة ••• الكفاح ضد ملوك
 سدورى Sudouri ولولوبو Louloubou (١) •

وقد آله خلال حياته وتذكر النقوش على بعض القطع الأسطوانية
التي تخص كبار الموظفين اسمه كانما هو « آله آجاده » . ويرجع تاريخ
كثير من لوحات الحسابات إلى عهده وإلى عهد حفيده شركاليشرى.
Sharkalisharri (ما بين ٢٧١١ ، ٢٦٨٨) .

وثارت أوروك
وأصبح لزاما أن يعاد
غزوها . وقد وصل
العمليون إلى أوما
ولكنهم ردوا على
أعقابهم وكانت الحرب
في الشمال الشرقي ضد
جوتيوم Goutioum
وفي الشمال الغربي ضد
بسر Basar ويخلد اسم
أحد الأعوام ذكرى
اسم ملك كوتا Kouta
ووضع أساسات معابد
في بابل كما يسجل
آخر استمرار بناء
الايكور Ekour في
نيبور الذي كان قد بدأ
في عهد الملك السابق .
وقد عثر بين الخرائب
على عوارض أبواب عليها
كتابات وكذا على أختام
للطوب . وعند موت
شركاليشرى سادت
الفوضى :



شكل (٤) لوحة نرام سين (متحف اللوفر . ولد فارس) .

« من كان ملكا ؟ ومن لم يكن ملكا ؟ » ! لقد حكم أربعة ملوك خلال ثلاث سنوات ! و « دودو » الذى بقى من عصره اثناء من المرمر وابنه جيميل دوركيب Gimill Dour-Kib (حوالى ٢٦٤٦ - ٢٦٤٩) تنتهى بها قائمة أمراء اجاده .



شكل (٥) تمثال جوديا (متحف

اللوfer - نللو) .

وقد استردت السلطان أسرة من أوروك بها خمسة ملوك مدى ٢٦ سنة (حوالى ٢٦٤٨ - ٢٦٢٣) ولكن شرادم جوتيسوم الذين استطاع شركا ليشرى منذ أقل من قرن أن يعيدهم نزلا الى السهل من الجبال الشرقية وأخضعوا سومير وأكد (حوالى ٢٦٢٢ - ٢٤٩٨) وقد أمر أحد ملوك هذا العصر وهو لاسيراب Lasirab أن تنقش كتابة اكدية على دبوس قتال ندرى وهو يتوسل فيها الى انينا وسين مع آلهة بلاده . وبعد مائة وخمسة وعشرين عاما عندما نودى بارتو هيجال Outou-hegal ملكا على أوروك والأقاليم الأربعة وضع نفسه تحت رعاية انليل واينانا آلهة أوروك وجاجامش الملك القديم الأسطورى . وقد جمع قوى أوروك وكولاب Koullab ضد الأجنبي . وخسر ترقان Tiriqan ملك جوتيسوم المعركة وهرب الى قلعته دوبروم Doubroum ولما هجره رجاله أسر مع زوجه وأطفاله . ووطدت دعائم الاستقلال من جديد . ولقد حفظت لنا بعض الأسماء من ذلك العهد الذى مازال غامضا وهى أسماء ايشاكوهات لاجاش ومن بيتهم جوديا Goudeà الذى امتد نفوذه بعيدا الى ما وراء مدينته . ويوجد بمتحف اللوفر أحد عشر تمثالا له وكذلك تمثالان صغيران وبعض قطع من لوحة وقطعتان أسطوانيتان من الآجر تخلدان ذكرى إعادة بناء المعبد الكبير فى لاجاش وكذا بعض قوالب الآجر والمسامير الطينية

والنوحات والأواني ورؤوس الدبابيس وأسند نذري، وبصمات أختام . وقد أعاد بناء الانينو Eninnou في صورة فخمة : وتصف النقوش على الأسطوانات في اسهاب الاستعدادات التي عملت من أجل هذا المشروع وتنفيذه وحفلات تدشينه . وقد وضع تمثاله الخاص الذي يمثل في صورة متواضعة مليئة بالاحترام أمام المعبود في كل معبد قام بترميمه وقد أقام في فناء الانينو سبع لوحات عثر على أجزاء من اثنتين منها : ولدينا كذلك رأس دبوس من رخام طوروس محلاة برؤوس سباع ومغطاة بطبقة من الذهب وكذا اثناء مزخرف بالتنانين من نفس طراز نظيرها الذي ستره شعارا لمردوك Mardouk اله بابل والذي سيظل يمثل في النقوش والرسومات حتى في الامبراطورية الجديدة وكذا أسد مكرس للالهة جاتو دوج Gatoum doug (١) . وحين انتهى من ترميم المعابد عني بتشييت المنشآت الدينية القديمة وزيادة أغلب التقدّمات الخاصة بالطقوس : ونقوشه تشير اشارة طفيفة الى الأحداث الحربية وهي حرب ضد أنشان . وربما اله جوديا خلال حياته ولكن ليس هناك من شك في انه كان يعيد بعد موته بوقت قصير . وقد أقيمت أوقاف منتظمة لتقديم القرابين لتمثاله : وتوجد لوحات حسابية تؤيد ذلك . وقد خلفه ابنه اور ننجورسو Our-Ningirsou الذي سرعان ما خلعه أور انجور Our-Engour ملك أور من مركزه كايشساكو مع بقائه كاهنا لأنو وانكى حتى حكم دونجى .

وحوالى ٢٤٧٤ بدأ في أور عهد الأسرة الثالثة التي أسسها أور - انجور وكانت أور قد خربت وحرق قصرها وهدمت أسوارها فأعاد الملك الجديد بناء مدينته ومعبد ننار Nannar وأصبح سيد أوروك وعين ابنه هناك كاهنا أكبر لاينانا Innana واستولى على لاجاش وخلع ايشماكوها وأحل مكانه اورابا Our Abba وشق قناة هناك . فلما أصبح ملكا على سومير وأكد أعاد بناء كثير من المعابد : معبد اله الشمس في لارسا ومعبدى انليل ونيليل Ninlil في نبور ، وشق القنوات وأصلح القوانين « وجعل العدالة تسود » . ولعل الخاتم الأسطوانى لهاشهامر Hashhamer ايشاكو اشكون سين Ishkoon-sin ومولى ملك أور - وهو من أشهر نماذج الحفر على الأحجار الرقيقة لذلك العصر - هو الدليل الوحيد على كونه من أكد . وهناك من عصره تاريخ يخلد ذكرى حملة « من أدنى الأرض الى أعلى الأرض » .

وقد خلف دونجى Doungi بن اور - انجور Our-Engour

(١) قارن الأشكال ٥ و ١٨ و ١٩ .

اباء حوالى ٢٤٥٦ وتنقسم مدة حكمه الطويل البالغة ثمانية وخمسين عاما الى فترتين ٠٠٠ ويظهر أن الملك خلال الفترة الأولى اهتم فقط بالشئون السلمية فقد كانت كل سنة تشهد حادثا دينيا أو أعمالا خاصة بالمنافع العامة من اقامة معابد ومؤسسات مقدسة ووضع المعبودات فى الهياكل الترميم أعيد ترميمها وتعيين كبار الكهنة وفقا لما يشير به المنجمون وترميم العمارات ٠٠٠

ومع ذلك فلم يكن ليهمل أية فرصة لبسط سلطانه وتوسيعه .
وحين حلت السنة الثالثة والثلاثون نراه يبدأ سلسلة من الحملات على البلاد الواقعة فى الأقاليم الجبلية الى شرق سومير وأكد . وقد عثر على آثار من حكمه فى أماكن كثيرة مثل نيفر Niffer ومغير Moughéir وتللو Tello بل ان قوالب من الطوب عثر عليها فى سوسة تدل على أن نفوذه امتد فعلا الى هذه المدينة كما أن لوحات من تللو تنتسب الى مجموعة « زاد السفر » تبين أن السلطة المركزية كانت تهتم مباشرة بتفاصيل ادارة أبعد المدن وأنها كانت قد نظمت ادارة لحملة البريد (العدائين) حيث لها مرابط ومحطات بغية توصيل التعليمات وضمان تنفيذها . وجاهد الملك من جهة أخرى فى سبيل توثيق عرى الاتحاد بين مواليه عن طريق فرض ضرائب هى فى الوقت نفسه روابط دينية .
وحوالى العام الثامن والأربعين أعاد تنظيم الحديقة القريبة من معبد انليل الا انه الأكبر لسومير . ولقد كانت تجمع هناك مدى ثلاثين عاما حتى الأيام الأخيرة للأسرة المستحقات الاقطاعية المفروضة على المدن وحكامها الى جانب انتقدمات الاختيارية . وكان الحكام - حتى حين كانوا يحتفظون بلقب ايشاكو - ليسوا فى أغلب الأحيان سوى موظفين يعينهم الملك وكان على أوما Oumma وبابل Babylone ومرد (ونة السادون قرب أفج Wannet es-sadoun près Afadj) وأدب (بسمايا) Adab (Bismaya) وأور Our وشوروباك Shourouppak وكازاللو kazallou (بين مرد واجاده entre Marad & Agadé) ٠٠٠ كان عليها جميعا أن تقدم قرابين معينة كل منها شهرا فى السنة . وكان ايشاكو جرسو Girsou يدفع وحده حصة أربعة شهور كل عام .
أما الحصة الثانية عشرة فهى التى يقدمها ايشاكو « عيد دونجى » .
وأما المدن الأخرى مثل نبور فى سومير وكيش فى أكد وهارشى Harshi فى شرق دجلة ومارى Mari وابلا Ibla على الفرات من ناحية الغرب فكانت تقدم أنصبة واستحقاقات وضرائب من وقت لآخر . وقد اتسعت الأعمال الكتابية فى الدواوين اتساعا ضخما وكانت قد تقدمت تقدما كبيرا فى المدن فى عصر لوجالانده وأورو كاجينا . فلم يعد هناك

عمل يجرى فى المخازن العمومية دون كتابة لوحة يعهد بها الى عمال
 المحفوظات الذين يسجلونها فى قوائم الحسابات الخاصة بسنة أو عدة
 سنوات . ولم تهمل أية فرصة من شأنها زيادة النفوذ الملكى . وفى العام
 الخامس والعشرين أصبحت الأميرة نياليمداشو Nialimmidashou
 ابنة الملك سيدة. على مارهاشى Marhashi فى الاقليم الجبلى . وفى
 العام التاسع والثلاثين تزوج ايشاكو أنشان احدى الأميرات الملكيات . . .
 ولكن الصلات الطيبة لم تستمر طويلا إذ أن اقليمه اجتيع بعد سنوات
 أربع .

وقد أمر دونجى - كما فعل نرام سين من قبله - أن تقدم له فروض
 التمجيد الالهى فبنيت له المعابد وقدمت التقدّمات لتمثاله عند ظهور الهلال
 الجديد وعند اكتمال القمر بل إن أحد الشهور فى بعض التقاويم المحلية
 كان يسمى « شهر عيد دونجى » وألفت الأناشيده الدينية فى تمجيده .
 كما أنه هو ذلك « الاله الملك » الذى استعمل اسمه كجزء من أسماء رعاياه
 مثل : دونجى ايلي (أى دونجى الهى) ودونجى بانى (دونجى الخالق)
 ودونجى أبى (دونجى والدى) .

وقد خلفه ابنه بورسين Boursin وحكم تسع سنوات (٢٣٩٨ -
 ٢٣٩٠) وكان عليه أن يتابع الحرب ضد الشعوب فيما وراء دجلة . وقد
 استخدم تخريب أوربيللوم Ourbilloum فى العام الأول وشاشارو
 Shasharou وهو هونورى Houhounouri فى العام الخامس
 والعام السادس كعالم فى التقويم . أما التواريخ الأخرى فتتصل بالدين .
 وقد أعاد ترميم جزء من معبد انليل فى اريدو Eridou كما أقام تمثالا
 فى أور Our ونفذ مشروعات كثيرة فى معبد اله القمر . وأما فى نيبور
 فقد شيد مبنى لتقدّمات العسل والزبد والنبيد لانليل « الاله الذى يمنح
 الحياة لأرضه » « اله الشمس لبلاده » وقد تقبل التقدّمات - كما كان
 يفعل أبوه - فى المعابد المكرسة له وظل فى عداد مجمع الآلهة . وقد عاد
 ظهوره فى القرن السابع فى موكب اله أور . وتظهر هنا أشور للمرة الأولى
 فى تاريخ سومير وأكد : فان زاريكو Zarikou - شكاناك Shakkanak
 آشور - رفع تكريسا لأجل حياة مولاه « بورسين - ملك أور القوى - ملك
 الاقاليم الأربعة » .

وقد كانت عارضة باب فى أحد المعابد المقامة تمجيدا للملك الذى يحكم
 فى أور نفسها ، - تحمل تكريسا من لوجال ماجورى Lugal magouri
 ايشباكو أور تمجيدا لجيميل سين Gimil-sin « الهه » بن بورسين
 وخليفته وتبعاً للنصوص المعاصرة نجد أن هذا الأمير حكم مثل أبيه تسع

سنوات (حوالى ٢٣٨٩ - ٢٣٨١) وقد خرب سيمانوم Simanoum في الشرق وكان عليه ان يشيد حائطا من دجلة الى الفرات قرب سيبار Sippar ، لحماية اقليمه ضد غارات العموريين . وفي السنة السادسة اخربت ارض زابشالى Zabshali وقد رجم ايضا المعابد وزينها . وقد استمر العمل بنظام المركزية في عهده حتى ان كبير وزرائه « اراد ننار Arad Nannar » استطاع ان يطلق على نفسه لقب ايشاكو ست مدائن وحاكم خمس اخرى وكذا ارضين اخر وذلك في نقش على عوارض أبواب معبد اقامه في جرسو تمجيذا للملك ، اذ ثبته في وظيفته التي كان أبوه - ومن قبله جده - يشغلانها .

وأخر ملك في هذه الأسرة هو ايبى سين Ibi-sin بن جيميل سين Gimil-sin (حوالى ٢٣٨٠ - ٢٣٥٨) وتشير الوثائق المعروفة كلها الى السنتين الأوليين أو السنوات الثلاث الأولى من حكمه فقد اكتسح ايشان وزوج احدى بناته من ايشاكو هذا البلد ولم يستطع الاحتفاظ بسلطانه تحت ضغط ايشبى ايرا Ishbi-ira سيد عموري ماري على الفرات الأوسط وضغط عيلامى « كثورناهننتى » التواقين الى رفع النير عنهم والاقامة في السهل فأسر واقتيد الى ماري ثم ظهرت مملكتان جديدتان على انقاض امبراطورية اور : احدهما في ايسين والاخرى في لارسا . فقد أنشأ ايشبى ايرا (حوالى ٢٣٥٧ - ٢٣٢٦) في ايسين اسرة عمورية اتخذ امرأها لأنفسهم لقب ملوك سومير وأكد وأضفوا على أنفسهم الصفات الالهية . وقد اعتبر ثالث ملوك هذه الأسرة سيبار ضمن المدن الخاضعة لصولجانه وبسط ابنه ايشسمى داجان Ishmi dagan (حوالى ٢٢٩٤ - ٢٢٧٥) نفوذه على نيبور واور واريديو واوروك . وخلفه أنوه ليبيت عشر Lipit-ishtar (حوالى ٢٢٧٤ - ٢٢٦٤) وحل محله اور اينورتا Our-inourta (حوالى ٢٢٦٣ - ٢٢٣٦) الذي لقب بنفس القاب أسلافه وفقا لما هو مدون على قوالب طوب البناء مع أنه حدث أثناء حكمه ان جونجونوم Goungounoum خامس ملوك لارسا (٢٢٦٤ - ٢٢٣٨) دعم نفوذه واستولى على اور وانتهى به الأمر الى ان اتخذ لنفسه لقب ملك سومير وأكد . وظل ثبت ايناناتوم بن « ايشسمى داجان » كبيرا لكهنة نانار في اور فأقام ايناناتوم - اعترافا بذلك - معبدا لبيباب Babbar اله لارسا ليرعى حياة جونجونوم « ملك اور » وكان الاستيلاء على اور سابقا للسنة التاسعة من حكمه (٢٢٥٦) لأن الملك قد أمر في هذه السنة بوضع شارات في معبد نانار كما أنه وضع في السنة التالية تمثالا نحاسيا هناك . ومع أن أهم الحوادث التي خلدت ذكرها تتعلق بنواح مدنية ودينية الا أنه سجلت له حملتان حربيان :

اكتساح باشيمه Bashimé في السنة الثانية وأنشان في السنة الرابعة .

وقد خلف أبي - ساره Abi-sari (٢٢٣٧ - ٢٢٢٧)
جونجونوم وقد قام كذلك بشق القنوات وتزيين معابد الآلهة : فقد تلقى
نانار من اور تمثالين أحدهما من الفضة والآخر من العقيق واللازورد .
وفي السنة التاسعة حارب قوات ايسين أثناء حكم الملك بورسين (حوالي
٢٢٣٥ - ٢٢١٥) الذي اتخذ لنفسه القاب أسلافه . وادعى السيادة على
نيبور وأور وأريدو وأوروك وايسين . وبين خاتم أسطواني يحمل اسمه
في النص الوارد به خصائص فن النحت على الأحجار الرقيقة في عهد الأسرة
الأول البابلية . ومع ذلك فان سومو ايلوم Soumou-iloum
(٢٢٢٦ - ٢١٩٨) خليفة ايساره كان قد احتفظ بلقب ملك أور كما كان
يملك لاجاش ، حيث أهدى كلب نذرى من حجر الصابون (ستياتيت)
تمجيدها له الى الآلهة نين ايسين Nin-isin (١) وقد حارب كازاللو
(السنة الثالثة والسنة الحادية والعشرون) وكايدا Ka-ida (السنة
الثامنة) وكيش (السنة العاشرة) وشق القنوات وأهدى الى شمش تمثالا
من الفضة (٢) .

تعتبر السنة التالية للسنة التي ولى فيها سوموايلوم الحكم من أهم
العهود في تاريخ الشرق :

ففي عام ٢٢٢٥ نادى سومو أبوم Soumou-aboum العموري
بنفسه ملكا على بابل . وقضت الأسرة التي أنشأها على أسر ايسين .
ولارسا وبسطت نفوذها على سومير وأكد وحقت نهائيا وحدة البلدين تحت
صولجان واحد تلك الوحدة التي طالما حاولت أهم المدن الوصول
اليها منذ أكثر من ألفى سنة . وقد أبيد الجنس السوميري جزئيا وامتص
الجزء الباقي في الأجناس الأخرى ولم يحتفظ باسم سومير نفسها الا في
المراسيم على حين شمل اسم أكد كل الاقليم . ولم تعد بابل المدينة
السياسية فحسب بل العاصمة الدينية للامبراطورية كذلك .

وقد هاجم ايلوشوما Iloushouma الأشوري سومواوبوم
(٢٢٢٥ - ٢٢١٢) ومع أن هذه المعركة معروفة في التاريخ البابلي، الا أنه
يظهر أنها لم تكن حاسمة بدليل أن الملك لم يخلد ذكرى خاتمتها وقد بادر
بتحصين مدينته فأحاطها بسور من اللبن ثم عمل على التوسع ففي السنة
الثالثة بنى حائط كيالبارو Kibalbarrou في ضاحية العاصمة .

(١) راجع شكل ٢٠ .

cf LXXVI.

(٢)

وفي السنة التاسعة ضم دلبات Dilbat (التي تبعد ٢٧ كيلو مترا) وهي مركز اقليم خصب يضمن تموين العاصمة . وقد اعترفت سيبار بسيادته عليها لان اسم الملك البابلي وارد في نص القسم . ولكنها ظلت تتمتع الى حد ما بالاستقلال : فلها ملوكها ولها تقويمها ولها تقاليدها القضائية . وقد قاومت كيش مدى ثمانى سنوات فاضطر سوموايوم الى التحالف مع ملك لارسا لكي يخضعها . وفي السنة العاشرة ثبت سيادته عليها باهداء تاج الى الاله انوم Anoum ، ثم وجه جهوده نحو الشرق وهاجم كازاللو التي كان قد حاربها سوموايولوم (عام ٢٢٢٤) واكتسحها (٢٢١٤) ثم مات بعد سنتين وخلفه سومولا ايلوم - Somou la-illoum (٢٢١١ - ٢١٧٦) فاستعادت كيش قسطا من الاستقلال .

ويشير نص لاشدونى اريم Ashdouni-éirm خصم سوموايوم الى حرب استغرقت ثمانى سنوات ضد « الاقاليم الأربعة » وانه لم يبق لدى ملك كيش فى العام الثامن سوى ثلاثمائة محارب ولكنه استرد السيادة - كما يذكر - فى خلال أربعين يوما بعد أن حارب على مسيرة يوم - وهي مسافة تعادل ما بين كيش وبابل - وذلك بفضل معونة آلهته زابابا Zababa وعشتار Ishtar .

وفى عهد ماناما Manama (٢٢١٢) كان يؤدى اليمين باسم هذا الأمير وليس باسم سوموايوم . وتحمل بعض اللوحات تواريخ بابل المعهودة على حين تحمل لوحات أخرى التواريخ المحلية . وبعد ماناما أتى سومو ديتانا Soumou-ditana وياويوم Iawioum الذى أخذ المدينة فى عهده واكتسحها سومولا ايلوم Soumou-la-illoom (٢٢٠٠) وششق سومولا ايلوم قناة شاماش هيجاللو Shamash-hegallou فى عامه الأول وبني حائط بابل العظيم (٢٢٠٨) وأقام معبد اداد Adad (٢٢٠٥) وحفر فى العام السابق لتخريب كيش قناة أخرى أطلق عليها اسمه وفى عام ٢١٩٥ ثار يازير ال Iazir-el الكازالوى وانطلق نحو بابل واستدرج كيش نحو النزاع وقد استولى على المدينة الأخيرة فى العام التالى فقوضت أسوارها . كما دكت حوائط كازاللو (٢١٩٣) وهزم جيشها وتمكن يازير الى أن ينجو بجواده ولم يكن فى الاستطاعة القبض عليه وقتله حتى عام ٢١٨٨ . وتخلد السنوات الثانية والعشرون والرابعة والعشرون والسادسة والعشرون من الحكم ذكرى الأحداث الدينية من تزيين عرش مردوك Mardouk بالذهب والفضة ومن تماثيل لزاربانيتوم Zarpanitoum وعشتار Ishtar . ونانا Nana . وجعل ملك بابل من نفسه سيدا على كوئا

Koutha (٢١٨٥) ورم حوائطها ووضع فى نفس العام أقدامه فى سومير واستولى على دورزاكار Dourzakar أحد حصون نيبور . ومات بعد حكم استمر مدى ستة وثلاثين عاما تاركا لابنه زبيوم Zabioum (٢١٧٥ - ٢١٦٢) ملكا يضم كل اقليم أكد تحرس حدوده الجنوبية أربع قلاع وكذا اقليم دورزاكار فى سومير .

ولم يسع زبيوم على ما يظهر فى توسيع دولته ولسنا نعرف سوى حملة حربية واحدة قام بها وجهت ضد كازالو التى كانت قد رمت فحطم أسوارها من جديد (٢١٦٥) وقد اهتم بإعادة بناء المعابد وأقام تمثالا برونزيا لنفسه فى اى ببار Er-babbar فى سيبار (٢١٦٤) وشق قناة وحسن كارشماش Karshamash . وقد رمم ايل سن Abil sin (٢١٦١ - ٢١٤٤) حوائط بابل وشيد المعابد وحفر القنوات وقدم عرشا ثمينا الى شماش .

وقد استعاد سن آدينام Sin-idinnam ملك لارسا (٢١٨١ - ٢١٧٦) بن وخليفة نوراداد Nour-adad (٢١٩٧ - ٢١٨٢) من زامبيا Zambia الملك الثانى عشر لايسين لقب ملك سومير وأكد واستغل السنوات الست التى حكم خلالها فى تشييد التحصينات وفى تأمين وسائل الرى ببلاده .

أما أخلافة سن اريبام Sin eribam (٢١٧٦ - ٢١٧٤) وسن ايقيشام Sin-iqisham (٢١٧٣ - ٢١٦٩) وتسيللى اداد Tsilli adad (٢١٦٨) فيمرون عبر صفحات التاريخ دون أن يتركوا أثرا ما وأغلب الظن أن تسيللى اداد خلع مولى ابال Mouti-abal ملك كازالو الذى هاجم بعد ذلك ادا (والد) ايموتبال Emouti-abal كودور مابوج Koudour Maboug بن سمتى شلهاك Simiti shilhak وقد مزق جيش كازالو وقنع كودور مابوج بأن يضيف الى لقبه ك « ادا ايموتبال » لقب « ادا الغرب » وأمر بالاعتراف بابنه وارادسن Warad sin ملكا على لارسا (٢١٦٧) فى أيام زابيوم ملك بابل .

ثم تبدأ حرب اجناس تستمر أكثر من سبعين عاما وكان الصراع من أجل سهل سومير الغنى الذى جهد العيلاميون فى تملكه . وبعد خمسة وثلاثين عاما يرى ريمسين Rim sin الملك العيلامى الثانى « لارسا » وقد حطم ايسين وقضى على استقلالها (٢١٣٢) ولكن يقوم فى طريقه منك بابل . وفى ٢٠٩٥ يهزمه حمورابى Hammourabi ثم يسقط فى يده فى العام التالى .

وفى عام ٢١٣١ أشهر سن موبالليت Sinmouballit (٢١٤٣ - ٢١٢٤) خليفة ابيل سن Abil sin حربا ضد جيش اورو لارسا . وكانت ايسين قد فقدت ملكها وان ظلت تحتفظ بقسط من الاستقلال غير وطيد بين متنافسين لم يكن أحدهما أقوى من الآخر بحيث يستطيع الاحتفاظ بها . وقد تفاخر ملك بابل بعد ذلك بسنوات ثلاث (٢١٢٨) بأنه استولى على المدينة . وفى العام التالى استطاع ريمسين Rim sin « فى يوم واحد » أن يستولى على دوننوم Dounnoum « المدينة الرئيسية فى ايسين » ربما عن طريق عنصر المفاجأة وأسر محاربيها وان استنقذ المواطنين . وسرعان (٢١٢٦) ما انضمت ايسين الى دولة لارسا . ومات سن موبالليت عام ٢١٢٤ وقد قدر لابنه حمورابى (٢١٢٣ - ٢٠٨١) أكثر ملوك بابل تألقا والمؤسس الحقيقى لوحدة الامبراطورية قدر له لا أن يتابع سياسة أسلافه فحسب بل ان يجمع القوانين والقواعد القائمة على العرف ويعيد تنظيم ادارة العدل ويركز السلطة . ولقد سار ابعده مما سار اليه دونجى ملك أور ، اذ استطاع عن طريق ثورة دينية أن يقلل من عدد الآلهة عن طريق ارغام المعبودات المتنافسة على التكتل بل وان يخلع انليل نيبور الذى استطاع أن يتمتع بالسيادة . منذ أزمان لا يستطاع تحديد ارضاء لمردوك اله بابل . وقد استولى بعد خمس سنوات من ولايته للعرش (٢١١٨) على اوروك وايسين ولكنه لم يقض على أسرة لارسا الا فى عام ٢٠٩٥ حين أشهر الحرب ضد جيوش عيلام وهرب ريمسين Rim-sin الى ارض ايموتبال التى كان قد جاء منها أبوه كودور بابوج ثم أخذ فى العام التالى أسيرا . ولكن الحرب لم تكن قد انتهت فان قوى اشنوناك Ashnounak اتحدت مع قوى ايموتبال وكان لابد من حملة حربية جديدة (٢٠٩٣) لايقاع الهزيمة بهم . وبعد عشرين عاما (٢٠٧٢) . خلال حكم سامسو ايلونا Samsouilouna ظهر شخص ادعى انه ريمسين وأثار ايداماراز Idamaraz وايموتبال Emoutbal وأوروك وايسين ، ولكنه لم يستطع تأسيس سلطة مستديمة . وقد اهتم حمورابى بمجرد وصوله للحكم ب « اقرار العدالة » وعمل طوال عهده على جمع « قرارات الانصاف » وأمر بنقشها على الحجر . والقانون الموحد الذى عثر عليه فى سوسة ليس سوى واحد من هذه

المجموعات التي نشرت
بعد السنة الأربعين من
حكمه • وبها أعلن الملك
قواعد العرف الجديدة
والقوانين السومرية
القديمة لتطبيقها على
المجتمع الجديد الذي
امتزج فيه العموريون
بأهالي سومير وأكد
الأقدمين • وقد سرد في
«فستهل» القانون
الموجد • عدد معين من
المدن الخاضعة لبابل
التي امتد نفوذها من
لاجاش واريندو بالقرب
من الخليج الفارسي حتى
أشور ونيوى وهما
مدينتان من مدن آشور •



شكل (٦) الملك حمورابي أمام الآلهة شاباس -

وكان الجنس السوميري قد كاد يزول وينتأشى في الجنس السامي
الذي كان عنصره الأكدي قد اكتسب دما جديدا باستيطان العموريين •
وكانت النقوش تكتب بالسوميرية رغم أن هذه اللغة أصبحت لغة ميتة
لا تفهم بدون ترجمة إلا بصعوبة • ومع ذلك فقد بقيت مستعملة كلغة
مقدسة في الشؤون الدينية كما استمر القضاء يستعمل النصوص التي
كانت التقاليد قد وضعتها • وقد تفنن الكتبة في أن يضعوا بين السطور
تراجم وقوائم علامات وكلمات ورسومًا تعبر عن الأشياء التي يقصدون
ذكرها وجملاً نسخت بعد ذلك وتطورت حتى نهاية الامبراطورية البابلية
الجديدة • بل حتى في عهد السلوقيين Séleucides •

وقد عرف حمورابي كيف يستغل هذا الانحطاط في سومير لدعم
نفوذه فنبئت في ذهنه فكرة تعديل هذا التراث القديم في وضع جديد

يتفق والظروف السياسية الجديدة وهكذا فان مردوك اله بابل الذى كان فيما سلف الها من الدرجة الثانية - وهو ابن انكى Enki اله اريدو - تبوأ مركز الصدارة عن جدارة وجعل مجمع الآلهة العظام يمنحه النفوذ السامى الذى كان للاله الأعظم أنو Anou وهكذا حلت بابل العاصمة السياسية محل نيبور وأصبحت - بغير منافس - العاصمة الدينية التى يلتمسها الاشوريون فى تقاليدهم الدينية .

وقد جد حمورابى فى تنمية التجارة مع الغرب أى مع أقاليم البحر الأبيض المتوسط التى كانت تقصد منذ البداية ليجلب منها الحجر والمعادن وأنواع الأخشاب العطرية التى لا وجود لها اطلاقا فى السهول المنخفضة الدجلة والفرات والتى استوطنها هؤلاء الساميون الغربيون الذين يعتبر هو وعشيرته من سلالتهم . وكذلك شق القنوات داخل مملكته بقصد تيسير التبادل وزيادة الأراضى الزراعية . وتدل الرسائل التى تبادلها مع حكام المدن أنه ركز فى يده الشئون الادارية وانه عنى مباشرة بادارة الشئون القضائية وبمشروعات المنافع العامة وكذلك بتنمية أملاكه الخاصة وصيانة قطيعاته العديدة .

وقد أثبتت الحفائر انه كانت توجد منذ ذلك العهد قواعد لتخطيط مدينة بابل تلك القواعد التى صمدت واتبعت حتى نهاية عهد الامبراطورية البابلية الجديدة رغم الثورات وعهود الاحتلال الأجنبى . ويغضى مدنية عهد حمورابى القصر وتل عمران بن على والمركز . وكان يوجد فى المنطقة الواقعة الى شمال المركز حى خاص بنيت بيوته باللبن المقام على أساس من الآجر وهى الطريقة التى اتبعت دائما بعد ذلك فى البناء . وقد كان جزء من هذا الحى تحت مستوى الماء الحالى والجزء الآخر فوقه . وتدل طبقة كثيفة من الرماد أن هذا الحى دمره حريق ربما شب وقت الغزو الحبشى . وكان معبد عشتار فى أجادة محاصرا بالبيوت من كل جانب وكانت الطرق الكبيرة الموازية جميعا للطريق المقدس تتقاطع متعامدة مع طرق أخرى ، فى حين أن بيوت المدن السوميرية القديمة كانت مجمعة دون ترتيب كما انه لم يكن للطرق اتجاه ثابت .

وقد اضطر حمورابى بعد تدمير ايسين وأسر ريم سين وحربه ضد اشنوناك وايموتبال (٢٠٩٣) الى أن يتجه نحو الغرب ويهاجم مارى (٢٠٩٠) ويهدم أسوارها . وبعد سنتين حارب فى الشمال قوات توروكو Touroukkou وكاكمو Kakmou وسوبارتو Soubartou وانتصر أخيرا عام ٢٠٨٦ على جميع البلاد المعادية فى سوبارتو .

وقد تابع سامسو ايلونا Samsou-ilouna (٢٠٨٠ - ٢٠٤٣)
 التقاليد القومية التي كان أبوه قد استنشاها فراقب - مثله - الموظفين بنشاط
 واهتم بالمشروعات العامة الكبيرة . وفي الصمام الثامن من عهده أظهر
 الكاسيون Kassites على الحدود الشرقية عداهم . والكاسيون شعب
 من المحتمل جدا أن يكون من عنصر آري كان على ما يظهر ينتسب الى
 الميتانيين Mitanniens الذين استقروا في شمال ميزوبوتاميا
 Mésopotamie فهزموا وردوا على أعقابهم ، ولكنهم ما لبثوا أن تسربوا
 الى داخل البلاد كفعلة وعمال وأقاموا بعد ثلاثة قرون - أي حوالي ١٧٦١ -
 أسرة في بابل لم تندمج مع العنصر الأصلي . وفي الجنوب كونت رواسب
 المهرين منظمة مستنقعات غطى جزء منها بالقصب وزرع الجزء الآخر
 الأهلون ومنهم السوميري ومنهم الأكدي كما يستدل على ذلك من أسماء
 ملوكهم . ويغلب على الظن أنهم لجأوا جميعا الى هذه المنطقة وقت تسرب
 العموريين . وقد سميت هذه الجهة « أرض البحر » وحكمها ايلوما ايلوم
 Elouma-iloum وتحدى ملك بابل . وقد واجه حملتين لم تنجحا بل
 يظهر بالعكس أن ملك أرض البحر أصبح منذ السنة الثلاثين من حكم
 سامسو ايلونا سيد نيبور حيث عثر على لوحة تحمل اسمه كما أن ملك
 بابل اضطر الى اصلاح خط الحصون الذي كان سومولا ايلوم Soumou
 la-iloum قد أقامه على حدود أكد . وقد رد سامسو ايلونا في عام ٣٦
 هجمة قامت بها عصابات عمورية محاولة الاستيطان في بابل ومع ذلك
 فإن الاتصال بالأقاليم الغربية كان ميسرا في أغلب الأحيان : فقد
 استعصر قبل ذلك بعشرة أعوام كتلة حجرية ضخمة من جبل عامورو
 الكبير .

وقد ورد في مصدر لاحق لهذا العهد أن أبيشو Abéshou
 (٢٠٤٢ - ٢٠١٥) ابن وخليفة سامسو ايلونا جدد الحرب ضد ايلوما
 ايلوم وحول مجرى مياه دجلة ، حتى يستطيع الوصول الى عدوه ولكنه
 لم يستطع القبض عليه وشيد بالقرب من دجلة حصن دور أبيشو
 Daor Abéshou وبني مدينة لوكايا Loukaia على قناة أراहतو
 Arahtou في ضواحي بابل . وجعل عاصمته بمعابد جديدة : كرس
 أحدها الى انليل نيبور وربما كان ذلك بقصد تدعيم ادعاء الملك بشأن
 حقوقه على العاصمة الدينية القديمة التي سقطت في أيدي رجال
 « أرض البحر » وأقام معبدا ثانيا تمجيذا لئانار على نمط معبد أور الكبير .
 وقد وضعت على الأقل خمسة تماثيل للملك في هياكل الآلهة كما جدد
 تماثيل إيشاكو لاجاش القديم « انتمينا » الذي كان له كذلك هيكل في
 بابل . وهما يجدر بالذكر أن أمشه آله نفسه كما فعل أسلافه من قبل

منذ الاستيلاء على نيبور ٠٠٠ ألم تنتقل السيادة العظمى من انليل الى ماردوك ؟ أولم يرث ملك بابل كل المزايا التي يتمتع بها فيما مضى كبير إيشاكو انليل ؟ لقد ظل النظام السياسي والاجتماعي الذي وضعه حمورابي قائما . ورغم ضياع جزء كبير من سومير والقلق القائم من جراء تهديده أرض البحر المستمر أمكن الإبقاء على العلاقات الطيبة مع عيلام وسوريا وظل التبادل التجاري مزدهرا معهما .

وأخذ أميديتانا Ammiditana (٢٠١٤ - ١٩٧٨) في تنفيذ مشروعات عظمى متصلة بالمنافع العامة : قناة أميديتانا وقلاع واسوار وقصور في ضواحي بابل على ضفاف الازهاو . وحارب أرض البحر واسترد نيبور وايسين التي حطم أسوارها (عام ٣٦) وبعد عامين اعتلى اميزا دوجا Ammizadougā (١٩٧٧ - ١٩٥٧) العرش وفي السنة التاسعة وقع في نزاع مع جيرانه وفي السنة العاشرة بنى قلعة « دور أميزادوجا » على ضفاف الفرات . وفي السنة الخامسة عشرة شق قناة . وهناك اشعارات في أخريات عهده وفي عهد سامسوديتانا Samsou-ditana (١٩٥٦ - ١٩٢٦) تشير الى صراع حربي . واختفت الأسرة تحت ضغط الغريبيين وطبقا لما جاء بملونات بابل الجديدة نجد أن الحيثيين الذين كانوا يقطنون آسيا الصغرى وكانت لهم منذ عدة قرون علاقات بسومير وأكد ينزلون من جبالهم ويتبعون مجرى الفرات ويكتسحون بابل حيث عثر على أحد نقوشهم . وحمل ماردوك وزوجته زريانيثوم أسرى الى بلاد هانا Hana (١) ، حيث ازدهرت مملكة عمورية تأثرت ثقايلدها تأثرا كبيرا بالمدينة البابلية .

ولقد باشر ملوك أرض البحر سلطة غير مستقرة ولا ثابتة على اقليم أكد مدى قرن ونصف من الزمان (١٩٢٥ - ١٧٦٢ تقريبا) وحين أحس الكاسيون Kassites بأنفسهم على درجة من القوة استولوا على السلطة وسمى جانداش Gandash (حوالى ١٧٦١ - ١٧٤٦) مؤسس الأسرة الثالثة نفسه ملك بابل وملك الأقاليم الأربعة وملك سومير وأكد . ورغم معبد مردوك الذي لم يكن إله هوجودا به . وحكم ابنه اجوم الأول Agoum I مدى ٢٢ عاما (حوالى ١٧٤٥ - ١٧٢٤) وخلفه ابنه كاشتلياش الأول Kashtilish I (١٧٢٣ - ١٧٠٢) وغزا ابن آخر له هو اوامبورياش Ouambourish أرض البحر ، التي كان آخر ملوكها أيا جميل Ea-gamil قد قاد حملة ضد عيلام . وكان من

(١) العاصمة ترقا Tirqa تل اشارة Ishâra بين دير الزور والصالحية .

الضروري فيما بعد أن يغزى هذا الاقليم وقد قام بذلك أجوم وهو ابن أصغر من أولاد كاشتلياش الأول بينما كان أخوه الأكبر اوشى Oushshi يشرب على عرش بابل وكان خلفاء هذا الأخير أخوه الثانى ابيراتاش Abirattash وتاشيجوروماش Tashshigouroumash بن ابيراتاش وأجوم كاكريمه Agoumkakrimé بن تاشيجوروماش وكان من حظ أجوم الحسن أنه استعاد تماثيل مردوك وزربانيتوم وأعادها ثانية فى احتفال الى ال « ايزاجيل Esagil » المرمم والمزين • وكان الذهب وكانت الأحجار الكريمة وأندر الأخشاب تتنافس فى تزيين الهيكل وفى صنع التماثيل والشارات • وأعيد تنظيم الكهانة ودعمت العبادة وأعفيت ممتلكات الآلهة من كل الضرائب • ومد أجوم نفوذه شرقا على بادان Padan وألمان Alman وجوتيوم واشنوناك •

وخلال قرن ونصف لا نعلم شيئا عن تاريخ بابل خلا أن ثمانية من الملوك خلف الواحد منهم الآخر على العرش وأن من بينهم كوريغالزو الأول ومليشيباك الأول Mēlishipak I .

وان نحن حاولنا أن نلتقط خيط الأحداث مرة أخرى فاننا نعرش على المستندات المعاصرة بعيدا عن خرائب بابل فلقد سلطت عليها الأضواء صدفة الكشف فى مصر ، فى تل العمارنة ، عن موقع مدينة اخت آتون التى أنشأها امنوفيس الرابع والذى نقل اليها المحفوظات الدبلوماسية الخاصة بابيه وبه • ولقد استخرجت من هناك مراسلات هذين الملكين مع أمراء سوريا وملوك الحيثيين وميتاني وآشور وبابل • وقد كتبت على لوحات طينية فى حروف مسمارية بابلية أو بلهجة قريبة منها جدا • ولقد كان تأثير سومير وأكد على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وآسيا الصغرى قد استقر وتطور منذ حملات سرجون الأجادى منذ أربعة عشر قرنا خلت •

ومن بين كتب تل العمارنة نجد أحد عشر كتابا تخص الشئون البابلية مباشرة • ونحن نعرف منها أن العلاقات كانت قائمة بين البلدين منذ حكم تحوتمس الثالث فى مصر وكان كارانداس الأول Karaindash I الملك السادس عشر من الأسرة الكاسية (حوالى ١٤٢٥) يتراسل مع امنوفيس الثالث • وكان خلفه الثانى كادشمان الليل الأول Kadeshman Ellil 1 على خير علاقة مع البلاط المصرى وقد دخلت إحدى اخواته الى حريم فرعون • وقد كان ذلك حين حاولت كنعان (جنوب سوريا) وعمور (شمال سوريا) الخاضعة لمصر أن ترفعا النير ، وذلك بتحريض شوببيلوليوما Shoubbiloulouma ملك الحيثيين ، وكان قد عبر

الفرات واكتسح شمال ميتاني ثم نزل فيما بعد الى عمور وأخذ منها أسلحا ضخمة ، وعند ولاية أمنوفيس الرابع للعرش أرسل تحياته الى فرعون ولكن حين قدم عزيرو الأمير السوري ولاءه الى مصر احتل عمور واستطاع عن طريق معاهدة أن يثبت الاعتراف بسلطانه عليها .

وكان موقف بابل من هذه الانقلابات السياسية موقف غير المكثرت اذ كان كل ما يهمها سلامة الطرق التي يسلكها تجارها . وحين أصبح رعاياها ضحايا للسراقات والقتل في كنعان ألقى ملك بابل المسئولية على ملك مصر : « كنعان أرضك .. وملوكها مواليك » بل وأكثر من ذلك : حين حاولت كنعان أن ترفع النير رفض كوريجالزو الثاني أن يساعدها في ثورتها ولكن مصر كانت من الناحية الأخرى تشجع آشور ضد بابل وشكا بورنابورياش الثاني Bournabouriash II (حوالي ١٣٧٥) من أن أمنوفيس الرابع استقبل سفارة من الأشوريين، كان يدعى انهم رعاياه هو . وقد ذكر نفس الملك فرعون ان أبويهما كانا يتبادلان الهدايا المتعددة وهو نفسه كان قد تلقى ٢ « مينة » (١) من الذهب وكتب « أرسل لي ذهباً كثيراً ... بقدر ما كان يرسله أبوك » ووعد أن يرد بدلا منه كل ما يطلبه العامل المصري من منتجات بلاده . والواقع أنه في نفس اليوم الذي اعترض فيه ضد قطاع الطرق في كنعان نراه يؤيد دعواه بهدية هامة هي : ثلاث مينات من اللازورد وخمسة خيول مقطورة وخمس عربات .

وكان كارا انداش الأول Kara-indash 1 (حوالي ١٤٢٥) قد عقد اتفاقية مع اشوررم نيشيشو Ashour-rim-nishêshou ، الأشوري بشأن حدودهما المشتركة . وقام بورنابورياش واشور أو بالليت باتفاق مثل ذلك . وتزوج بورنابورياش فيما بعد من موبلليت شرووا Mouballit-Sheroua ابنة آشور أو بالليت . وقد ذبح ابن بورنابورياش حفيد آشور أو بالليت ... ذبحه حزب الكاسيين وربما كان ذلك بسبب علاقته بأشور ووضع مكانه المدعو نازيبوجاش Nazibougash .

وغزا ملك آشور بلاد بابل ووضع حفيدا آخر له هو كوريجالزو الثالث على عرشها (١٣٥٧ - ١٣٣٥) وقاد كوريجالزو حملة موفقة ضد عيلام ووجه جيوشه المنتصرة نحو سوسه وهناك استولى - كرمز للنصر - على لوحة من العقيق كان قد كرسها من قبل ذلك أحد الايشاكوات الى الالهة نني Ninni من أجل بقاء دونجي منك أور ونقلها معه وقدمها الى نليل نيبور . وكان هورباتيلا Hourpatila ملك عيلام قد أرسل

(١) الوزنة = ٦٠ مينة والمينة = ٦٠ شافل ووزن المينة الذهبية يتراوح بين ٤٠٠ و ٨٠٠ جم - (المترجم) .

اليه تحديا قائلا « أقبل ! لندخل في معركة ... أنت وأنا ! » وحالف الحظ البابلي اذ استطاع أن يقبض بيده على خصمه ويأسره . وقد استطاع كوريجالزو بعد موت جده آشور أو باليت أن يهاجم آشور ولكنه هزم عند سوجاجي Sougagi على الزلزلات Zalzallat ... هزمه « الليل نيراري » Ellil Nirari الذي اضطره الى أن يوافق على تعديل في الحدود . وهزم ابنه نازي ماروتاش Nazi Marouttash (حوالى ١٣٣٤ - ١٣٠٩) عند كار عشتار Kâr-ishtar واضطر الى أن يتنازل عن اقليم واقع الى شرق دجلة . وقد خلف كادشمان تورجوو Kadashman-tourgou (حوالى ١٣٠٨ - ١٢٩٢) - كما فعل أبوه من قبل - نقوشا عديدة في نيبور . وعند وفاته كتب الملك الحيثي حاتوسيل Hattousil يقول انه سينقض التحالف مع بابل ما لم يعلن كادشمان الليل الصغير ملكا (١٢٩١ - ١٢٨٦) فاعترض كبير الوزراء « اتى مردوك بالاتو » Itti-mardouk-balâtou قائلا : « ان نغمة خطابك ليست نغمة خطاب حليف بل سيد » وظلت العلاقات بين البلدين مقطوعة حتى بلغ الأمير سن الرشد . وكان الحيثيون اذ ذاك قد فقدوا كنعان التي استردها سيتي الأول من مورسيل Moursil بن شوبيلوليوما وان كانوا قد ظلوا يحتفظون بعمور التي كان على رعمسيس الثانى أن يأخذها في معركة قادش . وكانت نتيجة المعركة حلفا دفاعيا هجوميا بين الحيثيين ومصر . وقد نقش النص البابلي على لوحة من الفضة عثر على نسخة منه بين اطلال حاتي مضحوبة بالنسخة الأصلية للخطاب الذى يطلعنا على معلومات خاصة بعلاقات حاتوسيل بكادشمان الليل . وبينما كانت عمور تحت نفوذ الحيثيين نرى أن بعض التجار البابليين الذين يتقدمون في قوافلهم نحو عمور وأوجاريت Ougarit وهى مدينة فينيقية ينكل بهم . فطلب كادشمان الليل من حاتوسيل أن ينفذ العقوبة في المعتدين . وقد اتهم أمير عمورى كذلك بإثارة الفتنة في بابل فدعا حاتوسيل مراسله أن يحقق الأمر بنفسه . وكان على المتهم أن يثبت براءته عن طريق قسم يؤديه أمام الآلهة بحضرة السفير البابلي . وقد حرص حاتوسيل على أن تظل علاقاته ودية والى على ملك بابل أن يهاجم العدو المشترك الذى لم يذكر اسمه لسوء الحظ . وقد دفعت شهرة بابل في العلوم الأمراء الأجانب الى استدعاء الأطباء والسحرة الذين يطردون الأرواح الشريرة والكناب الى بلاطهم . وقد طلب موتالو Moutallou شقيق حاتوسيل وسلفه خدمات طبيب وساحر ولكنهما لم يرجعا الى بلدهما والتمس « كادشمان الليل » عودتهما وكان الرد أن الساحر قد مات وأن الأوامر ستصدر للطبيب بالعودة .

وقد خلف كادشمان الليل الثاني ابنه كودور الليل Koudour Ellil (حوالي ١٢٨٥ - ١٢٧٧) ثم حفيده شاجاراكتي شورياش Shagarakti Shouriaash (حوالي ١٢٧٦ - ١٢٦٤) وابن حفيده الأكبر كاشتلياش الثالث (حوالي ١٢٦٣ - ١٢٥٦) وقد هزم الأخير - هزمه ملك اشور توكولتي اينورتا الأول 1 Toukoulti Inourta الذي أسره وأحضره مكبلا بالأغلال الى حضرة الاله آشور . وقد دكت حوائط بابل وقتل المدايعون عنها بالسيف وحملت كنوز الايزاجيل Esagil وغنائم المدينة الى آشور . وحتى موردوك نفسه حمل أسيرا . ومات ملك آشور خلال الثورة . فانتهزت بابل الفرصة محاولة الافادة منها باستعادة قسط من استقلالها وتبع ملكان الواحد منهما الآخر هناك خلال ثلاث سنوات هما الليل نادين شوم Ellil-nadin-shoum وكادشمان هاربي الثاني Kadashman Harbe II وهاجم الأول « كيدين هوتروتاش Kidin-houtroutagh » ، ملك عيلام الذي كان قد انتهز فرصة نجاح الاشوريين فاكتسح دير Der ونيبور واضطره الى التراجع وراء حدوده . واستطاع آداد شوم أوتيسور Adad Shoum outsour (حوالي ١٢٤٦ - ١٢١٧) الذي خلف آداد شوم ادين Adad-shoum-iddin (حوالي ١٢٥٢ - ١٢٤٧) استرداد تمثال مردوك من ملك آشور وربما كذلك ختم شاجاراكتي شورياش الذي سيخذه فيما بعد مناخريب Sennachérib ضمن كنوز بابل . وحين تمكن الاشوريون الذين ثاروا ضد ملكهم الذي ذهب الى بابل من طرد آشور شوم ليشير Ashour-shoum-lishir الوصي على الملكة والتمسوا تسليم ملكهم برفض ذلك آواد شوم أوتيسور ، بل انه هاجم الملك الجديد وهزمه وذبحه في معركة ثم طارد العدو الى أسوار آشور وحاصر المدينة ولكنه فشل في اخضاعها .

وانتقل عرش بابل من الأب الى الابن عن طريق هيليشيباك الثاني Mèli-shipak II (حوالي ١٢١٦ - ١٢٠٢) ثم مردوك أبال ادين الأول Mardouk-apal-iddin I (حوالي ١٢٠١ - ١١٨٩) ثم زابابا شوم ادين Zababa-shoum-iddin وقد هوجم الأخير . هاجمه آشور دان الأول Ishour-dân I الاشوري الذي استولى على زابان Zaban وايريا Irria وأكارسالو Akarsallou وحمل معه غنائم وافرة . وفي نفس العام غزا شوتروك لاهونتي Shoutrouk-nahountè ، ملك عيلام بلاد بابل وهزم وذبح « زابابا شوم ادين » واستطاع هو وابنه أن يكتسحا سيببار ومائة مدينة وقرية أخرى . وحمل معه الى بلاده عددا من الآثار التي عثر عليها في خرائب سوسه : هي لوحات (شواهد) من سرجون

ونارام سنن ومسللة مانيشتوسو Manishtousou وقانون حمورابي
و « الكودورات » Koudourrous الكاسية ٠٠٠ الخ وحكم الليل نادين
أهى Ellil-nadin-achi الملك السادس والثلاثون وآخر ملوك الأسرة
الكاسية مدى ثلاث سنوات (١١٨٧ - ١١٨٥) .

وقد شغلت الأسرة الكاسية عرش بابل مدى ٥٧٦ عاما وأدخلوا
استعمال الحصان ولم يكن كثير الانتشار في السهل من قبل . وقد غيروا
طريقة حساب السنين ومنذ عصرهم نجد أن كل سنة لم تعد تسمى بصيغة
معقدة تنتسب بها الى حادث معاصر معين بل ترتب بالنسبة لحكم كل ملك
وهي عادة ظل معمولاً بها حتى سقوط الامبراطورية البابلية . ولم تعد
السلطة الملكية قوية قوة تكفي لتأمين حماية الممتلكات الخاصة فالتمس
عون الدين وهكذا أصبح الناس لا يكتفون بحجج الملكية بل أقيمت أحجار
عليها رموز دينية على الأملاك الكبيرة التي كان الملك يمنحها للأمراء والرعايا
الذين يرغب في مكافأتهم عن خدماتهم . كما سجل علي هذه الأحجار
تاريخ الملكية وكذا اللعنات على من يغير أو يحرك الأثر المنقوش عليه .

ومن المحتمل أن يكون شوتروك ناهوتي - بعد سقوط زبابا شوم
ادين - قد أعلن نفسه ملكا لبابل . ولكن القوائم الملكية تذكر اسم ايلليل
نادين أهى الكاسي كما تذكر من بعده الأسرة الرابعة المسماة أسرة باشيه
Pashé التي ظل ملوكها الأحد عشر علي العرش مدى ١٣٢ سنة .
وقد رفع اينورتا نادين شوهي Inourta-nadin-shoumi ثاني ملوك
هذه الأسرة النير الضيلاى كما اضطر ثالثهم نابوخودوروسر الأول
1 Nabouchodorosor (حوالي ١١٤٠) أن يعاود الصراع . وقد هزمه
في باديه الامر ملك عيلام في دورابيل سن Dour-apil-sin ولكنه
استطاع أن يسترد كل أراضيه بل سار الى أبعد من هذا فتابع الحرب الى
ما وراء حدوده . وفتح لوللومو Loulloumou في الاقليم الجبلي
الواقع شرق بابل وقام بغارة نحو الغرب اتخذ لنفسه علي أثرها لقب
« فاتح عمور » .

وقد حاول آشور ريش ايشي Ashour-rise-ishi ملك آشور
القيام بغزوة ولكن نابو خودوروسر رده وجابر قلعة زانكي Zanki
الواقعة على الحدود إلا أنه اضطر الى الانسحاب وحرق العدو عقابه ثم عاود
الهجوم ولكنه هزم واستولى على معسكره وأسر القائد الأعلى وسقطت
أربعون عربة من عرباته في أيدي الآشوريين . وقد احتل ايلليل نادين
أبلي Ellil-nadin-apli (حوالي ١١٢٠) بن نابو خودوروسر .

كل بلاد بابل ، لأنه أهدي أرضا واقعة في منطقة ادينا Edina الى أرض البحر .

وقد اشتبك تجلات فلاسار الأول Tèglath-phalsar I الآشوري مرتين مع ملك بابل ففي المعركة الأولى - ومن المحتمل أن خصمه في الصراع الأول كان ماردوك نادين أهى (حوالى ١١١٠) - أخذ البابلي معه في الأسر تماثيل آداد Adad وشالا Shala من معبودات ايكاللاتا Ekallaté التى سيعثر عليها فيما بعد سناخريب فى هيكل من هياكل بابل عام ٦٨٩ . أما فى المعركة الثانية فقد استولى الآشورى على بابل ودور كوريجالزو وسيبنار وأوبيس ولكنه لم يستقر بها . وقد أنهى آشوربلا كالا Ashour-bàl-kala بن تجلات فلاسار هذا الصراع الذى استمر مستعرا دون توقف خلال ثلاثة قرون تقريبا بين البلدين وكان على أطيح صلة مع ماردوك شابيك زر مائيم Mardouk-shapik-zêr-maim خليفة ماردوك نادين أهى . وتبع ذلك عهد ازدهار فى بابل : فأعيد بناء أسوارها ووسع معبد ماردوك .

وقد أسدلت الستار على عهد ماردوك شابيك زرمائيم ثورة قام بها رعاياه وزوج الأرامى آداد أبال اديسن Adad-apal-iddin الذى اعتلى العرش ابنته من ملك آشور . وساد السلام - أو قل التهادن - خلال فترة تزيد على نصف قرن . وقد كانت سومير وأكد خلال هذه الفترة فريسة لسوتيين Soutéens وهم أراهيون شبه رجل حطوا على ضفة الفرات اليمنى واتخذوها مركزا للاغارة على المدن ومعابدها وسلب ما بها فخرىوا مثلا هيكل شاماش فى سيبار ولم تقم فيه الشعائر الدينية الا فى عهد شيماش شيباك Shimmash shipak (١٠٥٢ - ١٠٣٥) الذى جاء من أرض البحر وأسس الأسرة الخامسة ومات بحد السيف بعد حكم دام ثمانى عشرة سنة ولم يعبر أيا موكين شومى Ea-moukin-shoumi المغتصب سوى بضعة شهور . ولا نرى خلال السنوات الثلاث التى حكم خلالها كاشو نادين أهى Kashshou-nadin-ahé سوى الحروب الأهلية والخارجية والجاعة . أما فى سيبار فلم يعد من المستطاع اقامة الشعائر الدينية لشاماش كما اختفت المؤسسات وأهم العمل بالقوانين :

وقد دامت الأسرة التالية ، وهى الأسرة السادسة ، عشرين عاما وثلاثة شهور (حوالى ١٠٣١ - ١٠٦٢) اعتلى العرش خلالها ثلاثة ملوك وكانت عهد خراب وبؤس وعواصف وفيضانات . وقد كون العيلامى ماربيتى أبال أو تسور Mâr-biti-apal-outsour بمفرده الأسرة السابعة وظل على العرش ست سنوات (١٠١١ - ١٠٠٦) .

وأنشأ نابوموكين أبلي Nabou-moukin-apli (حوالي ١٠٠٥ - ٩٧٠) الأسرة الثامنة ولد لها صورة منه على كودورو . وجمعت خلال حكمه مجموعة من التنبؤات وظلت محتفظا بها . وقد أخذت القبائل الآرامية فيما وراء الفرات تتحرك وتسبب المتاعب لبابل حتى ان نابو Nabou في العام السابع لم يستطع الحضور من بورسيا Borsippa الى بابل . لمناسبة احتفالات رأس السنة . كما أن البابليين قد اضطروا أكثر من مرة خلال حكمه بل ولعدة سنوات متتالية الى العدول عن هذه الحفلات الدينية التي كانت لها عندهم أهمية كبيرة .

أما شاماش موداماق (حوالي ٩١٠) Shamash-moudammaq الخليفة الثالث لنابوموكين أبلي فقد هزمه أداد نيراري الأشوري وفقد فرسانه وعرباته وقتله نبوشوم أوكين Nabou-shoum Oukin واستولى على السلطة .

وغزا أداد نيراري بلاد بابل واستولى على عدة مدن وعلى غنيمة ضخمة . وبعد فترة عقد الأميران صلحا وحددا أراضي مملكتيهما وتبادلا بناتهما عن طريق الزواج .



شكل (٧) لوحة نابو ابل ادين (المتحف البريطاني)

وقد خشي « نابو أبلا أدين Nabou-apla-iddin » بن « نبو شوم
 فوكن » أن يسد عليه أشور ناتسير أبلا الثاني Ashour-nâtsir-apla II
 أسواق سنوريا (التجارية) فتحالف مع آرامي سوهي Souhi (٨٧٩)
 تحت ملتقى نهري هابور Habour وأرسل لهم جندا ولكن أخاه
 تسابدانو Tsabdanou والقائد بل أبلا أدين Bél-apla-iddin وثلاثة
 آلاف رجل وقعوا في قبضة العدو واضطر ملك بابل إلى أن يعقد الصلح مع
 أشور ولم يكن يسعه منذ ذلك الوقت إلا أن يكرس جهوده لإصلاح خراب
 بلاده . وتشير إحدى اللوحات الحجرية إلى الأعمال التي قام بها في معبد
 شاماش وإلى إعادة العبادة في العام الحادي والثلاثين من حكمه وقد ظهر
 في الصورة يقوده كاهن ومصحوبا بالالهة آيا Aia إلى حيث يجلس الاله
 في هيكله (١) .

وأهدى مردوك زاكير شوم Mardouk-zakir-shoum بن وخليفة
 نابو أبلا أدين إلى ماردوك أسطوانة من اللازورد بها صورة محفورة وقد
 مثل الاله على هذا ال « كونوكو Kounoukkou » واقفا ومعه التنين
 المقدس (٢) .

وفي عام ٨٥٢ طلب وساطة سالنصر الثالث Salmansar III ملك
 أشور ضد أخيه مردوك بل أوشاتيه Mardouk-Bél-oushâté الذي ثار
 وأعلن نفسه ملكا مستقلا على الأقاليم الشرقية فاكتمل سالنصر الأراضي
 التي يحتلها « مردوك بل أوشاتيه » ثم قبض عليه في العام التالي وأمر
 بقتله . وأعلن ملك بابل خضوعه التام كما أن الأشوري أدى فروضه
 كملك إلى الآلهة في معابدهم في كوثا Koutha وبورسييا وبابل وقدم
 لهم هدايا ثمينة ثم نزل إلى كلدنيا واستولى على قلعة Bagâni الواقعة
 على الحدود وتقبل خضوع أديني Adini رئيسها وجاكن Jakin ملك
 أراضي البحر . وقد أمر أن تمثل هذه الموقعة بنقوش على برونز بلاوات
 Balawat يحضر له فيها الكلدانيون الجزية : أوان وثيران وساريات
 « صوار » للخيام .

ولكن بابل لم تكن لتستطيع السكوت طويلا على هذا الخضوع
 فاعتزم شامشي أداد الخامس shamshi-adad V بن سالنصر القيام
 بحملة ضد ماردوك بالاتسو اقبى Mardouk-balatsou-iqbi الذي شكل
 اتحادا من الكلدانيين والآراميين والعلاميين ومحاربين من نامري Namri

(١) شكل ٧ .

(٢) شكل ١٢ .

وقد قامت المعركة الكبرى في دور بابسوكال Dour-papsoukal واستولى الآشوريون على غنائم ضخمة ومن المحتمل أن يكون العرش قد ظل شياغرا فترة من الزمن بعد وفاة مردوك بلاتسي اقبي واستوطن بعض الإراميين أراضي بابل وبورسسيا الزراعية ولكن أربا مردوك Erba-mardouk من سلالة مردوك زاكير شوم قتلهم بحد السيف وأعاد الحقوق واليساتين الى أصحابها الشرعيين وأصبح ملكا وإن لم يستطع أن يأخذ بيد بعل ، Bêl إلا في العام الثاني من حكمه . وهناك ملك آخر هو « باو أهيه أدين Baou-ahê-iddin » اقتاده آداد نيراري الثالث Adad-nirari III الى آشور واستولى على كنوزه . وتم الاستيلاء على البلد كله ونفيت الآلهة وتقبلت آلهة كوتا وبورسسيا وبابل قرابين الملك الآشوري الذي نزل حتى كلديا التي دفع له أمراؤها الجزية .

والى هنا ينتهى التاريخ المتوافق من الناحية الزمنية . ونجى لا نعرف شيئا عن نهاية الأسرة الثامنة كما لا نعرف شيئا كذلك عن بداية الأسرة التاسعة مدى سنتين عاما تقريبا . ولقد كانت السلطة المركزية ضعيفة فى بابل وكان شاماش ريش أوتسور Shamash-rêsh-outsour حاكم مارى Mari وسوهي Souhi على الفرات الأوسط يتصرف باسم ملك آشور كما لو كان مليكا مستقلا .

وفى عام ٧٤٨ بدأ عهد الملك نابو ناسار (نابو ناتسير Nabonasser Nabou-natsir) (٧٤٨ - ٧٣٤) وهو تاريخ يعتبر نقطة البدء لقانون بظلميوس . وفى العام الثالث من عهده (٧٤٥) أعلن القائد الآشوري بولو Poulou - مثير إحدى الفتن العسكرية - نفسه ملكا على آشور تحت اسم تجلات فالاسار الثالث Téglath-phalasar III وافتتح آخر فترة للتوسع ، تلك الفترة التي ضمنت السلطان على بابل خلال مدة تربو على قرن من الزمان ولكنها انتهت فى عام ٦١٢ بانهييار نينوى وخراب آشور نهائيا . ولم يضيع وقته هباء اذ أنه غزا بابل واضطر نابوناسار - حين ثارت عليه بورسسيا وسييار - الى الاعتراف بسيادته وخضعت له أهم المدن ونزل حتى نيبور وأعلن نفسه ملكا على سومير وأكد .

ثم قتل نابو نادين زر Nabou nadin Zêr (ابن نوباناسار) بعد أن تولى الحكم مدى عامين . قتل نابو شوم أوكين Nabou-shoum-oukin الذى دام حكمه شهرا واثني عشر يوما وانتهت به الأسرة التاسعة .



وتتضمن الأسرة العاشرة أسماء ١٩ ملكا من أصول مختلفة اعتلوا العرش فيما بين عامي ٧٣٢ و ٦١٢ فى العهد الذى كانت فيه بابل تكاد تكون كلها خاضعة لآشور . وقد نفى نابو أوكين زر Nabou-oukin-zêr

« ٧٣٢ - ٧٣٠ » نفاه تجلاث فالاسر Tèglath Phalsar الذى أصبح ملكا تحت اسم بولو Poulou (٧٢٩ - ٧٢٧) وتلاه سالمنصر الخامس وأطلق على نفسه اسم أولولاي Ouloulai فى بابل (٧٢٧ - ٧٢٢) وعند موته عين مروداخ بالدان الثانى (٧٢١ - ٧١٠) Mérodach Baladan II - وهو الملك الكلدانى لببت ياكين Bît Jakin فى أرض البحر الذى ذكر أنه من سلالة اربا مردوك Erba Mardouk أحد ملوك الأسرة الثامنة - عين حاكما فى بابل وادعى الحكم كملك . فتقدم سرجون الثانى الآشورى نحو أكد وقامت الحرب بينه وبين مروداخ بالادان الذى عاونه هومبانيجاش Houmbanigash ملك عيلام تحت أسوار دير Dêr ولكنه هزم . وهكذا ظل مروداخ بالادان يحكم دون منازع مدى اثني عشر عاما فى الوقت الذى كان فيه الملك الآشورى مشغولا بالحروب فى سوريا وأورارتو Ourartou ومع ذلك فلم يكن هذا عهد ازدهار بالنسبة لسكان أكد لأن أرضهم كانت قد قسمت بين الأجناد الكلدانيين والآراميين . ولذا فانه لما عاد سرجون عام ٧١٠ بعد أن تغلب على المصريين والأورارتيين ليهاجم مروداخ بالادان هرب الأخير الى الجنوب واصطحب معه أشرف بابل وسيبار ونيبور كرهائن . وعم السرور العاضمة لرحيل الطاغية ونظمت الأعياد تمجيدا للآشورى الذى نودى به « محررا » .

وفى يوم رأس السنة (٧٠٩) « أخذ سرجون بيد بعل Bêl » وأصبح الحاكم الشرعى لبابل (٧٠٩ - ٧٠٥) وتقهر مروداخ بالادان شيئا فشيئا الى ناحية بيت ياكين تحت ضغط عدوه وهناك أطلق الفيضان أمام مطاردية ولكن الآشورى احتال حتى استطاع أن يجد ممرا فهرب مروداخ بالادان الى عيلام على حين سحق البوكوديون Pouquoudéens والسوتيون Soutéens الذين كانوا قدموا لمعاونته . واجتاحت بيت ياكين وأنقذت الرهائن البابلية وأعيدت لهم حرياتهم . وأبعد سكان المدينة الى مكان آخر وحل محلهم سجناء أسرى كان قد قبض عليهم فى كوماجين Commagène وأصلح سارجون المدن ومعابدها : أور وأوروك وأريبدو ولارسا وكيش (١) ووسع بابل وشيد رصيفا غطاءه بالأسفلت فيما بين بوابة عشتار والفرات . وكانت زاوية من هذا الرصيف بها برج دائرى عثر عليه فى شمال غرب القلعة وكان الحائطان المحيطان بها - وقد بناهما سرجون كذلك - يعاد اصلاحهما من وقت لآخر .

وتذكر رواية يونانية أن سرجون أمر بعرض بابل الى أحد أبنائه ولما مات ميتة غير طبيعية عام ٧٠٥ كان سبناخريب الذى خلفه فى آشور

فى صراع مع أرمينيا ولم يستطع التدخل فى الشئون الأكديّة . وطبقا لما جاء بقائمة ملكيّة نجد أن عبدا استطاع أن يستحوذ على السلطة ويحتفظ بها مدى شهر . وعاد مروداخ بالادان بمساعدة هليوشو *Halloushou* ملك عيلام وحكم بضعة شهور وهزمه سناخريب تحت أسوار كيش ودخل العاصمة فى غير عناء ثم اجتاحت كلديا جميعا وأبعد ٢٠٨٠٠٠ من سكانها الى مكان آخر وعين « بل ابنى *Bêl-ibni* » (٧٠٢ - ٧٠٠) الأمير البابلي الذى ربه فى بلاط آشور ٠٠ واليا - وبعد ثلاث سنوات تحالف مع مروداخ بالادان ودفع الأخير - الذى كان قد عاد الى المستنقعات فى أرض البحر - الكلدانى موشزيب ماردوك *Moushézib-Mardouk* الى أن يقوم بثورة وخلع بل ابنى ٠٠٠ خلعه سناخريب ووضع ابنه آشورنادين شومى مكانه (٧٠٠ - ٦٩٤) وانسحب موشزيب ماردوك الى المستنقعات وبعد أن حاول مروداخ بالادان المقامة حمل آلهته وقومه بحرا وبحث عن مكان يلجأ اليه فى ناجيتى *Nagiti* على شاطئ عيلام وعول ملك آشور على مطاردته عبر البحر فبنى أسطولا وعبر الخليج الفارسى وهاجم الكلدانيين فى المكان الذى لجأوا اليه ٠٠٠ فانقض ملك عيلام - الذى اغتصب واعتدى على أرضه - على بابل واجتاح سيار وأخذ « آشور نادين شومى » أسيرا وأحل محله الكلدانى « نرجال شزيب » *Nergal-shêzib* (٦٩٤ - ٦٩٣) واتجه الأخير جنوبا ليعوق مرور الجيش الآشورى عند عودته من ناجيتى وقامت معركة كبيرة أمر فيها نرجال شزيب وحمل الى آشور . وكان سناخريب يعتزم أن ينتهز فرصة القلاقل فى عيلام ليغزو هذه البلاد ولكن منعه من ذلك حلول الشتاء (عام ٦٩٣) واستولى موشزيب ماردوك (٦٩٣ - ٦٨٩) على السلطة فى بابل واغتصب كنوز « الايزاجيل » بقصد ارسال هدايا قيمة الى ملك عيلام « هومبان مينانو *Houmban-menanou* » وعقد حلفا معه . وانتظر الكلدانيون والآراميون والبابليون والفرس والبوكوريون والجمبولييون ٠٠٠ انتظروا الآشوريين فى هالولة *Haloulé* شرق دجلة وأعلن سناخريب انه انتصر وان لم يستطع ان يجنى ثمار نجاحه على الفور ٠٠٠ وبعد عامين (٦٨٩) عقب موت « هومبان مينانو » ملك عيلام استولى على بابل وأحال حصونها الى أنقاض وحطم معابدها وقصورها وبيوتها وأبعد أهلها الى مكان آخر وحمل الاله ماردوك أسيرا وحول الاقليم الى مستنقع ضخم « كى لا يستطيع امرؤ فى المستقبل أن يتعرف على تربة هذه المدينة ولا على معابد الآلهة » لقد حطمتها بالماء حتى أحلتها الى شبه مستنقعات .

وترك ابنه اسارحادون *Asarhaddon* (٦٨١ - ٦٦٩) - الذى شغل الى أقصى حد بحروبه فى الغرب - ترك الى قواده مهمة رد العيلاميين

الذي كانوا قد تقدموا حتى وصلوا الى سيبار وكذا محاولة « نابوزر كينيش ليشير » Nabou-zêr-Kênish-lishir بن مروداخ بلادان الذي استولى على أور ، وهرب ذلك الأمير الى غيلام حيث قتل . وخطع أخوه « تابعيد مردوك » Nâ'id-mârdouk واعتُرف به كمولى في أرض البحر . وأعيد بناء بابل وأصلحت المدن . وحدد بناء المعابد كما وطدت دعائم العبادة من جديد .

وفي عام ٦٦٨ اختار اسار حادون ابنه أشور بانيبال Ashourbanipal ليخلفه في أشور ومنح حكم بابل الى ابن آخر هو « شاماش شوم أوكين » Shamash-shoum-okin (٦٦٨ - ٦٤٨) ودخل موردوك من جديد الى الإيزاجيل في شهر أيار (مايو) من عام ٦٦٨ وأمسك بيده شاماش شوم أوكين في احتفالات عيد رأس سنة ٦٦٧ . واستمر أشور بانيبال يقبض مباشرة على ناصية الأمور في الأقاليم الجنوبية ويعين الحكام الأشوريين هناك . ولم يهمل تقديم الفروض اللازمة نحو كبار الآلهة في كوتا وبورسيبا وبابل . وشغل الولى أولا بالأمور السلمية وحين أحس بقوة تسمح له برفع النير كون عصبة ضد أشور قوامها « هومبانيجاش الثاني » ملك غيلام وكذا العرب والآراميون والكلدانيون وحرّم على أخيه أن يقدم القرايين في المدن البابلية . وبعد انتصار رائع في أراهسامنه Arahshamnah (٦٥٠) حاصر أشور بانيبال بابل وبورسيبا وكوتا وسيبار وأعاد فتح كلديا بسرعة . وقاومت بابل حتى أيار من عام ٦٤٨ ثم اضطرت للتسليم بسبب المجاعة والمرض أكثر منه بسبب السلاح فحرقت وأسيلت دماء أهلها ومات « شاماش شوم أوكين » في قصره الذي يحترق وحل مكانه « كاندالانو » Kandalanou . وكان لخلفائه سلطان غير ثابت على بعض المدن نذكر منها نيبور وأور وأوروك .

وفي عام ٦٢٥ كان السكيثيون (السكيثيون) Scythes يهددون الامبراطورية . ونادى نابوبولassar بنفسه ملكا وأسس الأسرة الحادية عشرة المعروفة بالأسرة « البابلية الجديدة » ولم يكن سلطانه يثد في أول الأمر الا على بابل وبورسيبا ولكنه عرف كيف ينثفح من وراء ضعف أشور السريع لتوسيع بلاده فتحالف مع سياكسار Cyaxare ملك الميديين وزوج بنت هذا الأمير من ابنه لبوخودوروسور وحين دخل الميديون الى ميزوبوتاميا وحاصروا نينوى ساهم البابليون في الحملة وبهذا مقاومة استغرقت ثلاث سنوات أخذت المدينة (٦١٢) واختفت الامبراطورية الاشورية .

وكانت مصر كذلك قد حطمت نير نينوى فمنذ عام (٦٠٨) احتلت فلسطين وسوريا ووصل « نيبخاو » حتى الفرات والآن ٥٠٠ بعد أن ظلت

بابل تحارب آشور هدى قرون بقصد حماية تجارتها . . . فهل تستطيع
ليقاوم تقدم المصريين ، وفي ٦٠٤ هزمهم في قرقيش وطاردهم منتصرا .
وحين وصل الى بلوزيوم علم بوفاة أبيه ووجد نفسه مضطرا الى العودة
الى بابل ليخلفه .

ولقد كان نابوبالاسار بناء عظيما . وقد تابع نبوخذنوروسور الثاني
(٦٠٤ - ٥٦١) اصلاح وتزيين المدن . والى عصره ترجع أهم الآثار التي
كشفت عنها في بابل وهي : سور خارجي للمدينة من اللبن المرسوم .
وقصر يمكن أن نتلمس فيه تأثير الفنين الحيثي والآشوري وخاصة بوابة
عشتار وهي أهم الأطلال قاطبة . ولقد أعاد بناء الايزاجيل ورصف
الطريق المقدس وأنشأ الحدائق المعلقة وهي إحدى العجائب السبع في
العالم القديم .

ولقد اعترف الجانب الأكبر من سوريا بسُلطان نبوخذنوروسور عام
٦٠٤ وسرعان ما توقفت مملكة يهوذا عن دفع الجزية ، ورغم تبكيت النبي
« أرميا » نراها تثور على مولاها . وأخذت أورشليم عام ٥٩٦ وأبعد جانب
من سكانها الى جهة أخرى وحاولت مصر أن تستعيد نفوذها على سوريا
وانضمت اليها يهوذا Juda وكذا صور وصيدا . وفي ٥٨٧ استقر
نبوخذنوروسور في ربلة Ribla على الأورونت وأرسل من هناك قوة
لحصار أورشليم للمرة الثانية وحاول أبريس الفرعون عبثا أن يذهب
لمعاونة حليفه واستسلمت المدينة في العالم التالي وحمل معظم أهلها
كأسرى . وأحضر الملك صدقيا Sédécias الى ربلة بعد ما أسر وهو
يحاول الهرب وذبح أولاده أمام عينيه ثم حرم من بصره وأُتقل بالأغلال
واقْتيد الى بابل . أما صور فقد تابعت المقاومة مدة أطول بلغت ١٣ سنة .
- على حد رواية جوسيفوس - (٥٨٥ - ٥٧٣) .

وقد ساهم نبوخذنوروسور في الصراع كحليف للميديين ضد ليديا .
وقد حدث كسوف شمسي في الثامن والعشرين من مايو عام ٥٨٥ أثناء
معركة ضخمة ضد سياكسار عند اليات Alyatte على شواطئ هاليس
Halys واعتبر هذا الحدث (هذه الظاهرة) انذارا للطرفين واتفق على
السلم واشترك الملك البابلي في عقد المعاهد التي تثبت هاليس كحد بين
الميديين والليديين .

وفي العام السابع والثلاثين من حكمه (٥٥٨) - طبقا لقطعة من
حولياته - قاد نبوخذنوروسور الثاني حملة ضد أمازييس ملك مصر ويظهر
أنه انتصر على المصريين واليونان المستأجرين المرتزقة وربما وصل حتى
أن تحتمل قبضة فرعون على الشاطئ السوري ؟ لقد أرسل نبوخذنوروسور

الدلفا • وقد خلف نقوشا صخرية في سوريا : في وادي بريسبا Brissa
وعند نهر الكلب •

أما ابنه « أفيل مردوخ » (أويل مردوك) (Evil-Merodach)
(Mardouk) فلم يكن يردعه قانون أو عرف • وفي أقل من ثلاث سنوات
من ولايته قتلته العصابة الكهنوتية وأحلت مكانه نريجيسار (نرجال
شمار أوتسور Nériglissar Nergal-shar-outsour (٥٥٩ - ٥٥٦)
وهو « الراباج rab-mag » الذي حضر حصار أورشليم والذي كان قد
تزوج من إحدى بنات نبوخذنور • ومات نريجيسار دون أن يعيد
تعزيز القوى الحربية في بلاده • وقد أصلح معابد بابل وبورسيبا وبني
لنفسه قصرا بالمدينة الأخيرة • وخلع ابنه « لاباشي مردوك Labashi
Mardouk » الطفل بعد أن استقر فوق العرش تسعة شهور واعتلاه مكانه
« نابونيد (نابونايد) Nabonide (nabou-nâ'id) (٥٥٥ - ٥٣٩)
ابن كاهنة سن Sin في هاران Harran (١) الذي كان متأثرا بالتقاليد
والذي شغل تماما بالآثار وإصلاح العبادة حتى سمي « بالملك
المكرستاني » (قيم المعبد) - وكونت إمبراطوريته من بابل وميزوبوتاميا
وسوريا حتى غزة • ولكن قوة أخرى كانت تنشا في عيلام ففي ٥٥٠
ثار كيروش ملك انزان - وهو مولى « لأستياج Astyage » الميدي - وخلع
مولاه وهاجم ليديا حيث كانت شهرة كريسوس Crésus قد جلبت إلى
عاصمته ساردس Sardes أكثر اليونانيين ثقافة • وقد استولى بعد
موقعة بتريوم Pterium في كابادوكيا (٥٤٧) على هذه المدينة وأنهى
دولة ليديا (٥٤٦) ثم اتجه نحو بابل التي كانت تعضد كريسوس
بالاتفاق مع مصر •

وكانت العصابة الكهنوتية والشعب قد ابتعدوا جميعا عن الملك فلم
يجرؤ أن يأتى إلى المدينة بينما لم يكن في الاستطاعة الاحتفال بعيد رأس
السنة دون حضوره • وفي حماسة الأسرى وبدعوى ضمان سلامة
الآلهة ، جمع كل تمائيلهم تقريبا في معابد العاصمة • وكانت شتون
الدولة وقيادة الجيش في يد ابنه « بالنازار » (بلل شمار أوتسور)
(Balthazar (Bêl-shar-outsour) و« انجاز » كوبارو (جوبرياس)
(Koubarou (Gobryas) البابلي حاكم جوتي Gouti (ما بين الزاب
Zâb والدياله Diyala) إلى ملك انزان Anzan وأمدّه بالمتطوعين • وهزم
بالنازار في أوبيس Opis ثم لم شمل جيشه فهزم مرة أخرى • وفي

الرابع عشر من تموز عام ٥٣٩ فتحت سيبار بواباتها وهرب نابونيد .
وفى السادس عشر دخل جوهر ياس الى بابل . وفى الثالث من مرهيشفان
Marheshvan التالى استقبل كيروش هناك استقبال المحرر وكسب
شعبيته عن طريق اصلاح شامل للعبادة . ومات نابونيد فى منفاه فى
كرمانيا Carmanie .

وحرص ملك أنزان على المحافظة على تقاليد الأقوام الذين أخضعهم
فظلت السجلات الخاصة فى بابل تكتب بنفس العبارات التى كانت تتم
بها من قبل . وحين مات قمبيز Cambyse (٥٢٩ - ٥٢٢) خليفة
كيروش حاول مطالبان بالعرش أن يرفعوا النير ، ولكن دارايوس Darius
الميدى ، بن هستاسب Hystaspe - وهو أمير من بيت كيروش - تولى
قيادة الجيش وحاصر بابل ودعم سلطانه هناك .

وفى نهاية حكمه وعند بداية حكم اكسزركسيس Xerxès (٤٨٦ -
٤٦٥) ظهور مغتصبون فجرد اكسزركسيس المدينة ونهبها وحطم
الايذاجيل . وفى ٣٣١ بعد هزيمة دارايوس الثالث اختار الاسكندر بابل
عاصمة له فى آسيا واعتزم إعادة بناء معبد مردوك .

وهناك لوحة من السنة السادسة من حكمه تسجل ايصالا بدفع
عشر مينات (١) من الفضة اجرا لرفع الأنقاض . وقد بنى اليونان لأنفسهم
مسرحا من اللبن به أعمدة حجرية . وقد أثرت تقاليدهم على عادات
البابليين الذين كان لهم حق التسمى بأسماء يونانية تبعا لامتياز ملكي .
وفى ٢٧٠ أصلح انتيوخس سوتر Antiochus Soter المعابد فى
بابل وبورسيبا وأوروك .

وفى القرن الثانى كانت الصلوات تقدم الى أنو ومردوك
Anou & Mardouk كمعبود واحد تحت اسم « أنا - بعل » Ana-Bêl
وبدأت الأسر تشييد مساكنها من مواد المدن القديمة : وهكذا أقام « أداد
نادين اهي Adad-nadin-ahê » قصرا فى موقع لاجاش بناء من طوب
جوديا Goudéa وقد ظلت الشعائر الدينية تقام فى بابل حتى عام ٢٧ ق م .

(١) انظر هامش ١ ، ص ٥١ .

المينة تساوى نحو ٣٠٠ ريال وتحتوى على ٦٠ شاقلا - (المترجم) .

ملخص تاريخي لتاريخ بابل

الخليقة	٢٢٣٠٠٠	سنة
الفوضى	٤٣٢٠٠٠	سنة
عشرة ملوك قبل الطوفان	٤٣٢٠٠٠	سنة
الطوفان (١)		
الأسرة الأولى في كيش (في أكد) أكثر من ١٨٠٠٠	١٨٠٠٠	» ايتانا
الأسرة الأولى في أوروك (في سومير) » » ٢١٧١	٢١٧١	» دوموزي
» » » (في سومير) ١٧١	١٧١	» جلجامش
أسرة أوان (في عيلام) ٣٥٦	٣٥٦	»
الأسرة الثانية في كيش ٣٧٩٢	٣٧٩٢	»
أسرة حامازي (في عيلام) ٧	٧	»
الأسرة الثالثة في كيش -	-	»
الأسرة الثانية في أور ١٠٨	١٠٨	»
أسرة اداد (في سومير) ٩٠	٩٠	»
أسرة ماري (على الفرات الأوسط) أكثر من ٣٠	٣٠	»
الأسرة الثانية في أوروك -	-	»
أسرة اكشاك (في أكد) ٩٩	٩٩	»

٤٥٦٠٠٠ - {
عن W.B. 62

قائمة أسطوري

(١) مدة الأسرات السابقة على الطوفان هي ٤٥٦٠٠٠ سنة طبقا للوثيقة W. B 62 و ٢٤١٢٠٠ سنة طبقا للوثيقة W. B. 444 التي تذكر أيضا الأرقام الآتية :

الأسرة الأولى في كيش : ٢٤٥١٠ سنة وثلاثة شهور وثلاثة أيام ونصف

الأسرة الأولى في أوروك : ٢٣١٠ سنة

الأسرة الثانية في كيش : ٣١٩٥ »

الأسرة الثانية في أوروك : ٤٢٠ سنة

» في ماري : ١٣٦ »

» الثانية في كيش : ١٠٠ »

» الرابعة في كيش : ٤٩١ » وهو رقم يبدو أن من الواجب تصحيحه إلى ٩٧٣ سنة .

» الخامسة في أوروك : ٧ سنوات

وكما سبق شرحه في الملاحظة الخاصة بصفحتي ٢١ و ٢٢ فإن الأسرة الثالثة في كيش والثانية في أوروك يجب وضع كل منهما مكان الأخرى .

الأسرة الرابعة في كيش	١٠٦ سنوات	أوروك كاجينا في لاجاش
» الثالثة في أوروك	٢٥	لوجال زاغيسي
أسرة أجاده (في أكد)	حوالي ٢٨٤٥ - ٢٦٤٩	سرجون ونرام سن
الأسرة الرابعة في أوروك	» ٢٦٤٨ - ٢٦٢٣	
أسرة جوتيوم (شرق دجلة)	» ٢٦٢٢ - ٢٤٩٨	
الأسرة الخامسة في أوروك	» ٢٤٩٧ - ٢٤٧٥	جوديا في لاجاش
الأسرة الثالثة في أوروك	» ٢٤٧٤ - ٢٣٥٨	دونجي
أسرة إيسين	» ٢٣٥٧ - ٢١٣٢	
أسرة لارسا	» ٢٣٥٧ - ٢٠٩٥	
الأسرة الأولى في بابل (عمورية)	٢٢٢٥ - ١٩٢٦	حمورابي
الأسرة الثانية (أرض البحر) في بابل	١٩٢٥ - ١٧٦١	
الأسرة الثالثة (الكاسية)	١٧٦٠ - ١١٨٥	
الأسرة الرابعة	١١٨٤ - ١٠٥٣	
الأسرة الخامسة	١٠٥٢ - ١٠٣٢	
الأسرة السادسة	١٠٣١ - ١٠١٢	
الأسرة السابعة (ميلاية)	١٠١١ - ٩٠٠٦	
الأسرة الثامنة	١٠٠٥ - ٧٦٢	
الأسرة التاسعة	٧٦١ - ٧٣٣	
الأسرة العاشرة (الاحتلال الآشوري)	٧٣٢ - ٦٢٩	
الأسرة الحادية عشرة (البابلية الجديدة)	٦٢٥ - ٥٣٩	نبوخذ نصر - نور
الأسرة الثانية عشرة	٥٣٩ - ٣٣١	الثاني

الكتاب الثاني

النظم

الفصل الأول الدولة والعائلة

أولا - الدولة

قبل أن يتولى العرش حمورابى المؤسس الحقيقى للوحدة البابلية ، كانت سومير وأكد أحيانا متحدتين تحت صولجان واحد وفى أغلب الأحيان دفع الى انفصاهما تنافس الأمراء فى مدن لكل منها ذاتيتها الخاصة بها .

وكانت المدينة تكون فى المجتمع - بالإضافة الى الأراضى التابعة لها سواء آكانت متسعة أم ضيقة - خلية لها حياتها الخاصة ويعتبر تأسيسها عملا دينيا لا استطاع القيام به الا بناء على أوامر الآلهة العظام لأن المدينة هى قبل كل شىء مركز للعبادة . وعلى هذا كان لاسم المدينة أحيانا واسم الاله الذى تنازل فرضى أن يستقر فيها مدلول واحد : فنرى مثلا نيبور مركزا لـ « انليل » سيد سومير كلها . كما نرى فى جهات أخرى أن الاله المعبود تتضح سيادته بطريقة أخرى . ولقد كان الأمر كذلك بالنسبة لـ « لاجاش » مثلا التى كان الهها « اينورتا » يسمى دائما « ننجرسو » سيد جرسو وهو اسم الحى الذى يقع فيه معبده . ومعنى كلمة بابل « بوابة الله » وعندما أنشأ ملوك الأسرة البابلية الأولى مدنا جديدة أعطوها أسماء تشتمل اسم الاله : فـ « كارشماش » Kar-shamash معناها « قلعة الاله شماش » و « نور اداد » Nour-Adad معناها « نور الاله اداد » وعلى أية حال ، فان السلطة المركزية توطدت وقل الالتجاء الى الدين وظهر اتجاه يرمى الى احلال اسم الملك نفسه - وهو قد آله فى أغلب الأحيان - مكان اسم الاله . . . وقد أمر حمورابى بشق « قناة حمورابى » وأقام اميديتانا Ammiditana واميزادوجا Ammizadougā « حائط اميديتانا » و « حائط اميزادوجا » .

وفى عهد الأسرة الثالثة لم يتردد كوريجالزو فى تسمية مدينة جديدة باسم « دور كوريجالزو » Dour Kourigalzou .

كان الاله يعتبر سيد المدينة الحقيقي . ويروى اياناتوم Eanatum فى نقوش « لوحة العقبان » ان « الملك » ظهر له فى الحلم كما ان انتمينا أحد خلفائه يسمى ننجرسو « ملكه الذى يجب » ويتحدث أورو كاجينا Ourou Kagina صراحة عن « رعايا الملك » مشيرا الى العهد الذى كان يحكم فيه الايشاكوات مدينة لاجاش كما نذر أورنينسون Our-Ninsou الى ننجرسو صحيفة اسمها « الا فليطل الملك فى عمرى » وتكثر الاشارات الى ملكية ننجرسو فى نقوش جوديا Goudéa بصفة خاصة اذ أنه عندما انتهى من اعادة تشييد المعبد جاء بنذور الى الاله ووجه اليه الدعاء التالى : « أى ملكى أى نينجرسو ! لقد شيدت معبدك وانى لسعيد ان أدخلك فيه » وقد استهل حمورابى قوانينه بأن ذكر أن أنو وإيلليل خصوا ماردوك بذلك أبدى فى بابل .

وكان الاله يسكن المدينة مع زوجه وأولاده وخدمه وسدنته كما كان المعبد مسكنه أغنى المساكن . وقد استحضر أورنينا Our-Nina بنفقات طائلة أخشابا من الجبال لتزيين الهياكل كما عدد جوديا - مبديا اعترافه بالجميل - أنواع العطور المجلوبة من الغابات وكذا الأحجار والمعادن الثمينة التى جمعها لاعادة بناء « اى نينو » E-ninnou ومبينا كيفية تشغيلها بمعرفة فنانيين أتى بهم من عيلام .

وكان للآلهة أملاك خاصة وصوامع للغلال واسطبلات وعبيد . وحارب اياناتوم Eanatum ضد أوما Oumma ليسترد منها « الجويدان » Le Gouédin « الأرض العزيزة » الخاصة بـ « نينجرسو » .

وفى عهد أورو كاجينا استرد الآلهة ملكية الممتلكات التى كان لوجالاندا Lougalanda قد سمح بأن تمنح لعائلته ولصديقه . ولدينا الدليل على ذلك لا فى النقوش فحسب بل كذلك فى لوحات المحاسبة الخاصة بهذه الفترة واننا نستطيع فى عهد اور أن نتتبع مدى ثلاثين عاما عمليات تسليم المواشى التى كانت تتم فى فناء معبد انليل الوطنى وهى المواشى التى كانت تقدمها المدن وكبار دافعى الضرائب . وبعد ذلك بمدة طويلة أهدى الملك الكاسى « نازى ماروتاش Nazimaroutash » أملاكاً عقارية ضخمة الى الاله ماردوك الذى أصبح « سيد الحقل » .

ولم يكن الاله يدير شخصيا شئون المملكة أو المدينة بل كان يختار وكىلا : ملكا أو ايشاكو - كانت تعهد اليه رعاية شئون شعبه وكان انتمينا Entéména اللاشامى الايشاكو الأكبر لـ « نينجرسو » كما كان لوجال زاجيسى Lougalzaggisi الأوروكى الذى يمتد سلالته على

جميع أنحاء سومير ايشاكو انليل الاله الوطنى . وكان الأمير يؤدى فى نفس الوقت الأعمال الكهنوتية فهو الكاهن الأكبر لاله البلد أو المدينة . وشاهدنا على ذلك جوديا ولوجال زاجيسى : اذ يقرّر ثانيهما أن « الآلهة قد عينته فى هياكل سومير ايشاكو على الأقاليم ، كما عينته فى أوزوك كبيرا للكهنة » وكان الأمير بوصفه المشرف على الإدارة المدنية والدينية لا يلبث أن يؤله نفسه وأقدم شاهد على ذلك اسم العلم المسجل على مسلة مانيشتوسو Manishtousou وهو : « شاروكين ايلي » Sharrou-Kin-ili ومعناه « سارجون هو الهى » وقد سمي نارام سن Narām-Sin - هو لا يزال على قيد الحياة - اله اجاده . كما وضع دونجى Dungi وأخلافه قبل أسمائهم المخصص الالهى وكانت لهم معابدهم وتمائيلهم وكان حمورابى - الذى تسمى أحد معاصريه باسم حمورابى ايلو Hammourabi-îlou « حمورابى هو اله » - قد أطلق على نفسه لقب « اله الملوك » . أما الكاسيون الذين قد قاموا بتعديلات كثيره فى التقاليد فيما يتصل بكثير من النواحي الأخرى فانهم لم يستخفوا كذلك بهذه التشريعات الالهية .

وفى العهد السابق للسرغونية كانت توجد الى بجانب الأمير زوجة لها أملاك واسعة تديرها بنفسها : فكان لها قصرها الخاص كما كانت تشترك فى تصريف شئون الدولة . وكان لأولاد الأمير بيتهم وما الى ذلك من خدم وسقاة وحائكات ونساجات وظاه ونجار وحمار (بفتح الحاء وتشديد وفتح الميم) وموسيقي وزراع ومزبنون وغيرهم .

ويظهر أن أهم موظف كان ناظر القصر فهو فى الوقت نفسه « منظم مشروعات المنافع العامة والشؤون الزراعية وأمين خزانة الملك وناظر السراى ومسجل عقود الجميع » (١) . وتشير اللوحات الى وجود غيره من ال « نوباندا » (نظار) : نوباندا الاله ونوباندا الأولاد . وطبقات مختلفة من الكهنة ووكلاء أعمال وقضاة وأمناء مخازن الغلال وكتّاب وملاحظون وغيرهم من الموظفين الذين لم يتضح جليا نوع الأعمال التى كانت توكل اليهم . وكانت التيسساء كاهنات أو حائكات أو مخصصة لهن أعمال أخرى . وكان هناك من بين العمال والصناع النجار والبطار والدباغ والسباك والمثال وقاطع الأحجار الكريمة والبناء والحفار والبستاني . . .

كل هذا يعاود الظهور فى عصر أور ولكن بيت الملك الذى كان يمتد سلطانه الى ما وراء حدود سومير كان يتطلب هيئة للخدمة أهم مما يحتاج

اليها ايشاكو مدينة واحدة . وكان النوباندا في هذه الحالة يكرس نفسه فقط لكل ما يعتبر سخرة : « وسواء أكان الأمر يخص الحرب أم هو يتصل برعاية الحقول أم شق القنوات أم بناء الحوايط والقصور والمعابد ، فإنه موجود في كل مكان » (١) . وكان يوجد الى جانب الملك كبير الوزراء وهو ايشاكو أو حاكم عدة مدن (٢) وكان هناك كذلك وزراء آخرون يعاونهم جند وعمال للبريد (سعاة) يجوبون البلاد حاملين أوامر الملك الى أبعد مدن الامبراطورية . . . ويظهر أن جميع موظفي هذا العصر كانوا رجالا أحرارا أو عبيدا .

وعلى أن فصل الى عصر حمورابي ، حتى نتبين تقسيما آخر لطبقات المجتمع دون أن يتسنى لنا تحديد تاريخ هذا التقسيم (٣) .

ويميز القانون البابلي في الدولة بين الرجل الحر والموشكينو Moushkinou والعبد . والموشكينو - ويلاحظ أن هذه الكلمة والكلمة الفرنسية مسكان Mesquin - من أصل واحد - تطلق على المواطن من طبقة متواضعة يقع ترتيبه في المجتمع بين الطبقتين الآخرين وهو يستطيع أن يملك عبدا كما يستطيع أن يطلق زوجه مقابل إعطائها ثلث مينة من الفضة وذلك في الوقت الذي يلزم الرجل الحر في مثل هذه المناسبة بدفع مينة كاملة . هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن القوانين الخاصة بالعمليات الجراحية وكذلك الجواذب تراعى بدقة مركزه الاجتماعي عندما تقدر الأتعاب والعقوبات على التوالي . فإذا قُتل أحد المعتدين عين موشكينو أو كسر أحد أعضاء جسمه ، فإنه يحكم له بتعويض قدره مينة فضية فإذا كان المجنى عليه رجلا حرا فإنه يحكم على الجاني بمقتضى قانون « العين بالعين » والسِّن بالسِّن . أما إذا كان عبدا فإنه يحكم له فقط بنصف قيمته التجارية . وإذا حطم أحد أسنانه أعطى ثلث مينة وإذا ضربه أحد على رأسه فإنه يأخذ تعويض قدره عشرة شواقل على حين تقدر مينة واحدة للرجل الحر في مثل هذه الحالة . أما إذا قُتل دون عمد أثناء مشاجرة فإن أسرته تعطى ثلث مينة فقط وليس نصف مينة كما هو الحال بالنسبة لابن الرجل الحر . وإذا أجهضت المنيّة بسبب الضرب يلزم الجاني بدفع خمسة شواقل . وفي حالة وفاتها من جراء الحادث يدفع نصف مينة . أما إذا

LVI, p. 38.

LXXVLL, p. 213.

(١) يفرق مرثية سابقة العهد اور بين المواطن البسيط والموظف والرجل الحر ولكن لا يستدل من ذلك أنهم كانوا يكونون ثلاث طبقات مختلفة في المجتمع .
It, XVII, p. 45.

كان والدهما رجلا حرا ، فان التعويض يبلغ في الحالة الأولى عشرة شواقل ،
وأما في الحالة الثانية فيطبق قانون « العين بالعين والسن بالسن » .
أما ان كانت ابنة عبد فان التعويض يكون شاقلين أو ثلث مينة على التوالى
فى الحاليتين المشار اليهما .

وفى حالة اجراء عملية جراحية : اذا كان الرجل الحر يدفع عشرة
شواقل فان السيد يدفع عن عبده شاقلين فقط كما حددت الأتعاب التى
يدفعها الموشكينو فى هذه الحالة بخمسة شواقل .

وعلى ذلك فانه مما لا شك فيه أن مركز الموشكينو فى الهيئة
الاجتماعية هو دون مقام الاميلو Amélou أى الرجل الحر .

ولكن مما يثير العجب أنه لم ترد فى القانون أية اشارة عن الرجل
الحر فيما يتصل بالسرقة وهرب العبيد وزواج الفتاة الحرة من أحد
العبيد . . . ذلك فى الوقت الذى فرق فيه القانون ما بين ما يخص المعبد
أو القصر من ناحية وبين ما يخص الموشكينو من ناحية أخرى .

وكان العبد ملكا لسيد : سواء أكان مولودا فى بيته أم مشترى
أم كان أسير حرب .

وقد اشترى مانيشتوسو Manishtousou خمسة رجال وثلاث
نساء بجشرين شاقل للرأس . كما اشترى فتاة بثلاثة عشر شاقلا ونصف
شاقل .

وفى عهد أور قدر ثمن أسرة كاملة بنصف مينة وثمان طفلة بثلاثة
شواقل ونصف شاقل وكان من حق العبد أن يعارض فى الثمن الذى حدد
لبيعه فتحال القضية الى القضاة كما كان له أن يقسم اليمين فيما يخصه
من شئون على الأقل . وقد قررت خادمة أحد الأطباء اتهمت بسرقة رداء
المدعو بازى Bezi أن هذا الرداء أعطاها اياه أحد عبيد الرجل المذكور
ويدعى لوجال دوردوج Lougaldourdoug فلما نظرت القضية فى معبد
ننمار Ninmar قرر لوجال دوردوج بل وأقسم انه لا دخل له فى هذه
السرقة فحكم على الخادمة بأن تنزل الى مرتبة الاماء فى خدمة بازى .

ويصبح بيع العبد نهائيا اذا حلف المشتري أنه اشتراه فعلا بحضور
شهود ، ودفع الثمن المحدد . ويستطيع الأب أو الأم أن يبيعا طفلهما
كعبد . كما أن السيد كان له الحق فى عتق عبده (١) . ومن أمثلة ذلك
فى عهد ايلليل بانى Ellil-bâni ملك ايسين (٢٢٠١ - ٢١٧٨) أن

« بيدور ليبور Pidour-libour » وزوجه « نيم أوتومو Nim-Outoumou »
قد عتقا امرأة بقيت رغم ذلك فى خدمتهما ، دون أن يكون لولديهما وابنتهما
اية حقوق عليها (١) .

وكانت تقام ، فى مثل هذه الحالة ، حفلة يطهر العبد خلالها على
جبهته . وكانت توجد علامات مميزة للرق . وكان قانون حمورابى يقضى
بقطع يد الجراح ، الذى يسم العبد عبدا ، وبدون علم السيد بعلامة عدم
امكان بيعه .

وفى القرن الثالث - قبل الميلاد - كان اسم الملك (السيد) فى
أوروك (٢) يكتب على يد العبد اليمنى ، فاذا تغير السيد أضيف اسم
السيد الجديد الى جانب المالك القديم .

ولا يستطيع الرجل أن يبيع المحظية التى رزق منها بنسل ولكن
يمكنه فقط أن يرهنها ، شأنها فى ذلك شأن الزوجة والابن ، وكان
لا يجوز فى عهد الأسرة الأولى أن تزيد مدة عبودية الزوجة أو الابن أكثر
من ثلاث سنوات ، الا أن هذا الحظر قد اختفى فيما بعد من القانون :
من ذلك أنه حدث فى العهد البابلى الجديد أن بقى ابن عشر سنوات
متوالية فى خدمة كاهنتين ، سدادا لدين على أبيه ، وقد حدد حمورابى
قيمة العبد التجارية بعشرين شاقلا ، وهى قيمة توازى التعويض المقرر من
وفاة تنتج عن هياج ثور ، أو اساءة معاملة رجل لعبد أعطى له بصفة
رهن .

وكانت حياة رجل حر ، لا تقدر - فى مثل هذه الظروف - بغير
ثلاثين شاقلا . وتبعا للسن والنوع (ذكر أو أنثى) ، - والمهارة فى العمل -
وكان بعض العبيد لا يباعون بأكثر من أربعة الى ستة شواقل ، على حين
يبلغ البعض الآخر أرقاما مرتفعة ، تتراوح بين ٥١ و ٥٧ شاقلا . أى حوالى
مين (٣) فضى تقريبا .

وكانت الفتاة الحرة تستطيع أن تتزوج من عبد ، وكان الأولاد
يولدون أحرارا تبعا لحالة أمهم ، كما كان نصف متاع الأسرة فقط من
حق سيد أبيهم . وإذا كان رجل حر اتخذ احدى الاماء كمحظية ، فانها
وأولادها يتحررون عند وفاته بحكم القانون ولكن الأولاد لا يرثونه الا اذا
كان هناك عقد تبين .

I. t. XIV.

(١)

IXXII t. II, nos. 6 & 25.

(٢)

(٣) المين هو المينة انظر هامش (١) صفحة ٥١ و ٦٤ .

وكان في استطاعة العبد أن يدخر ، وأن يشتري حريته نقدا .
كما كان يستطيع - في حالة عدم وجود الثمن لديه - أن يستدين المبلغ
اللازم لهذا الغرض : وكان معبد مردوك في بابل يقبل اعطاء سلفة
تخصم أقساطها من كسبه . وكذلك كان التحرير ، أو شراء الحرية
نهائيا ، غير قابل لأية معارضة .

وكان محظورا على الناس مساعدة عبد على الهروب أو إيواؤه وكان
يحكم على المخالف بالاعدام ، وكان يمنع من يضبط الآبق (الهارب)
ويعيده الى سيده مكافأة قدرها شاقلا ، وفقا لقانون حمورابي . وينص
هذا القانون على ما يأتي : « اذا آوى شخص في بيته عبدا آبقا وضبط
هذا العبد تحت سقفه فان عمله هذا يستوجب الحكم عليه بالاعدام » .

وكان هناك قانون سوميري (١) ، أقدم من القانون المشار اليه ،
ينص على عقوبات أخف مما ذكر : « اذا هربت خادمة أو عبد من سيدهما
الى خارج المدينة ، فان صاحب البيت الذي يسمح باقامة أيهما في بيته ،
خلال شهر - يدان ويلزم بتقديم رأس برأس (معاملة المثل) فاذا لم
يكن له عبد ، فانه يدفع ٢٥ شاقلا من الفضة » .

ثانيا - الجيش

منذ أقدم العصور ومدن الفرات الأدنى في صراع ، كى تستطيع
الواحدة منها أن تمتد نفوذها على الأخرى : ولقد كان الجيش واحدا من
أهم نظم المجتمع .

وتبين « لوحة العقبان » (٢) - التى أقامها الملك « اياناتوم » فى
أراضى لاجاش عقب نصره على رجال أوما - فى المناظر المحفورة على وجهها
التاريخى ، كيف كان تكوين الجيش السوميرى فى هذا العهد البعيد ،
والصورة التى كانت عليها معداته .

كان الملك يسير الى الحرب علم رأس جنده وهو يتدثر حول حقويه
بقماش من الكاوناكيس Kaunakès وكان يغطى كتفه اليسرى قماش
أكثر نعومة أو جلد ماعز . وتحمى رأسه خوذة شبه مخروطية يتدلى منها
من الخلف ما يستر العنق . أما تلك التى يرتديها رجال الحرب فهمى

I. t. XVII, p. 37.

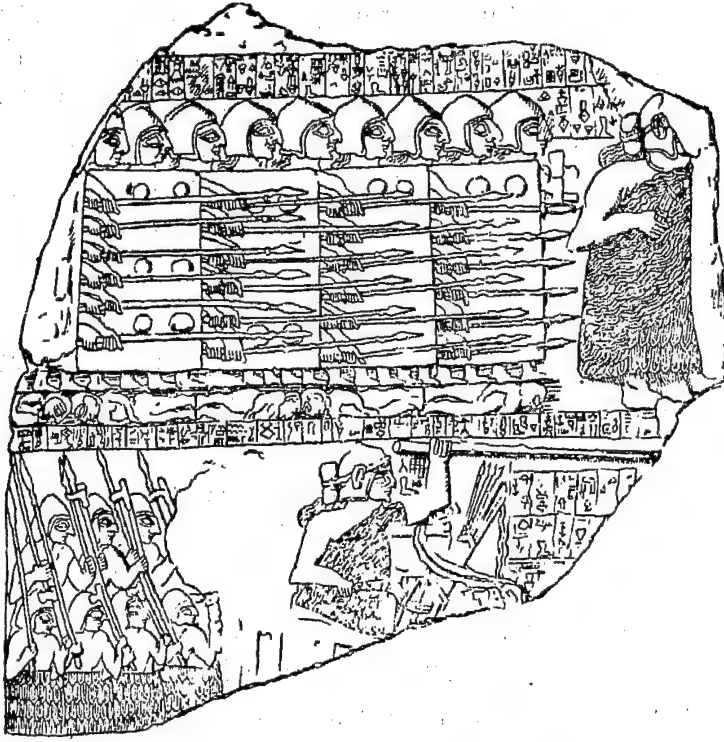
LXX ; pl. 3 et suiv. votr gf. 8.

(١)

(٢)

سوية ملساء وأما التي يرتديها الملك ، فقد قلد عليها الفنان شكل الشعر المجمر الكثيف ، يثبت في مكانه بواسطة شريط كما مثلت عليها الأذنان واضحتين • وسواء أكان يحارب راجلا ، أم راكبا عربته ، فإن سلاح الأمير كان حربة وأداة مقوسة مكونة من عصي ونصال ، ربطت الى بعضها بواسطة سيور أو حلقات •

وكان المحاربون يكونون سلاحين : سلاح الصدام وهو الذي ينزل رجاله المعركة في انتظام ومعهم الملك راجلا وهم متقدمون في طواير كل منها من سبعة من المحاربين ، يحمل أولهم سلاح الدفاع وهو درع مستطيل أما الباقون فمزودون بالحرايب ، يمسكها كل منهم بيديه من طرف العصا تقريبا • أما أولئك الذين يهاجمون ، لمطاردة العدو خلف الملك وهو راكب على عربته (سلاح المطاردة) فمسلحون بحربة وفأس •



(شكل ٨) قطعة من لوحة العقبان (متحف اللوفر : تلو)

ويحتفل الأمير بعد النصر بذبح ثور • ويتقدم الجند لاعداء الأسرى ووضع جثثهم في كومات على حين يحتفظ الملك لنفسه بحق فوق عين الحاكم المهزوم • وهناك سلاح آخر ، مثل على وجه اللوحة التي تحمن بعض المناظر الأسطورية : وهو دبوس القتال الذي يمكن تتبع استعماله

منذ عصر أقدم عن طريق نقش من تلو (١) Tello ، وكذا عن طريق الدبوس النذرى المزين بالسباع والذي نذره ميسليم الى الاله ننجرسو . وترينا لوحة النصر ل « نارام سن » (٢) عتاد الملك ومحاربيه في عصر اجاده ويمثل المنظر مطاردة العدو في اقليم جبل ويرى فيه الأمير متدثرا بملحفة قصيرة ، ينزل طرفها حتى ركبتة ، ويلبس نعلا في قدميه ، وعلى رأسه خوذة يتدلى منها ما يغطي العنق مزينة بقرون ترمز للمعبود ويمسك في يسراه بقوس مزدوج التقويس ويضم ذراعه الى صدره بلطة سلاحها ضيق جدا وفي يمينه سهم طويل به ريش وينتهي بطرف حاد . ويمثل الفرقة طابوران من المحاربين ، يحميهما الكشافة الذين يحمل واحد منهم حربا والآخر قوسا أبسط من قوس الملك . وعلى رأس كل طابور قائد ملتج ، لفت ملحفته على هيئة النقبة (جونلة) وهى أقصر من ملابس رجاله . وهو يلبس خوذة كما يلبسون . وقد سلح أحد القائدين بحربة وبلطة ذات نصل محدب من ذلك النوع الذى كثيرا ما نشاهده مرسوما على أسطوانات الأسرة الأولى البابلية وتزينه رأس أسد ، ويحمل الآخر بلطة ، أما عامة الجند فيحملون الى جانب البلطة حربا أو لواء ، وأما عتاد العدو فيشبه عتاد رجال اجاده .

وتحمل لوحة من ذلك العهد الدليل على صناعة الخوذات من الجلد ، وكانت تستعمل فيه جلود الثيران أو الجداء أو الصوف ، كما أن غيرها كان يصنع من البرونز المكفت بالفضة ، أما البلطات فكانت من برونز النحاس وكذا رؤوس الحراب ، وأما فى صناعة الجعاب فكان يستعمل الجلد والصوف (٣) .

وفى معبد لاجاش حيث بلاط الاله صورة صادقة لبلاط الأمير : نرى جوديا يتقدم بملازم أول وثان يتخذان مركزا ، يلى مباشرة مركز الشخصين الالهيين المنوط بهما العدالة والتقدمات (٤) .

وفى عصر أور كان « النوباندا » Noubanda يقودون الجند وكانوا - أكثر من ذلك - مسئولين عن ادارة السخرة فى المشروعات العامة . وهناك فئة من الناس ملزمة بالخدمة العسكرية هم « الاوكوش » Oukoush الذين كانت لهم قيادتهم الخاصة ورؤساء خاصون بهم .

LXX, pl. 1.

XVIII t. I, p. 144.

II, 1913

LXXVI, p. 183.

(١)

(٢) راجع الشكل ٤ صفحة ٣٦ .

(٣)

(٤)

وينظم قانون حمورابي
الامتيازات ويحدد بعض
الواجبات المقررة على
نوعين من المواطنين
يستدعيان ليساهما في



(شكل ٩) اسلحة سوميرية
(منحف اللوفر : حفائر نللو) .

الحمالات الملكية : « الريدوم » Rédoum - أو قائد العبيد (وهي كلمة
سامية تقابل الكلمة السوميرية « أوكوش ») و « البايروم Baïroum »
(السماك) . وليس من السهل أن نقدم ترجمة صادقة لهذين
الاصطلاحين ، لأنه ليس لدينا موظفون يشغلون وظائف مماثلة : فالأول
كان مكلفا بجمع المجندين لوظائف الجيش كما يظهر أن الآخر كان عمله
متصلا بالبوليس . وكان كل منهما حين يستدعى الى خدمة الملك يلزم
بأداء عمله شخصيا ولم يكن في مقدوره أن يتهرب من هذا الالتزام وكان
القانون ينص على تعريضه للاعدام ان هو أحل محله أحد المأجورين .
والواقع أنه طرأ على الأمر بعض التيسير فالرجل كان يستطيع شراء
الاعفاء بدفع ضريبة سنوية تسمى مال الايلكو ilkou . والايلكو هو
« خدمة الملك » وفي معناها الواسع أملاك الدولة تمنح على صورة معاش
مدى الحياة للريدوم والبايروم وهو عبارة عن حديقة أو بيت أو حقل
أو ... حتى مواش ...

وبين لنا خطابان أحدهما أمر من سامسوایلونا والآخر اعلان
(اخطار) بإبلاغ الأمر الأول ... يبينان كيف تنفذ منح هذه
الممتلكات (١) .

فان رجلا يدعى « ابني اداد » Ibni-adad وهو صاحب امتياز أرض
مساحتها ١٨ جان (gan) من الأرض (أكثر من ٦ هكتارات) عبارة عن
حقول وبساتين في ناحية سيبار ترك أملاكه هذه كى يحصل على امتياز
أكثر جدوى . فأمر الملك بمنح الأملاك الأولى الى رجل آخر هو العيلامى
« والى Wali » وسجل ذلك على لوحة وأرسلت لوحة « ابني اداد » الى
القصر . وتسلم ماردوك ناتسير Mardouk Natsir كبير موظفى سيبار
الكتاب الملكى ، وفتحته وعرف مضمونه ، ثم وضعه فى غلافه ، وحوله
الى مديرى الأملاك مشفوعا باخطار ذكر فيه الأوامر الملكية مفصلة .

وأمالك الأيلكو لا يستطيع التصرف فيها بالحجز أو البيع : فإن من يشتريها يفقد ماله كما تحطم لوحته ولا يستطيع الحائز عليها أن يقدمها لزوجته أو ابنته ، وهذا يسمح لنا أن نعتقد في إمكان نقل حيازتها إلى الابن بشرط أدائه للالتزامات المفروضة . وكان من المحظور كذلك أن تستعمل رهنا لدين .

وحين كان الريدوم والبايروم متغيين لأسباب مصلحة كان يعهد بإدارة هذه الأملاك إلى ابنيهما . . . فإذا كان أبناؤهما صغارا فإلى الزوجة مع منحها ثلث الإيراد مقابل إشرافها على شيء . . . وكان يجب أكثر من ذلك ، أن يحتفظ بالعين في حالة جيدة وأن تزرع . . . فإن تعمد صاحب الامتياز إهمالها أو احتلها آخر مدى ثلاث سنوات ، فإن أى ادعاء لاعادة تملكها لا قيمة له ويصبح المنتفع بوضع اليد منتفعا شرعيا . أما إن هجرت العين لفترة أقصر فلا ينقل حق الامتياز .

وكانت للريدوم امتيازات ذاتية وامتيازات خاصة بأملكه : فكان مستقلا تماما عن نفوذ الحاكم وكان الأخير يتعرض لعقوبة الإعدام إن هو : « استولى على أملك ريديم أو سبب لها خسارة أو أعارها بأجر أو سلمها عن طريق الحاكم ليد رجل أكثر نفوذا ، أو أخذ منه ما سبق أن منحه الملك إياه » .

وإذا قبض على الريدوم والبايروم في الحرب ودفع الفدية عنهما وكيل أعمال فعليهما سداد الدين شخصيا إذا كانت تروتهما المنقولة تسمح بذلك . أما الأملاك الثابتة فلا تمس فإن لم يكن في استطاعتهم دفع المبلغ المفروض فإن معبد مدينتهم يدفع عنهما ، فإن لم يكن يملك الموارد الكافية فإن الدين تتكفل به الدولة . وهناك قرار من حمورابى يبين كيف كان هذا النص القانونى يطبق . وكان الأمر يخص رجلا من لارسا : وأما من ناحية « إيمانينوم Imaninoun » الذى أسره العدو فيعطى عشرة مين من الفضة من معبد سن إلى وكيل أعماله كفدية » (١) .

وفي العصر البابلي الجديد كان يضطر بعض دافعى الضرائب إلى دفع جزية حرب ، وإن يساهموا ماليا في تكاليف الجنود : فكان على أحدهم أن يدفع سبعين شاقلا في السنة الخامسة لدارا وأن يدفع آخر أجر رجل مدى عامين أو يتولى تكاليف خيال (بتشديد وفتح الياء) . ولا بد أن الجيش البابلى في هذا العصر كان منظما كما كان الجيش الآشورى في آخر أيام الامبراطورية السرجونية .

ثالثا - العائلة

تأسست الأسرة - بدعائها القوية فى سومير وأكد - منذ أقدم العصور على أساس التزاوج من امرأة واحدة . فلم يكن للرجل - كقاعدة أساسية - أكثر من زوجة شرعية واحدة وإن سمح له القانون والتقاليد أن تكون له محظية أو أكثر .

ويستند الزواج فى جوهره على وثيقة مكتوبة هى حجة صادرة من طرف واحد ملزمة يحدد الزوج بموجبها - أمام شهود - حقوق وواجبات الزوجة وكذا المبلغ الذى يدفعه فى حالة الطلاق والعقوبة التى قد تنزل بالمرأة الخائنة ، وعلى وجه العموم يحدد فيها كافة شرائط العقد .

وكان يجب على الرجل قبل تحرير هذا العقد . وتمهيدا له ، أن يتفق مع أهل الزوجة التى يزمع التزوج منها . وتقضى قوانين « نيسابا وحانى (١) Nisaaba & Hani » - المعمول بها فى جزء من سومير على الأقل - قبل قيام الامبراطورية البابلية - أن على من يغتصب فتاة أن يطلب الى أهلها الزواج بها أما اذا اغتصبها بعد أن يكون أهلها قد رفضوا تزويجها منه فإن تصرفه هذا يعتبر جريمة تستوجب الحكم عليه بالاعدام .

وجرت العادة فى عهد حمورابى أن يختار والد الشاب خطيبة ابنه . وعندما يتم بين العائلتين الاتفاق على الزيجة يشرع فى اعداد الخطبة . ومن المظاهر الخارجية لهذا الاحتفال أن ترسل الى بيت والد العروس بعض قطع الأثاث كما يقدم الشاب أو والده « تيرهاتو Tirhatou » موضوعة على صحيفة الى والد العروس . وكان هذا التيرهاتو عبارة عن مبلغ من المال ينزل الى شاقل واحد أحيانا فى عهد الأسرة الأولى ويصل أحيانا الى عشرين شاقلا بل الى نصف مين . وقد ذكرت هدايا الخطبة فى نص من عهد جوديا Goudéa وهى من آثار عهد كان الزواج يعقد فيه عن طريق شراء المرأة : وبعد أن أعاد الايشاكو بناء معبد الالهة باو Baou ضاعف فى المستقبل هدايا الأعراس -- تلك الهدايا التى كان يجب

تجديدها فى كل عيد من اعياد رأس السنة : من أبقار وخراف وحملان
وسلال بلح وزبد وجمار نخيل وتين وفطائر ودواجن وأسماك
وخشب أنل .

وفى عهد أور أخرج من حظيرة معبد أنليل لمناسبة خطبة أحد أمراء
البيت المالك خمس بقرات مسمنة وثلاثون من الخراف وخمسة من
الكباش . كما أن هدية أحد النظار كانت عبارة عن خمسة من الخراف
وثلاث من النعاج وعنزتين (١) .

ولم يكن التيرها تو إجباريا بصفة قاطعة ، فقد كانت هناك أحيانا
خطبة بغير تيرها تو . كما أنه لم يكن يعنى ارتباطا نهائيا وكان يترك
لوالد الفتاة إذا سحب الشاب وعده بالزواج منها . أما إذا كان الوالد
هو الذى عدل عن وعده بتزويج ابنته فانه يرده كاملا . ولم تخل التقاليد
الخاصة بتقديم التيرها تو من إيجاد ظروف تؤدى الى المقاضاة :

فاذا اغتصب رجل فتاة مخطوبة تقيم فى بيت أبيها استوجب عمله
هذا الحكم عليه بالاعدام . ومن ناحية أخرى فانها اذا كانت تقيم مع عائلة
خطيبها ، وكانت لها علاقات غير شريفة بحميها دون أن يكون خطيبها قد
عاشرها فانه يجب عليها أن تسترد حريتها وأن تعود الى بيت أبيها ومعها
— علاوة على مهرها — تعويض قدره نصف مين من الفضة . أما اذا كان
خطيبها قد عاشرها فانه لا يمكنها الادعاء بأنها سليمة النية وعلى ذلك
كان يعاقب المذنبان فكانت الخطيبة تلقى فى الماء .

ويزود الأب ابنته — وفى حالة وفاته يتولى ذلك اخوتها —
بـ « شريقتو » Shériqtou أو بائنة . ويسلم هذا المتاع الى الزوج عند
بدء اقامتها معه ويبقى ملكا للزوجة حتى وفاتها وينتقل لأولادها من بعدها
أو يرد الى بيت أبيها ان لم تكن قد رزقت بعقب . وقد يحدث أن يكون
كل من الزوجين قد استدان قبل الزواج وفى هذه الحالة يختلف موقف
أحدهما القانونى عن موقف الآخر : فالرجل غير ملزم البتة بأن يسدد
الالتزامات السابقة للزوجة بينما نرى الزوجة مضطرة — لكى تصبح فى
مأمن من مداينى زوجها — الى أن تنص فى لوحتها على عدم جواز الحجز
على ممتلكاتها لمصلحتهم . أما فيما يختص بالديون خلال الزيجة فان
الزوجين مسئولان عنها بالتضامن وكثيرا ما يذكر اسماهما معا — ولدينا

مثل من أيام ملوك أور (١) - عند عقد السلفة • كما أن الزوج لا يستطيع أن يتصرف فى الملكية المشاركة دون رضا زوجته •

وكان معروفا أن للمرأة المتزوجة أهلية قضائية معينة فى تستطيع أن تكون شاهدة ، ولقد كانت الحال كذلك منذ عهد ما قبل السرجونية ، إذ نجد امرأة تشهد فى بيع بيت (٢) وكان من حقها أن يكون لها أملاك خاصة وأن تتصرف فيها دون موافقة زوجها كما كانت تباع عبدها ولم يكن القانون يقف فى وجهها الا فى حالة الجارية (الأمة) التى منحتهما لزوجها كمحظية فأنجبت منه أطفالا •

وعندما يكون الزوج غائبا - فى فترات الخدمة العسكرية مثلا - وليس له ابن يكون قد بلغ سن الرشد فإن الزوجة تتولى إدارة شئون ثروته وتستولى شخصيا على ثلث إيراده • وقد حدث فى مناسبة من هذا النوع ان طالبت زوجة برد عبد كان زوجها قد أعطاه بصفة رهن فحكم لها القضاء بما أرادت بعد أن تبين أن الخدمات التى أدبت تعدل تماما قيمة الدين (٣) •

ولقد كان حمورابى يمنح المرأة المتزوجة - « متى كانت تحسن رعاية بيتها وليست موضع لوم » - حق الالتجاء الى القاضى ليمنحها حق استعادة بائنتها وهجر بيت الزوجية والعودة للمعيشة تحت سقف أبيها وذلك ان هى شكت طول غيبة زوجها وإهماله إياها • ولكنها تعرض نفسها فى الوقت نفسه - أن لم تكن خالية من اللوم - الى أن يصدر ضدها حكم يقضى بالقائها فى الماء •

وللزوج على زوجه حقوق معينة فهو يستطيع أن ينزلها الى مرتبة الرق عند الدائن وظل معمولا بهذه العادة الممعة فى القدم حتى عهد الامبراطورية الجديدة فى أيام نابونيد Nabonide • ويحدد قانون حمورابى هذا الرق بفترة أقصاها ثلاث سنوات يجب أن تطلق حرية المرأة بعدها • كما يجوز للزوج أن يبيع زوجته الخائنة عقابا لها وتحت ظروف خاصة لا نستطيع أن نحددها تماما •

ويستطيع الزوج - ان لم يأت الزواج بثمرته الطبيعية : الذرية - ان يسلك أحد سبيلين : اما أن يأخذ زوجة من مرتبة ثانوية أو يطلق زوجته فيرد الترهاتو ويدفع قدرا من المال يبلغ مينة أو ثلث مينة مما

I, t. XIII.

(١)

XXXV, no 31.

(٢)

I — t. XII.

(٣)

يتناسب ومركزه الاجتماعى • ومن الحالات الفردية لوثائق الطلاق التى وصلت الى أيدينا نجد أن هذا القانون قلما طبق لأنه كانت توجد دائما اتفاقات ومن ذلك أن العرف حدد بعد عهد حمورابى ثمن الطلاق بنصف مينة • ومن حق الزوج الذى اعتزم أخذ زوجة من مرتبة ثانوية أن يدخلها بيت الزوجية ولكن لا يجوز له أن يجعلها مساوية لزوجته بل عليه أن يحدد فى اللوحة الموقف الحقيقى وذلك من باب الحيطة وتنفيذا للقانون الذى ينص على بطلان كل زواج لم يحدد الرجل فى الوثيقة الخاصة به واجبات المرأة •

وقد حدث أثناء حكم سن موبالليت Sin-Mouballit والد حمورابى أن قرر رجل أن على زوجته الثانية أن « تغسل قدمى الزوجة الأولى وتحمل لها مقعدها الى معبد الاله مردوك » (١) وعلى أية حال ، فإن لها فى حالة الطلاق كافة الحقوق الشرعية للزوجة •

وسواء أكانت الزوجة والدة أم لم تكن فإنها تستطيع أن تمنح زوجها محظية تختار من بين امائها (جواربها) أو تشتري وكانت هذه المحظية تحرر متى ولدت له طفلا • ولكن سيدتها تظل باستمرار محفظة بحق ردها الى مرتبة الاماء ان هى حاولت منافستها • بل ان لها حق بيعها ان لم تكن قد أصبحت أما • ولم يعد يسمح للزوج الذى منحه زوجته محظية رزق منها بذرية أن يدخل امرأة أخرى فى بيت الزوجية •

وإذا أصيبت الزوجة بمرض مزمن أو بعاهة يمنعانها من أداء واجباتها فإن ذلك ليس من الأمور التى تبيح للزوج تطليقها وقد يستطيع الرجل فى مثل هذه الحالة أن يتزوج شرعيا من امرأة أخرى ولكن يظل للزوجة الأولى حق البقاء فى بيته على أن يضمن لها سبل حياة محترمة. تبعاً لمركزه الاجتماعى • وان هى فضلت الانسحاب فإنه يحق لها أن تعود الى بيت أبيها وأن تأخذ معها بائنتها كاملة غير منقوصة • وقد كان التشريع السوميرى القديم يقضى بأن تلقى فى الماء الزوجة التى ترفض ممارسة واجبات الزوجية • أما حمورابى فقد فرق بين مختلف الحالات : فإذا لم تكن الزوجة على دراية تامة بشئون بيتها فإنه يطبق عليها هذا القانون حرفيا • وبالعكس ان كانت تستطيع أن تثبت أن زوجها هجرها فإنه يسمح لها بأن ترجع الى منزل أبويها وأن تأخذ معها بائنتها • أما ان ساءت سيرة المرأة وأصبحت لا تكثر برعاية شئون بيتها وأهملت أمور زوجها فإنه يستطيع فى هذه الحالة أن يختار بين أمرين : إما أن

يطلقها أمام المحكمة ، وفى هذه الحالة تطرد دون أن تأخذ أى تعويض ،
أو يقرر أمام القاضى أنه لا يرغب فى تطليقها وعندئذ يستطيع استبقاءها
كجارية . ومن حق الزوج فى كلتا الحالتين أن يعقد زيجة جديدة .

ويجوز من جهة أخرى للزوج أن يطلق المرأة سواء أكانت زوجة
شرعية أم محظية ، دون أن تكون قد قارفت اثما وليس من شك أن هذا
تهديد مباشر لمبدأ الزواج من امرأة واحدة . وفى هذه الحالة تنسحب
المرأة ومعها بائنتها ويمنحها القاضى حق الانتفاع ببعض ممتلكات زوجها
كما يحكم بضم أولادها اليها ، وعندما يبلغون سن الرشد تتسلم حصّة
مساوية لحصّة أحد الأولاد وتصبح حرة فى أن تتزوج مرة أخرى . وكان
هناك قانون سوميرى قديم يمنحها نصف مبن من الفضة .

وان زنت المرأة فانه من الممكن أن يحكم عليها بالاعدام ان هي
أمسكت فى حالة تلبس . وكان الشريكان فى الاثم يوثقان معا ويلقى
بهما فى الماء « الا اذا رأى الزوج أن يبقى المرأة على قيد الحياة ورأى الملك
أن يبقى على خادمه » أما فى غير حالة التلبس فان المرأة تستطيع ابراء
(تبرئة) نفسها عن طريق القسم . وأما اذا كان الأمر لا يتعدى حدود
الشائعات عن سوء سيرها وسلوكها فانها تمر بامتحان عسير وبتجربة
قاسية تاركة للنهر - الاله أمر تبرئتها . وانه لمن الواضح أن الأمر يمس
الزنا أكثر مما يمس تعدد الأزواج فيما يتصل بالعقوبات التى كان قد
أصدرها أورو كاجينا من قبل حين قرر : « أن المرأة فيما مضى ، كان يمكن
أن يكون لها رجلان (دون أن ينالها عقاب) أما المرأة اليوم (فى هذه
الحالة) يلقي بها فى ... » .

وقد يحدث أن يؤخذ الزوج أسيرا ، ولا يجوز للمرأة فى هذه الحالة
أن تكون لها علاقة برجل آخر اذا كانت موارد البيت كافية وهى ان فعلت
فانها تعرض نفسها للمحاكمة ولأن يلقي بها فى الماء . أما اذا كان « لا يوجد
شئ يؤكل » فان المرأة تستطيع أن تتزوج من جديد وعليها اذا عاد زوجها
الاول بعد ذلك أن تعود اليه ، تاركة أولاد الفراش الثانى لأبيهم .
أما المرأة المهجورة فغير ملزمة بالعودة الى بيت الزوجية بل عليها - ان
كانت قد تزوجت للمرة الثانية - أن تظل مع زوجها الجديد . وقد
تعرض القانون أيضا لحالة المرأة التى تعرض على قتل زوجها بقصد
الزواج من غيره وقدر لها عقوبة الشنق . ومن حق الرجل أثناء الزواج
أن يقدم لزوجته هبة كى يضمن لها بعد وفاته موارد عيش أوفر مما
كانت تحصل عليه من بائنتها ومن حصتها المساوية لحصّة أحد الاولاد

وهو المقرر لها بمقتضى القانون . وليس لها من هذه الهبة المسماة « نودوننو » Noudounnou أكثر من حق الانتفاع كما أنها لا تستطيع التصرف فيها بالبيع « فهي لأولادها من بعدها » وإذا اختار رجل حر جارية زوجة له أو محظية فإن أمومتها الأولى تحررها . وابنة الرجل الحر التي تتزوج من عبد لا تصبح أمة . وليس فى مقدور سيّد العبد أن يطالب بثمرة هذه الزيجة من أولاد بل - أكثر من ذلك - ترد بائنتها اليها كأمّة عقب وفاة زوجها ان كان أبوها قد أعطّاها بائنة . كما أن لها الحق فى نصف ملك المشاركة الذى اقتنى خلال الحياة الزوجية لمصلحة ذرية الزوج على حين يصبح النصف الثانى ملكا لسيّد العبد .

هكذا حددت الأحوال الشخصية للأزواج بمقتضى قانون حمورابى . وتسمح لنا وثائق من مصادر مختلفة مكتوبة قبل وبعد إصدار هذه التشريعات هى عبارة عن لوحات زواج وطلاق وعقود هبة . . . تسمح لنا هذه الوثائق أن نصل الى تقاليد ترجع الى عهود سابقة تختلف قدما ، وأن نتعرف على التقاليد المستحدثة التى لم يعمل بها فى الواقع وفقا لنصوص القانون .

هذا وتحدد بعض نصوص قانون حمورابى كذلك مركز الأولاد فى العائلة فالولد يولد حرا اذا كانت أمه من طبقة الأحرار ، ومحررا اذا كانت أمه الجارية (الأمة) محظية رجل حر ، وعبدا اذا كان أبواه من طبقة العبيد . أما اذا كان أبوه أو أمه يرتزقان من الدعارة فإن الطفل ينشأ عند من يتبنّاه ولا يمكن استرداده . ويجب أن يجهل الولد نسبه . فاذا عرفه وأراد أن يترك من تولاه طفلا برعايته ، وللحق بأبيه وأمه ، فإن القانون يقضى بأن تقلع عيناه .

شاع التبني - وهدفه الإبقاء على العائلة بإعطاء طفل لمن ليس له أولاد ويئس من أن يرزق بنسل - على نطاق واسع فى بابل رغم وجود مخرج قانونى لفسخ الزيجات غير المثمرة . وقد تجاوزوا هذا الهدف حتى انه حدث مثلا أن والد خمسة أطفال - وهى حالة شاذة على أية حال - تبني طفلا سادسا وكانوا فى الواقع يفرقون فى المعاملة من ناحية التبني بين الطفل الذى لا يمت للعائلة بصلة النسب وبين أطفال المحظية . ومن ذلك أن أطفال المحظية لا يتمتعون بحكم مولدهم بكافة حقوق أطفال الزوجة ، فهم ليسوا أولادا شرعيين ويظلون دائما فى مرتبة أدنى من مرتبة هؤلاء حتى أن هم اكتسبوا شرعية بمقتضى عقد حر يصدره الأب أو الزوجان أو حتى الزوجة وحدها فى بعض المناسبات . ويتم التبني بموجب كتابة عقد أو وثيقة مصدق عليها من طرف واحد . ويحرر العقد بين المتبنى

وبين الذين كانوا قد قاموا بتربية الطفل المتبنى . أما إذا كان الأمر خاصاً بأولاد المحظية أو إذا كان المتبنى قد اكتسب حقوقاً على الطفل بأن تولى - بموافقة ذويه - الانفاق عليه أو تعليمه حرفة فإن التبني يتم بوثيقة يحررها طرف واحد . وإذا لم يكن المتبنى قد رزق أطفالاً بعد فإنه يراعى عند تحرير اللوحة احتمال حدوث ذلك فينص فيها على أن الطفل المتبنى سيعتبر كالأخ الأكبر للأطفال الذين قد يرزقهم . أما إذا كان له أولاد فإنه عندما يحرر الوثيقة الخاصة بشرعية أولاد المحظية يضمها نصياً يحظر على باقى الأولاد المعارضة فى حقوق المتبنى المكتسبة . وقد تعرض القانون لحالة الرجل الذى تولى تربية طفل ثم اعتزم طرده بعد أن أصبحت له عائلة فمنح الولد الذى تنكر له المتبنى لهذا السبب بثلاث نصيب ولد فى ثروة الرجل المنقولة ولكنه أنكر عليه أى حق فى الثروة الثابتة . وكان الطفل المتبنى إذا تنكر للرجل الذى تبناه يوسم على جبهته بعلامة العبودية ويوثق بالأغلال ويباع وتكسر لوحة تبنيه . وإذا كان ابن عاهر أو عاهرة فإن لسانه يقطع .

ويستطيع الرجل الذى اعترف بحقه فى أن يعطى زوجته أو محظيته كجارية الى دائئه أن يتصرف على نفس الوجه فى أولاده ذكورا وإناثا بنفس الظروف ، مهما تكن سنهم ومهما تكن حالتهم : أى أنه يستطيع طبقاً لقانون حمورابى أن يعطيهم كرهن لمدة أقصاها ثلاث سنوات وقد تضاعف حق الرجل فى هذا الشأن على مر الأيام فيما لو سمحنا لأنفسنا أن نحكم على ذلك من المثل الوحيد المعروف من العهد البابلى الجديد (١) : لقد ظل المدعو ايناتسيل بابى رابى Ina-tsil-Bâbi-rabi يعمل عبداً مدى عشر سنوات مقابل دين على أبيه قدره ٤٢ شاقلا من الفضة ، وكان عليه أن ينتظر أمداً طويلاً حتى يسترد حريته لو لم يسعفه موت أبيه بتصفية الدين حين ورثه . كان المذكور خبازاً فاضطر الى الخدمة بصفته رهناً عند الساجيتوم Sagittoum إهاتا Ahata وقدر أجره حسب القانون بستة « قا » من الشعير يومياً أى « جور » واحداً فى الشهر . وحدث أن توفيت السيدة إهاتا بعد أربع سنوات وحل محلها فى وظيفتها بنات ايناتسيل Bânat-ina-Esagil وحول إليها الدين والرهن واستمر « ايناتسيل بابى رابى » يعمل فى خدمتها بنفس الأجر مدة ست سنوات . فلما توفى أهوشونو Ahoushounou والى الشاب فى السنة العاشرة من عبودية ابنه عمل الشاب حسابه وأعطى ٢٠ « جور » من الشعير لسيدته تصفية للدين ، والتجأ فى عام ٥٥٨ الى محكمة أوروك

مطابقا بتحريره فصفى القضاة الحساب على أساس أن الدين الأصلى وقدره ٤٢ شاقلا من القضة قد بلغ بالفوائد البسيطة محسوبة على أساس ٢٠٪ - وهو السعر القانونى للفائدة - ثلاثة أضعاف قيمته الأصلية فى مدى عشر سنوات فبلغ مئين وستة شواقل ، وأن الخدمات التى أدت محسوبة على أساس ستة « قا » من الشعير يوميا والعشرين « جور » التى أعطاهما تساوى ١٤٠ « جور » من الشعير وهى قيمة مساوية لمئين وستة شواقل . ولما تبينوا ذلك أمروا بكتابة لوحة ختمت باختتامهم تقضى بإلغاء الدين وتحرير الرهن (أى العبد) .

وينظم حمورابى عملية تقسيم التركة عند وفاة الأقارب وإعادة الأملاك التى تركها المتوفى الذى لم يرزق أولادا أو لم يكن فى استطاعته تحديده وريث قانونى وكان لرب العائلة فى هذا العصر - وفقا لما ورد فى صحوك شخصية - حق التصرف أثناء حياته فى جزء من أمواله لمصلحة أجنبى كهبة بصفة نهائية . وكان يكفى فى ذلك أن يحرر عقدا رسميا بنقل الملكية أمام شهود فتصبح الهبة المعطاة بهذه الطريقة غير قابلة للطعن أمام المحاكم . وقد رفضت جميع المعارضات التى قدمها الأولاد فى هذا الاجراء . وكان يوضع دائما نص فى العقد يسقط ما قد يثار من معارضة مستقبلية وكثيرا ما عنى أبوهم بأن يحضرهم بصفة شهود أثناء تحرير العقد . وكان من حق الزوجة أيضا أن تتقبل « نودونو » Noudounnou من زوجها طبقا لما جاء فى احدى اللوحات . ولكن هذا التبرع كان يحرمها من أى نصيب فى الميراث . وهكذا كانت الحال بالنسبة لكل ولد - كان والده قد نقل اليه وهو لا يزال على قيد الحياة - ملكية جزء من أمواله . كما كان الأمر كذلك بالنسبة لبناته المتزوجات أو الكاهنات أو النساء العموميات اللواتى كان قد أعطاهن بائنة .

وهكذا فإن الولد الذى كان يرغب فى تكوين أسرة مستقلة عن عائلة أبيه يستطيع طبقا للقوانين السوميرية فى نيسابا وهالى أن يحصل على نصيبه على ألا يكون له بعد ذلك أى حق فى الميراث .

وعند وفاة رب العائلة كان يوضع جانبا « تيرهاتو » للذكور الأطفال ثم تقسم الثروة المكونة من البيت والأرض والمزروعات والعبيد والأثاث والحيوانات طبقا للمواعيد التالية : حصة واحدة للأُم وذلك ما لم تكن قد منحت « نودونو » ، وحصة لكل من الأولاد الذكور وحق الانتفاع من

حصّة لكل بنت لم تعط « شرقتو » على أن تبقى الرقبة (١) لاختوتها .
 وحق الانتفاع أيضا على حصّة للبنت التى وهبت للخدمة عند الإله .
 وملكية ثلث حصّة للبنت التى انتظمت فى خدمة الإله مردوك فى بابل .
 وكانت تحجز بائنة تقدر حسب ثروة العائلة لمصلحة بنت المحظية التى
 لم تتزوج بعد . أما فيما يختص بأولاد المحظية الذكور فإنه لا يحق
 لهم - رغم تحريرهم وعدم إمكان مطالبتهم بأن يكونوا عبيدا - أن يكون
 لهم نصيب فى التركة متى كان الأب لم يعطهم وهو على قيد الحياة لوحة
 تبين . أما إذا كان الأب قد رأى أن يدخلوا فى عداد الورثة ففي هذه الحالة
 يعطون حصصا ولكن من حق أولاد الزوجة اختيار أنصيبتهم .

وإذا كان رب العائلة تزوج مرثين فإن حقوق أولاد الفرائشين
 (الزوجتين) فى تركة الأب متساوية . وعلى أولاد الابن الذى مات قبل
 والده أن يقتسموا فيما بينهم النصيب الذى سيؤول الى والدهم وإذا كان
 ليس للابن أولاد فإن الميراث يؤول الى أخوته ، وفى حالة عدم وجود أخوة
 الى عمومته . ولم يكن حق التبرع على وجه يمس أنصبة الأولاد أمرا
 مشروعا قبل زمن حمورابى فحسب بل كان يمكن كذلك حرمانهم من
 الميراث حرمانا كاملا . وينص أحد قوانين نيسابا وهالى « اذا قال أب أو
 أم لأحد أولادهم « انك لم تعد ابنا لنا » فعليه أن يخرج من المدينة »
 وظلت الحال كذلك فى عهد سنمو باليت Sin-mouhallit ولكن عند
 صدور القانون الجديد أصبح الأمر يتطلب الالتجاء الى القضاء ووجوب
 اثبات جريمة ارتكبتها الوالد تكفى خطورتها لحرمانه من حقوقه .

ويطبق نفس النظام الخاص بتركة الزوج على تركة المرأة المتزوجة
 وهو الإبقاء على الثروة فى العائلة فهى اذا لم يكن لها أولاد لا تستطيع
 التصرف فى ممتلكاتها التى تؤول عند وفاتها الى بيت أبيها فيما عدا قيمة
 التبرعات التى دفعها زوجها وقت الخطبة والتى يعيدها اليه حموه أو
 يخصمها الزوج بنفسه من البائنة وإذا تزلزلت الأم وكانت قد منحت
 « نودونو » أو نصيب ولد فانها تظل فى بيت زوجها وتتمتع بممتلكاته
 ولكنها لا تستطيع بيعها مقابل فضة . وهذه الممتلكات حق لأولادها من
 بعدها أما اذا كانت على خلاف مع أولادها فانها تستصدر من القاضى
 تصريحاً بالانسحاب تاركة ما آل اليها عن زوجها وأخذة معها بائنتها

(١) الرقبة : لفظة فقهية تعنى جميع خصائص حق الملكية التى يحرزها صاحب عين
 لغيره حق المنفعة أو الاستعمال أو السكنى .

(راجع - خليل شيبوب : المعجم القانونى (١٩٤٩) ، ص ٥٢٥) - (المترجم) .

فقط ، وبعد وفاتها تقسم تركتها بين أولادها حصصا متساوية ويحصل كل منهم على نصيبه ما لم يكن قد حصل من قبل على تبرع خاص . وإذا كانت المرأة قد تزوجت مرتين فإن الزوج الثاني يستبعد ثم تقسم التركة بين أولاد الزوجتين (الغراشين) حصصا متساوية .

وكانت التركة تقسم بالطريق الودى أو عن طريق المحاكم . كما كان من المستحسن أن تحرر لكل من المتقاسمين لوحة يستطيع أن يثبت بها ملكية نصيبه ، ولدينا من أمثلة ذلك اللوحات الثلاث المحررة لثلاثة أخوة فى السنة الثالثة عشرة من حكم سنمو باليت .

وإذا كان المتوفى من ذوى المراكز المرموقة فإن الأمر كان يستدعى أن يثبت أن الأملاك التى تركها خالية من كافة الموانع وهو نص ضرورى فى حالة سبق حصوله من الملك على أملاك لا تنقل ملكيتها الى العائلة كاملاك ال « ايلكو » التى كانت تخصص لرجال الجيش .

ولقد وجدت فى لوحات العصر البابلي الجديد لوحة واحدة خاصة بزواج حدث عن طريق الشراء . وفى السنة الثالثة عشرة من حكم نابو خودونوسور الثانى تحدث داجيل ايلي Dāgil-ili إلى حما Hama ابنة نرجال ادين Nergal-iddin قائلا « أعطنى أختك لاتوباشيني لتصبح زوجة لى » وتمت الصفقة وسلم داجيل ايلي الى حما فى مقابل أختها مينا ونصف مينا من الفضة وعيدا اشتراه بنصف مينا ، ونص كذلك على أنه إذا اتخذ الزوج زوجة أخرى ، فإنه ملزم بدفع نصف مينا كتمن للطلاق (١) . ويظهر أن هذا الحادث أثر من التراث الأشورى وليس دليلا على وجود عادة الزواج عن طريق الشراء عند البابليين لأن المرأة كانت تحصل من أبيها على بائنة حتى فى عهود الملوك الأكمينيين ، وهاك مثلا من عهد الملك دارا عن زواج ، كان الزوجان فيه من دم أجنبى فإنه فى السنة الحادية عشرة من عهد الأمير المذكور طلب باتمو أوستنو Patmou-coustou يد أخته تاهيما أوشاكتوم Tahima-oushaktou من سامان نابير Saman-napir فحصلت الفتاة لبيتها على سرير أكادى وبعض المقاعد ودست من النحاس وعدة أشياء أخرى ، وفى عهد نابو خودونوسور الثانى (٢) وهبت السيدة سيليم عشتار Silim-ishtar جميع أموالها الى ابنتها شانا شيشو Shanashishou وذكرت فى العقد كيف أنها كانت قد سبقت فرتيت بمناسبة زواج ابنتها بائنة ، وسردت تفاصيلها على الوجه التالى : خمسة مينات من الفضة وعبدان وبعض الأثاث وسميت

هذه البائنة « نودونو » وهو اسم كان يطلق في عصر حمورابي على الهبة التي يمنحها الزوج الى زوجته ، كما أن الـ « شريقتو » أصبح الآن ما يعطيه الزوج كهبة . وهذا التعديل في المعنى بين الاصطلاحين المتداولين في اللغة البابلية جدير بأن يسترعى الانتباه . فان النودونو كان يتضمن أموالا منقولة وأموالا ثابتة منها الأراضي والفضة والعبيد والأدوات المختلفة (١) وكثيرا ما كان الحموي يؤجل تسليمه لصهره مما كان يؤدي الى نزاع قضائي . وقد صدر قانون (٢) في القرن السابع يلزمه بأن يسلم ما وعد به بما يتفق وموارده : « لا يجب أن يقوم نزاع بين (الحموي) وصهره » وكانت خير وسيلة لوضع الأمور في نصابها أن يحدد بائنة ب موجب عقد ويحدد رهن لضمان سنداده . وهكذا فعل Aplâ بن « بعل أمي ادين Bêl-ahê-iddin » في السنة الحادية عشرة من عهد نبوخذنصر (٣) : « ان باقى نودونو حما Hama ابنة أبلا زوجة بلاتسو Balatsou عبارة عن أربع مينات من الفضة لها أن تتسلمها من أبيها أبلا . وجميع أمواله الكائنة بالمدينة والأرياف مهما يكن مقدارها تعتبر رهنا لـ « حما » ولا يمكن أن يغطى حق التصرف فيها أى دائن الى أن تحصل حما على أربع مينات من الفضة وهي باقى النودونو المستحق لها » .

وقد ظل القانون الخاص بإعادة أموال الزوجة - التي توفيت دون أن تنجب - الى عائلتها . . . ظل دون تعديل منذ حمورابي وكانت الأرملة التي لم تأت بذرية ، تسترد بائنتها وتأخذ معها كل ما خصها به زوجها كتابة وإذا كانت قد تزوجت بغير بائنة ولم يعطها زوجها شيئا فانها تلجأ الى المحكمة ويقدر القاضى ثروة المتوفى ويحدد للمرأة جزءا من الثروة . وللزوجة المتزوجة أن تتصرف شخصيا في أموالها سواء اشترك زوجها أو لم يشترك فقد تزوجت « ايننا ايساجيل بانانا Ina-Esagil-banâta » من « أوبالليستو جولا Oubailistou-goula » في العام السادس من حكم نابونيد وأعطيته بائنة هي مين من الفضة وبعض الأثاث وثلاثة من العبيد ، وبعد خمس سنوات أقرضت « ايتي بعل أبنو Itti-bêl-abnou » وهو عبد من عبيد حميها قرضا قدره عشرون شاقلا . وقد كان زوجها بنفسه كاتب العقد .

ويظهر أن حوادث الطلاق كانت كثيرة ومرجعها الوحيد مزاج الزوج وعلى الأقل فإن لوحات الزواج كثيرا ما كانت تتوقعه فتحدد ثمنه . من ذلك مثلا أن « شماش نادين شوم Shamash-nâdin-shoum » رغب في

CIX Nos 19, 24, 92, 99, 100, 121.

XCV, p. 72.

CXIV, NBK. 91.

(١)

(٢)

(٣)

السنة الرابعة من حكم كيروش أن يتزوج من نادا Nâdâ ابنة نابو زقيب Nabou-zagib . وحين تم الاتفاق على ذلك تعهد بتنفيذ ما يلي مصحوبا بالقسم : « فى اليوم الذى يقدم فيه شماش نادين شوم ، على تطبيق نادا ويتزوج من امرأة أخرى يدفع الى نوبوزقيب ستة مينات » . وتوجد فى وثائق أخرى نصوص ترمى فى هذه الأحوال الى تحديد معاش للزوجة والأولاد . ويظهر أن تحرير مثل هذا العقد كان يستلزم حضور شانجو Shangou (مدير المعبد) حتى يعتبر صحيحا .

وعندما لا يكون للزوجة ولد ذكر وانما ابنة فمن حقها أن تتصرف فى ملكية أموالها لمصلحة هذه الفتاة . وهذا ما فعلته السيدة « سبليم عشتار » فى العام الخامس والثلاثين من حكم نبوخودونوسور الثانى فقد احتفظت بحق الانتفاع على أموالها وحددت الموقف فى وضوح تام : ومنذئذ ان أصبحت لا تستطيع التصرف فى الرقبة وتحويلها الى شخص آخر وعند وفاتها تكون كل أموالها ملكا لابنتها « جولا قاعيشات Goula-qa'ishat » ولكن يحتفظ واحد يقضى بأنه ليس من حق هذه الأخيرة التصرف فى هذه الأموال دون موافقة زوجها .

ويقتضى كذلك تحرير أو تبني عبد اشترك الشانجو : ففي السنة التاسعة من حكم كيروش أعلنت السيدة هبتا Hibta سيدة العبد بازوزو Bazouzou أمام شانجو سيباز أنها اعترفت الاعتراف بهذا العبد ولدا لها بشرط أن يورد لها - وفقا لنصوص اللوحة - ما يكفل معيشتها وما تتطلبه من طعام ودهون وكساء ، وقد حدد مدير المعبد بنفسه كميات المأكولات اليومية والتوابل والأقمشة وباقي الأتاوات التى يكون مجموعها الالتزامات المقررة على المتبنى .

ولم يكن القانون يسمح بأن يتزوج الرجل أكثر من امرأة فى وقت واحد لأنه لا يستطيع أن يعدل بينهما فان تزوج اثنتين - حتى ولو كانتا أختين - فان احدهما تكون فى مرتبة تقل عن مرتبة الثانية . وقد راعى القانون كذلك احتمال زواج ثان لامرأة وقع زوجها الأول أسيرا فى يد العدو .

وقد ظل حق الزوجة الأم التى ترغب بعد ترميلها فى البقاء فى بيت زوجها محفوظا لها فى عهد الملوك الأكيمينين كما كانت الحال فى عهد الأسرة الأولى - من ذلك أنه حدث فى عهد قمبيز أن أقسمت « أوموتابات Oummou-tabat » أرملة شاماش أوباليت Shamash-ouballit أمام بعل أوباليت Bêl-ouballit كاهن سيباز أنها لا تريد أن تتزوج

من جديد وأنها ترغب في أن تعيش مع أولادها الثلاثة وتتولى تربيتهم حتى بلوغهم سن الرشد (١) . أما الأرملة التي كانت تفضل أن تنسحب من بيت أولادها وأن تتزوج مرة ثانية فإنها تأخذ معها بائنتها وكل ما أعطاها إياه زوجها كتابة وعند وفاتها تقسم هذه البائنة حصصا متساوية بين أولادها . وهذه البنود (الشروط) هي نفس النصوص الواردة في المادة ١٧٣ من قانون حمورابي . ويحدد القانون كذلك بدقة مركز البنات ولكننا نجهل ماهية هذه الظروف . وكذلك يحدد تركة الأب الذي تزوج مرتين ورزق أولادا من الفرائشين فقد نص حمورابي في المادة ١٦٧ من القانون على أن الأولاد لا يأخذون أنصبتهم تبعا لأمهاتهم بل يؤول الى كل منهم نصيب مساو في الأموال المنقولة لبيت أبيهم . ولكن الحال لم تعد كذلك في القرن السابع فقد أصبح لأولاد الزوجة الأولى الحق في ثلثي ثروة الوالد المنقولة جميعا على حين أصبح نصيب أولاد الزوجة الثانية مقصورا على الثلث فقط .

والقانون الذي نظم بدقة أحوال البنات اللائي يتزوجن لم يهمل أحوال البنات اللواتي ظلن بغير زواج : العذارى اللائي كرسن للآلهة أو العاهرات ، وقد كانت لهاته النساء في عهد حمورابي حقوق شرعية في أموال آبائهن ، ويستطيع الأب أن يمنح ابنته بائنة اما بنقل ملكيتها إليها أو بالاكتفاء باعطائها حق الانتفاع ، وهي في الحالة الأولى تستطيع أن تتصرف في هذه الأموال « وفق هواها » دون أن يكون لاختوتها حق محاسبتها على تصرفها ، أما في الحالة الثانية فإن الاخوة يتولون عند وفاة الوالد ادارة الأموال الشابتة ويوردون لها الريع من شعير وزيت وصوف بقدر نصيبها ، وإذا حدث ما يدعو الى الشكوى من ادارتهم فإنها تختار مستأجرا ولكنها لا تستطيع أن تتصرف في الملكية لأن الرقعة لاختوتها ، وإذا لم يقدم الأب بائنة لابنته العذراء التي ترهبت أو لابنته العاهر فإن الواحدة منهما ترث الانتفاع في حصة ولد على حين لا تحصل خادمة العبد (كادشيتو) Kadishtou أو العذراء (زيرماشيتو) Zér-mashitou في نفس الموقف على أكثر من حق الانتفاع في ثلث حصة . وقد حصلت كاهنة مردوك في بابل على ثلث حصة ولكنها متمتعة بحق الملكية المطلق على هذه الحصة : ومع ذلك فإنها محرومة من حق الاشراف شخصيا على أراضيها رغم أنه من حقها أن تتصرف في ملكيتها أو أن توصي بها الى من تشاء .

CXIV. Nbn ; 243, 498, Cyr 183 : NBK 283., Cyr. 339 ; (١)
Camb. 113, 273.

وكانت الكاهنات والعذارى اللائى كرسن الى المعبودات يستطعن أن يتزوجن شرعا ولكن لم يكن فى المستطاع لهن دائما التخلص من نذرهن ، واننا لنراهن كطرف متعاقد فى كثير من عقود مدينة سيبار حيث كان قد أنشئ محفل كبير فى ظل معبد شاماش • كما أنه كثيرا ما عقدت فيما بينهم اتفاقات : مثال ذلك : حدث فى عهد حمورابى (١) أن اشترت الكاهنة « ريباتوم Ribatoum » « سار » من أرض مبنية كانت مملوكة للكاهنة ايا انيل رشيتيم Aïa-inil-rishêtim بثمن قدره ثلث مينا من الفضة •

وقد ظهرت العاهرات فى سومر منذ أبعد العهود • ونحن نعرف أن تلك التى أنقذت « انكىدو Enkidou » الشخصية الأسطورية من حياة الهمجية التى كان يحياها كانت احدى فتيات الهوى •

ولقد اتخذت عبادة الفاجرة عشتار المكانة الأولى فى مدينة أوروك التى كانت مكرسة فيما مضى للاله الأعظم أنو Anou وكان يوجد بها ثلاثة أنواع من العاهرات المقدسات : الكزريت Kizrête والسانهات Sanhate والحريمات Harimate « اللائى من أجلهن أبقيت عشتار على الرجل وسلمته الى أيديهن » وكان يقال عنهن :

« لا تتزوج من حريماتو لا يخصى عدد أزواجها

لأنها فى مصابك لن تسندك

وستفتري عليك فى قضيتك

ليس الاحترام أو الخضوع من خصائصها

انها ولا شك تقوض البيت - أخرجها منه

تلك المرأة التى تطيل النظر فى أثر كل رجل غريب

إن كل بيت تدخله ينهار ولا يقلح من يتزوجها •

ولم يكن يسمح فى عهد الأسرة الأولى للعاهرات أو المختشين من رواد القصر بتنشئة أولادهم بل كان يعهد بهم الى من يتبناهم فإذا حاول أحدهم البحث عن أبويه الحقيقيين وأراد أن يعيش معهما فإن القاضى يحكم عليه بالموت • وفى الألف الأولى كانت ترى فى بابل - حسب ما جاء فى كتاب باروخ Baruch (٢) - « نساء متمنطقات بحبال جالسات فى الطرقات يحرقن نوى الزيتون لآلهتهن وكانت الواحدة منهن عندما يقع عليها

الاختيار تنال باللوم جارتها التي لم ينلها التوفيق » • ويزعم هيرودوت واسترابون انه كان على كل امرأة أن تفرط في نفسها مرة الى رجل غريب عنها ••• كان الرجال يملكون النساء ويلقون بقطعة من العملة أية كانت قيمتها في حجر المرأة التي يقع الاختيار عليها ولم يكن ليجوز لها أن تمتنع بل كان عليها أن تتبعه •••

• ومهما تبد هذه العادة وحششية في نظرنا - وقد أصبحت من مقتضيات العبادة - فانه كان لها في بادئ الأمر على الأقل هدف أسمي من مجرد ارضاء شهوة جنسية : انها كانت توضيحات حقيقية تقدم بها المرأة الى الآلهة أولى ثمار جسدها بأن تستسلم الى رجل غريب قبل أن تعطى نفسها لزوجها • وهذه التوضيحية شأنها شأن أية توضيحية من نوع آخر قد تكون أليمة ومع ذلك فان الرضى بها كان محتوما ••• « ولكن » - كما يضيف هيرودوت - « عندما تؤدي المرأة واجبتها نحو الآلهة لا يصبح من الميسور اغراضها بأى مبلغ يعرض عليها » (١)

وتكشف لنا عقود من عهد نبوخذونوسور الثاني (٢) أن ذرية اجيبى Egibi أشد أثرياء البابليين كانوا يربحون من دعارة جواريمهم وهكذا اشترك نابوأمى ادين Nabou-ahê-iddin مع المدعو كالبيا Kalbâ وسلم اليه خادماؤه على أن يكون نصيبه من الكسب ثلاثة أرباعه •

ولقد كان هدف المشرع البابلي في جميع العهود حين يضع القواعد الخاصة بالمواريث وتقسيم الأموال حفظ كيان الأسرة : وقد حددت حقوق الفرد على وجه يضمن الإبقاء على الرابطة العائلية أطول مدة ممكنة • ومع ذلك لم تكن هناك القسمة عائلية • الا أننا نجد حوالى القرن السابع في الوثائق الخاصة اسم أحد الأسلاف ينتسب اليه جميع أفراد ذريته : اجيبى Egibi وموراشو Mourashou • وكان الواحد من طبقة الأحرار يعرف قبل هذا العصر باسمه واسم أبيه « فلان بن فلان » أما العبيد فكانوا يعرفون باسم واحد فقط « فلان » • وكانت هذه الأسماء عند قدماء السوميريين وكذلك عند الأكاديين صيغا ورعة تمجد المعبود أو تضع صاحبها تحت حمايته • ونجد في العهد قبل السرجوني أسماء أورنيينا Our-Nina أى « خادم الآلهة نينا » وننشوبور Amamou أى « الآلهة ننشوبور أمى » وسيب لاجاش Sib-lagash-kiag أى « أن راعى لاجاش مخلص » • وفي العصر السامى

LXVII B., p. 250.

(١)

CXIV NBK, 409, 679.

(٢)

من عصر أجادة نستطيع أن نذكر نارام سن « المحبوب من سن » وفي عهد
الامبراطورية الجسديدة نبوخودونوسر أي « نابو احم الكودورو »
Koudourrcu • ولدينا من عهد نابونيد (١) دليل على الطريقة التي
كانت تتبع أحيانا في تسمية الطفل حيث نجد أنه بناء على شهادة المدعو
راموا Rmboua التي أمن عليها نادين شوم Nadin-shoum
أطلقت المرأة الجارية لوباللات Louballat اسم تدانو Taddanou
على الطفل الذي أتت به الى العالم ، ومع ذلك فقد كان هناك أطفال بلغوا
من العمر ثلاثة شهور أو أربعة لم تطلق عليهم أسماء بعد • كما أن بعض
الأشخاص في نفس العصر قد غيروا أسماءهم خلال حياتهم • من ذلك
أن الملك بعد أن رفع ابنته الى مرتبة كبيرة كاهنات معبد نانا Nanna
في أور منحها اسما جديدا هو : بعل شالتي نانا Bêl-shalti-Nana .

ولقد فرض الملوك البابليون والأكمينيون أسماء جديدة على الأجانب
الذين يعينون في خدمتهم • ولقد أدخل السلوقيون استعمال الاسماء
اليونانية التي انتشرت في المجتمع الراقى دون أن يؤدي ذلك الى أن
تتوارى الأسماء البابلية كلية على أية حال (٢) ، ويظهر أن هذه التغييرات لم
تكن بدعة : لأنه حدث خلال الأسرة الأولى أثناء حكم ملوك أور بل في العهد
السابق للسرغونية (٣) أن رجالا بالغين حملوا أسماء مركبة تركيبا مزجيا
من اسم الملك الحاكم مما كان يؤدي في حالة قصر مدة حكم الملك الى ابدال
الاسم باسم آخر • بل وأكثر من ذلك نرى خلال حكم لوجالاندا أن موظفا
كبيرا يحمل اسم نينا أما لوجالاندا Ninā-ama-lougalanda أي « الالهة
نينا هي أم لوجالاندا » • وهو اسم كان قد أطلق في السنة السابقة على
تمثال للأمير •

CXIV Nbn. 343.

It. IX, p. 152.

XXII, p. 15 et suiv.

(١)

(٢)

(٣)

الفصل الثانى

التشريع

ان أهم اكتشاف يتصل بالتشريع البابلى هو العثور على « قانون حمورابى » ٠٠٠ ويطلق هذا الاسم على كتبه من الديوريت ارتفاعها ٢٢٥ مترا ومحيطها ١٩٠ مترا عند القاعدة ٠ وقد عثر عليها مكسورة الى ثلاث قطع بين خرائب سوسة فى ديسمبر ١٩٠١ ويناير ١٩٠٢ ٠ ويزينها نقش بارز (١) يمثل اله الشمس شماس ٠ رب الحق يجل على الأمير البابلى « مراسيم العدالة » التى نقشت نصوصها على محيط الكتلة الحجرية ٠ وفى الحالة الراهنة للأثر الذى أقيم فيما بين العام الأربعين والعام الثالث والأربعين من حكم حمورابى (حوالى ٢٠٨٣ ق م) نستطيع أن نطالع مائتين وخمسين مادة من القانون فى ستة وأربعين عمودا تتضمن على وجه التقريب ٣٦٠٠ سطر من النصوص ٠ وقد محيت فى العصور القديمة خمسة أعمدة أخرى على الواجهة وأغلب الظن أن ذلك تم بناء على أمر الملك العيلامى شوتروك ناهوتتى الذى ربما كان يهدف الى أن ينقش شىء باسمه هناك كما يحدث بالنسبة للأسلاب الأخرى فى الحروب ٠ ولكن هذه الفجوة تعرضها بعض الأجزاء من نسخ قديمة محفورة على لوحات الطين وهى من الآثار الأشورية للعصر السرجونى أو تسد فراغها بعض المواد المتصلة بالقرص ذى الفائدة وعقود التوكيلات التى عثر عليها فى خرائب نيبور ٠

وهو ليس قانونا بالمعنى الذى اعتدنا أن نسبغه على الكلمة أى مجموعة من القوانين التى تتضمن نظاما كاملا للتشريع ٠٠٠ وانما هو مجموعة من القرارات الملكية ، ومن الدساتير الخاصة بهذه موضوعات يستحسن أن تقارن بالعقود المحررة فى نفس العصر حتى نستطيع الوصول الى فكرة أكثر دقة عن الفقه الجارى إذ ذاك ٠

ويمكننا أن نلاحظ أن هناك ترتيبا معينا فى تتابع مواد القانون :

الطلسمة « السحر » والرقى « السحر الأسود » (١ - ٢)

(١) قارن شكل (٦) صفحة ٤٦ ٠

- إهانة الشهود وحملهم على تزوير شهادتهم (٣ - ٤)
- إبطال الأحكام بواسطة من يصدها (٥)
- مختلف أنواع السرقة (٦ - ٢٥)
- أحوال والتزامات الموظفين (٢٦ - ٤١)
- الزراعة (٤٢ - ٦٥)
- ثم - بعد الفجوة -
- القروض بفائدة (أ - ح) ثم عقود التوكيل (١٠٠ - ١٠٧)
- الحانات « بيع المشروبات » (١٠٨ - ١١١)
- الديون واجراءات المقاضاة الخاصة بها (١١٢ - ١٢١)
- عقود الايداع (١٢٢ - ١٢٧)
- الأسرة (١٢٨ - ١٩١)
- الضرب والجروح (١٩٢ - ٢٣٤)
- الأطباء والمعماريون والبحارة (٢١٥ - ٢٤٠)
- الحيوانات والعبيد والأموال الزراعية (٢٤١ - ٢٥٢)

ولم يكن قانون حمورابي أقدم تشريع ظهر في سهل الفرات ؛ وهو - ان كان قد أصدر قوانين جديدة - فانما كان في أغلب الأمر ينادى بأمور كانت اجبارية منذ أمد طويل .

ألم يشر « أوروكاجينا » الى النظم الجديدة التي وافقت عليها سلطته الملكية حين فآخر هذا الملك المصلح القديم بأنه منع الاستغلال والاساءة الى الغير في مدينته « لاجاش » وأنقذ رعاياه من اللصوصية والقتل ومزأ ايذاء القوى للضعيف ؟ ولقد جعل أورانجور « العدالة تسود » . وفي عهد سومولا ايلو الأمير الثاني للأسرة البابلية الأولى طبق « قانون الملك » .

وعلى ذلك فقد كانت هناك أحكام قانونية في بعض المسائل ، أما حين لم يكن هناك شيء من ذلك فإن العدالة كانت تطبق وفقاً للعرف المحلي . ولقد كان الأمر كذلك في حالة ترمل من عهد حكم حمورابي نفسه فإن قضاة بابل أصدروا حكمهم بأن « قانون أهالي (سكان) سيببار هو الذي سيسرى على المتخاصمين » .

ومع أنه لامرية في أنه كان يوجد مشرعون منذ العصر قبل السرجوني الا أننا لا نعرف أسماءهم أو مدنهم وان كنا نعرف جانباً من

الانتاج السوميرى (الاجراءات السوميرية) عن طريق مجاميع متأخرة :
 ففي مجموعة انا ايتشو Ana-ittishou يمكننا أن نقرأ مواد قانونية
 نستطيع أن نرسم تطبيقها فى عقود وأحكام قضائية قبل عهد حمورابى :
 فاذا قال ابن لآبيه « لست بأبى » فلأخير أن يسمه ويقيده ويبيعه وان
 قالت زوجة لزوجها « لست بزوجى » فانه يلقي بها الى النهر واكثر
 من ذلك نرى أن ما نشر أخيرا من أجزاء وقطع غير مؤرخة للقوانين
 السوميرية يشجعنا على الأمل فى العثور على مستندات أكثر كمالا
 وبعض هذه القطع من نيبور (١) والبعض الآخر من مصدر مجهول وتكون
 جانبا من المجموعة المعروفة بـ « قوانين (الالهة) نيسابا و (الاله)
 حانى » (٢) .

أما فيما يخص التشريع اللاحق لعصر حمورابى فاننا نعرف القليل
 كذلك . فهناك جانب من نص فى المتحف البريطانى يحوى إما أحكاما
 قضائية أو مقتطفات من قانون . ويمكن مقارنة المواد المختلفة بحالات
 عديدة لنظائر لها عثر عليها فى لوحات من العهد البابلى الجديد .

وفى العهد ما قبل السرجونى نجد فى لاجاش ذكرا لقاض يدعى
 أورائنى Our-enin ولقد كان جيميل ايليشو Gimil-ilishou
 فى عهد « نارام سن » قاضيا كذلك وهو الذى حفر على خاتمه الاسطوانى
 مشهدين للصراع بين البطل جلجامش والأسد والثور . ولقد كان القضاة
 كثيرين فى عهد أور فهناك بطاقة على سلة لوحات تذكر أربعة منهم فى العام
 الأول لـ « جيميل سن » Gimil-sin وكانوا يعقدون جلساتهم فى
 الواقع فى مكان خاص وكان عددهم يبلغ الأربعة أحيانا وأحيانا أخرى
 ثلاثة وطورا اثنين وتارة واحدا بمفرده وقد أصدر الحكم يوما فى مطالبة
 خاصة ببقرة أحد القضاة وعمدة المدينة . ولدينا حكم آخر أصدره الوزير
 الأعظم الذى كان المدعى قد رفع دعواه أمامه . ولكن الوزير الأعظم هذا واسمه
 أراد نانار Arad-nannar كان فى نفس الوقت ايشاكو لاجاش وربما
 كان يمارس عمله فى المحكمة بوصفه هذا لأن أحكاما كثيرة لا نجد ذكرا
 فيها لقاض بل نجد اسم الايشاكو الذى اعتاد على أية حال أن يتدخل
 شخصيا لابطال الأحكام . وكان يوجد فى نفس العصر « مكان حلف اليمين
 باسم الملك » (٣) حيث يطلب الى المدعى والمدعى عليه والشهود أن يحلفوا
 اليمين على صحة ما يقدمون من اقرارات .

I. t. VXII, p. 35.

(١)

XXVIII. t. I, No 28.

(٢)

XIX Nos. 810, 733, 748, 832. 920, 746, 932, 744; 963; 928;
 1010, 960.

(٣)

وفى الأسرة الأولى كانت المحاكم الابتدائية تصدر الأحكام وكان الاستئناف ضد أحكامها يرفع الى الملك ولكنه كان مبرحما على القاضى - لآى سبب من الأسباب - أن يغير حكما أصدره وكانت عقوبته العزل ان هو أقدم على ذلك . ويقرر حمورابى « ان حكم قاض فى قضية وأصدر حكما وحرر لوحة ثم ألغى هذا الحكم فانه يحاكم على إلغاء الحكم الذى نطق به وعليه ان يدفع ١٢ ضسعا لما سبق أن حكم به ثم يطرد من منصبه القضائى ولا يعود اليه مرة أخرى بل ولا يجلس فيما بعد مع قاض فى أية قضية » .

وكانت العدالة الملكية تظل الامبراطورية جميعا وكان المتخاصمون يدعون شخصا للحضور الى بابل للمرافعة فى قضاياهم وأحيانا أخرى كانت تخول سلطة البت الى مندوب يفض النزاع محليا . وكانت المحاكم الابتدائية على نوعين : كهنوتية ومدنية ويظهر أن كل معبد كان من حقه ان يصبح مكانا لتقرير العدالة وكان فى استطاعة كهنته أن يصادروا الأحكام . وكان الكهنة والكاهنات - تبعاً للقضايا - يجلسون عند بوابة المكان المقدس أو فى قاعة خاصة . وكان عددهم يباغ الستة أحيانا فى القضية الواحدة ولم يكن القضاة الجالسون فى المحاكم المدنية بأقل من ذلك عددا . وكانوا غالبا - ان لم يكن دائما - رجالا محترفين ذلك لأنهم كانوا يحملون لقب « قاض » حتى وهم خارج دائرة أعمالهم - مثال ذلك أنهم كانوا كذلك حين يكونون مجرد شهود عاديين عند تحرير عقد .

وكان المتبع أن تدون الأحكام القضائية وكان العقد يحرره كاتب فى صيغة دقيقة مختصرة تسير على نمط واحد فى المدينة الواحدة وان اختلفت فى مدينة عنها فى أخرى . وكانت تذكر بها العناصر الخاصة لكل قضية وكذا قائمة بالشهود كما يضيف اسمه عادة . وكان يذكر التاريخ كذلك وكانت الوثيقة تصبح رسمية بمجرد وضع الأختام . وكانت النسخة الأصلية توضع غالبا فى غلاف تكتب عليه تفصيلات الوثيقة وكان هو وحده أحيانا الذى يوضع عليه طابع الأختام الاسطوانية وكانت تعد نسخة لمن قد يرى له مصلحة فى المستقبل لتقديمها . كما كانت توضع أخرى فى سلة المحفوظات وأغلب الظن أن لوحات أور من هذه المجموعة الأخيرة حيث جمعت أحكام عديدة من أنواع مختلفة .

وكان عدد القضاة الجالسين فى عصر الامبراطورية الجديدة - كما كانت الحال فى العصور السابقة - يبلغ ثلاثة أو أربعة وكان يوجد كذلك قاض واحد أحيانا . وكانت القضية تبدأ بشكوى يقدمها المدعى شخصيا أو عن طريق الغير . وكانت أدلته تفحص ثم يستدعى المدعى عليه ليدلى

بحججه ثم ينطق بالحكم . وحين يتعذر تقديم لوحة كان يقبل - كدليل - يمين الكاتب الذى حررها أو أحد الشهود : وقد حدث فى عصر قبيز أن باع أخوان جاريثين الى بابلى فأتى رجل ثالث كان شاهدا من شهود النبيع ليحلف اليمين أن الثمن دفع فعلا . وعنى أية حال ، فإن بعض المشاكل كان يفض خارج المحاكم . فقد حدث نزاع بين امرأة تزوجت للمرة الثانية وبين ابنها بشأن بعض العبيد . وقد أنهى الأخير النزاع بأن أعاد إليها عبيده الذين كان يمتلكهم كما عرض عليها أن يدفع ٤ مينات تعويضا عن عبيد كان قد مات فى بيته . وكان يعين أحيانا محكمون كالعضو الأكبر فى العائلة على سبيل المثال .

ومنذ أقدم العصور حتى آخر أيام الامبراطورية كان يكون شيوخ المدينة محكمة لا نستطيع أن نحدد مدى اختصاصها . ولقد كانت تختارهم فى فترات معينة - أو تؤيد تعيينهم على الأقل - السلطة الملكية ، وكانوا يختارون أحيانا من بين النساء - ولا سيما من بين كاهنات المعابد . وفى عهد الأسرة الأولى عارض « أبيل ايليشو Apil-ilishou » « فى حقوق بالاشماش Palashamash » على ممتلكات معينة هى : بيت وقارب وعبيد وفضة وقد أيد شيوخ المدينة الذين عرضت القضية عليهم حق بالاشماش .

وكان الشهود فى المحاكم مقسمين الى فئتين : فكان بعضهم يكون نوعا من المحلفين هم فى أغلب الأمر نفس الأشخاص رجالا أو نساء الذين نجد أسماءهم تتردد فى الأحكام . وهم يمثلون جمهرة الناس الذين تنفذ أحكام العقوبات بحضورهم كالجلد مثلا أو عزل قاض عدل حكما سبق أن أصدره . وأما البعض الآخر فكانوا يشهدون بمعلوماتهم عن القضية ويؤيدون شهادتهم بحلف اليمين . وهناك أمثلة كثيرة على ذلك منذ عصر أور . ولقد نص قانون حمورابى على حالة شاهد الاثبات الذى لا يستطيع اثبات أقواله فى الحالات الخطيرة التى يترتب عليها الحكم بالاعدام كان الشاهد نفسه عرضة لأن يلقي نفس المصير . وأما فى الشئون المالية فإنه يدفع المصاريف . وقد عالج القانون كذلك أمر اختفاء شئ من بيت صاحبه الشرعى والعثور عليه عند آخر حصل عليه من طرف ثالث . وكان على كل أن يستدعى شهوده الى المحكمة : « يمحس القاضى أقوالهم وأقوال الشهود الذين تم الشراء أمامهم ثم يدلى الشهود الذين عرفوا السلعة المفقودة بمعاوماتهم فى حضرة الاله . أما البائع فيعامل ككلى . ويستبعد المالك سلعته كما يستبعد الشارى ماله الذى دفعه من بيت البائى » وكان هناك افتراضان آخران فى مثل هذه الحالة تحب مواجتهما اذا ما غاب أحد الطرفين عند الاتيان بالبينة . وقد كان ذلك هدف المواد التالية : ان الشارى

أو البائع الذى لم يحضر شهودا يعتبر سيئ النية وقد يحكم عليه بالإعدام .
ويستطيع القاضى على كل حال أن يسمح بالتأجيل ان كان الشهود على
سفقر أو لم يكونوا يسكنون (يقيمون) فى جهة قريبة ولكن مدى التأجيل
لا يجوز أن يتعدى ستة الشهور .

وكان الشهود ضروريين عند تحرير عقود غير رسمية لما قد تثيره
مستقبلا من خصام أو نزاع . فهم فى أغلب الأمر أفراد لهم مصلحة فى
معرفة موضوع العقد فشازى العبد أو البيت يطلب مساهمة أولاد البائع
حتى يجتنب المضايقات عند تقسيم التركة . وكان أى شراء من أشخاص
معينين يتطلب تحرير لوحة وحضور طرف ثالث والا كان المشتري يجازف
بأن يعد لصا يستحق عقوبة الموت : وهكذا كان الأمر بالنسبة لشراء
الأنعام والثور والعبد من ابن أو عبد الغير . وقانون حمورابى صريح
واضح فى هذه الناحية . وكان ايداع الاشياء الثمينة يتم كذلك أمام
الشهود والا فان القاضى لا يتدخل اذا ما حدث نزاع .

واذا لم يكن فى الاستطاعة فض قضية مدنية بالطريق الودى فان
أحد الطرفين يقدم شكوى فان لم يحضر الطرف الاخر أمام المحكمة من تلقاء
نفسه فانه يعلن بضرورة الحضور وكان الاتفاق يتم فى أغلب الأحيان بين
المتنازعين على عرض الأمر على قضاة يقررون فيه ما يرون . ولعل هذا
هو السبب فى أنه عند تحرير اللوحات كان يعتبر الطرف الخاسر عادة
كانما هو المدعى أو الشاكى أما الذى يحكم لصالحه فيعتبر مدعى عليه .
ويصفى القاضى لأقوال الطرفين ثم يفحص المستندات المقدمة ويستمع إلى
شهادة الشهود . وفى حالة عدم وجود مستندات مكتوبة أو لم تكن فحواها
تسمح بحل للمشكلة فان القاضى يطلب الى هذا الطرف أو ذاك أداء اليمين
كما يطلب ذلك أحيانا من الشهود . وكانت اليمين تؤدى باسم الآلهة طبقا
لعادة ترجع الى عهد ما قبل السرجونية بل فى الغالب الى عصور سابقة
له . ومنذ عهد أور حتى أيام الأكمينيين كان يحلف باسم الملك أيضا .
ولم يؤثر هذا على صورة على مظهره الدينى إذ أن الملك نفسه كان مؤلها .
وأما فى عهد الأسرة الأولى فان أسماء الآلهة وأسماء الملوك الحاكمين
ارتبطت ببعضها فى أغلب الأحيان فى الصيغة التقليدية . وكان حلف
اليمين يتم عادة فى المعبد - حتى وان كانت القضية منظورة أمام المحكمة
المدنية - بحضور رموز دينية معينة . وكانت هناك حالات تؤخذ فيها هذه
الرموز الى خارج حرمة المقدس : وقد حدث ذلك مثلا فى نزاع على أرض
مبنية كان المدعى عليه ملزما بأن يثبت حقوقه فى المكان موضوع النزاع
أو « يمسح وإجهة » بيته تبعا للاصطلاح المعروف .

وكان الشاكى الذى أصيب فى أملاكه الخاصة أو نهبه أحد المختصين مثلا يؤيد باليمين الضرر الذى لحق به حتى يحصل على تعويض من المجموعة الاجتماعية التى أصابته الأضرار على أرضها . وفى حالة ايداع المحصولات كان المودع يحلف بقصد استرداد محصوله ان كان المودع لديه ينازع فى مجموع الكمية . وكان « المعداوى » الذى تفرق احدى التراكم قارب التعدية الخاص به يحلف كذلك حتى يحصل على تعويض مناسب - وكان الرجل فى حالة النزاع المدنى أو الجنائى يستطيع أن يستنقذ نفسه بتأييد اقراره بحلف اليمين وقد كان ذلك مركز الرجل الذى يقبض على عبد آبق حين يموت الأخير قبل أن يعاد إلى مولاة أو الزوجة التى يتهما زوجها بالزنا مع أنه لم يقبض عليها فى حالة تلبس أو الرجل الذى جرح أو قتل - عن غير عمد - خصمه فى العراك .

وكان حلف اليمين يلعب دورا آخر كذلك بعد النطق بالحكم فالطرفان المتنازعان كانا يتعهدان أمام الآلهة باحترام الحكم كامر نهائى غير قابل للتعديل وقد أضيفت فقرة خاصة فى هذه المناسبة حتى لا ينظر فى النزاع من جديد وحتى لا تقام دعوى جديدة وكان يوضع أحيانا شرط ينص على عقوبة أو تعويض على من يخالف ذلك .

أما البابليون الجدد فغالبا ما استبدلوا اليمين بلعنات تصب على من يغير القرار الذى صدر : « ألا فليكتب عليه مردوك وزربانيتوم الخراب » كما جاء فى عقد من عهد نبوخودورسور : ولدينا من عهد كيروش الأنزنى ان من يحاول تغيير هذا القرار ٠٠٠ ألا فيلعنه أنو وايلليل وايا ٠٠٠ ألا فليضع نابو كاتب الايساجيل حدا لمستقبله ، (حرفيا : يضع نهاية لمستقبله) .

وكانت أحكام القضاة تتناول كل شىء وفى الغالب لم يكن يرد أى ذكر لأسباب النزاع فى لوحة الحكم ولذا فاننا نراها تتناول مثلا شراء عقار عارض فيه أبناء البائع ولم تؤد معارضتهم الى نتيجة . وفى عهد « سن مو باليت » نجد أنه بعد أن باع رجل وابناء بيتا يحاول أحد الولدين أن يتراجع فى الصفقة وقد حكم عليه أن يوسم على الجبهة . وقد أدت الإيرادات المتنوعة - وخاصة تلك التى كانت مقرر قانونا لبعض الوظائف المقدسة - الى رفع قضايا من وقت لآخر . وكان القضاة يحددون أنصبة الشاكين المستحقة لهم أو هم يرفضون الشكوى لأنها لا تقوم على أساس . وكان تقسيم الميراث كذلك سببا لتدخل المحاكم فى العام الثالث والثلاثين من حكم حمورابى لم يستطع أخوان أن يصلوا الى اتفاق بشأن تقسيم أملاك والدهما المتوفى فتولى المدعو نذنات سن Nidnat-sin

تقسيمها « تقسيما عادلا » ولم يكن في الاستطاعة تصفية الشركة دون تدخل المحاكم بل انه كانت تحدث فيها خلال قيامها بعض المشاكل التي لا تحل بغير الطريقة المذكورة ، ففي السنة الرابعة والثلاثين من حكم حمورابي رفع ارييام سن Eribam-sin دعوى ضد الاخوين تسليلى عشتار Tsilli-ishtar وأويل ايلي Awil-ili بخصوص بيت وممتلكات أخرى اقتنوها . وذكر المدعى أنها كانت قد اشترت بمال شركة بينهما وبينه وقد أثبت المدعى عليهما عدم صحة ذلك وانهما دفعا ثمنا من مال أرسلته الى تسليلى عشتار أمه وهكذا كسبا قضيتهما .

وقد تناول القانون حالة رجل هجر زوجته وذهب الى مدينة أخرى وعند عودته فيما بعد ود لو يتابع الحياة الزوجية ، ولكن القانون أنكر عليه هذا الحق . وإذا كانت زوجته تزوجت مرة أخرى فانها تبقى مع زوجها الجديد . وهناك حكم صادر في سيبار في السنة التاسعة لحومورابي هو تطبيق عملي للعرف القديم الذي بنى عليه هذا النص القانوني . فان المدعو سن ناتسير Sin-nateir الذي هجر زوجته هدى عشرين عاما وعندما توفيت عاد ليطلب ميراث أوصت به لابنتها هولاتوم Houlatoum التي كان من الواضح أنها أمة . وقد اجتمع « رابينو سيبار » و « كار سيبار » وقررا أن « سن ناتسير » قد ترك زوجته « ليتابع حظه وأنه لم يكن يحبها » وقد أنزلا « به اللوم ورفضوا أن يجيباه الى طلبه » . وكذلك ادعت « أمات شناس Amat-Shamash أنها الابنة المتبناة لشناس جامل Shamash-Gâmil وزوجه أومي اراهتم Oummi-arahtoum ولم تكن لديها لوحة كما لم يستطع شهودها أن يأتوا بأدلة مقنعة فطلب القضاة الى أومي اراهتم المدعى عليها حلف اليمين ، ورفضوا دعوى المدعية . وكذلك نازع بابليتيوم Babilittoum كلا من اریش ساجيل Erish-Sagil وأوبار ناييوم Oubar-Nabioum ومردوك ناتسير Mardouk-nateir بقصد الاستيلاء على نصيبه من ميراث فمنحه إياه القاضي .

ولم تكن كل محكمة مختصة بالنظر في كل القضايا ، إذ حدث أنه في العام الثامن والعشرين من حكم حمورابي رفض قضاة بابل قبول قضية لأن المدعى كان قاطنا في سيبار وتبعاً لذلك لم يكن له الحق في أن يتقدم بشكواه أمامهم .

وفي عدد من الحالات حدد قانون حمورابي العقود التي يستطيع القضاة توقيعها وكان من الممكن أن يصدر حكم الاعدام على من عمل سحرا لآخر ولا يستطيع اثبات التهمة عليه وكذا على شاهد الاثبات المزور في

قضية جنائية وعلى سارق كنوز المعبد أو القصر وعلى من يخفي أشياء مسروقة وعلى اللص الذى لم يستطع أن يعيد المنقولات ذات القيمة التى اغتصبها ويدفع التعويض القانونى وعلى بائع الأشياء المسروقة ومخفيها وعلى كل من اشترى أو أخذ وديعة دون لوحة أو شهود من يد قاصر أو عبد وعلى من ادعى دون بينه ملكية شيء مسروق . وكان الموت عقوبة من يمنح فرصة الهرب الى عبد أو إيواء عند آبق أو قبول خدماته ، إذ أنها جميعا تعتبر سرقة . وكان هناك قانون سوميرى قديم يناقب المراء بقانون « الرأس بالرأس » فان لم يكن يملك عدا فغرامة ٢٥ شاقلا من الفضة ان كان قد آوى عبدا آبقا مدى شهر . وكانت عقوبة الموت تنفذ على قاطم الطريق أو الجندى المتمرد حتى وان كان قد أحل آخر مكانه . وكان الضابط الذى أباح الابدال يلقى نفس العقوبة وكانت تنصب كذلك على المحافظ أو الحاكم الذى ينتقص من امتيازات الضباط وعلى تاجرة المشروبات التى تؤوى الثوار وعلى الرجل الذى يغتصب فتاة وعلى من يحتال على جراح بقصد وسم عبد بعلامة امتناع البيع . وهكذا - طبقا للقوانين السوميرية الخاصة (بالالهة) نيسابا والاله حانى نجد أن مغتصب الفتاة الذى رفض تزويجه منها يجب أن يعدم . وفى جميع هذه الأحوال لا يوضح القانون نوع الميتة التى توقع على المجرم . وهو فى بعض الأحيان أكثر صراحة ولقد كان الموت غرقا ينفذ فى مستأجرة الحانة التى تباع مشروبات أعلى من السعر القانونى وترفض الثمن شعيرا أو تطلب سعرا أعلى بالفضة وكذا على الزوجة التى سجن زوجها وذهبت لتعيش مع رجل آخر رغم وجود موارد كافية ، وعلى ربة الدار سيئة التدبير والمتسكعة التى بددت مال زوجها وأرادت أن تهجره . ولقد كان ذلك كذلك فى القانون السوميرى القديم بالنسبة للزوجة التى تحاول الطلاق . وكانت نفس العقوبة توقع كذلك على الزانية وشريكها فى الاثم . وعلى الحما وكنته (٢) اللذين يرتكبان زنا المحارم فكان الواحد منهما يقيد الى الآخر ثم يلقيان فى الماء . وكانت عقوبة الحرق وتوقع على الأم والابن المتهمين اللذين تثبت عليهما هذه الجريمة كذلك ، وعلى الكاهنة التى تفتح حانة أو تذهب اليها للتعطى شرابا ، وعلى الرجل الذى يستغل فرصة حدوث حريق للسلب . وكان الخازوق عقاب الزوجة المتهمة فى أمر قتل زوجها بقصد التزوج من آخر .

وأخيرا ، فان عقوبة الموت تطبق عملا بمبدأ القصاص (العين بالعين والسن بالسن) وذلك فقط حين يصيب الضرر رجلا من ذوى الحيثية . فإذا مات رجل حر مرهون بسبب دين فى بيت الدائن من أثر الضرب أو سوء المعاملة ، فان ابن الدائن يحكم عليه بالموت . وإذا أجهضت فتاة

(٢) الكنة (بفتح الكاف وتشديد وفتح النون) : امرأة الابن أو الاخ .

حرة فماتت نتيجة ضربات فان ابنة الضارب تموت . واذا انهار بيت لم
يعن بينائه فمات بسبب ذلك صاحبه وابنه فان عقوبة الموت توقع على
المعماري وابنه . ويمكن أن ينفذ الموت بطريقة غير مباشرة بسبب التجربة
القاسية المقررة في مادتين من مواد القانون : لحالات أولئك الذين يعتقدون
أنهم كانوا ضحية سحر عمل ضدهم ولحالة الزوجة المتهمه بالزنا دون أن
تمسك في حالة تلبس .

وكانت المحكمة تأمر بقطع لسان الطفل الذي هجره أبواه للدعارة
ان هو أنكر أبويه اللذين تبنياه . وبقلع عينيه ان هو هجر بيتهما ليعوذ
الى بيت أبيه أو أمه . وكان قطع اليد عقاب الابن الذي يضرب أباه ،
أو الجراح غير الناهر الذي يفتأ عين المريض - ان كان من طبقة الأحرار
وهو يفتح الغشاء بالمشط ، أو الذي يسم عبدا بعلامة عدم امكان البيع
دون علم سيده من تلقاء نفسه . أو المزارع الذي يسرق الغلال
أو المزروعات .

وكان قطع الثدي عقوبة المرضع التي ترضع طفلا آخر فيموت الأول
نتيجة إهمالها وذلك اذا كان الارضاع دون اذن من أبوى الرضيع ،
أما العبد الذي ينازع في حقوق مولاه عليه فعقوبته قطع الأذن : وهناك
قانون سوميرى ينص على بيع المذنب في هذه الحالة الأخيرة :

وكل من ضرب شخصا من مرتبة أعلى من مرتبته على يافوخه فانه
يمكن جلده علنا بسوط من جلد الثور ستين جلدة . وكان النفى عقوبة
الأب الذى يتصل بابنته اتصالا جنسيا .

وكانت هناك تدرجات في التعويضات عن الأضرار تتراوح بين ثلاثة
أمثال وثلاثين ضعفا من قيمة الشيء المطلوب استرداده . وكانت ثلاثة
الأمثال تدفع عن المبالغ التى يأخذها الكاتب من وكيل الأعمال . وخمسة
الأمثال للعميل غير الأمين مما احتفظ به لشخصه أو للشيء المسروق الذى
باعه اللص ان مات صاحبه قبل أن تقتص له العدالة واستطاع الشارى
أن يثبت حسن نيته . وستة أمثال للمال الذى يدعيه بغير حق صاحب
عمل على موظف عنده . وعشرة أمثال للشيء المسروق من موشكينو
أو الحيوانات التى يبيعها الراعى خلصة ، واثنا عشر ضعفا لقيمة الشيء
المتنازع عليه ان ألغى القاضى حكما سبق أن أصدره . وثلاثون ضعفا لقيمة
الشيء الذى يسرق من معبد أو القصر .

وكانت المحكمة تقدر قيمة الأضرار التى يسببها قطاع الطرق .
وكانت المدينة وحاكم المقاطعة التى حدث بها النهب يعتبران مسئولين .

وكانت المحكمة تعاقب المزارع المهمل بأن يدفع ما يعادل المثل من الانتاج.
فى الضياع المجاورة •

وكانت المحكمة تطبق التعويضات المختلفة التى يحددها القانون فى
حالات الحوادث التى تسببها الحيوانات أو الجروح المتعمدة حين لا يكون
من محل به رجلا حرا ومن ثم فان « قانون القصاص » (العين بالعين والسن
بالسن) يكون غير معمول به •

الفصل الثالث النظام الاقتصادي

١ - الملكية العقارية

كانت الملكية العقارية في سومير وأكاد منذ أبعد العهود في أيدي أفراد أو هيئات اجتماعية وتشهد بذلك عقود البيع الخاصة بالعهد قبل السرجوني . وكانت للمعابد حقولها ورياضها وكان لزوجات الإيشساكو ولأولاده أراضيهم الخاصة . ولم يكن بيت الفقير دائما في منعة من جشع الغنى بل كثيرا ما كان الكاهن ينهب بستان أمه . والظاهر أنه منذ ذلك العهد كان يكافئ خدمة الأوفياء بمنح من الأرض اما بصفة دائمة أو بحق الانتفاع فقط .

ويثبت العقد الذي اشترى الملك « مانيشتوسو » بمقتضاه ضياعا متعددة قيام ملكية مشتركة جنبا الى جنب مع الملكية الخاصة وقد جاء فيه ذكر مزرعة حددتها قناتان وكذا قبيلة وفرد من الناس . وقد بلغت مساحة إحدى قطع الأراضي أكثر من ١٣٥٠ هكتارا على حين تبلغ الأخرى بالكاد ٣٦ هكتارا .

وقد ميز قانون حمورابي ما بين الأملاك الخاصة وممتلكات الإيلكو . وكان الملك يتنازل عن الأخيرة كمكافأة عن خدمات عامة وهي لا يمكن أن يتناولها البيع أو الحجز أو الرهن أو نقل الملكية على أية صورة الا للوريث الذكر بشرط أداء الالتزامات المقررة وكان التصرف في الأملاك الخاصة نفسها خاضعا لقيود في مصلحة العائلة . ومن حيث انبدا لا يمكن بيعها سوى أداء لدين . وكان المرأة المتزوجة حق الانتفاع على بائنتها أما الرقبة فلاولادها أو لاختها ان لم يكن لها أولاد . أما الكاهنة أو العاهر فكانت

لهم حقوق أوسع إذا كان الأب قد
نص في لوحة أحدهما على حرية
التصرف . وربما كان لكل عائلة حق
المسئعة على الأملاك التي اضطرت
من قبل إلى بيعها .

وكانت بعض المدن تمتلك في
العهد الكاسي أملاكاً عقارية ضخمة
كما كان الأمر كذلك بين القبائل
التي استقرت في سومر القديمة
قرب شواطئ الخليج الفارسي وذلك
عقب الاضطرابات التي حدثت في
بلاد بابل كآثر للغزو الحيثي . وقد
اعتاد الملوك أن يشتروا ضياعاً من
هذه المدن أو القبائل لمنح مكافآت
عن خدمات تم أدائها للدولة أو
لاظهار الشكر للآلهة أو بقصد تخصيص
أقطاعات لأولادهم وهم لم يكتفوا
بتحرير مستند الملكية المعتاد على
لوحات الطين فقط بل أرادوا أن يضعوا
كذلك الأراضي التي منحت حديثاً في



(شكل ١٠)

كودورو (متحف اللوفر . وقد فارس) . حفل علني تحت رعاية الآلهة . ولقد
حفروا على كتلة بيضية أو لوحة من الحجر أو الآجر رموزاً دينية وعقد
المنحة ثم لعنات على كل من يعارض أمرهم . وهذه المستندات المسماة
كودورو Koudourrous (أحجار الحدود) التي كان يفترض فيها
أصلاً أن توضع على الأملاك نفسها لتستبقى الحماية الإلهية عليها أطلق
عليها البابليون كذلك اسم نارو Narû (لوحات) ويظهر أنها كانت
توضع في المعابد (١) .

وكان للقبائل التي حلت في جنوب بلاد بابل رؤساء ومدبرون .
وقد استقرت كل منها في أراضٍ تختلف رقعتها ضيقاً واتساعاً وهناك
قامت مدنهم وقراهم .

وكانت هذه القبائل تمتلك جزءا من الأراضى كما كانت الحال بالنسبة لكل مدينة ولكل قرية ولبعض العائلات . وكانت هذه الأراضى كلها مقسمة الى قطع يستغلها الأفراد وهى قطع لم تختلط ببعضها وإن تشابكت ، لأنه رغم الثورات والغزوات ظلوا يدركون كيف يمسحون الأراضى ويعينون حدودها كما كان يفعل أسلافهم منذ ألف أو خمسمائة عام . وحين انتقلت المقاطعة من القبيلة الى يد الملك أصبحت ملكا خاصا . ولما كان الرئيس قد وافق باسم المجموعة على البيع ولما كان الثمن قد دفع للمالك ، كان الحران قد دفعت لهم - أن كان لهم فيها حق



ما - فإن هذه المقاطعة أصبحت لا يجوز ردها الى القبيلة أو البائعين أو الورثة مهما تكن الأسباب . وقد

(شكل ١١)

مودورو (متحف اللوفر . وفد فارس) . عنى بالنص على هذه الشروط . وكانت الإقطاعية التى كونها الملك تمنح بصفة نهائية وتورث - وليس بصفة مؤقتة - كما كانت الحال بالنسبة لأملاك الإيلكو فى العهد السابق . وقد ظل المنتفع بالهبة خاضعا للالتزامات والضرائب المفروضة على الإقطاعية ما لم يحصل على لوحة إعفاء وهو أمر كان كثير الحدوث .

وكانت الأرض البور من حق أول من يشغلها وتصبح ملكا لمن يصلحها . وقد منح الملك مليشيباك Mélishipak ابنته هونوبات ناناي Hounnoubat-Nanaï ضيعة على حافة أرض البحر . وقد اهتم بأن يقرر أنه صاحبها الشرعى ، لأنه أصلحها وأنشأ فيها مشروع رى وخزانا وجعل الأرض صالحة للزراعة كما أنشأ ثلاث قرى (١) .

وكانت الملكية العقارية فى الواقع خاضعة لحقوق الارتفاق لمصلحة الجيران وخاصة فيما يتصل برى الأراضى وكان للحاكم حق المرعى

وباكورة المحصول والهشيم واستدعاء الرجال والحيوانات والعجلات لأعمال السخرة وصيانة اقنوات والمخاضات والطرقات . وقد ورد بيان تفصيلي عن مدى الالتزامات الخاصة بالمنافع العامة في قرارات الاعفاء التي يصدرها الملك من هذه الالتزامات . من ذلك أننا نقرأ على كودورو مليشيباك لصالح ابنته أن « صغار الماشية وكبارها والضرائب والسخرة وتنظيف (تطهير) الترع والقنوات والعمل في الخزانات وجمع العمال للترع وتجهيز العجلات وأعمال الحرث وقطع وحصد الهشيم والأعشاب والخراج الملكي مهما يكن . . . لقد ختم لوحة إعفاء القرى وسلمها إياها » وقد وضع الملك الصيغة تحت رعاية الآلهة حتى يدعم إرادته مستمطرا سخطهم على كل من يرغب في أن « يأخذ من هذه القرى ماشية صغيرة أو كبيرة أو يخضع سكانها للالتزامات أو سخرة أو أي خراج ملكي مهما يكن ومهما تبلغ ضالته » .

وحين أقطع «ماليشيباك» نفسه ابنه « مردوك ابال أدين - Mardouk apal-iddin » اقطاعية لم يكن أقل وضوحا في ذكر الالتزامات التي أعفاه منها (١) « أن أعفاه يسرى على الصورة التالية : لا تؤخذ ضريبة على باكورة ثمار أرضه ولا العشور ولا يستدعى رجال اقطاعيته ضمن الفرق التي تشكل في مدن ناحية نينا أجادة Ninâ-Agadé للسخرة أو للعمل أو للتوقي من الفيضان أو لصيانة وتدعيم الجسور للقنوات الملكية أو حماية مدن بيت سكاميدو ودامق اداد Bit-Sikkamidou ; وهم ليسوا ملزمين بأن يسخروا للعمل في سد القناة الملكية ولإقامة الجسور ولإغلاق أو تطهير قاع القناة ولا يستطيع أي حاكم له « بيت بير شادورابو » Bit-pir-shadourabou أن يخرج من اقطاعيته مزارعا من أراضيه أجنبيا كان أو مواطنا ، ولا يجوز الاستيلاء عن طريق أمر ملكي أو أمر من الحاكم أو أمر إنسان كائنا من يكون على أخشاب أو حشائش أو هشيم أو شعير أو أي محصول آخر أو عجلات أو كدنها أو حمار أو رجل . كما لا يجوز سحب ماء من ترعة الري عند عدم وجود ماء كاف في القناة الموصلة بين راتي انزانيم Rati-Anzanim وقناة الاقليم الملكي . كما لا يجوز أخذ مياه من جدول خزانة أو تقسيم الري إلى قسمين ومد أملاك أخرى بمياه منه بقصد الري أو الزراعة ولا يجوز قطع الحشائش من أرضه كما لا يجوز أن تساق حيوانات الملك أو الحاكم إليها أو جمع حشائشها للعلف وليسوا ملزمين بتعبيد طريق أو كوبرى سواء أكان ذلك للملك أم للحاكم أو بتنفيذ أية

سخرة جديدة يفرضها ملك أو حاكم فى المستقبل أو أية سخرة زالت أريد
العود إليها .

والأرض الفيضية التى تكون سهول دجلة والفرات خصبة بطبيعتها
ما دامت هناك عناية بعملية الصرف والرى فيها ولقد أدرك ذلك أقدم
سكانها وقلما نجد إيشاكو من لاجاش مثلا منذ عهد الملك المسن « أورنيما »
لا يفاخر بأنه شق قنوات وبذل الكثير من العناية فى سبيل الرى . وقد
استلزم شق هذه القنوات قيام أعمال « لا بد أنها تتطلب سلسلة من
المعلومات والمناهج القائمة على الفن الهندسى ما لم نفرض أن إقامتها قد
تمت على مراحل متتالية كانوا يتلمسونها بتحسينات مستمرة خلال
التنفيذ الذى لا بد أنه تطلب زمنا طويلا حتى عن طريق العمال العديدين
الذين كانوا لا يتسألون أجرا كالسجناء الذين كان يكتفى بالكاد
بتغذيتهم . وعلى ذلك فنحن مضطرون الى أن نعتقد أنه كانت هناك دراسات
تمهيدية ثم مشروعات مبدئية ثم خطة نهائية تتطلب استعمال أجهزة
للقياس والتسوية وعمليات حسابية تسجل نتائج المقاسات التى تمت
على الأرض ومقدار العمل المطلوب تنفيذه « (١) . وقد وصلت الى أيدينا
بعض التخطيطات للقنوات والنهيرات من عصر ما قبل السرجونية ومنها
مثلا قطعة من لوحة مثلث عليها قناة حومادمشا Hoummadimsha
التي شقت بأمر من أياناتوم والتي ألحق بها خزان تزيد سعته على الألف
هكتولتر . وقد دعم انتمينا ابن أخ أياناتوم هذا الخزان وأكمل قناة أخرى
تصل النهرين كما دعمه كذلك فيما بعد بزمن وجين الملك أوركاجينا الذى
أصلح قناة جرسو القديمة المعروفة باسم « نجرسو - أمير - فى -
نيبور » وقد فصلت إحدى اللوحات أعمال السخرة : وكان العمل
المفروض على الحفارين المحترفين أهم بكثير من عمل العمال العاديين .
وكان طول هذه القناة ٢٨٠ مترا وقد تم تنفيذها وفقا لخطة موضوعة .
وأما جوديا فلم يشر الا عرضا الى مشروعاته الأخرى لأنه كان مهتما كل
الاهتمام بالأعمال الدينية وبإعادة بناء المعابد . ومع ذلك فقد شق القناة
المسما « نجرسو - أوشو - مجال Ningirsou-Oushoumgal »
وهو حدث محلى خلد فى اسم لاحدى سنى حكمه ولا بد أنه اضطر الى إبقاء
القنوات التى كانت موجودة قبل عصره فى حالة صالحة للملاحة ذلك لأن
نقل مواد البناء من أخشاب وأحجار ومعادن كان يتم عن طريق الماء وتطلب
انزالها الى البر إقامة رصيف بالقرب من إحدى بوابات المدينة وقد عهد
فى بلاط الهة نجرسو بصيانة القنوات والجداول وأدوات الرى الى
مزارع الأرض المقدسة .

وقد شق « أورانجور » ملك اور قناة الحدود المسماة نانا جوجال Nanna-gougal و « ساوى حوضها بأمواء البحر » وهناك لوحة من ذلك العهد تحتوى على أجور النساء اللواتى استخدمن فى عمل سد من القصب عند رأس القناة . وقد قام سن ايدينام Sin-idinnam من لارساب ب « حفر دجلة النهر العريض وزود مدينته وبلاده بمياه طيبة وفيرة دون انقطاع » .

وبعد أن حقق حمورابى وحدة الامبراطورية بدأ فى القيام بمشروعات هامة فشق نهر حمورابى Nar-Hammourabi « ثروة الشعب التى تجلب ماء وفيرا لسومير وأكاد وتحول ضفافها الى حقول منزرعة وتهيل أكواما من الغلة وتزود شعب سومير وأكاد بماء دائم الجريان » ولم يندثر نهر حمورابى كلية فقد كان يبدأ من الفرات أسفل كيش فى مستوى بورسيبا ويجرى فى اتجاه أوما تاركا إياها الى يساره . وبعد أن يصل الى لارسا يتجه نحو الخليج الفارسى . وتبين لنا الأوامر الملكية كيف كانت السلطة المركزية تنظم وتستخدم السخرة فترى الملك يأمر يوما « سن ادينام » حاكم لارسا ب « استدعاء من كانت فى حوزته حقول على ضفاف قناة دامانوم Damanoum بقصد تطهيرها وأنه يجب الانتهاء من تطهير قناة دامانوم عند نهاية الشهر » وفى مناسبة أخرى نراه يأمر نفس الموظف بالانتهاء فى مدى ثلاثة أيام من تطهير القناة التى تصل حتى أوروك والتى لم تكن قد أصلحت حتى هذه المدينة .

وتثبت الاعفاءات التى منحها مليشيباك قيام السخرة بقصد الصيانة وأعمال السدود فى عهد الأسرة الثالثة . وتبين رسائل موجهة الى الملك كودور ايلليل Koudour-Ellil كيف أن الموظفين المنوط بهم الاشراف على عمليات المياه كانوا يؤدون واجباتهم فى القرن الرابع عشر : فقد أبلغ أحد المفتشين عن وال سد إحدى القنوات على وجهه سمح فيه برى اقطاعيتين الا أنه حرم عشرين اقطاعية أخرى من الماء حتى جفت تماما فضاعت غلتها . وقد دافع الوالى عن نفسه مدعيا أنه لم يهمل حقلا واحدا .

وفى العهد البابلى الجديد وصل نبوخذوروسور الثانى ما بين دجلة والفرات عن طريق الحائط الميذى الذى كان ضفة لقناة وأنهى عند بابل الحوائط التى تسند ضفاف الأراहतو Arahtou التى بداها أبوه .

ولقد كانت القنوات الكبيرة وهى المشروعات الوطنية التى أنشئت أصلا بقصد اصلاح الأرض وتزويدها بالمصارف ، كانت فى الوقت نفسه ممرات مائية رائعة ولكنها كانت تتطلب مجهودا كبيرا لصيانتها خاصة

لأن الأرض كانت رخوة والضفاف هشة جدا . وكانت مياه الفرات تصل الى خط عرض بابل محملة بالرمل والطين وهي في الوقت الحاضر تحوي كيلو جراما في المتر المكعب في الأوقات العادية أما في موسم الفيضان فقد يبلغ ما تحويه ٢٥ كيلو جراما (١) . أما القنوات الأقل أهمية والجداول فكانت تحمل الماء الى أطراف الحقول والمراعي ومن هناك كانت تسحب عن طريق أدوات رافعة تديرها ثيران أو بواسطة دلاء ورافعة وذلك منذ عهد ما قبل السرجونية . وقد مثلت هذه الأداة في منظر للحياة الزراعية على خاتم أسطوانتي وهي تستعمل حتى اليوم ليس في الشرق فحسب بل في بعض أقاليم فرنسا نذكر منها وادي اللوار بين انجيه ونانت ، وقد نص حمورابي على عقاب من يسرق مثل هذه الأدوات فكان اللص يدفع للمسروق منه خمسة شواقل مقابل الأداة التي يديرها الثور وثلاثة شواقل فقط لأداة الدلو . وفي العام الأول من حكم دارا الثاني تم اتفاق بين بعض أهالي نيبور مؤداه أن رى ضيعة معينة يتطلب أربعة حيوانات .

ولم يكن ارتفاع الماء يزيد على أربعة أمتار وقت انخفاض المياه في الشتاء . وفي هذا الفصل من السنة تروى الحقول ثلاث مرات الآن بمعدل ٢٠٠ متر مكعب لكل هكتار . وقد نص قانون حمورابي على عقوبة من يتسبب في حدوث أضرار تلحق بحقل آخر بسبب إهمال مزارع في صيانة جدوله : فإن هو أهمل تقويته ونجم عن ذلك صدع فعليه أن يعرضه عن المحصول الذي أ تلف فإن عجز عن ذلك يباع هو وكل ما يملك مقابل مبلغ يقسم بين من لحقهم الضرر . وأما من أهمل إعادة السد بعد أن يكون قد فتحه لرى حقله فإنه مسئول كذلك عن الفيضان الذي يغمر الأراضي المجاورة ، وعليه أن يدفع تعويضا يتفق ومتوسط غلة هذه الأرض . وأما إذا كان الأمر يتعلق بأغراس فإن الثمن يحدد بـ « جور » من الشعير عن كل « جان » من الأرض أى $\frac{3}{4}$ هكتو لتر عن كل هكتار تقريبا .

ولم تكن المراعي في حاجة الى عناية أكثر من سقيها وقطع كلثها وكانت تطلق الحميم والثيران والأغنام لترعى هناك . وكان الرعاة يتقاضون عادة أجرا سنويا عبارة عن ٨ جور من الشعير (٢٠٠ ٢٠٠ هكتولتر) في عهد حمورابي . وإن ضاع من راع إحدى المواشي كان عليه أن يأتي بغيرها على حسابه وكان لزاما عليه أن يزيد من القطيع طبقا لاتفاقات مع المالك فإن هو غير عامدا من حالة القطيع فباع لمصلحته إحدى المواشي فإنه يعرض نفسه الى أن يدفع تعويضا قد يبلغ عشرة أمثال قيمة ما سرق

أما إن كان قد حل بحظيرته ضرر ما فعليه أن يعوضه على حسابه ما لم يستطع أن يبرئ نفسه بحلف اليمين عند حصول الكارثة إن كان ذلك لظروف قاهرة خارجة عن إرادته . وكانت الحظيرة كباقي المباني الريفية مبنية من القصب . وتقدم المناظر الخاصة بالمراعى والمنقوشة على الأختام الأسطوانية أمثلة عديدة على ذلك .

وكانت تحرث حقول الحبوب بمحاريث تجرها ثيران . وقد ظهر على إحدى الأسطوانات القديمة جدا منظر للحرث يمسك فيه الحارث بذيل المحراث بكلتا يديه . وظهر بالمنظر رجال مزودون بالعصى والسياط يدفعون بها الحيوانات وكان هناك نوع من المحاريث أكثر اتقانا وبها مذرة . وقد حدد ايجار ثيران الحراثة في عصر حمورابي بأربعة « جور » من الشعير (أكثر من ٥ هكتو لتر) في السنة . وقد نص القانون على ما قد يحدث للماشية من حوادث أو بسبب خطأ صادر عنها كما حدد التعويضات . وفي العصر ما قبل السرجوني من الممكن تقدير نسبة المحصول للبذر ونتاج الهكتار بالتقريب من بيانات في لوحات الايشاكو لوجالاندا . فكان محصول الهكتار يبلغ حوالي ٢٢ هكتو لترا من الشعير هي ثمرة بذر ٢٤ لترا أى بنسبة تزيد قليلا عن ٥٠ : ١ .

وفي عصر أور كان المزارعون ورعاة الماشية والأبقار يستأجرون سنويا وكانوا يتسلمون أجرهم شعيرا أو صوفاً وأحيانا فضة أو حيوانات وكانت هناك نظم للزراعة : ففما يختص بالمستأجرين من كاهن أقسم أحد الأشخاص اليمين مؤكدا أنهم زرعوا الحقل بـ « عبيد وثيران » وأنهم تناولوا أجرهم وأنهم قدموا حساباتهم بانتظام .

وطبقا لقانون حمورابي كان على الرجل الذي أخذ قطعة أرض ولم يستنبتها شعيرا أن يدفع للمالك ما يعادل غلة الزارع المجاورة . أما إن لم يكن قد زرعها إطلاقا فعليه أن يصلحها ويبذرهما ويسلم المحصول كله . وإذا كان قد تعاقد لمدة ثلاث سنوات على زراعة قطعة أرض لم تكن قد استصلحت بعد ولم يحافظ على ارتباطه ، فإن عليه في السنة الرابعة أن يبذرهما ويقدم للمالك « جور » واحدا لكل « جان » (حوالي ١٦ هكتو لتر تقريبا للهكتار) . وفي حالة اتلاف زوبعة للمحصول الذي تم جمعه فانه : إذا كان المالك قد تم الدفع له فإن الخسارة جميعا تقع على رأس المزارع . أما إذا كان هناك اتفاق زراعة مشاركة بنسبة النصف أو الثلث ولم يكن النصيب قد دفع بعد فإن ما بقي من المحصول يقسم وفقا للاتفاق . وقد حمى القانون صغار المزارعين الذين كانت مواردهم لا تكفي لشراء ما يلزم للبذر في الاستغلال فإذا كان هناك تفاهم بينه وبين جار له للبذر ، فإن المالك

لا يستطيع أن يمسه حتى زمن الحصاد واذ ذاك يأخذ المستحق له .
أما الزارع الذى استدان بفائدة ولم يستطيع أن يجنى محصولا لظروف
خارجة عن ارادته كحدوث عاصفة مثلا أو نقص الماء فى القنوات فانه ليس
ملزما بدفع أية فائدة عن تلك السنة . ويجوز من جهة أخرى رهن حقل
مقابل سلفة .

وكان يعهد فى نفس العصر بزراعة مزرعة أحيانا الى رجل يؤجر
خصيصا لهذا الغرض بأجر سنوى قدره ٨ جور من الشعير وهو نفس
الأجر الذى يدفع الى الراعى . وكان المالك يقدم ما يلزم للزراعة من
ماشية . واذا قبض على المستأجر متلبسا بسرقة حنطة أو نباتات فانه
يحكم عليه بقطع اليدين . وإن هو أهمل شئون الحقل أو قام بتأجير
المواشى الى الغير أو سرق البذور ، فانه يلزم بدفع ٦٠ جور من الشعير عن
كل ١٠٠ جان من الأرض (حوالى ٤٣٠ هكتو لتر لكل هكتار) وإن لم
يكن فى استطاعته أن يدفع ذلك فانه يظل مرتبطا الى الأرض « بين
الماشية » .

وفى عهد الأمراء الأكمينيين - كما فى عهد الأسرة الأولى - كان
يتم التعاقد على الأراضى لمدة ثلاث سنوات مما يجعلنا نفترض احتفاظهم
بدورة المحاصيل مدى ثلاث سنوات وكان الايجار يدفع بعضه فضة
والبعض الآخر عينا : نبيذا أو دقيقا أو حيوانات . وكان يدفع تعويض
للمستأجر ان هو أخرج من مزرعته قبل انتهاء أجل عقده .

وحين يأتى موسم الحصاد كان يقطع المحصول ثم يوطأ بأقدام
الحيوانات . وقد حدد حمورابى أجر الثور الدارس فى اليوم ب ٢٠ « قا »
من الشعير (١٧ لترا) وأجر الحمار بـ ١٠ « قا » أما أجر العجل
أو الجحش فـ ١ « قا » فقط . وكان أجر عربة الثور مع سائقها ١٨٠ « قا »
يومية أما أجرة العربة وحدها فـ ٤٠ « قا » وكان العامل الزراعى - كما
هى الحال اليوم فى فرنسا - يتسلم أجورا مختلفة تبعا للفصول المختلفة
هى : ٦ قمحات من الفضة خلال الشهور الخمسة الأولى وخمس قمحات
خلال الشهور السبعة الباقية .

وكانت البساتين تكون نوعا ثالثا من الأملاك العقارية بعد المراعى
والأراضى المنزرعة . ولما كانت أقل اتساعا من حقول الحبوب فانها كانت
تقاس بدقة أكثر منذ عهد ما قبل السرجونية . وكانت تزرع بها الخضر
وخاصة البصل وكذلك الأشجار . ولقد كان الأمر كذلك فى عهد أجادة ،
حيث ورد ذكر زراعات للبصل فى مساحة بلغت ١ جان (٣٥٢٨ آر) .

وقد حدد حمورابى نصيب المالك بثلاثى محصول البساتين فى حالة الاثمار الكامل فان أدى اهلاك البستانى الى نقص الانتاج ، فهو يلزم بدفع ما يتناسب والغلة العادية . وكانت مدة عقد ايجار الحقل الذى يحول الى بستان خمس سنوات : كانت الأربيع الأولى منها للزراعة والسنة الخامسة لاقتسام المحصول . وطبقا لتقليد سوميرى قديم كان من حق المالك أن يقسم البستان الى قسمين متساويين تاركا الأرض التى لم تزرع بعد ضمن حصة المزارع . وإذا كان المستأجر لم يقم بأى اصلاح ، فعليه أن يدفع على أساس الغلة الطبيعية كل سنة كما يحكم عليه بأن يجعل الأرض قابلة للزراعة . وان هو تسلم أرضا بكرا فعليه كذلك أن يعدها ولكنه يقدم فقط « جور » واحدا من الشعير لكل « جان » من الأرض فى كل سنة من الايجارة (عقد الايجار) . وكان التعويض عند قطع شجرة من البستان دون علم المالك ٣٠ شاقلا من الفضة كما كانت الحال فى القرون السابقة . وكان فى الامكان تقديم محصول زراعة النخيل مقدما من أجل تصفية دين ولكن الدائن لم يكن ملزما بتحمل هذه المجازفة . وكان البستان — شأنه فى ذلك شأن كل ملك عقارى — يقبل كرهن وقد ظل الأمر كذلك حتى نهاية الامبراطورية البابلية الجديدة .

وكانت تقدر قيمة الأملاك المبنية تبعا للمساحة التى تشغلها وكانت تقاس بدقة فى المدن وكانت هذه الأخيرة (أى المدن) — على الأقل فى منشئها — أمكنة مخصصة فقط للعبادة أو المأوى وأسواقا فى الوقت نفسه . وكان أغلب الأهالى يعيشون فى الريف فى أكواخ من الطمي والقصب وأحيانا فى خيام وربما كانوا يفعلون كما يفعل العرب اليوم فى هذه الجهات فيحفرون كهوبا محاطة بالحصير والقصب اتقاء لغائلة الحر . وكانت أقدم المنازل التى كشف عنها بين خرائب شوروپاك مكونة من غرف صغيرة وتحيط بفناء مستطيل وهو طراز نجده كثيرا فيما بعد على الرسوم التخطيطية للمعماريين وكذا فى المنشآت الخاصة بالامبراطورية الجديدة وكانت تبنى من اللبن ، وكان السقف يقوم على دعائم من كتل خشبية أما الأبواب والمتاريس فلم تكن جزءا من العين (المؤجرة) . نظرا لندرة الخشب واعتبارها من المواد ذات القيمة التى يستطاع رهنها على حدة ولا تباع عندما يباع البيت كما يمكن أن تكون ملكا للمستأجر . وكان الكثير من البيوت خاليا منها . وكان البيت البابلى عادة مكونا من طابق واحد وقلما كان من طابقين وكان للعقار أحيانا حق المرور على ملك مجاور ولكنه كان فى أغلب الأمر ينفتح على الشارع مباشرة .

وفى لاجاش فى عهد ما قبل السرجونية بيعت بيوت تراوحت مساحتها ما بين $\frac{1}{3}$ ، $\frac{1}{4}$ سار (٢٣٥٢ الى ٥٢٢٩ مترا مربعا) وكان

بمتوسط الثمن في عهد حمورابي ١٥ شاقلا للسلار وربما ارتفع الى ٧١ شاقلا أو ضبط الى شاقلين أو ثلاثة شواقل . وكانت قيمة أرض البنا في المدينة تبلغ في المتوسط ٢٢٥ ضعفا لقيمة الأرض المنزرعة حبوبا ولكنها كانت في الأرياف أرخص من ذلك . وقد قدرت بعض الصوامع بثمان لا يعدو $\frac{1}{4}$ شاقل للسلار وهو يعادل ضعفين ونصفا لقيمة الأرض .

وقد حدد قانون حمورابي أتعاب المعمارى بشاقلين للسلار كما حمله مسئولية أخطاء البناء فكان عليه أن يعيد على حسابه بناء الحائط الذي ينهار وأن يأتى بأثاث بدلا من الأثاث الذي يحطم أو يعيد بدلا من العبد الذي يموت وأن يدفع حياته مقابل حياة المالك الذي يموت تحت الانقراض .

وكان من الممكن رهن العين المبنية (١) وكان الدائن في العهد البابلي الجديد يسكنها بنفسه وأحيانا أخرى يترك للمدين استعمالها . وفي عهد نبوخذنوروسر الثاني (٢) رهن المدعو « شاپيك زر » Shapik-zér بيته الى شولا Shoula الذي أتى ليعيش فيه وكان ايجار البيت يعادل فائدة قيمة السلفة ولكن شولا حين احتاج الى المال بدوره طلب من نرجال أوباليت Nergal-ouballit ٢ مينا و ١٤ شاقلا وحول اليه بيتا فة رهن ولما كان يعتزم استمرار السكن فيه فانه كان ايجارا يعادل فائدة المبلغ المقرض .

٢ - الصناعة وتعليمها

منذ أبعد العهود كان هناك تنظيم أولى على الأقل في شئون بعض الحرف . ففي عهد دونجي كانت عملية النسيج تتم تحت رقابة رؤساء عمال يعينهم الملك . وقد نظم قانون حمورابي وحدد أجور العمال المعينين بالمياومة بأربع أو خمس قمحات من الفضة (من ١٦ سنتيجراما الى ٢٠) ، كما حدد كذلك أتعاب المعمارى والمبيض دون أن يغفل تحديد مسئوليتهم المدنية عن كل خطأ في التنفيذ . وقانون حمورابي المشار اليه دليل كذلك على وجود نظم لتعليم الصناعة عند نهاية الألف الثالثة وكان يجوز للرجل أن يأخذ في بيته صبيبا لتربيته وتعليمه حرفته فاذا ما استطاع أن يجعل منه صانعا جيدا فانه لا يجوز لوالديه الشرعيين أن يطالبا برده ما داما كانا قد قبلا الانفصال عنه ، أما اذا لم يكن الصبي قد تعلم شيئا فانه يستطيع أن يعود الى بيت أبيه .

وفى العهد البابلي الجديد وكذلك فى عهد الملوك الفرس كان السيد يعهد بعبده الى آخر حتى يتعلم مهنة على يديه وكان معنى ذلك فقدان فائدة رأس مال قدره مينا ولكن رأس المال هذا قد تزيد قيمته وعلى ذلك فان السيد كان يحتاط لما قد يتجم عن حدوث الأمر الأول . فكان معلم الصبى يدفع تعويضا ان هو أهمل تعليم الصبى حرفته على الوجه المرضى . ونظرا لانه من جهة أخرى قد أفاد من عمل الصبى ، فانه لا يستحق أجرا على تعليمه وأقصى ما كان يحدث أن تقدم له هدية رمزا للرضى .

وفى السنة السابعة من حكم كيروش نجد عبدا خبازا كان عنده عبد آخر كصبى مدى تسعة شهور وكان عليه أن يستبقيه ستة شهور أخرى ولكن أن لم يكن قد دربه تدريبا كافيا عند نهاية المدة ، فانه ملزم بدفع ٦ « قا » من الشعير عن كل يوم من أيام المدة كلها .

وفى العام التالى عهد « اتي ماردوك بالاتو Itti-Mardouk-balatou » يعهد الى « حاشداى Hashdai » عبد قمين الأمير الملكى ليتعلم حرفة الحجار فان لم تكن النتيجة مرضية فان حاشداى يدفع ٧/١ مينا من الفضة الى اتي ماردوك بالاتو . وفى نفس العام عهد زوجان بأحد عبيدهما ليتعلم الخدمة مدى ست سنوات على أن يعطى معلمه هدية هى لباس قيمته أربعة شواقل ان هو نجح فى تعليمه أما ان فشل فى ذلك فانه يدفع ٣ « قا » من الشعير عن كل يوم من أيام السنوات الست .

ولم تكن النتيجة دائما رائعة وكان المعلم يجد نفسه ملزما بدفع التعويض المتفق عليه ، وكان يفعل ذلك عن طيب خاطر مادام قد انتفع بقدر كاف من خدمات صبيه .

وفى العشرين من تشريت فى السنة الثامنة من حكم كيروش كان نوبتا Noubta قد عهد الى بل اتيير Bél-étir بتعليم اكمال انا ماردوك Etkel-ana Mardouk النسيج مدى خمس سنوات وكان الصبى يأتى فى كل يوم ب « قا » من الشعير والملبس . وقد تعهد النساك أن يدفع فى حالة عدم كفاية التعليم تعويضا قدره ٦ « قا » عن كل يوم وقد أضيف الى هذا الاتفاق غرامة قدرها عشرون شاقلا من الفضة على من يفسد صبه . وفى الثلاثين من آب (أغسطس) من السنة الثامنة أى بعد عشرة شهور من انتهاء السنوات الخمس كان العبد ما يزال مع النساك فدفع هذا خمسة شواقل الى نوبتا .

٣ - التجارة

كانت الأنهر والقنوات السبل الطبيعية للمواصلات بين مختلف مناطق سومير وأكاد منذ عهود ما قبل السرجونية بل ان معظم مدنها كانت منتشرة على طول ضفاف الفرات . ولقد نقل الملك العجوز « أورنيما » الأخشاب اللازمة لتشبيد معابد لجش عن طريق الماء ، كما أن « مانشتوسو Manishtousou » قد استعمل نفس السبيل لنقل مسلة الديوريت التي نقش عليها قائمة بما اقتناه من ممتلكات ، ولقد استجلب « جوديا » كذلك الأخشاب والأحجار والمعادن الثمينة عن طريق الأنهر أيضا . وتحمل بعض الأسطوانات العتيقة صور قوارب واننا لنلاحظ أن حمولة بعضها في عصر أور تبلغ سعة ٩٠ « جورا » من الشعير . وكانت تستعمل لكل أنواع المشحونات من ركاب وحيوانات وحبوب وزيت ودقيق وخشب ومختلف المواد . ولم تكن السفرة من لاجاش الى سوسة تستغرق أقل من شهرين عن طريق القناة . وقد حدد قانون حمورابي الاجار اليومي للقارب سعة ٦٠ جورا بمقدار $\frac{1}{3}$ شاكل ، أما ايجار القارب السريع فتمحطان ونصف قمحة . وكذا حدد اجرا سنويا للمراكبي قدره ستون جورا كما قدر ترميم القارب حمولة ٦٠ جورا بشاقلين وحدد المسئولية في حالة فقدان المركب وحمولتها . ولم تقل حركة الملاحة النهرية في العصر البابلي الجديد : ففي عهد نابونيد دفع شاكل وربيع شاكل من الفضة لقاء استئجار مركب لنقل ثلاثة ثيران وأربعة وثلاثين رأسا من الماشية الصغيرة قدمها الأمير الملكي لشماش وللآلهة الآخرين في سيبار . وهذا وقد ارتفعت التعريفة المعتادة لاستئجار القوارب منذ عهد حمورابي وبلغت في المتوسط شاقلا في اليوم وكان القارب يباع بسفر يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ شاقلا .

وليست لدينا معلومات عن انشاء وصيانة الطرق البرية في بابل . ولقد كانت هناك قوافل بين العاصمة والمدن الرئيسية في عهد أجاده . كما أن رسلا عديدين في أيام ملوك أور كانوا يرتحلون حتى عيلام بقصد توصيل أوامر الأمير وأغلب الظن أنهم كانوا يسلكون الطرق المحاذية للأنهر والقنوات أو الدروب التي تخترق السهل فمما يجدر ذكره من جهة أخرى ان الحاجة التي اضطرت سكان بابل منذ أمد بعيد الى استيراد عدد من المواد الأولية من الخارج لعدم وجودها في البلاد قد حملتهم على تنمية التجارة الخارجية وخاصة مع عيلام في الشرق ومع آسيا الصغرى وشواطئ البحر الأبيض في الشمال العربي . وقد مارسوا هذه التجارة عن طريق عقود العمولة أو تعيين وكلاء ، فإذا كان الأمر يتعلق بإنهاء صفقة أو بيع بيت أو حقل أو شراء عبد أو تحصيل دين أو استئجار مركب

أو استعارة شعير أو استئجار مزرعة أو حيوان ، فإن صاحب الشأن كان - حين لا يستطيع الحضور بنفسه - يختار وكيلًا ويحدد له كتابة مهمته ويخوله سلطة تحرير العقد وتثبيته بقسم .

أما فيما يختص بالتجارة مع المدن البعيدة أو البلاد الأجنبية ، فإن رجل الأعمال كان يكون نوعًا من شركاء المساهمة وكان يعهد بمبلغ من المال لاستثماره تجارياً أو يسلم بضائعه لبيعها إلى مرتحل تجارى يضع تحت تصرفه مواهبه وتجاربه ومهارته .

وقد حدث أن لازم حكم حمورابى توسع هائل فى التجارة مع الشمال والغرب نتيجة للتوسع السياسى لبابل المتحدة وكانت العاصمة الجديدة المركز الحقيقى لتجارة الشرق وذلك بفضل مركزها الجغرافى بين آسيا العليا والدنيا حيث يتقارب النهران . ولقد كرس المشرع كذلك مواد عديدة من قانونه لأعمال كبار التجار ونظم العلاقات بين صاحب العمل والمستخدم ولكن لم تصل إلينا لسوء الحظ المواد الأولى التى تنص على كيفية انشاء الشركة .

وكان الأمر يتطلب - كى تصبح الاتفاقية صحيحة - أن يكون هناك صك مكتوب يعين الواجبات المفروضة على الوكيل . ويحدد بالدقة المال أو البضاعة المودعة تحت تصرفه ثم السلفة الممنوحة بغير مقابل للرحلة . وكان على المستخدم أن يمسك حساباً دقيقاً عن عملياته ويسجل كل ما حصل عليه من أرباح . كما كان عليه عند عودته أن يقدم كل رأس المال إلى موكله مقابل إيصال بذلك ثم يأخذ من الأرباح النصيب الذى كان قد اتفق عليه قبل الرحيل ، أما أن كان قد قام بصفقات غير مربحة نتيجة إهمال أو سوء تصرف فعليه تعويض ذلك بإعادة المبلغ الذى كان قد عهد إليه به مضاعفاً . ومع ذلك فما عليه إذا استطاع أن يبرر أسباب الخسارة إلا أن يعيد فقط المال الذى عهد إليه به كما أنه يعفى من دفع أى شيء إذا كان المال قد ضاع بسبب سوء الأمن فى الطرق أو لأسباب قهرية أخرى ويشترط أن يؤيد ذلك بالقسم . ولم يكن ليقبل النظر فى نزاع بين موكل ومستخدمه إلا على أساس أدلة مكتوبة . وإذا ارتكب المرتحل خطأ فى عمل الحسابات فى غير صالحه أو أن هو لم يحصل على إيصال عن مبلغ منصرف فإنه لا يستطيع استرداد هذا المبلغ فى هذه الحالة . وعند عدم وجود مستند مكتوب ، فإن الشخص الذى يقوم ضده الادعاء يستدعى الآخر فى المعبء فى حضرة الشهود . وكان يحكم على المرتحل الذى يثبت عليه أنه مدين بدفع ثلاثة أمثال المبلغ للدائن . أما أن كان رجل الأعمال هو المخطئ فإنه يدفع للمرتحل ستة أمثال المبلغ الذى احتجزه بدون وجه حق .

ولقد كان الأمن مضطربا فعلا فى طرق القوافل الأمر الذى دعا ملوك بابل فى القرن الخامس عشر الى الشكوى من التحرشات وجرائم القتل التى يذهب تجارهم ضحية لها فى مناطق سوريا الخاضعة للنفوذ المصرى .

وفى القرون الأخيرة من الملكية البابلية كان رجل الأعمال يرتبط فى أغلب الأحيان بالأجانب وخاصة بالأراميين الذين انتشرت لغتهم فى ميزوبوتاميا وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى . وكان على المرتحل التجارى أن ينهى أعماله خلال المدة المحددة فى عقد الاستخدام وكان عليه كذلك أن يعود على الأقل بما يساوى المبلغ الذى تسلمه لأنه كان يتحمل الخسائر وحده على حين كان يقسم الربح بالتساوى - ان كان هناك ربح .

ولقد كان عقد الشركة معروفا فى الحضارة السوميرى وأكادية حتى قبل قيام عقد مساهمة الشركة بين التاجر والمرتحل الذى يأخذ المال أو التجارة لاستثمارها ، كان معروفا فى أول الأمر فى صورة ارتباط بين شخصين أو أكثر بقصد شراء وزراعة حقل ولكن الشروط الخاصة بالعملية لم تكن مبينة .

وان علينا أن ننتظر حتى قيام الأسرة الأولى البابلية لكى نصل الى معلومات أتم فان الشركاء لم يكن يتحتم عليهم أن يكون أساس اشتراكهم رأس مال نقدى بل كثيرا ما كان هدفهم استعارة المبلغ اللازم لتنفيذ مشروعاتهم مع تعهدهم متضامنين بالسداد . وفى حالة حل الشركة كانت الأرباح والخسائر تقسم تبعا للأصبة المتفق عليها وقت انشائها ، وتكون التصفية عامة أو كما كان يقال « ابتداء من قش التبن الى الذهب » وكان اعلان ذلك يتم أمام السلطة القضائية ، فان حدث وقام نزاع بين الشركاء أرسلوا الى المعبد ، حيث كان المدعى عليه يلزم بالقسم لتبرئة نفسه من الاتهامات الملقاة عليه . وعلى كل حال ، فانه كان لزاما على المستحوذ على ممتلكات الشركة أن يعلن ويقسم أنه لم يخف شيئا منها .

وهاك نموذجا من عقد شركة بين شخصين لأغراض تجارية بصيغة عامة (١) « كون اريب سن Erib-Sin ونور شماش Nour-Shamash شركة وأتيا الى معبد شماش وقررا مشروعهما . فهما يشتركان معا على الشيوخ فى الفضة والتجارة والعبيد والاماء فى الخارج والداخل ومشروعهما واضح : فضة مقابل فضة ، عبد وأمة ، وبضائع فى الخارج أو الداخل من الفم الى الفائدة ، سوف لا يتنازع الأخ مع الأخ ، لقد أقسما

ب « شماش » و « ايا » و « مردوك » و « الملك حمورابى » فى حضرة ١٧
شاهدا .

وكانت الصيغة فى العهد البابلى الجديد تحرر أحيانا فى صورة
عامة . فنحن نقرأ مثلا فى حكم نابونيد « أتى مردوك بالاتو ، وشابك
زر يحددان مينا من الفضة كرأس مال للشركة وتكون ثمرة العملية لهما
معا » وكان آخرون يذكرون أن كل العمليات التى يقومون بها « فى المدينة
أو فى الريف » خاصة بالشركة واننا لنرى نفس « أتى مردوك بالاتو »
المذكور - وهو من كبار رجال الأعمال - يعقد اتفاقا مع « مردوك شابك
زر » - وربما كان نفس شابك زر المذكور اسمه فى العقد السابق - على
أن يستثمر معا خمسة مينات من الفضة وبعض الطيب . ويعهد كل منهما
تنفيذ المشروع الى واحد من عبيدهما على أن تقتسم الأرباح الناجمة بين
الشريكين المتعاقدين ، أما العبدان فان طعام وملبس كل منهما يكون على
حساب الشركة لا على حساب سيده (١) وفى العام التالى نجد اتفاقا
مماثلا : فقد تقرر أن توضع مينا من الفضة تحت تصرف عبد « مردوك
شابك زر » وأما « أتى مردوك بالاتو » فانه يقدم هو الآخر من ناحيته
واحدا من خدمه ليستثمر هذا المبلغ .

وكان عقد الشركة يحرر أحيانا لمدة قصيرة ويمتد أحيانا أخرى
لسنوات عديدة تسوى خلالها الحسابات من وقت لآخر بصفة مؤقتة .
وحين يأتى التاريخ النهائى لتسوية الحساب فان ذلك كان يتم - كما
كانت الحال من قبل - أمام المحاكم كما كان يلجأ الى القسم لتأييد ما جاء
فى الاقرارات الخاصة بتسوية الحساب .

وفى عام ٦١٧ ق م . وهى السنة الثامنة لحكم نابوبولاسار أسس
« نابوكين ابلو » وابنه « نابوبلشونو » عقد شركة مع « شولا »
و « موشزيب بعل » وبعد ٣١ سنة ، أى فى العام الثامن عشر لحكم نبوخذ
نصر الثانى (٥٨٦) قررا أن يفضاها فسنوا حساباتهم أمام المحكمة
واقترسوا ١٥ شاقلا من الفضة كان قد دفعها « نابوكين ابلو » وابنه ولم
يكن هناك مجال لمناقشة الموضوع أو المطالبة بأى حق فقد حلت الشركة
وسلك كل شريك طريقه تمت تسوية الحساب وكسرت اللوحات
القديمة بقصد الحيلولة دون قيام أيما نزاع مستقبلا ، ولقد استشهد بالآلية
على صحة التصفية وحمل كل من الشركاء السابقين معه عند انسحابه
الدليل الكتابى على ذلك .

٤ - البيع

كان البيع استبدالاً للشيء المملوك بمال أو - فى النسادر جدا - بشعير . وكان يجب أن يحوى العقد الذى يشتمل ثلاثة عناصر أساسية هى بيان الشيء المبيع وأسماء الطرفين والتمن الذى يدفع أو إيصال الدفع الذى يتم فورا .

وترجع بعض عقود البيع الى فترة العصر التاريخى وكانت قد حررت فى المدينة القديمة شوروباك قبل عهد « أورينا » ملك لجش (١) وفيها نجد أرضا تقدر بشاقلين ونصف شاكل من الفضة لـ « جان » كما نجد تقديرا لمنشآت ملحقة بحقل بخمسة أو عشرة شواقل من الفضة أو - حتى بعشرة شواقل من النحاس ومثل هذه الوثائق لا تعطى - أسوة بنظائرها من عصر لاحق - فكرة دقيقة تماما عن حقيقة قيمة الشيء المبيع لأنه يجب أن يراعى نوع العبيد وحالة المنازع وموقع الأراضى وحتى رغبة المشتري الشخصية . وتقدم لنا لوحة حجرية - من العصر العتيق كذلك - قائمة بقطع من الأراضى اشترت نقدا بالفضة فى ناحية أوروك . ولقد وجدت معظم الأرقام الواردة بها مشوهة ولكن يتبين منها أن قيمة الـ « جان » لا تقل عن ستة شواقل (٢) . وفى لجش - خلال حكم انهجال أحد أسلاف أورينا - نجد « لوجال كيجالا » الكاهن الأكبر فى نجرسو يشتري أملاكاً متعددة تتراوح مساحتها ما بين ٤٨ و ٩٠٠ هكتار (١١٨/٢) ، ٢٢٢٠ فدانا) - ان نحن قدرنا أن المساحة السطحية هى نفس نظيرتها فى العهد التالية - . ولقد دفع الثمن نحاسا وشعيرا وقمحاً وبعض المحصولات الزراعية الأخرى .

وقد بيعت أمة فى عهد « انمين » بعشرة شواقل من الفضة و ١٢٠ « قا » من الشعير . وبيعت أخرى مع ابنها بعشرين شاكلاً من الفضة و ١ « جور » من الشعير وائاء من التبيذ على حين يباع العبد بـ ٤٣ شاكلاً . ويقدر ثمن الحمار بـ ٢٠ شاكلاً والخنزير بما يتراوح بين ٤ و ٥ . وكان سعر « سار » الأرض بما عليها من منشآت يساوى ١٥ أو ٢٢/٢ شاكلاً تبعاً لموقعه وحالة المبنى . وسعر « جان » الأرض المنزرعة ٢ « جور » من الشعير والمباني الملحقة للاستغلال يدفع ثمنها على حدة علاوة على ثمن الأرض . وكان العقد يحرر بحضور شهود من أسرة البائع - وأحياناً من

LXXXV. Nos 9-15.

(١)

XIII, 38, p. 818.

(٢)

أسرة المشتري كذلك - وخبراء وكتاب ورجال أعمال وموظفين مختلفين يتسلمون هدايا وكانت الموافقة تتم بقسم ، كما كان يعمل ختم اسطواني لتوثيق العقد .

ولقد ظلت عادة تقديم الهدايا بمناسبة شراء الأرض في عصر « مانشتوسو » ملك « إجاده » وظلت كذلك بعد سقوط بابل . وفي عهد الأكمينيين كان المشتري يضيف إلى الثمن الأصلي رداء لـ « سيده البيت » .

وقد سجل مانشتوسو شروط بيع إقطاعات كبيرة مختلفة آلت إليه ، سجلها بالنقش على سلسلة من الديوريت أورد فيها أسماء أصحابها السابقين والثمن المدفوع وتكليفها المقروض وحدودها . وكان يقدر « جان » الأرض في هذه الناحية من إجاده بـ $\frac{3}{4}$ جور من الشعير بغير المباني المقامة للاستغلال . وكان جور الشعير يساوي شاقلا من الفضة . وكان الجحش يباع بـ ٢٠ شاقلا أى أغلى أحيانا من العبد أو الأمة ذلك لأن العبد المتزوج كان يباع بشاقل من الفضة وخروف . وكانت مينا الصوف تساوي $\frac{1}{4}$ شاقل ، وائاء الزيت سعة ١٠ قا بشاقل وكان سعر الفضة يعادل سعر النحاس ٢٤٠ مرة .

وحين كان يقوم نزاع حول صفقة بيع في أيام ملوك أور كان القضاة يطلبون إلى الشاري - إذا تعذر عليه تقديم لوحته - أن يؤدي القسم ثم يؤيدون الصفقة وقد حدث هذا في السنة الثالثة من عهد جيميل سن في قضية خاصة بزراعة ١٢ نخلة بلح كبيرة باعها المدعو لونا نا أمام شهود بمبلغ ثلاثة شواقل من الفضة ثم أنكر ذلك .

وفي عهد الأسرة الأمورية - قبل حمورابى - لم يكن سعر الشيء المبيع يذكر دائما ، إذ أن الدفع كان يتم عادة بالنقود فورا وكان العقد في الواقع عبارة عن إيصال . ومن عهد حمورابى بدى في تسجيل السعر أما الإضافات الأخرى التي كانت العادة قد جرت على دفعها علاوة على الثمن فيظهر أنها اختفت لفترة ما .

ولقد اشترى « وارادسن » و « بل زم يلى » معا ثورا بالناف بمبلغ « $\frac{8}{1}$ شاقلا بموازين شماش » وكان الناف تحت تصرف أيهما ، كما أنه في حالة بيع الثور فانهما يقتسمان الثمن (١) .

وكان من يشترى عبدا يتسلم من البائع ضمانه بعدم وجود عيوب فيه تستوجب إلغاء البيع وكان الفريقان - قبل تنفيذ قانون حمورابى -

يتفقان فيما بينهما على مدة الضمانة التي يمكن تقديم أية مطالبة خلالها كما كانا يتفقان أحيانا على أن الضمانة دائمة . وقد حددتها المادة ٢٧٨ من القانون بشهر . وكان البائع مسئولاً كذلك عن البحث عن العبد الذي هرب من بيت سيده الجديد مادام قد أخطر بذلك خلال ثلاثة أيام كما أنه يقدم ضمانة ضد القبض أو أى نزاع على ملكية الغير وعلى وجه العموم يجب أن يواجه أية مطالبة خاصة بالعبد المذكور .

وكان يدون فى عقد نقل (ملكية) منزل مساحته والأمالك التي تحده واسم البائع والمشتري والتمن المدفوع وصيغة عدم النقص والقسم بالآلهة والملك وقائمة بالشهود والتاريخ . وهذه صيغة عقد بيع بيت واقع فى مدينة سيبار (١) فى مفترق طرق حرر فى عهد سامسو ايلونا : « ٢ سار و ٤ جان أرضا مبنية الى جانب منزل « ايلي أويليم رابى » بن « شماش ناتسير » والى جانب الشارع . ناحية منه تطل على الشارع والأخرى على منزل « سيني دينام » اشتراها من يدى « ايلي أويليم رابى » ابن « شماش ناتسير » و « شماش بانى » بن « كشتى ننجيدا » وقد دفع الثمن بأكمله وقدره $\frac{1}{2}$ مينا و ٩ شاكل من الفضة . تمت الصفقة وقلبه راض . وسوف لا يتقدم أحدهما ضد الآخر بأية مطالبة فقد أقسما باسم « شماش » و « ايا » و « مردوك » و « الملك سامسو ايلونا » وآل اليه مقابل ذلك ٢ سار و جان » ثم يلى ذلك أسماء ١٢ من الشهود والتاريخ .

وكان البائع يبين أحيانا فى العقد أصل الملكية وكان عليه أن يسلم مستند الملكية أو يشير الى فقدانه وفى هذه الحالة الأخيرة كان ينص على تسليمه الى المشتري أن عشر عليه ، وأما ان أدخلت على العقار تعديلات فانه كان يشار الى ذلك لتلافى أى خطأ فى تحديده .

وفى « دلبات » كانت العقود السابقة لصدر قانون حمورابى تشير الى اقامة حفل يقرر فيه عدم امكان الرجوع فى العقد . كما هى الحال فى فرنسا اذ يشير اطفاء الضوء الثالث دون استرسال فى المزايدة الى انتهاء المزاد وكانت هذه هى ال « بوكانو » فقد كانت هناك عادة سسوميرية قديمة - ترجع فى أغلب الظن الى فترة سابقة لتاريخ كتابة العقود تقضى باتمام الصفقة وذلك بدق مسمار فى الحائط . وفى حكم انتمينا - ايشاكو لاجش - كانت تبدى رغبة فى أن تكسر أسنان المدعى بوترد ان تبين أن سوء النية بين أسنانه (٢) . وكان القسم يتم باسم الاله المحلي والملك

الحاكم . ويظل المالك السابق ملزما بمراجعة كل دعوى استرداد قد تقام . وهناك ستة عقود من هذه الفترة تبين مساحة المنزل - وفي نفس الوقت ، ثمن نقل الملكية . وقد قدر ثمن ميينين مساحتهما ٢٠٨١ مترا و ٤٧٠٤ مترا مربعا بمبلغ ٢٥٣ و ٢٥٣ شاقلا على التوالي أى بواقع ستة شواقل لكل سار فى الحالة الأولى و ١٨ ٢ شاقلا فى الحالة الثانية . ومع ذلك فانهما لم يكونا واقعين فى نفس المدينة فحسب بل فى نفس الحي كذلك . والواقع أن الأول كان محصورا بين مجموعة من المساكن بينما كان الثانى يفتح على السوق مباشرة وكان له « باب وعارضة » وكانت المباني الأربعة الأخرى تعتبر « ميانى ذات آبار » وكان يميزها اصطلاح « أى بور بال » وكان أصغرهما يحتل مساحة ١٧٦ مترا مربعا وقد قدر بأعلى ثمن - ٢٣ شاقلا للسار - ذلك لأنه كان مجاورا لمسكن المشتري مما زاد فى قيمته . أما الأخرى فتختلف مساحتها بين ١٣٥٢ و ٣٠٨٤٢ مترا مربعا وقد بيعت على أساس ثمن السار منها ٨٤٠ شاقلا ، ٢٦٢٩ شاقلا ، ١١٦ شاقلا . وقد ورد فى أحد العقود ذكر لأصل ملكية العقار وقد أحضر البائع معه شاهدا نفس الرجل الذى كان قد اشترى منه العقار من قبل .

وفى السنة العشرين من حكم أشور بانيبال بيع منزل فى أوروك وقد كان حسن البناء بعضادته (حزام البساب) وبابه ومزلاجه وكان مسورا من الداخل وليس له باب على الشارع . ولم تبين المساحة فى العقد ومع ذلك فقد بيع الى أحد الملاك المجاورين بحالته ب مينا و ١٥ شاقلا من الفضة « بيع وتم تسليمه ودفع ثمنه » لن تقوم بشأته أية مطالبة فالصفقة نهائية ولن يحاول أحد الطرفين أن ينازل الآخر فى شأنها وتتخذ - علاوة على ذلك - الاحتياطات اللازمة ضد أى شخص قد يوجد نزاعا فى المستقبل سواء أكان أخا أم ابنا أم قريبا أكان ذلك مباشرة أم عن طريق الغير انه يعرض نفسه لدفع ثمن العقار ١٢ ضعفا وقد حرر هذا العقد طبقا للصيغة الآشورية (١) ونفذ أمام خمسة من الشهود ومهره البائع وحده بختمه ووضع علامة على الطين بظفره .

ولعل أكثر عقود البيع إثارة للالتفات تلك العقود التى ترجع لعصر البابلية الجديدة والتى تخص العبيد . فان الخادم كان يسلم بضمانة ضد الهرب وضد المطالبة بحق عليه : الارادشاروتو ، والماربانوتو . وكان البائع يحمس نفسه بقدر الامكان ضد ما يمكن أن يحدث من مطالبات باتخاذ المالك السابق وورثته كشهود أثناء اتمام الصفقة .

وكانت الارادشاروتو هي خدمة الملك ولسنا نعرف على وجه التحقيق على من كانت تسرى ولا مدى الامتيازات الناجمة عنها . أما الماربانوتو ، فكانت تخص حالة الشخص الذي يرجع أصله الى رجل حر أو محرر يوما ما ولقد استند العبد بريكيل (١) الى هذا الامتياز وأقام الدعوى ضد رجل الأعمال « اتى مردوك بالاتو » الذي اشتراه في العام السابع من حكم نابونيد . ولقد عرض الأمر على المحكمة وتبين لسوء حظ الشاكي أنه بيع في العام الخامس والثلاثين من حكم نبوخذنصر بمقدار ٢٨ شاقلا الى « اهنوري » وأصبح بعد سنوات أربع من متعلقات المرأة « جاجا » ثم أعطى رهينة على قرض قدره (٢٠ شاقلا) ثم تضمن في بئنة « نوبتا » ابنة « جاجا » ثم انتقل عن طريق التبادل الى أيدي ابن وزوج « نوبتا » اللذين عرضاه مرة أخرى للبيع في السوق ولقد جمعت اللوحات التي تتصل بظروفه هذه وقرئت ودعا القضاة الشاكي الى عرض حججه ولكنه اضطر الى الاعتراف بصحة المستندات المقدمة ضده ، وقرر بأنه لا حق له في الانتفاع بمزايا ال « ماربانوتو » .

وبمجرد دفع ثمن شراء العبد كان هذا الأخير يصبح ملكا لسيده الجديد الذي يتحمل الخسارة الناجمة عن الوفاة أو ينتفع بالمزايا التي تترتب على الولادات . وقد نص على ذلك في عقد من السنة السابعة لحكم قمبيز . وقد أعاد « مردوك بالاتو » بيع أمة وطفليها الى « هابا تسيرو » وكان قد اشتراهم منه في العام السابق ولكن لسبب ما لم يكن هذا قد سلمهم . « وفي اليوم الذي يرسل فيه « هابا تسيرو » مندوبيه الى « اتى مردوك بالاتو » فان الأخير سيعطى العبيد الى مندوبي « هاباتسيرو » في بابل . أما العبيد الذين يدوتون أو يولدون فيما بينهم فانهم يخصون هابا تسيرو » (٢) .

٥ - التبادل (المقايضة)

التبادل اتفاق يرجع في أصوله الى عهد أقدم من عهد البيع وكان المرء يستطيع بواسطته أن يرتبط بنقل ملكية سلعة الى آخر مقابل تسليم سلعة أخرى . وكان للبيع والتبادل في أشور عقود لها نفس الصيغة . أما في بابل فقد كان التبادل يجري على حدة . وفي عهد قمبيز نجد أن نفس الأمة وطفليها الذين أعاد شرائهم في العام السابع سيدهم السابق

CXIV, NBn. 42.

(١)

CVI, t. II, p. 40.

(٢)

هاباتسيرو كانوا منذ عهد قريب قد استبدلهم اتى مردوك بالاتو بمنزل .
وفى العام الثامن من حكم كيروش استبدل رجل عبدا - كان قد اشتراه
للتو - ببائة زوجته . وغالبا ما كانت قيم الأشياء المستبدلة غير
متكافئة . وكان على المتعاقد صاحب الكفة الراجحة أن يدفع معدلا ونحن
نجد مثلا لذلك فى دلبات (١) فى عهد « سن موبالليت » تضمن فقرة
جزائية ضد أى الفريقين الذى ينقض الاتفاق « $\frac{1}{3}$ سار $\frac{1}{4}$ من بيت
بوربال المجاور لمنزل ناويرايا والمجاور لمنزل انايلى واحدى واجهتيه تطل
على منزل ناهيل والأخرى على السوق الكبيرة : منزل مردوك موبالليت
- (سار) من منزل بوربال . منزل اداد ايلو المجاور لمنزل لاما المجاور
لمنزل اداد ايلو : احدى واجهتيه تطل على منزل واراد أوراش والأخرى على
منزل ايلي ٠٠٠ : بيت اداد ايلو - تبادل « اداد ايلو » و « مردوك
موبالليت » منزليهما . وأعطى « اداد ايلو » الى مردوك موبالليت $\frac{1}{3}$
شاقلا ، ١٢ قمحة من الفضة كمعدل ومن يتنازل فانه يقدم بيتا ببيت .

٦ - الاستئجار

الاستئجار عملية يقدم عن طريقها شخص الى آخر مزية استعمال
شيء لفترة محددة من الزمن مقابل دفع مبلغ يتفق عليه . وقد نص قانون
حمورابى على استئجار القوارب والحيوانات والأهراء والبيوت والعربات
والأرض والخدمات ٠٠٠ الخ .

وكان ثور الحراثة يقدر بـ ٤ جور من الشعير فى السنة على حين كان
ثور الجر بثلاثة جور فقط وكان هذا هو الثمن الذى دفعه فى دلبات (٢)
قبل صدور القانون المدعو هوزالوم عن ثور من أملاك شماش وزوجه ايا
« استأجر هوزالوم بن فاهيلوم ثورا - ثورا لشماش وايا لمدة عام .
وايجارة السنة ٣ جور من الشعير ويكيلها يوم المحصول » وكان استئجار
الثور يوما لدرس الجبوب ٢٠ قا وهو أجر مرتفع جدا يوازي ٢٤ جورا فى
السنة ان نحن غرضنا النظر عن استحالة تكليف حيوان واحد بمثل هذا
العمل مدى عام كامل ، وضرورة الاسراع فى تمام العمل حتى يوضع
المحصول فى مأمن .

وكان الجحش يستأجر بـ ١٠ قا فى نفس الظروف أى بنصف ايجار
الثور وكان المستأجر مسئولاً عن الحوادث الا فى الظروف القهرية أما اذا

XLVI, No. 25.

(١)

XLVI, No. 45.

(٢)

نفق الحيوان أو أصبح غير قادر على العمل بسبب الإهمال أو بسبب الضرب فإنه يكلف بأن يعوض رأسا برأس . واصابة العين تنزل الى النصف قيمة الثور أو الجحش وكسر القرن أو صلح الذيل أو اصابة الرأس تفقد الحيوان ثلث ثمنه فقط .

ولقد فرق القانون بين ثلاثة أنواع من القوارب : فقوارب التعديية كانت تستأجر بثلاث قمحات من الفضة فى اليوم . والقارب السريع بمحمتين ونصف وأما القارب حمولة ٦٠ جورا فيستأجر ب $\frac{1}{4}$ من الشاقل وكان عامل القارب يؤجر عن خدماته فى السنة بأجر متوسطه ٦ جور من الشعير والعربة ذات الثيران والسائق كانت تستأجر ب ١٨٠ قا من الشعير يوميا أما العربة وحدها فأجرها ٤٠ قا .

أما العامل الزراعى - شأنه فى هذا شأن راعى الماشية والأغنام - فكان يستأجر بأجر سنوى قيمته ٨ جور من الشعير . وسائق الثور ب ٦ جور أما عامل المياومة فكان يكتسب ٥ أو ٦ قمحات يوميا تبعاً لموسم العمل . وقد حدد القانون أيضا أجور العمال اليدويين فأجر النجار - وهو الأجر الوحيد المؤكده - ٤ قمحات يوميا وكان استئجار العبيد معروفا كذلك بين السوميريين القدماء . وكان الرجل الذى يأخذ عبد رجل آخر فى خدمته يصبح - كما هو الشأن فيما يختص بالحيوانات - مسئولاً عن هرب الخادم وموته وعجزه المؤقت أو الدائم بل ومريضه كذلك ، وكانت قيمة الاستئجار أصلا محددة ب ١٠ قا من الشعير يوميا .

وكانت الأرض الصالحة للزراعة تؤجر لمدة معينة هى ثلاث سنوات عادة - وأحيانا لسنة واحدة - وهاك مثلاً من دلبات (١) : « ٣ جان و ٧٠ سار من حقل واقع فى اقطاعية ٠٠٠ المجاورة لحقل سن ايلو وحقل ليت ٠٠٠ و (١٠ جان من حقل باب اداد المجاور لحقل ايبق عشتر وحقل اتيل بى ٠٠٠ ومجموعها ١٣ جان و ٧٠ سار من ايدى « ايلي اريشسا » ابنة « ناهيلوم » و « هوزالوم بن ناهيلوم » تزرع هذه الأرض سمسما وشعيرا وقد أجرت لعام واحد وكان الدفع فى موسم الحصاد من المحصول نفسه - وفى عهد نبوخذ نصر الثانى أجرت زراعة نخيل مدى ١١ سنة (٢) وكان محصول الأرض كلها والأشجار مدى أربع سنوات من حق المستأجر وفى السنوات الثلاث التالية كان نصيب المالك الثلث ، أما فيما بين السنتين الثامنة والحادية عشرة فلم يتسلم سوى الربع (٣) . وكان المخزن يؤجر

XLVI, No. 39.

CXIV BNK, 90.

XLVI No. 28.

(١)

(٢)

(٣)

عاما عاما ولدينا مثل على ذلك من دلبات ولكن العادة جرت في أغلب الأحيان على ايداع المحصول في مخزن وكان الأجر يقدر بالنسبة لكميته المخزونة : وقد حدد قانون حمورابى تسعير ذلك ب ٥ قس للجور أى ١٦٦٪ .

وقد تضمن القانون المشار اليه كذلك بنودا تتصل بتأجير المنازل ولم يبق منها سوى مادة واحدة . ويظهر أن المستأجر كان ملزما بالدفع مقدما وكان من الممكن طرده قبل نهاية الايجارة على أن يتسلم تعويضا متفقاً عليه مقابل ذلك وقد اختفى حق الاخلاء فى العهد البابلى الجديد وان ظل محتفظا بطريقة الدفع مقدما . وفى السنة الأولى من حكم قمبيز أجر منزل بخمسة شواقل فى العام تدفع على دفعتين متساويتين فى أول السنة وفى الشهر السابع . وقد حددت الاصلاحات الخاصة بالعين المؤجرة كما حدد تعريض قدره ١٠ مينا عن الخسائر يدفعها الطرف الذى يخل بالاتفاق .

٧ - القرض (السلفة)

يحدث فى كل مجتمع منظم أن أحد أفراده يجد نفسه مضطرا الى الالتجاء الى الآخرين والاستدانة منهم لفترة طويلة أو قصيرة مالا أو نوعا ما يحتاج اليه كى يستغله فى صناعته أو يسند به حاجته . ومنذ أقدم العصور حتى الامبراطورية الفارسية ظل التشريع البابلى فى هذا الصدد وطيدا فى صورة تدعو الى الدهشة : فالى جانب القروض بدون فائدة وبنص جزائى أو بغير نص لا سيما فيما يختص بالمواد الاستهلاكية ، سمح هذا التشريع بالقروض ذات الفائدة وحدد سعرا أعلى للفائدة ظل لا يتغير مدى ألفى سنة وكانت الفائدة تسمى سبتو Sibtu « النمو - زيادة رأس المال » وهكذا ظهرت فرصة الاستثمار حيثما كان رأس المال المعار قابلا للزيادة اللهم الا فى حالة « الظروف القاهرة » التى يمكن اثباتها .

ولقد أقر قانون حمورابى (١) عادة كانت قائمة تحت حكم ملوك اور وحدد فقط مادتين يمكن أن تكونا محلا للاعارة هما الشعير والفضة مع أخذنا « الشعير » هنا بمعنى واسع للدلالة على أى نوع من الحبوب بل وأى نوع من المحاصيل (كالبصل مثلا) التى كانت كلها سواء بالنسبة للمشرع

نظرا لأن سعر الفائدة لم يكن يختلف : وهناك عقد من السنة الثالثة
لحمورابي خاص بقرض شعير وبلغ فيه الدليل على ذلك .

وكان الشعير أهم سلعة للتبادل في هذا الاقليم ذي الأهمية الزراعية
وحيث كان يغل بأكثر وسائل الزراعة سذاجة ٣٠ أو ٤٠ ضعفا . وهو الى
جانب ذلك الغذاء الرئيسى للانسان والحيوان لدرجة أنه كانت تدفع به
لا أجور العمال فحسب بل وأجرة حيوانات الحرث وحتى مرتبات بعض
الموظفين .

وفي عصر أور كان السعر المعتاد للقرض من الشعير $\frac{1}{33}$ في
السنة أى ثلث رأس المال وقد ظل هذا السعر قائما فى قانون حمورابي
الا أنه أخذ فى الانخفاض بعد ذلك . وفى عصر البابلية الجديدة عندما
هضعت القروض بالفضة نزل هو كذلك الى نفس سعرها . وقد حدد هذا
فى كل العصور ب ٢٠٪ فى السنة أى خمس رأس المال .

ومع ذلك فقد كانت هناك حالات - نادرة جدا على كل حال - يطلب
فيها القرض فائدة أعلى . ولدينا مثال من عصر أور وآخر من العهد البابلي
بلغ فيهما سعر الفائدة لقرض من الفضة ٢٥٪ وغالبا ما رضى الرأسمالى
بفائدة أقل وهو فى هذا كان ينهج نهج الدولة التى كانت تمنح القروض
المالينة بفائدة ١٢٪ أو نهج أولئك الذين يديرون شئون المعابد ممن كانوا
يطلبون أقل من ذلك . وقد اعتاد الآلهة شماش اله سيبار أن يقرض الشعير
بفائدة قدرها ٢٠٪ وبعد سنوات قليلة كان يقرض الفضة بفائدة مقدرة
على أساس $\frac{1}{3}$ من رأس المال ، أى بفائدة تقل عن ثلث السعر القانونى
للفائدة .

ولحماية المستدين من المرابين أمر حمورابي أن يكتب عقد القرض ذى
الفائدة فى حضور موظف كان مكلفا منذ عهد أور بمعرفة ما يسلم من أموال
وجبوب وحيوانات وسلع من مختلف الأنواع . ومنذ ذلك العهد اعتبر كل
عقد يكتب ويختتم - حين لا يكون الإشراف قائما - ملغيا من تلقاء نفسه
وكانه لم يكن . وليس للمقرض أى حقوق للمطالبة بما أقرضه فكان
الطرفان المتعاقدان قبل تقرير هذا الاجراء القانونى يعترفان عادة بأن
التسليم تم على يد « رجل عادل وصادق » وقبل ذلك وبعده كان الطرفان
يقرران فى كثير من الأحيان أن الوزن والمكيال سيجريان بالاوزان والمكاييل
الرسمية المحفوظة فى قصر الملك أو فى معابد الآلهة .

ورغم حضور الموظف المختص فانه كان من المحتمل تحرير العقد على
وجه يحتال به على القانون ترفع به الفائدة الى سعر أعلى من الحد المرخص

به فى القانون وفى هذه الحالة كان الاتفاق يعد لاغيا ان عرف هذا التحايل
ويفقد الدائن حقه فى الدين ولكنه يحتفظ بالفائدة التى تسلمها . أما المدين
فلا تتخذ ضده أية اجراءات .

وقد احتاط قانون حمورابى ضد الدائن غير الشريف الذى تسلم
الفائدة ولكنه ينكر ذلك بقصد مضاعفة ربح قرضه . ولسوء الحظ لم يصلنا
النص الجزائى . وكان الأمر يتطلب على أية حال تحرير لوحة جديدة
يحدد فيها أصل الدين وما يتبقى على المدين . وحين لا يستطيع الدائن
غير الشريف أن يتهرب من هذا الالتزام فانه كان يسمى جهده كى ينتفع
منه فى سبيل أهدافه الربائية . - من ذلك أنه كان يخصم الفائدة التى
تسلمها فعلا ولكنه كان يعنى فى الوقت نفسه بأن يضيف فى الصك الجديد
قيمة الفائدة - التى لاتزال واجبة السداد - الى رأس المال وبذلك يجعل
المدين يدفع فائدة الفوائد أو بعبارة أخرى يحصل على فائدة على أساس
سعر أعلى من السعر القانونى . وكانت العقوبة فى هذه الحالة الزام
الدائن بأن يدفع ضعفى مقدار المبلغ الذى تسلمه بغير وجه حق . ولئن
لم تكن هذه العقوبة أشد فربما كان سبب ذلك أن المشرع راعى أن المدين
قد أهمل بعض الاهمال فى تأدية واجبه الذى كان يحتم عليه أن يحقق
الأرقام المنقوشة على اللوحة وأن يعارض فى أعمال الغش التى أصبح
ضحية لها .

وكان استعمال موازين ومكاييل زائفة سواء فى تسليم القرض أو دفع
الدين يعرض الدائن لسقوط حقه .

وكذلك نرى أن المدين الذى يحميه القانون من كل تصرف غير شريف
من قبل المقرض يستطيع أن يحصل على تسهيلات للدفع حينما يكون من
المستحيل عليه أن يرد الدين النوعى فان كان قد استعار مالا وكان لا يملك
منه شيئا بينما يكون لديه بعض الشعير فانه على الدائن أن يتقبل الشعير
وان كان له أن يسدد فائدة قدرها $\frac{1}{33}$ ٪ وهى الفائدة الرسمية للشعير بدلا
من ٢٠٪ أقصى فائدة للفضة . أما اذا لم تكن لدى المدين فضة أو شعير
فان فى استطاعته أن يقدم أية سلع يمتلكها ليتخلص من ربقة الدين ، وعلى
المقرض أن يتقبلها ان كان العرض قد تم فى حضرة شهود . أما حين
لا يكون هناك شئ يستطيع المدين تقديمه لسداد الدين فهناك مجال
لعقد جديد يتفق الطرفان على فحواه ولا يعتبر هذا العقد عقد قرض
بفائدة .

٨ - الرهنون

لم يقصر المشرع رعايته على المدين وحده لأنه كان من العدالة أن يضمن للمقرض حقه في استعادة رأس المال والفائدة ولذا فإنه سمح له أن يطلب رهنا أو ضمنا .

ولقد نظم قانون حمورابى رهن الحقول فكان لكل من يتسلم حقلا غير مبذور بصفة رهن ليزروعه التحق فى أن يأخذ وقت الحصاد ما يعادل القرض مضافا اليه الفائدة ونققات الزرع . أما ان كان قد أخذ حقلا مبذورا فليس له حق مباشر على المحصول ، بل ان من حق صاحب الأرض أن يبيعه قبل أن يسدد للدائن .

وعلاوة على ذلك كانت توجد أنواع أخرى من القروض مقابل رهن ففى حكم « سامسو ايلونا » أقرضت كاهنة احدى زميلاتها قدرا من المال يساوى ثمن حقل وذلك مقابل اتاوة سنوية وهدايا فى أعياد معينة وكان الضمان الحقل نفسه الذى يصبح من أملاك الدائنة مقابل الدين المقدم ان لم تف المدينة بالتزاماتها . ولقد انتشر رصيده الرهن انتشارا كبيرا خلال عهد البابلية الجديدة . وكان سداد الفوائد وكذلك الدين يحدث أحيانا عن طريق استعمال الرهن المودع لدى الدائن ٠٠٠ من ذلك - الى حد معين - قضية الخباز « ايننا تسيللى بابى رابى » الذى ألزمه أبوه أن يخدم السيدة « اهاتا » سدادا لقرض قدره ٤٢ شاقلا من الفضة (١) ولقد ظل فى خدمتها مدى عشر سنوات اذ أن خدمته كانت مقدرة على أساس أجر يومى قدره ٦ قا من الشعير استهلاكا للمدين . ومما هو جدير بالذكر أن القانون عدل ففى أيام الأسرة الأولى كانت العبودية الجثمانية لا تمتد لأكثر من ثلاث سنوات أما الآن فليس لأمرها من حدود ما لم يتيسر السداد .

وكان من الممكن استعمال المنقول وغير المنقول رهنا كالزوجة والأطفال والعبيد والحقول والمنازل والقروض وأدوات المنزل ٠٠٠ الخ . وفى السنة الحادية والعشرين من حكم نبوخذ نصر الثانى استعار « بابيا » وزوجه « شاناناشى » « مينا » من الفضة من « نابوبان أهى » وقدمتا له ضمنا لذلك بابا من أبواب هسكن البواب لبوابة سالىمو وكان الخشب نادرا كما هى الحال فى أيام الأسرة الأولى وكان الباب شيئا له قيمته ومع ذلك فقد أضافا اليه « كل ما كانوا يملكون فى المدينة والقرية » مع النص على السلع بمواصفاتها التى لا يستطيع دائن آخر أن يدعى حقا عليها قبل انتهاء أجل

الدين (١) ولقد فعل نابو باللاتسى اقبنى نفس الشيء حين استعار نصف مينا من الفضة من جاميللو بفائدة قدرها ٢٠٪ وذلك فى السنة السادسة عشرة من حكم نابونيد وقد رهن بيته ونص فى مستند الرهنية على أنه : « لا حق لأى دائن آخر على هذا البيت حتى يتم السداد » .

وإذا حدث أن اقترض رجل عدة قروض متوالية من نفس المقرض فإن هذا الأخير كان يعنى بأن يورد فى اللوحات الجديدة ذكر القروض السابقة تلافيا للخلط بينها وبين القرض الأخير وهكذا نرى « ادين مردوك » يقرض « نابو اهيدين » نصف مينا فى التاسع من سيوان من السنة الثامنة من حكم نابونيد ولقد كتب « إهوال أخرى وسلمها - أي نابو اهيدين - » وفى العام التالى فى ٢٤ نيسان أعطاه $\frac{1}{3}$ مينا و $\frac{2}{3}$ شاقلا من الفضة وذكر أنه كانت هناك سلف أخرى سابقة دون الغفال ذكر فوائدها كذلك . وفى التاسع من كيسلو أعطاه (٤٥ جور) من الشعير بفائدة ٢٠٪ وفى هذه المرة أشار المقرض : « يضاف الى ذلك القروض السابقة » (٢) .

وهناك عقود ثلاثة مؤرخة بالسنة التاسعة من حكم الملك نابونيد تبين كيف أنهم كانوا من الناحية العملية يفتكون الرهن الذى قد يكون المقرض نفسه رهنه ضمنا لقرض آخر فلقد استعار نابو تولتابشى ليشير ٣٥ شاقلا من الفضة من السيدة بنانوتوم وأعطاها أمة كرهن . ولما كانت بنانوتوم وزوجها فى حاجة للمالهم فانهما طلبا من ابنا ايساجيل بعليت قرضا قدره ٣٠ شاقلا وسلماه الأمة وباع نابوتولتابشى ليشير ثلاثة خدم بما فيهم الأمة المرهونة الى ادين مردوك مقابل ٢ مينا و ٥٠ شاقلا . وفى الحادى عشر من آذار (مارس) طاب ادين مردوك من موله أن يدفع ٣٥ بنانوتوم وهذه بدورها خلصت الأمة بأن سددت دينها الى ابنا ايساجيل بعليت . وفى الخامس عشر من آذار تسلم نابوتولتابشى ليشير باقى ثمن البيع ولكنه أعطى مع ذلك مخالصة كاملة عن المبلغ كله مادام وكيل الأعمال قد أعاد اليه لوحة القرض الذى كان قد أخذه من السيدة بنا نوتوم (٣) .

ولم يكن الرهن يحول دائما الى المقرض ولم يكن له فى أحيان كثيرة حق فعلى عليه الا من التاريخ الذى يستصدر فيه حكما من المحكمة بالاستيلاء عليه وذلك فى حالة عدم استطاعته استرداد الدين . وهذا

CXIV NBK. 122.

(١)

CXIV, NBN 294, 325, 369.

(٢)

CXIV, NBN 390, 391, 395.

(٣)

ما حدث فيما يختص بالباب الخاص بـ « بابيا » أما إذا كان الرهن قد سلم فانه كان هناك مجال لعقد اتفاقية بشأن الأرباح التي قد تنتج من استغلاله وشروط هذا الاستغلال .

وكان الرهن أحيانا يستطيع أن يسدد رأس المال والفائدة معا ، ففي آخر خدمة اينما تسيللى بابى رابى حسب مجموع الفائدة ولم يكن استهلاك سينوى .

ولقد استعاز « شاييك زر » من « شولا » ورهن بيته وقدم شولا ليعيش فيه ولم يكن على « شولا » أن يدفع إيجارا أو على « شاييك زر » أن يدفع فوائد حيث اعتلن الإيجار مساويا لفائدة المبلغ المقرض . وفي السنة الثالثة من حكم كبروش وضع « بعل أوبالليت » ١ مينا و ١٣ شاقلا تحت تصرف « نابو زر اقيشا » وقد أعطى له هذا الأخير عبدا لقاء الفائدة . وفي السنة التاسعة عشرة من حكم دارا رهن حقل كان يأخذ منه المقرض أرباحه وقد نص في العقد على أن يظل المدين ملزما بدفع الفرق في حالة عجز الحصول عن الوفاء بالمطاب .

وكان في استطاعة عدة مدينين أن يتعهدوا متضامنين ففي السنة العاشرة من حكم دارا ضمن زوجان معا قرضا برهن كل ما يملكان من أملاك .

وكان من الممكن أن يحول الرهن الى طرف ثالث فلقد أعطت السيدة « بنانانوم » أمة كانت قد تسلمتها من « نابوتولتا بشى لشير » الى « ايما ايساجيل بعليت » وتوضح اللوحة المركز الحقيقي لهذه الأمة « شولا » مدينينى - أمة نابوتولتا بشى لشير - ضمان بنانانوم « كما أن « شولا » عقد قرضا مع « نرجال أوبالليت » وأعطاه ضمانا البيت الذى كان قد أخذه من « شاييك زر » وأضاف اليه كل أملاكه فى المدينة والقرية وكذلك عبدا .

٩ - الضمان

كثيرا ما لا يضمن الرهن سوى الفوائد الخاصة بالقرض أما رأس المال فكان يكفله الضمان (١) . فلما كان « بعل أوبالليت » ، مثلا ، غير قانع

معبّد « نابورز اقيشا » فانه طلب ضمانا من « موشاليم مردوك » فضمن هذا الأخير رأس المال بكل ممتلكاته ، وفي دلبات في السنة السادسة والعشرين من حكم دارا استدان « موشاليم مردوك » آخر مبلغ ١٠ مينا نقدا من معبد انو لمدة شهر وضمنه « ساقاي » و « نابو باللتسو » فان استطاعا في اليوم المحدد أن يحضرا « موشاليم مردوك » ويجعلاه يستند دينه أخليا من الضمان والا فانهما يلزمان بالسداد طبقا للشروط المعينة .

وكان من الممكن أن يكون الضمان مشروطا ولا يسرى مفعوله الا في ظروف خاصة ففي حالة « قدما المدين خارجتان عن يدى الدائن » مثلا فان معنى هذا الاصطلاح القانوني اختفاء المدين وعدم استطاعة الدائن الحجز عليه . وفي السنة الثالثة من حكم كيروش ضمننت المرأة « ديديتوم » « قدمي نابورز لشير ان خرجتا من يدى جيميل شماش » فأصبحت ملزمة بأن تدفع ٣٥ جور من البليح - وهو ما يعادل بقية دينه - ان هو استطاع الهرب .

وفي أيام الأسرة الخامسة كانت العادة أن يقدم ضمان حين كان الموظف عند تعيينه لا يستطيع أن يباشر أعمال وظيفته الا بعد تاريخ التعيين . وهاك المثال التالى من سينار فى عهد ساهمسو ايلونا ، فان « سينياز ليمير بمحض اختياره وبناء على طلبه استخدمه امجور شماش وقد تسلم أجره عن شهر شاقلا من الفضة ٠٠٠ سوف يأتى ولا ينهب ٠٠٠ تعهد ملكي : (والا) فانه يدفع هذا المبلغ . يده (ضمانه) » « ادين داجان » بن « شماش رابى » (١) « فاذا حدث فيما بعد أن اضطر ادين داجان لاطلاق سراح سيبير لبير لأنه لم يحافظ على تعهده فانه يقال انه « سحب يده » (٢) وهذا اشارة الى ما معناه أن يد الدائن التى كانت تستطيع أن تقبض على المدين لاستعباده والتي استبدلت بالضمان فى احتفال رمزى ضربت أثناء المدين على أعضائه الخلفية لتضعه تحت حمايتها .

أما المدين الذى يتعذر عليه سداد الدين فى الموعد المحدد فقد كان من الجائز استعباده . وغالبا ما كانت تقوم اتفاقية لدفع تعويض . أما ان كان مدينا لعدة دائنين وكان واحد منهم قد استعبده، فقد كان من حق الآخرين مقاضاته . واذا كانوا من مدن مختلفة فانه يتجتم عليهم أن يقيموا عليه الدعوى أمام محكمة بابل : وكان للمدين المعسر من ناحية أخرى الحق فى

استبدال نفسه بزوجه أو أطفاله (مادة ١١٧) لمدة أقصاها ثلاث سنوات أو بعبد أو أمة (مادة ١١٨ ، ١١٩) مع الاحتفاظ بحق استرداد الأمة التي استنسلها عن طريق الشراء . وكان يسمح له كذلك - بموافقة دائنيه - أن يحول ديونه لابنه وحالما يحزر العقد ويقبله الدائنون يفقدون الحق فى ادخال أى تعديل عليه .

١٠ - الوديعة

الوديعة هى العملية التى يعهد فيها شخص بمنقول الى آخر ليعنى به مجانا على أن يعيده عند الطلب وقد نظمها قانون حمورابى شأنها فى ذلك شأن القرض .

وكان يوجد نوعان من الودائع : وديعة المحصولات ووديعة الأشياء الأخرى أما فيما يختص بالمحصولات المودعة فى شون أو مخازن ، فإن القانون قد حدد ايجار الشونة أو المخزن بخمسة قائل للجور (١٢/٣٪) واعتبر صاحب المبنى مسئولاً عن التلف . وفيما يختص بإيداع الأشياء الأخرى كان القانون قد قضى بأن يصحب الإيداع تحرير لوحة بحضور شهود يذكر فيها المودع التزامات المودع لديه ، وليس للغير أية صفة دون ترخيص من المودع للاستيلاء على المحصولات أو الأشياء الأخرى المودعة بقصد استرداد ما قد يكون على المودع من دين لهم . فإن فعلوا فإنهم يفقدون كل حقهم فى الدين ويلزمون باعادة ما استولوا عليه . وكان المودع لديه مسئولاً عن اختفاء الوديعة كما من الممكن أن يتم اتفاق بينه وبين المودع على استعمالها على أن يعيد قدرا مساويا لها الى مكانها نفسه أو فى أى مكان آخر يحدد .

١١ - المعبد - الادارة الزمنية

لم يكن المعبد فى بابل مكانا للعبادة والصلاة فحسب بل كان كذلك عنصرا هاما ، للادارة الزمنية . وكان الأمر يتطلب موارد ضخمة لاطعام موظفى الادارة الذين يعملون فى خدمة الاله وللقيام باصلاح المباني التى تتخرب بمرور الزمن أو التى يجتاحها العدو . وكانت لاله أراض تجمع محاصيلها وترعى فيها قطعان الماشية . وأما فى المدن فكانت له الأهرام والمخازن حيث كانت تكس أيضا تقدمات الأمراء والمؤمنين ونصيبه من الأسلاب بعد النصر . وكذلك كانت له فيها أبنية من كل نوع .

ولقد كشف في تللو عن أجران لـ « انيننو » بناها الملك المسن أورنيانا ولدينا من عصر لوجالاندا حسابات منتظمة هي دليل على تنظيم ديني متقدم وهي تحوى قوائم المدفوعات الشهرية لخدم الباو Baou مع ذكر المخازن التى سحب منها الشعير اللازم وكذا سجل لخدم ضيعة الاله - ١٤٥ وجلا و ٣١ امرأة مع بيان نصيب كل منهم وأسماء الوسطاء ان مسست الحاجة الى ذلك والأجور المدفوعة مقدما وحالة الصيادين البالغ عددهم ٤٤ وقائمة بعربات وأملاك الاله وطعام الحيوانات (١) - وكان لمعبد انليل فى عصر أور منتزه ضخيم على مسيرة نصف ساعة من نيبور حيث كانت تفيض عليه الالتزامات (الضرائب) من المدن والايشاكوهات (٢) - وفيما بعد - فى سيار مثلا - نجد خزانة المعبد تمنح قروضا من مال وجيوب وحين كانت تقدم أحيانا للفقير أو المريض لم تكن تطلب عنها فائدة وهي تخضع لمطلب الاله من تعويض حين يتم الشفاء أو عند معاودة الحظ والسماح بسداد الدين (٣) وكان القادرون يتعهدون عن طريق النذر بتقديم تقديمه فى يوم شفاء من يهتمون بهم من المرضى وعند تقرير قرض بفائدة كان من النادر أن يطلب المعبد الفائدة القانونية بل غالبا ما كان يقنع بنصفها أو ثلثها على الأكثر - ويظهر أن كل معبد كان مقرا للعدالة وكان الكهنة يستمعون عند بوابته الى الشهود وينطقون بالحكم - وحين لم يكن من المستطاع تقديم مستند مكتوب الى المحكمة المدنية أو الدينية - فى حالة فقدان عقد مثلا - فان القسم كان يتم من أحد الفريقين - المدعى عليه غالبا - وكان هذا القسم يؤدى فى المعبد كقاعدة -

وكان كثير من الوظائف فى المعبد وراثيا وان كانت أحيانا تباع أو تؤجر - وفى زمن حمورابى كان من الممكن أن يجد الوريث من نصيبه فى التركة ايرادا معيناً عن فترة ٦ أو ٨ أو ١٥ يوما فى السنة أو كهانة لمدة محدودة - وهناك باشيهو - ووظيفته مسح التماثيل الالهية ومواد العبادة بالزيت - باع وظيفته وحقلا بمقدار عشرة شواقل من الفضة وكان كبار موظفى الدولة يؤخذون من هذه المعابد التى كان يفخر الأمراء بأنهم يشغلون وظائفها المقدسة - وفى ظلال المعابد كانت تقوم المدارس التى تخرج الكتاب - ومن الثابت أن الكتابة وجميع المتون من كل نوع كان يعهد بها لرجال الدين وهى التى كان لها الفضل فى احياء الحضارة البابلية -

LII.

(١)

LIII, LVI

(٢)

LXXI No. 76 ; I, t. XIII, p. 202.

(٣)

الكتاب الثالث

المعتقدات والعرف

الفصل الأول

الدين

١ - الآلهة

لا يزال من العسير أن نحدد في الدين السوميرى الاكادى ما يرجع أصله الى العنصر السامى من السكان وما هو من أصل سوميرى ذلك لان العقائد الأصلية قد استقرت كما أن الطقوس جرت فى خطوطها الرئيسية منذ بدء التاريخ وكانت اللغة السوميرية تستعمل فى العبادة حتى بعد اختفاء هذا الجنس وكان لنفس الآلهة الكبار هياكلهم فى كلتا المنطقتين ولكن هياكل سومير كانت كما يقال أمعنت فى القدم وكان أولها وأعلاها شأنا الايساجيل الذى أقيم فى أريدو على شواطئ الخليج الفارسى .

وقد كانت الفكرة الأساسية فى كل دين هى الاعتقاد فى كائن متسام أو أكثر تلتزم أمامه الانسانية بواجبات معينة . ولقد آمن السوميريو أكاديون بوجود عدم ضخم من المعبودات كانت جميعا كائنات سماوية وكان الرمز الذى يعبر عن فكرة الاله يصور كنجم كان معناه الحقيقى « سماء » ، على حين كانت مختلف النجوم تدل عليها نفس العلامة مكررة ثلاث مرات . وكان الاله الأعظم انو يعرف بنجم واحد فقط لقد كان اله السماء على حين كانت الآلهة الأخرى تكون جيش السماء فيلق النجوم .

ولقد نسب السوميريوأكاديون الى معبوداتهم فضائل وعواطف انسانية وأسبغوا عليهم نفس طريقة الحياة وان رفعوهم عن الجنس البشرى بأن منحوهم الخلود وآمنوا بهم كخيرين ورحماء فى كل الظروف حتى حين كانوا يقاضون البشر جزاء اثمهم وأخطائهم . ولم يكن هناك اله شرير بل ان الشر كانت تسببه فى العالم أرواح خبيثة ربما كانت أسمى من البشر ولكنها دون الآلهة . ولم تكن تقام لهذه المسوخ عبادة دينية وكان الناس يحاولون مقاومتهم واتقاء شرهم عن طريق ممارسة السحر .



(شكل ١٢) اله سوميري

(حفائر دنفور - متحف جامعة نلادلفيا)

ولم يستطع السوميريون
والأكاديون أن يتخيلوا كائنا أزليا
دون بدء وكانوا يرون أنه لم يكن هناك
شيء كائن عند نشأة العالم وأن في
هذا الإلشي كان يستطاع تمييز
عنصرين من الرطوبة مختلفين : ذكر
هو « أبسو » وهو محيط الماء العذب
الذي كان يحيط بالعالم والآخر أنثى
هي « تيامات » (البحر) وقد ولدت
لهما كل الكائنات . هذا هو ما تدل
عليه « قصيدة الخليفة » ومطلعها :

« حين لم تكن السماء العلا قد سميت بعد

ولم يكن للأرض من تحتها اسم

اختلطت الأمواه من أبسو الأولى أبيهم

ومن تيامات الصاخية أم الجميع فصارت واحدا .

ولم تكن الآجام والأغصان مشتمة ولم تكن غياض القصب مرثية

حين لم يكن هناك اله له اسم

حين لم يكن هناك قدر مرسوم

خلق الآلهة (١) » .

ولقد أدخل علم تكوين الخلق عند الكلدانيين في إحدى الرقي نفس
عناصر الرطوبة في أصل الأشياء ومن الزوج الأول خرج أولا « لاهمو »
وزوجه « لاهامو » وهما معبودان لم يكن الدور الذي لعباه ملحوظا ثم مرت
فترة غير محددة وانبثق من الزوج الأصلي « انشار » و « كيشار » وهما

يمثلان في ذاتيهما كل السماء والأرض ومنهما جاء ثلاثة آلهة آخرون هم
الثالوث الأعظم لمجموعة الآلهة البابلية : انو وانشيل وإيا .

٢ - الثالوث الأول

قسم هؤلاء الآلهة الثلاثة الكون (المعمورة) فيما بينهم لأنه طبقا
للآراء السامية لم يكن الشئ يستطيع أن يوجد دون أن يكون له سيد . وكان
انو الاله الأكبر يحكم في السماء وكان انليل سيد الجو والأرض وكانت
ايا - المسماه انكى في السوميرية - تحكم أمواه المحيط البدئي وكان لكل
منهم طريقه الخاص على مدار الشمس وكانت مساكنهم على قمة
السموات (١) .

وكان يعتبر انو الاله الأعظم منذ أقدم العصور التاريخية . وكانت
« دير » مدينته في أكاد ، أما في سومير فكانو يمجّد بـ « أوروك » في « أى » .
أنا ، أى « مسكن أنو أو بيت السماء » ، حيث حلت عبادة ابنته عشتار الالهة
اللذة محل عبادته حتى قبل عصر أقدم الآثار العتيقة . وقد حدث مثل ذلك
تماما في لجش في حى جيرسو اذ كان هناك كذلك « أى - أنا » حيث كانت
تعبد ابنة انو منذ عهد اياناتوم تحت اسم « ننى » Ninni . ولقد
التمس لوجال زاجيسى ملك أوروك من انليل أن يقدم دعاءه الى انو كما
يذكره جوديا في صدر اللعنة المصوغة ضد من يغتصب منشآتة . ولقد كان
هو أول اله يمجّده ال « أى - ننو » وكان « ملك الآلهة » كذلك لقباً منحه
إياه اور انجور ويسميه حمورابى « الاله الأعظم » فى استهلال قانونه .
ولقد كان يسكن قمة قبة السماء « سماء انو » وكان يحرس بوابته معبودان
تموز وجيزيدا وكان يوضع أمامه « الصولج والعصابة والتاج وعصا
القيادة » قبل نشوء الملكية على وجه الأرض . وحين كان الآلهة فى خوف
من الطوفان هربوا وصعدوا الى سماء انو وجثوا كما يفعل الكلب على الحائط
ورقدوا وظلوا هناك حتى استموا الرائحة الجميلة للضحية (٢) .

ورغم أن انو كان أسمى الآلهة ويعتبر كآب لهم وأول نموذج للخليفة ،
الا أنه لم يستطع أن يحتفظ بالسلطة العليا حين زكزت بابل القوة فى يديها
واخضعت سومير وأكاد الى صولج ملوكها .

CXII, t. I, p. 259 XLIII, p. 179.

(١)

XLIII, p. 155, 167, 111, 115.

(٢)

وكان على التفكير الدينى أن يلائم ما بين القصص القديم والمركز السياسى الجديد . ولما لم يكن هناك شىء كائنا فى هذا العالم بغير أمر الآلهة والمصائر التى قرروها ، فإن تعظيم اله بابل فوق الآلهة الآخرين كان يستلزم أن يتبع سمو بابل على المدن الأخرى رفع الهها فوق جميع الآلهة الآخرين . وأصبحت كلمة مردوك « مثل كلمة انو » وكان يشار الى خلق هذا الأخير منذ بدء الزمان فحين كلف « انشار » العجوز « انو » بأن يحارب الثائرة تيامات لم يجد فى نفسه الشجاعة لمواجهتها فكر راجعا ولكن مردوك - على نقبضه - أصبح البطل المنتقم لاختوته . وفى مادة غلنية وقد أسلموا أنفسهم أثناءها للسكّر رسموا له مصيرا لا يبارى وأعلنوه ملكا عليهم .

وقد اغتصب انليل سيد الارض أحيانا القاب انو وكان يسمى « أب الآلهة » وقد أطلق عليه هذا اللقب فى نص من عهد « انتمينيا » ايشاكو لاجش وكذلك فى قصيدة « ايا » و « اتارغاسيس » . ومن جهة أخرى فإن رموزه الموجودة على عدد من الكودورو من العهد الكاسى هي - مثل انو - العرش والتاج . وهو فوق كل شىء مستشار الآلهة وهو الذى أحدث الطوفان ولذلك أرادت عشتار الغضوب أن تمنعه من أن يكون له نصيب فى تضحية « اوتانا بشتيم » وهو نوح البابلى فصرخت قائلة : « دعوا الآلهة يأتون للتضحية ولكن لا تدعوا انليل يأتى لأنه لم يمعن الفكر بل أحدث الطوفان وأنزل الهلاك بقومى » وقد أنبه « ايا » كذلك من أجل نفس العمل « أنت أعقل الرجال ! أيها البطل ! لم ؟ لم لم يمعن الفكر وأحدث الطوفان ؟ » وعلى أية حال فانه حدد مصير « اوتانا بشتيم » وجعله يسكن « مصب الأنهار » وقد كان فى الواقع سيد الكائنات الانسانية وعهد بهم الى أمراء يقودونهم فى مسالك العدالة . . . هو اله نيبور سيد سومير (١) .

والاسم السامى ل « ايا » ثالث اله فى الثالوث الأعظم معناه « بيت الماء » أما اسمة السوميرى فهو انكى « سيد الأرض » وكانت مملكته ال « ايسو » مسكن المعرفة « المياه التى تحمل الأرض وتخطط بها » وكان يرمز له بكائن برمائى هو « العنزة السمكة » .

وكاله للحكمة خلق الانسان بتشكيل كتلة من الطين منحها الحياة بتسمته الالهية وهو الذى انقذ البشر من الهلاك الكامل فى زمن الطوفان .

LXXVI p. 62, 38, 286, 280, 212, XLIII, n. 133, 125, 103
107, 119.

(١)

ولقد كشف عن صناعات مختلفة للإنسان ومنح الذكاء للملوك وساعد الكهنة على تأدية وظائفهم المقدسة وخاصة فى طقوس السحر التى كان يستعمل لممارستها ماء مقدسا يؤخذ من حوض ايسنو فى معبد اوريدو (١) .

٣ - الثالث الثانى

كان هناك ثلاث ثان مكون من « سن » الاله القمر وطفليه « شماش » الاله الشمس » و « عشتار » نجم الزهرة .

وكان سن يقيس الزمن وهو الذى ينهى الأيام والشهور والسنين للملوك المذنبين بالدموع والتأوهات . وكان رمزه الهلال . وكان يعبد فى أور تحت اسم نانا . ولقد انتشرت فى معبده فى حران Haran عبادته فى البلاد الآرامية .

وكان شماش فوق كل شىء القاضى الأعظم وكان له طفلان هما كتو وميشارو ، أى العدالة والحق . وكان يطأ الظلم تحت قدميه ولقد أملى شخصيا قوانين العدالة على أورانجور وحمورابى . وكان رمزه قرصا مزينا بنجم ذى أربعة أطراف تفصلها عن بعضها مجاميع من الأشعة الموجة . وهو يميز على الآثار المحفورة - أسطوانات عصر أجاده وقانون حمورابى ونابو البادين (القرن التاسع) - بشعلات ترتفع الى ما فوق كتفيه (٢) .

أما عشتار « العطوف » فمعبود ذكر فى الصباح والهة أنثى فى المساء وهى أحيانا ابنة انو وأحيانا أخرى ابنة سن وهى الهة الحرب والهة اللذة وهى أخت شماش الاله النور وفى الوقت نفسه أخت « إيرشكيجال » معبودة العالم السفلى . وقد حلت عبادتها فى أوروك محل عبادة أبيها وكان محبوبها لا يحصيهم العد وكانت تسعى لغواية البشر . وكانت تعتبر فى هالاب Hallab ابنة ل « سن » وسيدة المعارك . وأما فى أجاده وسيبار فأنها تحت اسم انونيتوم كانت على ما يظهر تمزج بين الشخصيتين وذلك فى عهد نابونيد على الأقل لأنه يسميها « سيدة العراك التى تحمل الجعبة والقوس » وكانت فى نفس الوقت تصنع له الفأل المناسب عند شروق الشمس وغروبها . وقد طغت شخصيتها على الالهات الأخريات وكان ،

اسمها المفرد يعنى آية واحدة منهن أما مدلول اسمها الجمع فهو الالهات عامة . وكابنة لـ « سن » كان رمزها نجما . وكانت تمثل كالهة للحرب واقفة منتصبة على أسد أو اثنين وهي تحمل الجعبة وفي إحدى يديها سلاح مقوس وفي الأخرى صنولج مكون من عصا تتصل بسلاحين مقوسين يحملوها رؤوس أسود .

٤ - مردوك

كانت كل قوى الطبيعة وكل قوى الخير وعلى العموم كل الأجسام السماوية تؤله عنده السوميريو أكاديين ، وكان عدد المعبودات التي يلتمسونها كبيرا جدا . وكان لكل مدينة معبودها وكان كل رجل فى حماية زوج الهى . ومع ذلك فقد استطاع أحدهم أن يتفوق على الآخرين بدرجة أنه فى التفكير الدينى لعصر البابلية الجديدة كان الآخرون يعتبرون كمظاهر له . وقد تم تفوقه حين وحدث الأسرة الامورية فى بابل نهائيا أراضى سومير وأكاد ، فى مملكة واحدة وعندئذ استطاع حمورابى أن يرفع مردوك الاله المحلى الى المرتبة الأولى فتألفت أناشيد جديدة من القصص القديم تتفق والوضع الجديد . وكان انليسل يتمتع بلقب « بعل »



(شكل ١٣)

الاله مردوك : القرن التاسع (متحف برلين - حفائر بابل) يتمتع بلقب « بعل »

« مسيد » وهو يملك لوحات القدر منذ زمن لا يمكن تقديره . وقد اخترعوا - من أجل استلابها منه - قصة عن بدء الخليقة مؤداها أن مردوك هو الذى هزم تيامات (الفضاء) فمُنحتة الآلهة حق تقرير المصير مكافأة له . وكان الاحتفال يقام فيما بعد فى « دو أزاج » فى بابل أثناء أعياد رأس السنة . ولقد تخلقى انو عن سلطاته لـ « مردوك » ومنحه ابوه « ايا » اسمه « ألا فليسم » ايا « مثلى » وكانت له بالاضافة الى ذلك كل الحكمة بدليل أن ايا قال له : « أى بنى ! ماذا هناك لا تعرفه وأستطيع أن أعلمك اياه ؟ ان كل ما أعرفه تعرفه أنت أيضا » وهذا هو السبب الذى اعتبر من أجله - مثل أبيه - ساحر الآلهة واله الكهنوت وخالق البشر . وكان يمثل بأذنين كبيرتين ترمزان الى فهمه الكثير ويحمل السلاح المقوس الذى قهر به تيامات وتحت قدميه الوحش الذى أخضعه وكانت الحربة رمزا له على كودورو العصر الكاسى والاختتام البابلية الجديدة .

وكان آلهة بابل وبورسيبا يأتون سنويا فى يوم عيد السنة الجديدة ليقدسوا له ولاهم وكان موكب عظيم ينظم فى الطريق المقدس وعندما كان يتوجه رسميا الى معبده اkitي كان يتوقف فى الذهاب والعسودة عند « دو أزاج » . وفى اليومين الثانى والحادى عشر كان الآلهة يجتمعون هناك ويحيونه فى رهبة ويركعون أمامه وكانت المصائر تحدد أثناء ذلك تحديدا قاطعا للسنة بأكملها . وكان توقف هذه الاحتفالات فى زمن الحرب أو عند حدوث مصاب كارثة تذكر بصفة خاصة فى حوليات المدينة .

٥ - بعض المعبودات الأخرى

يذكر من بين المعبودات الأخرى اينورتا أول مولود لانليل وهو بطله . وكان اله حرب « خيرا فى العراك » لا تستطيع البلاد أن تحتل وطاته الثقيلة » وكان يمتزج بالـ « بعول » (السادة) لبعض المدن وعندئذ كان يطلق عليه اسم اله المكان : ففى لجش فى حى جيرسو كان يسمى ننجرسو أى « سيد جرسو » وفى سوسه كان يسمى « أن شوشيفاك » « السوسى » وكان يمثل فيه آلهة آخرون مثل زابابا فى كيش ، وأوراش فى دلبات . وكان له على الأقل عشرون سلاحا مختلفا ففى يمينه كان يمسك بالـ « شار أور » وهى حزمة من العصى والأسلحة بسنان محدبة تعلوها رأس أسد . وعلى كتفيه يظهر غالبا مقدم أسد كما يظهر نفس الحيوان الرمزى بين قوائم عرشه أو تحت قدميه . وقد قرنه عنماء النجوم بمنكب الجوزاء Beteigeuze فى الجوزاء وكانت الجوزاء ككل تكون جيشه .

وكانت باو الزوجة الالهية لـ « نجرسو » كبرى بنات أنو تلقب « بالمرأة الخيرة » وكانت أما لسبع توأما وكانت زوج اينورتا يطلق عليها فى عصر حمورابى اسم « نكر اك » كما كان يطلق عليها جولا فى عصر الكاسيين : وتحت هذين الاسمين كانت هى الهه الطب تضمم الجراح التى يسببها الاله وتشفى الأمراض .

ولقد عبد المصريون النيل واقام اليونان الهياكل لانه النهر وثن السوميرى واكاديين كانوا قد فعلوا ذلك من قبلهم فاخترأوه هو وجيبيل « اله النار » « ليقضى قضاءه بين البشر » و « حين احتقره الآلهة العظام وضعوا الخير على ضفتيه » ومنحوه قوه التمييز بين العادل والظالم . وطبقا لقانون حمورابى كان من يتهم بالسحر يلقى به فى النهر المقدس الذى يلقى على عاتقه وحده أن يكشف عن مدى براءته أو ذنبه . وهو يمثل على الاختام الأسطوانية من عصر أجادة يرأس المحاكمه مستقرا على عرش وممسكا فى احدى يديه باناء ينبعث منه مجريان تسبح فيهما الأسماك .

وكانت تعبد كذلك الهه للماء هى « نينا » ابنة « ايا » وكان يرمز لها بسمكة فى وسط حوض وكان لها هيكل فى لجش وكانت احدى ضواحي المدينة مكرسة لها . وفى بعض أيام الأعياد حين كانت تخرج فى الموكب كان قاربها المقدس يبحر فوق القناة .

وكان « أداد » اله الجو مبعث خوف واحترام فى وقت واحد . أليس هو الذى يمنح الغيث أحيانا وأحيانا أخرى يلقى الرعب فى النفوس حين يطلق الرعد ؟ ولقد كان يمثل مرتديا ثيابا قصيرة ويقف فوق ثور وهو مسلح بصاعقه ورافعا سلاحا فوق رأسه .

وكان ينسب الى « نيسابا » أخت « نينا » نمو القصب العظيم وهو أحد مصادر ثراء الاقليم ، اذ كان يستعمل فى تشييد الأكواخ وعمل الحصير وفى صنع الكراسى والموائد والسلال كما يستعمل وقودا . وكانت الساق – ان أحسن قطعها – تستعمل قلما للكتابة على ألواح الطين كما يستعمل الرماد لغسل القماش . وكالهة للكتابة والخصوبة اعتادت نيسابا أن تجلس فوق كومة من الأغصان وكانت تحب أن ترسل شعرها حتى يسقط منوجا على كتفيها اللتين تنبثق منها سيقان القصب وكانت تمسك فى يدها اناء يفيض وهو رمز الخير الذى توزعه .

ولقد آله السوميرى واكاديون عددا من الأبطال الخرافيين وبعضهم يظهر فى القوائم الملكية لعصور ما قبل التاريخ مثل « دوموزى » وهو تموز

السوريين الذى نقش اسمه فى المكان الرابع بين أمراء الاسرة الأولى فى اورك وهو ابن « ننجزيدا » وحفيد نينازو « سيد العرافة بالماء » وقد أصبح زوجا لـ « اريشكييجال » الهة العالم السفلى بعد أن أحب عشتار ربة اوروك التى كانت سببا فى هلاكه . وكان بصفة عامة إله النباتات فكان يولد من جديد فى كل عام فى الربيع « هو يستقر صغيرا » فى اناء يغوص ثم ينام كبيرا فى حصاد المحصول ويظل راقدا فيه . وهو صورة من أدونيس اليونانى ففى شهر الصيف المكرس له حين يلقى الحاصد آلة حصاده ويجمع السنابل فى الحزم يموت وينزل الى العالم السفلى وعندئذ تكرر النساء الولولة السنوية التى رسمتها عشتار :

« الى متى ستظل الحبة أسيرة ؟ »

الى متى ستظل الخضرة مقيدة بالسلاسل ؟ » .

وتخرج الالهة وتسير الى « البلد الذى لا يرجع منه أحد » لتبحث

عن حبيبها وتعيده الى الارض .

٦ - الأمراء المؤلهون

وقد كان كثير من الأمراء الذين خلفوا لنا وثائق رسمية يستمتعون كذلك بامتيازات التاله حتى فى حياتهم . ولعل قائمة الأعلام لحكم مانشتوسو تقوم دليلا على ذلك فى الاسم « شوروكين ايلي » « سرجون الهى » وتترايد الأدلة فى حكم « نارام سن » فهو فى الكتابات يسمى « إله أباده » و « إله بلده » . وعلى لوحة النصر نراه يلبس على رأسه التاج ذا القرون التى يسميها الملك الكاسى « اجوم كاكزين » « عصابة السيادة - علامة الألوهية » . وقد قامت فيها بعد مؤسسات دينية فى لجش لعبادة الإيشاكو جوديا . وكان الملوك أور معبدهم وكان هناك شهر فى كل عام يخصص لـ « دونجى » وألفت الأناشيد فى مديحهم وحرق البخور أمام تماثيلهم وقدمت التضحيات لهم . ومنذ أيام ملوك أور كان الناس يقسمون لا بالآلهة وحدها بل بالملك الحاكم كذلك والقسم وعمل دينى محض .

كان الاله يسكن المعبد مع زوجته وأطفاله وخدمه . ولسوء الحظ لا يسمح لنا الوصف الذى أورده جوديا عن هيكل نتجرسو فى لجش بمحاولة تصويره تماما . ولم تكشف الحفائر سوى عن كتلة من ركن المعبد ومدخل له (١) يستند على طبقتين من اللبن تفصلهما طبقة من الرمال . وكان الركن موجه الى ناحية الغرب . والحائط على الجانب الجنوبي الغربى مستو خال من الزينة أما الحائط الشمالى الغربى فمزين بخطوط من جزئين وعلى بعد خمسة أمتار من الركن كانت هناك فتحة واسعة يعترضها على كلا جانبيها بروز يتكرر ثلاث مرات . وليس هناك أثر لثقب يرتكز عليه الباب أو أية علامة لبوابة تغلق المدخل . وعلى مسافة ليست بعيدة كان أحد أسلاف جوديا وهو الايشاكو « أورباو » قد بنى كذلك معبدا لم يبق منه سوى الركن الغربى من أرضيته وقد كشف تحته عن تمثال صغير من النحاس ولوحة أساس موضوعين فى اناء من الفخار بقاعة ثلاثة ثقب (٢) .

ولدينا من عصر البابلية الجديدة أربعة معابد (٣) فى نفس المدينة الواحدة وهى بابل وقد أمكن الكشف عن التصميم الكامل لها ودراسة هذه البقايا تبين أنه وإن كانت هناك قواعد تحتها التقاليد ، فإن المماريين كانوا يتمتعون بحرية كبيرة فى ترتيب الأجزاء المتعددة للمبنى . وكانت هذه المعابد منشآت مستطيلة على وجه التقريب لها زوايا (أركان) تحدد اتجاهاتها كمباني أورباو ، جوديا ولكننا نرى انه بينما استعمل ايشاكو لاجش الآجر والقار نرى نابو بولاسر وخلفاءه يستخدمون اللبن فقط . وفى الخارج كانت الحوائط مقسمة على مسافات متساوية . بأعمدة مربعة تزينها قنوات مدرجة فى معبد نينار وشبه دائرية فى معبد ايساجيل . ومستطيلة فى غيرها كما هى الحال فى معبد ازيدا فى بورسيبا ومثل هذه الأعمدة المربعة لا توجد فى أى مبنى مدنى . ويؤدى الى الفناء الأوسط مدخل أو أكثر ببوابات مزدوجة مغطاة بالبرونز ومركزة على دعائم حجرية ويربطها مزلاج يثبت الدعامة فى الأرض . وكان هذا الفناء الأوسط - شأنه فى ذلك شأن الفناء الخارجى - مزينا بأعمدة مربعة ترداد تعقيدا بالقرب من البوابات وعند المدخل الرئيسى وأمام الهيكل . وكان هذا

XLI, p. 18 et plan K. Cf L,XX, p. 396 et pl. 50 fig. 1.

(١)

CXX, p. 241, 400 ; LXXVI, p. 96, 98.

(٢)

*CX b, fig. 38, 114, 119, 137, à 139, 142, 143, 244 à 247.

(٣)

الهيكل يقع عند طرف البهو الى الغرب فى معبد ايساجيل وفى الجنوب الغربى فى معبد ايماء . وقد غطى نبوخذ نصر الثانى حوائط مقصورة مردوك بالذهب واللازورد والرخام (١) وكان السقف المصنوع من أحسن أرز لبنان مغطى كذلك بالذهب اللامع . أما لعشتار أجاده ، فان الحوائط قد طليت فقط بالجير الأبيض وغطيت المشكاة التى تحوى تمثال الالهة بمحلول الأسفلت مع وضع شرائط بيضاء قرب الأطراف كما هى الحال بالنسبة للمداخل الرئيسية . وفى معبد ايماء كان الاله يسكن مبنى صغيرا عشر على أساسه . وكان أمام الهيكل الذى تبلغ مساحته ١٢ × ٥ مترات غرفة وكان لكل من هاتين الغرفتين مخزن للأمتعة المقدسة .

وكان من الممكن رؤية الصنم من الفناء ولكن ليس من الشارع لأن باب السخول والفناء لم يكونا فى محور المبنى . وفى معبد « اينورتا » لم تكن هناك غرف جانبية ولكن كان هناك مزار صغير على كل من جانبي الهيكل . وحول الفناء الذى كانت تختلف مساحته بين مبنى وآخر - الایماء كانت وأجهته ٣٠ مترا وعرضه ٥٠ مترا ، والایساجيل كان مربعا طول ضلعه ٦٠ مترا - كانت تصطف (وأحيانا تتجمع حول الألفية الملحقة) غرف لا نعرف على وجه التحديد فيم كانت تستخدم كما كانت هذه الحجرات موزعة أحيانا على أحواش اضافية . وفى ايماء يوجد علاوة على ذلك ممران ضيقان ينتهيان بزقاق غير نافذ . وفى ايساجيل لوحظ وجود مزار صغير فى الجانب الشمالى .

وكان من المعتاد أن توضع فى أساس كل معبد صور واقية : فعند البوابة الرئيسية لـ « ايماء » وضع طائر - وهو رمز الالهة - فى مشكاة مكونة من ستة قوالب من اللبن . وتحت أرضية قدس أقداس « اينورتا » أسطوانة الأساس باسم نابوبولاسر .

ولم يكشف عن أى مذبح داخل معابد بابل ومع ذلك فانه يوجد مذبح من اللبن موضوع على أرضية من الطوب أمام مدخل معبد ايماء كما يوجد مذبح آخر من اللبن المجفف فوق أرضية أمام معبد اينورتا . وكانت التضحية تتم فى الخارج ولم يكن مسموحا لغير الكهنة والأمير بالدخول الى قدس الأقداس فى حضرة الاله وكذلك ، فانه طبقا لما جاء بهيرودوت « يرى خارج قدس الأقداس - (بالایساجيل) مذبح ذهبى وآخر كبير جدا للمذبح الماشية » (٢) .

XXXII. b p. 124, 126.

Hérodote 0, 183.

(١)

(٢)

وكان يقوم الى جانب المعابد الرئيسية مبنى أصم مكون من منشورات رباعية مبنية فوق بعضها البعض وتقل حجما كلما ارتفعت وهذا الجبل الصناعى المسمى زيچورات مثلث صورته على كودورو لـ « مروداش بالادان الأول » Mérodach-baladan ١ . وكان زيچورات بابل - ال « ايتمينانكى » - (١) يقع الى شمال الايساجيل بعد الطريق المقدسة وكان مبنيا من اللبن المجفف ومغطى بالآجر ومكونا أعمدة مربعة عشر عليها فى جانبيين متجاورين طول كل منهما ٩١ مترا - وهذا الزيچورات ليس محفوظا مثل حالة زيچورات بورسيبا التى لم يكشف عن خرابتها بعد - وهى ترتفع الى أكثر من ٤٠ مترا فوق السهل ولم يبق من هذا الزيچورات سوى طابق واحد والسلالم الثلاثة التى تؤدى من الناحية الجنوبية الى المدرج الأول . وهناك لوحة فى اللوفر أرخت بالسنة ٨٣ من حكم السلوقيين (٢٢٩ ق م .) (٢) تقدم وصفا هندسيا لهذا الأثر وملحقاته الخارجيه وكان فى مجموعه يكون مستطيلا طوله ٢١٩٠ قدما وعرضه ١٢٠٠ وكان المدخل الرئيسى الى الشرق - على الطريق المقدس - يؤدى الى شرفتين متتاليتين تسبقان الفناء المربع الذى كان شرفة كذلك حيث يقوم البرج . ويبلغ طول قاعدة البرج ٦٠٠ قدم . وكان الطابق التالى - ال « كيجال » - يرتكز على الجانب الغربى للقاعدة وكان طوله ٣٠٠ قدم فقط (٣) وكانت به عدة مزارات فهذا الذى الى الجانب الشرقى كرسى لمردوك ونابو وتاشمتوم وهذا الذى الى الشمال كرسى لـ « ايا » و « لوسكو » وذلك الذى الى الجنوب كرسى لـ « اتو » و « سن » . وكان يرى فيه كذلك « بيت السرير » و « بيت الأدوات » و « بيت الشباك » وفناء محاط بحائط تنفتح فيه أربع بوابات . وفى وسط ال « كيجال » كانت هناك خمسة طوابق متعاقبة يقوم فوقها مزار يتوج المبنى . ويصف هيرودوت ال « ايتمينانكى » كـ « مربع منتظم طوله استادان (٤) فى كل جانب . وفى الوسط يرى برج ضخم يبلغ كل من طوله أو عرضه استادا واحدا . وفوق هذا البرج يقوم آخر ثم ثالث وهكذا الى أن يبلغ عددها ثمانية أبراج . والصعود اليها من الخارج عن طريق منحدر يدور تباعا حول جميع الطوابق . وفى منتصف الطريق المنحدر تقريبا توجد غرفة ومقاعد يجلس ليسترريح عليها أولئك الذين يرغبون فى الصعود الى القمة . وفى

CX b. fig. 119.

(١)

Memoires de l'Académie des inscriptions, t. XXXIX,

(٢)

1913.

CXI : 106 mètres.

(٣)

(٤) يبلغ الاستاد نحو ١٨٥٣ مترا - (المترجم) .

أعلى الطوابق يوجد هيكل كبير به سرير مزخرف زخرفة فخمة تقوم الى جانبه مائدة من الذهب . ولا يوجد في هذا المزار ولا يمضي الليل فيه أحد سوى امرأة من الريف يختارها من بين رفيقاتها الاله نفسه على حد قول الكلدانيين وهم كهنة هذا الاله « (١) » .

وقد أخذ نابوبو لاسر مؤسس الامبراطورية البابلية الجديدة على عاتقه إعادة بناء ال « ايتمينانكي » تنفيذا لأمر مردوك (٢) . وكما فعل جوديا من قبله لم يفعل شيئا دون أخذ رأى الآلهة ولقد استشار وحيهم وقام بالتطهيرات المطلوبة . ومثل الملك القديم أورنيذ حمل مواد البناء فوق رأسه على حين حمل ولى العهد الطين الذى يصنع منه الطوب واستخدم ابنه الآخر « نابوشوم ليشو » المجرفة والمعول . ويظهر أن الطقوس الدينية الخاصة بتشييد أبنية العبادة ظلت متوارثة سليمة مدى عشرين قرنا رغم الثورات .

ونستطيع أن نرى مثلا آخر لروح التقاليد هذه فى الصعوبات التى لقيها نابونيد حين أراد ترميم التاج الذى كان نابوبال ادين قد قدمه الى شماش - سيبار فى القرن التاسع (٣) ، وقد أراد الملك أن يعيد صياغته كله من الذهب ولكن الشيوخ ادعوا أنه يجب ألا يدخل عليه أى تغيير . ولقد استشار وحي « شماش » و « اداد » ثلاث مرات وأجاب الوحى ثلاث مرات بالرفض فاتجه نحو مردوك يسأله الا أن الرواة قرءوا فى كبد الذبيحة تصميم الآلهة على عدم قبول أى تجديد . فنزل الأمير على ارادتهم وأمر بإعادة التاج الى حالته الأولى .

٨ - كبار رجال الدين

كان الأمير الكاهن الأكبر لاله مدينته وكان الملك الكاهن الأكبر للاله الوطنى . فأنتمينا كان الايشاكو الأكبر ل « ننجرسو » وكان جوديا يقسم بنفسه القرايين ويقوم بالاهراق وكان يستبين بالفال ويتلقى مباشرة أوامر الاله وهو الذى طهر المدينة قبل إقامة المعبد وقام بالتقديس المطلوب ونطق بالبركات السبع عند التكريس . كما أن لوجال زاجيسى ملك أوروك أطلق على نفسه كذلك لقب كاهن أنو اله أوروك ثم الايشاكو الأكبر

Hérodote I, 181.

(١)

XXXII, p. 60-62.

(٢)

Hérodote I, 181.

(٣)

لأنليل اله سومير بعد فتح سومير : « عينه (الآلهة) فى هياكل سومير
كايشاكو للبلاد وفى أوروك ككاهن » .

وكان كبار كهنة الهياكل الهامة شخصيات لها قدرها فكان يتطلع
الى شغل مراكزهم أبناء الأمراء وكان الفأل وسيلة تعيينهم وكان هذا
احداث يستحق التخليد بأن تسمى به السنوات . وهكذا اختير ابن
« أور انجور » خلال حكم أبيه ، اختاره المعبود كاهنا أكبر للآلهة
« اننا » (عشتار) فى أوروك ويعيد تاريخان خاصان بدونجى الى الذاكرة
اختيار كبير كهنة نانا . فلقد مر عامان بين الانتخاب والتتويج وفيما بعد -
خلال حكم « جونجونوم » ملك لارسا بلغت هذه الفترة ثلاث سنوات فى
حالة الكاهن الأكبر لشماش . ومنذ أقدم العصور ربما كان هناك مجمع
لكبار الكهنة الى جانب بعض المعابد : وهناك نص من جوديا ينهض دليلا
على ذلك . وكان الأمير الذى يخلع عن عرشه لا يستخف أبدا باحتفاظه
بوظائفه الدينية فلقد ظل ننجوسسو بن جوديا كاهنا لأنو ونيينا حتى
بعد أن زالت عنه صفة ايشاكو لجش .

وكانت تنتظم تحت الكاهن الأكبر (en) بمعنى سيد وفى السامية
(enou) طبقات متعددة من الكهنة يجمعهم الاصطلاح العام سانجو
(وفى السامية شانجو) ويظهر أنه كان يطلق بصفة خاصة على مدير
المعبد وان كان يطلق كذلك على أى شخص يشغل الوظائف المقدسة .

٩ - الطبقة الأولى من رجال الدين (السحرة)



كان رجال الكهنوت
ينقسمون الى ثلاث مراتب :
السحرة وهم الذين يستعطفون
الآلهة ويعدون الأرواح
النجسة ، والمنجمون الذين
يتنبأون بالمستقبل ثم المغنون
الذين يباشرون وظائف
الشماسة . ونحن نعرف
حوالى ٤٠ وظيفة مختلفة .

(شكل (١٤) بالاجو (متحف اللوفر))

وكان الكاهن من الطبقة الأولى يحمل لقب ماشماش (وفي الأكادية أشيبو) ولكن الوظائف قسمت منذ أقدم العصور فكان يدعى « كالو » الكاهن الذى ينادى به أن يخفف الغضب عن قلوب الآلهة الغضبية بغنائهم (١) وكان عليه فى أيام معينة أن يذهب الى المعبد ليقدم التضحيات ويرتل المراثى المقدسة مستعينا بمختلف آلات الضرب فكان يستعمل الـ « بلاجو » وهى طبلية ضخمة عشر على صورتها على قطعة من اناء فى اللوفر (٢) وهى تكرس للاله « لومها » حامى الـ « كالو » - حين يغنى تمجيذا لانليل او عشتر - واحدة من هذه القصائد المتعددة التى تحمل كذلك اسم بالاجو ومع الـ « شم » أو « هالالاتو » كان يصحبها « ارشم ما » . وكانت لديه كذلك آلة أخرى هى الـ « للسو » وهى طبل نحاسى مغطى بجلد الثور . وقد احتفظت لوحة من واركا ترجع الى عصر السلوقيين (٣) بطقس تكريس هذه الآلة . وهناك لوحات أخرى (٤) تحوى الصيغ التى تتلى خلال الاحتفال .

وكان الـ « كلاماه » أو كبير الكالو أهم جماعة « الكالى » . ويظهر أن وظيفته كانت وراثية وكانت هناك وظائف تؤدى أعمالها بعيدا عن أعين عامة الناس ولكن كان يسمح للمبتدئين بالحضور وهكذا يتلقون التعليم الأول . وكان الكالو يتوسط فى ظروف استثنائية معينة فمثلا عندما ينظر فى إعادة بناء معبد مخرب حين يتلقى المنجم حالا بالموافقة على ذلك نرى الكالو فى يوم رائع يتجهز ويضحى خلال انليل بخمس تضحيات تكريما للآلهة الخمسة ويرتل مرثية و « ارشم ما » ثم يقدم ثلاث تضحيات لاله المعبد والالهة زوجته ولصاحب المعبد . ويقدم عند الفجر ثلاثة أخرى هى فى هذه المرة للبعول (الأسىاد) الكبار انو وانليل وإيا . وكان الاحتفال التمهيدى ينتهى بأغنية « حين خلق انو وانليل وأيا السماء والأرض » التى تغنى أمام طوب أساس المعبد القديم . وبعد ذلك يوضع أساس المبنى الجديد ولا يتوقف الكالو عن تقديم التقدّمات والمرثيات حتى يتم البناء .

وكانت مهامه تلتصق فى مناسبة الفال السيىء فان أنذرت زلزلة

I. t. XVI, p. 121 ; XVII, p. 58.

(١)

I. t. IX pl. III.

(٢) انظر الشكل ١٤ .

I. t. XVII, p. 56.

(٣)

I. t. XVII p. 95.

(٤)

بهجوم لعدو (١) فانه هو الذى يقدم التضحيات ليلا لاله واليه الملك بعد تطهيره ثم يضحي فى الصباح للآلهة انو وانليل وايا . وبعد أن يسجد الملك ويخلق له يأخذ هو فى اناء « لاهان سهار » شعر جسم الملك ويذهب لالقائه على حدود العدو قبل أن تعمل فى جميع المدن المرائى الاستعطافية على معطف الملك : « ان أنت أديت هذه الواجبات كما قررتها الطقوس فان الشر لا يقرب الملك » .

والى جانب الكالو نجد هناك إل « اشيبو » وعليه واجب تطهير المرضى والأئمة وخاصة بواسطة الرقى والطقوس السحرية وهو يعمل بنضل ايا اله اريدو أو - فيما بعد - بفضل مردوك بن ايا حين بسطت بابل نفوذها :

« السيد العظيم الاله ايا أرسلنى

لقد أحل رقيته المقدسة محل رقيتى

ووضع فمه المقدس مكان فمى

ووضع لعابه المقدس مكان لعابى

ووضع صلاته المقدسة مكان صلاتى » (٢) .

وكانت هناك رقى لكل المناسبات وضد كل الشرور « ضد الأرواح الشريرة » أوتوكى ليمنوتى « Outoukki limnouti » والشبح « اديمو » وال « لبارتو » . أما ضد الساحر فكانت تستعمل رقية « ماقلو » (الاحتراق) أو « شاربو » (الالتهاب) ذلك لأن صورة الساحر كان يلقي بها فى النار . وكان الصداغ والحمى والروماتزم تعتبر كائنات حقيقية يجب أن تختفى نتيجة لعمليات السحر . وكان إل « اشيبو » يقدم الصلوات للآلهة كما يتقدم بالتضحيات ويصب الأهرق .

١٠ - الطبقة الثانية من رجال الدين (المنجمون والعرافون)

كانت الطبقة الثانية من رجال الدين تضم المنجمين وقد عرفتهم لجش منذ فجر التاريخ وكانوا ينقسمون الى فرق عدة تبعا لمختلف أنواع

Ibid, t. XVII, p. 87.

(١)

XLIV, p. 287.

(٢)

الظواهر التى يمكن ملاحظتها . وفى عصر أورنيانا التمس كبير المنجمين « بأزو » من الاله أنكى أن يحصل على وحى بشأن تشييد بيت جيرسو (١) وتحت حكم أسلاف « أورو كاجينى » كان على الرجل الذى يرغب فى صب الزيت على الماء حتى يعرف مشيئة الآلهة أن يدفع خمسة شواقل من الفضة للايشاكو وواحدا لكبير الوزراء وواحدا للمنجم « ابكاللو » الذى كاو يكرس ذاته خاصة لادراك الغيب عن طريق دراسة الأوانى (٢) . وفى نفس العصر كان هناك كهنة آخرون يفسرون الأحلام - ال « انسى » - أو يلاحظون مختلف الظواهر ال « اجيدو » . وكلهم يحملون الاسم العام « بارو » .

ولم يكن اللجوء للعرافة يتم فقط بالنسبة للششئون الخاصة ، بل كان كذلك وقبل كل شئ يتصل بالشئون العامة فلم يكن أمير يقبل على أمر هام دون استشارة المعبود سواء أكان ذلك بأن يبدى المعبود رأيه عن طريق ظاهرة غير عادية أو غير متوقعة أم - كما هو الأمر فى أغلب الأحيان - بأن يلتمس السائل تدخله بالبحث عن الرغبة الالهية فى الظواهر التى يلاحظها المنجم . ولقد استشارهم « أمى ديتانا » ملك بابل فيما يختص بنقل حمولة قمح (٣) .

وكانت مهام المنجم وراثية وكان هو « نسل كاهن مولود من كاهن سليم » ويجب ألا يكون فيه عيب جثمانى . أما العلم الذى لديه فقد وصن اليه عن « انميدورانكى » سابع الملوك السابقين للطوفان (٤) الذى أقام صرح الكهانة ٠٠٠ أما - بعد قرون - أن هو « ارتدى ثيابا طاهرة » فان ذلك يرجع فقط الى تعديلات أدخلت فى الطقوس لأنه فى الأصل كان عريان عريا تاما عند مباشرته لمهام عمله كما تبين ذلك اللوحات العتيقة من نيبور والاختتام الأسطوانية .

١ - ادراك الغيب عن طريق دراسة الكبد والأوانى

كانت العرافة تتناول كل الظواهر المحتملة وغير المحتملة . وفى المجموعات المختارة التى يستعملها المنجمون دون فى عناية ما تم من أحداث ، بعد ظاهرة أو أخرى من الظواهر التى كانوا يعتقدون أنه

LXXVI, p. 19.

Ibid, p. 80.

LXXXIX p. 159.

XLIII, p. 143.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

سيكرر حدوثها في نفس الظروف . . . بل وأكثر من ذلك اخترعت فروض معينة وبصور مختلفة من تداعي الخواطر استنتجوا ما ينبغي حدوثه .

وكانت أكباد الحيوان تعتبر مقر الحياة . ومن ثم كان هذا العضو يسمح للمرأة أن يرى فيه كما يرى في المرأة نوايا الاله الذي تقبل الحيوان المضحي كتقدمة . ومع ذلك فقد كان من الضروري لمباشرة ادراك الغيب عن طريق الكبد أن يختار حيوان مبرا من العيوب وأن يضحي به وفقا للشروط المقررة في الطقوس والتي تختلف باختلاف ساعات النهار . ففي الفجر مثلا كان المعبود على استعداد لأن يتقبل شاة وكان العراف يضع أمام الاله موقدا وعلى مائدة خلف الموقد أربعة أوان بها خمر السمسم و ٣٦ كعكة ومزيجا من الزبد والعسل ثم الملح أخيرا . وبعد أن ينفخ الكاهن الموقد يمسك بصاحب القربان من يده ويتلو هذه الصلاة : « فلان عبدك ! هلا يقدم تضحيته في ساعة الصباح ! ألا فليقدم نفسه أمام عظمة الوهيتك ! ألا فليكن سرخيا لعظمة الوهيتك بفضل هذه الشاة ذات اللحم الجيد والأعضاء الصحيحة » وبعد أن تضحي التضحية كان نصيب الاله الفخذ اليمنى والكليتين وقديدا . وقد عدد أحد الكتب العلامات التي قد يكشفها العراف في الكبد وحدد أيها مناسب وأيها غير ملائم . ولقد احتفظ بالملاحظات التي بنيت على الأحداث التي حلت بأسرة أجاده . ولدى المتحف البريطاني كبد من الطين تنقسم الى خمسين قسما يتصل كل منها بعلامة من العلامات المختلفة .

أما ادراك الغيب عن طريق استقراء الأواني فقد كان الاشتغال به أيسر وكان العراف يستطيع دون تردد أن يذكر أن كان المريض موضع الاستشارة سيشفى أو يموت ، وأن كان المشروع المقترح سيصيبه النجاح أو الفشل وذلك تبعا للوضع أو الصورة اللذين تسقط بهما نقطة الزيت في اناء الماء .

(ب) الظواهر العرضية :

ولكن هناك ظواهر لا يبحث عنها الانسان بل تفرض نفسها للملاحظة وهذه الظواهر يمكن أن تكون أيضا بشيرا بالخط الحسن أو نذيرا بسوئه مثال ذلك الشذوذ في ولادة الأطفال أو الحيوانات ذلك الشذوذ الذي يعتبر فالأ للبيت الذي يحدث به وأحيانا للمدينة أو الولاية . فربما دعا تشابه طفيف في الرأس الى القول بأن المرأة ولدت أسدا وهذا يوحى بفكرة القوة والسيطرة وهي علامة طيبة للبيت أو البلد . وإن كان رأس الطفل يذكر بالخمار أو الحمل فان هذه أيضا علامة طيبة . أما الكلب

والشعبان فيحملان الغال السييء . وحركات الحيوانات وتصرفاتها لها قيمة تنبؤية تختلف باختلاف زمان ومكان الملاحظة : فدخل كلب أبيض الى القصر ينبئ بحصار المدينة ودخول الجارح من الطير الى البيت نذير بموت صاحب هذا البيت والصراصي قال سييء للبيت الذي توجد به ، هذا الى أن جميع ظواهر الجسم الانساني قد أوجدت مجالا لتفسيرات تناقلتها الأجيال بعضها عن البعض جيلا بعد جيل وجمعها آشور بانيبال في مكتبته العظيمة في نينوى .

(ج) الأحلام :

كان الآلهة يحبون أن يتصلوا بالأتقياء من الناس وأن يعلنوا اليهم ما سوف يحل بهم من أحداث عن طريق الأحلام . وجين كان يحزب الأمر كان الأمير أو العراف يلتبس هذه المنحة بالتوجه الى المكان المقدس والنوم فيه . ولذا نرى اياناتوم ايشاكو لجش حين هاجمه رجال أوما - وهم الذين هزموا جو ادين ننجرسو - ولم يكن مستعدا لذلك ... نراه يرقد في معبد الهة حتى يعرف عن طريق الحلم أى طريق يجب عليه أن يسلكه . ووقف ننجرسو عند رأسه وكشف له عن أن بابار سيسير الى جانبه ووعدته بالنصر (١) .

كذلك كان حلما ذلك الذي تلقى فيه جوديا الأمر باعادة بناء « اننو » المعبد الرئيسي في لجش (٢) « تنهد جوديا قائلا هلم فلأتكلم فلأردد هذه الكلمات ! أنا الراعى . لقد أعطيت لى السيادة كهدية . حضر الى شىء فى منتصف الليل ... شىء لا أعرف معناه ... هلا يسمح لى ان أمكن أن أقص حلمى على أمى عسى العرافة - تلك التى لديها معرفة ما يناسبنى - عسى الهى نينا أخت سيراراشوم تفسره لى ! » وقد قدم توضيحات الى ننجرسو والى الآلهة جاتوم دوج . وبعد توضحية جديدة ، تمجيذا هذه المرة لـ « نينا » ، وجه دعاءه لها قائلا : « أى نينا أيتها الملكة يا سيدة القرارات التى لا تقدر ! أيتها الملكة التى هى مثل انليل تحدد المصير ! أى نينتى ! ان كلمتك صادقة وتلمع فى أعلى نقطة ... أنت عرافة الآلهة أنت ملكة الأقطار - أيتها الأم مفسرة الأحلام - فى وسط حلمى لقد أمرنى رجل ترتفع هامته الى السماء وهيكله ينافس الأرض ضخامة ... كان الها ما دام الثاج على رأسه والى جانبه الطائر المقدس امجيج وعند قدميه اعصار وعلى يمينه والى يساره أسد رابض ... لقد

LXXVI. p. 27.

(١)

Ibid, p. 137 et suiv.

(٢)

أمرني أن أبني بيتي ... لم أعرفه ... أشرقت الشمس من الأرض ... امرأة . - ألم تكن هي ! من كانت ؟ - كان في يدها قلم طاهر وكانت تحمل لوحة نجم السماء السعيد . وكانت تحمل النصح في شخصها . رجل آخر شبيهه بالمحارب كان يحمل في يده لوحة من اللازورد وكان يخط تصميم معبد ووضعت أمامي الوسادة الطاهرة ووضع فوقها القالب الطاهر وفي القالب كان طوب القدر ... وضع أمامي ... المقدس ... وكان الحمار مضطجعا على يمين ملكي « فأجابت نينا أم الايشاكو عليه قائلة : « أى راعي ان حلمك سآفسره أنا لك . أما الرجل الذى تنافس قامته السماء وتنافس الأرض الذى هو اله بالنسبة لما هو على رأسه والذي الى جانبه الطير المقدس امجيج وعند قدميه اعصار والى يمينه ويساره يربض أسد ... انى أخى ننجرسو . انه أصدر اليك أمرا أن تبني بيته ال « اننو » أما الشمس التى أشرقت أمامك فانها الهك ننجزيذا : انه يخرج من الأرض مثل الشمس . أما المرأة الشابة التى ... التى تمسك فى يدها قلما طاهرا وتحمل لوحة النجم السعيد وتحمل النصح فى شخصها ... انها أختى نيسابا : لقد أعلنت لك النجمة الطاهرة عن بناء المعبد . أما الرجل الآخر الذى يشبه المحارب والذي يحمل فى يده لوحة من اللازورد ... انه « نندوب » هو ... تصميم المعبد . أما الوسادة الطاهرة التى وضعت أمامك والقالب الذى وضع فوقها وطوب القدر بداخل القالب - انه الطوب المقدس ل « اننو » . أما ... المقدس ... الموضوع أمامك الذى ... فان هذا معناه أنه لكى تبني المعبد فانه يجب ألا يكون أمامك سرور . أما الحمار الذى يضطجع الى يمين الملك انه أنت . أنت تضطجع على الأرض فى اننو مثل ... » .

وبعد أن نبهت الى ما يعمل بصدد تقديم هدايا معينة للاله أنهت حديثها بقولها : « ننجرسو ... سيكشف لك عن تصميم معبده . والمحارب الذى له القرارات العظيمة سيباركك » وبعد ألفى عام دعى نابونيد آخر ملوك بابل بواسطة الحلم ليعيد بناء معبده هو معبد « أى هولهور » للاله « سن » فى « حران » ...

وكان يعهد بتفسير الأحلام الى كاهن خاص هو « الشائلو » .

(د) التنجيم : الظواهر الجوية

كان يظهر الآلهة رغباتهم كذلك على طريق حركات النجوم وكان المنجم يستطيع أن يقرأ على القبة ذات النجوم ما سوف يحدث على الأرض . و (سن) اله القمر مثلا لم يكن يظهر دائما فى أول الشهر وكان أحيانا يختفى فى اليوم السابع والعشرين وأحيانا فى الثامن والعشرين وأحيانا

يظهر تاجه في أقصى لمعانه في الثالث عشر أو الرابع عشر وأحيانا في الخامس عشر وأحيانا في السادس عشر . ومن هنا خرجت تفسيرات مختلفة خاصة بشئون الدولة التي تتصل بها هذه الظواهر مباشرة . وكان الأمر كذلك بالنسبة لظواهر إله الشمس شمش وللاله عشتار (كوكب الزهرة) ومردوك (المشتري) ونجوم أخرى . وإليها كانت تنسب الأحداث السعيدة أو السيئة التي تحل بالبلاد : مثل الحملات الحربية والغزوات ومرض الأمير أو موته والقحط والفيضان . . . الخ .

وقد أضيفت إليها الظواهر الجوية كالزوابع والأمطار والبروق والزلازل كظواهر للاله « أداد » سيد العاصفة .

١١ - الكاهنات

لم يقصر الدين السوميريواكادي الوظائف المقدسة على الرجال ، بل كان من الجائز أن تكون النساء كاهنات وساحرات وعرافات ومغنيات . ولقد كانت أم سرجون الأجادى كاهنة وفقا لتقليد معين . أما والدة (كاهنة) جلجامش فكانت تفسر الأحلام وهي التي أخبرت البطل بوجود « انكيدو » (١) . وبالمكتبة الأهلية بباريسي خاتم أسطوانتي لكبيرة كاهنات الاله « أداد » . وكان تعيين كبيرة الكاهنات يتم عن طريق الفأل كما هي الحال بالنسبة لكبير الكهنة ولدينا دليل على ذلك اسم لغام سابق لعصر أور (٢) . وبعد عشرين قرنا أعلن نابونيد الذي كانت أمه كاهنة ل (سن) في حران انه ان كان قد كرس ابنته لمعبد أور فانه فعل ذلك بناء على رغبة المعبود : (٣) « لما كنت مشغولا بهيكلك ودعوت جلالته غنيت بالرغبة التي كشفها لي وقدرتها حق قدرها ولم أرفض رغبته ولبيت دعوته فرفعت الى مرتبة الكاهنة الابنة التي خرجت من قلبي وسميتها باسم « بعل شالتي نسا » ثم أدخلتها ال (أي جيبار) » . وكان الإيجيبار مسكنا بنى فوق شرفة مزروعة أشجارا وكان مخصصا لسكنى الكاهن الأكبر والكاهنة الكبرى .

ومن بين اصطلاحات أوركا جينا اشارة الى مخصصات كبيرة الكاهنات . ويقابل اسمها السوميري « نن دنجير را » زوجة الاله الكلمة السامية « انتوم » مؤنث « أنوم » en بالسوميرية) وهو اسم كبير الكهنة . وقد

XLI, No. 90.

(١)

LXXVI, p. 329.

(٢)

I, t. XI, p. 144.

(٣)

نظم قانون حمورابي مركزها القانوني سواء أكانت متصلة بمعبد مردوك أم نذرت لخدمة اله آخر . وكما أنه من المحتمل وجود عدد من كبار الكهنة لنفس الآلهة تحت سلطان كاهن أعظم بمثابة رئيس عليهم فإن الحال كذلك بالنسبة للمعابد الرئيسية حيث توجد مجامع حقيقية من كهنة الكاهنات مختارات من أرقى طبقات المجتمع وكانت ال « سبال مي » (زوجة الاله) وال « قاديشتوم » (المكتملة الصحة) وال « زوماشيتوم » كاهنات كذلك وكانت عبادة عشتار تضم كذلك طبقات ثلاثا من بنات الهوى اللواتي يعشن في ال « جاجوم » تحت رعاية إحدى ال « اوكورتوم » كما أنه كان يوجد بالقرب من نفس المعبد مبنى للرجال يديره كاهن أكبر يدعى « أكوروم » .

ولم تكن بنات عظماء النبلاء يحتقرن الوظائف الدنيا في العبادة المقدسة والدليل على ذلك أن حفيدة نارام سن المدعوة « ليبوش ياو » كانت عازفة على القيثارة للاله سن (١) . ومن العصر الكاسي مثلت على كودورو - ناقص لسوء الحظ (٢) - امرأة تحمل جعبة وقوسا في موكب من الكهنة الموسيقيين وهي تضرب على نقرة (طبله) وكذلك يظهر أنها امرأة تلك التي تضرب على آلة موسيقية وترية كبيرة في صحبة يافع في منظر لحفل ديني من عصر جوديا (٣) .

١٢ - ضرورة الدين

فسر السوميريواكاديون أصل الانسان بمختلف الوسائل في الأشعار الدينية والشعبية ولكنهم اتفقوا جميعا على نقطة هامة هي أن المعبود صنعه من كتلة من الطين وأنه خلق من أجل خدمة الآلهة . ويبين علم تكوين المخلوقات الكلداني (٤) « أن مردوك قد خلق البشر كي يقدم للآلهة مسكنا يأوون اليه حتى يسعد قلبهم . وقد سهم معه أورورو في اخراج بذرة البشر » . وفي « قصيدة الخليقة » نرى نفس الاله ينوئ ايجاد الانسان عن طريق عجن الطين بدمه هو (٥) حتى يقيم عبادة الآلهة .

LXXVI, p. 237.

(١)

XVIII t, VII p. 149.

(٢) انظر الشكل رقم ١١ .

I, t. IX, pl. III

(٣) انظر الشكل رقم ١٤ .

XLIII, 87.

(٤)

Ibid, p. 64.

(٥)

وكان هذا الخلق يتم في صورة المعبود وكان كل اله يستطيع أن يسهم فيه نظرا لأنه يتكرر كلما حلا لهم ذلك . وكان الخالق يشكل في قلبه « صورة انو » ويأخذ طينا يشكله بهذا الشبه . وقد فعل أرورو ذلك ليخلق جليجامش والمسخ « انكيدو » أما ايا وهو أحد الآلهة الذين ينسب اليهم القصص البدائي . ظهور الانسان على الأرض فانه خلق « أسوشونامير » و « ادايا » بنفس الطريقة . وفي زمن الطوفان ادعت عشتار أنها أم البشر وصاحت قائلة : « أخلقت الناس كصغار السمك ليملاؤا البحر ؟ » (١) .

وكان الآلهة - اذا قصرت البشرية في مهمتها - توقع بها عقوبات مروعة : كالفيضانات التي تحيل البشرية طينا ووحلا والقحط والمجاعة والأوبئة . وفي كل هذه المصائب كان الاله ايا يظهر نفسه دائما عطوفا يسعى الى انقاذ البشر .

١٣ - الرجل والاله

وكان كل انسان يعتمد على اله هو ملاكه الحارس وكان يطلق على نفسه « ابن » هذا الاله . وكان أمراء لجش من أسرة أورنيينا تحت حماية اله واحد « دون اكس » ، أما أوروكاجينا فقد ادعى نسبته الى ننشوبور . وأما خصمه « لوجال زاجيسي » فقد كانت المعبودة نيسابا معبودته الشخصية . وقرر جوديا صراحة أنه ابن ننجزيديا وكثيرا ما نراه يدعو « الهه » ويقره بصفة خاصة . وفي القرن السابع نجد « شماش شوم أوكين » ملك بابل يستمر في تقاليد الألف الثالثة حين يقول في رقبة : « أنا شماش شوم أوكين ابن الهه ، الذي الهه مردوك والهته زر بانيتوم » .

وأنا لنجد بصفة خاصة في عصر الأسرات الأمورية في ايسين وبابل اشارات الى هذا المذهب الديني في قوائم الأسماء . فهناك أسماء مركبة من ايلي (الهى) : ايلي دورى (الهى قلعتى) وايلي أنام (كن رحيمًا يا الهى) وايلي أمرانى (الهى انظر الى) وايلي جملانى (يا الهى اعف عني) وايلي اشمينى (الهى استمع الى تضرعى) وايلي اموروم (الهى أمور) واليما أبى (حقا أن الاله أبى) وما نوم كيما ايلي (من مثل الهى ؟) وهناك غيرها تحوى مقطع ايلوشو وايليشو (الهه) مثل : ايلوشو أبوشو

(الهه أبوه) وإيلوشو ابنيشو (الهه خلقه) وإيلوشو ابنيشو (الهه سماه) وشا إيليشو (ملك الهه) وجميل إيليشو (عطية الهه) وإيل إيليشو، مار إيليشو (ابن الهه)، ومانونم بالو إيليشو (من يستطيع الحياة بغير الهه ؟) .

وأسماء النساء كذلك تقدم دليلا على نفس المعتقد الدينى ف « إيلي امدى » (الهى سندی) و « إيلي افيليم رابى » (اله الانسان عظيم) . وكان الاله يهتم بالرجل الذى هو حارسه . وكان يعمل كوسيط بينه وبين المعبودات الأخرى . وينهى أورو كاجينا بعض نقوشه بهذه الصيغة : « ألا فليسجد الهه ننشوبوز فى الأيام القادمة من أجل عمره أمام ننجرسو » ونحن نجد صيغة مماثلة فى نصوص انتهنيا ولكن هذا الأمير يكتفى بأن يختم قصصه بآشارة بسيطة الى حاميه « الهه » هو « دون اكس » .

ولما أخذ جوديا على عاتقه أمر إعادة بناء ال « انتو » أمسكه الهه ننجريدا من يده خلال الموكب الذى كان يسبق صنع اللبنة الأولى فى هذا الأثر . وهذا واحد من لطقوس التى يتكرر ظهورها فى الآثار المنقوشة . ويمثل الختم الاسطوانى للايشياكو المشهور (١) منظرا مماثلا . ونحن لو كان لدينا بقية من التردد فى معرفة الأشخاص فان واحدة من اللوحات المقامة تطرد كل الشكوك فانه فوق نفس صورة الأمير نجد اسمه مكتوبا داخل خانة ملكية (٢) .

وفى العصر المذكور كان الموضوع المحفور على الأسطوانة يمثل عادة منظر طقس يقاد فيه صاحب الختم الى حضرة معبود آخر بواسطة الهه . وأحيانا حين يقاد من يده كان يرفع يمينه الى فمه وأحيانا يقف فى خشوع ويداه معقودتان الى بعضهما وخلفه الهه يتشفع له (٣) ذلك لأن الهه الرجل هو حاميه وشفيعه لدى المعبودات الأخرى . وهكذا فاننا نجد فى عصر الأسرة البابلية الأولى أنه حيث تقوم الأسماء الشخصية دليلا فى أمثلة عديدة على الاعتقاد فى الهه حارس نرى الحفر على الأحجار يقدم كذلك شهادة تؤيد ذلك الأمر . فان البابلى التقى كان يخب أن تنقش أسماء الهه والهة فى الكتابة التى على أسطوانته سواء أوصف نفسه كخادم أم تناسى نفسه أمام المعبود ولم يذكر شيئا عن شخصيته وانه لمن الخطأ

(١) شكل ٣١ .

CIV, fig. 368, d.

(٢)

XLI, p. 49, 57.

(٣)

أن نبحث عن أية رابطة مباشرة بين النص والموضوع الذي يحفر على نفس الحجر : فإن هذا لم يكن أمراً يشغلهم (١) .

ولقد كان أداد إله الصاعقة : وقد مثله خادمه أويل أداد . ويتميز إله الغرب بعضاً معقوفة : وهو يحمي زازوم الذي مثله كذلك على خاتمه . وفي مكان آخر نستطيع أن نقرأ إلى جانب إلهة الحرب أسماء أنليل وأنليل ونرجال وباد . كما تظهر أسماء الإله شماش والإله أيا منذ عصر أور أمام الملك المقدس إلى جانب أسماء أداد وشالا كذلك . وهي موجودة في عصر الأسرة الأولى ليس فقط مع إله الشمس فحسب ، بل معبودات أخرى كذلك . وهذان الاسمان منقوشان على أسطوانات معينة مثل فيها الحفار إله الغرب . ولقد بدأت تنتشر عادة اختصار الموضوع تحت حكم الملوك الأخيرين للأسرة ثم شاعت تحت حكم الكاسيين فلم يعد يمثل سوى شخص واحد وهو يقدم وعاء . ولكن الكتابة التي عليها اتسعت وتحولت إلى نص طويل . وقد حدث ذلك بالنسبة لأسطوانتين تحملان تقديساً لـ « جولا » وإله الغرب دون وجود صورة ما (٢) ، وفي مكان آخر نقرأ مثلاً : « إلى جيرا المولى العظيم الذي يزيد في الغلال ويكثر في الكائنات الحية ويخلق خلقاً ورثاً واسماً لـ « مانوم بالوايليشو » بن « أدن بلتو » خادم جيرا وإلهة أجاده » (٣) كما نقرأ : « إلى مردوك الإله المتعالى الإله الرحيم على شماش شيبير الخادم الذي يوقره » (٤) .

١٤ - الخوف من الآلهة

(الصلاة والقربان « التضحية »)

كان أول واجب في الدين هو الخوف من المعبود . وكان حمورابي « يخشى الآلهة » وكان نبوخذ نصر الثاني « بكل قلبه المؤمن يحب خشية معبوداته » ويرتعد أمام سطوتهم . أما نابونيد « الذي يمتلئ قلبه رهبة فيرعى كلمة الآلهة » فانه مع ذلك يقول كيروش أن مردوك عاقبه وهجره « لأنه لم يرهبه » .

(١) Ibid Nos. 250, 256, 233, 227, 228, 226, 106, 116, 117, 118, 160, 148, 149, 203, 217, 162, 289, 291, 295, 296, 288, 294

I, t. XVI, p. 6 et 89. (٢)

XLII, 298. (٣)

XLIX, 266. (٤)

وكان الواجب الثانى فى الدين هو الدعاء أو الصلاة والتضحية :

« قدم الخضوع كل يوم لالهك :

التضحيات والصلوات والبخور الواجب

ليكن قلبك نقياً أمام ربك !

ان هذا هو ما يرضى المعبود

ان أنت قدمت التوسل والدعاء والصلاة والسجود فى كل صباح

فانه سيمنحك كل الكنوز

وسوف تزهو أيامك بفضل الهك

وبعقلك راع اللوحة :

الخوف يولد الرفق أو العاطفة

والتضحية تطيل العمر

والصلاة تخلص من الاثم » (١) .

وكان القربان يتكون من طعام مقدم للمعبود يصحبه حرق بعض النباتات ذات الرائحة . وكانت السوائل تستخدم عن طريق اوراقها (اذقتها) وتبين الأسطوانات واللوحات المحسورة ذلك . وقد قدم « لوجال زاجيسى » ملك أوروک خبز التقدمة وماء نقياً لاله نيبور وأقام جوديا فى ال « باجا » مائدة القربان التى اجتمع حولها آلهة لاجش ، كما وضع حمورابى مأكولات وأطعمة طاهرة أمام الآلهة . وصب نبوخذ نصر نبيذا « فى وفرة ماء النهر » على مائدة مردوك وزربانيتوم .

وتقدم قوائم الطقوس بيان التضحيات التى تختلف تبعا للغرض المراد وهاك ما قدمه بارو عند الفجر من أجل متعبد تقى لشماش فقد وضع موقدا أمام كل من المعبودات الثمانية : شماش ، أداد ، مردوك ، ايا ، بونين ، كيتو ، ميشارو واله المتعبد الشخصى . وعلى مائدة خلف كل موقد وضع أربعة أوان من نبيذ السمسم و ٣٦ رغيفا ومزيجا من الزبد والعسل ثم - أخيرا - الملح وبعد أن ينفع الكاهن الموقد أمام شماش أخذ صاحب التقدمة من يده وبدأ يتلو صلاته « فلان خادمك . ألا فليسمع

له فى ساعة الصباح أن يقدم لك التضحية • ألا فليرفع الأذن ويقف أمام عظمة ألوهيتك • ألا فليكن مرضيا لعظمة ألوهيتك بفضل هذه الشاة ذات اللحم الطيب والأعضاء المكتملة « (١) ثم تذبح التضحية ويتقبل الاله نصيبه وهو الفخذ اليمنى والكليتان وقديد •

وكانت ذبيحة الدم عادة حملا أو جديا • وهى تصور كثيرا فى المناظر المحفورة فى الألف الثالثة والواقع أن الحيوان كان يمثل حقيقة صاحب القرىبان :

« الحمل فداء للبشر

لقد قدم حملا بدلا من حياته

لقد قدم رأس الحمل بدلا من رأس الانسان

لقد قدم عنق الحمل بدلا من عنق الانسان

لقد قدم صدر الحمل بدلا من صدر الانسان « (٢) •

وكانت الحيوانات الأخرى على كل حال تستطيع أن تؤدى نفس الغرض للتكفير عن أخطاء المريض كان يضحي خنزير • يقول الكتاب : « قسم الخنزير الى ستة أجزاء وضعا على المريض وظهره بالماء المبارك للابسو وأحضر اليه الموقد والمشعل وضع بالقرب من الباب المغلق مرتين سبعة رغفان سويت تحت الرماد • وقدم الخنزير بدلا منه • • • اللحم بدلا من لحمه والدم بدلا من دمه • • • دع الشياطين تتقبله • أن ألقب الذى وضعت له الى جانب فراشه أعطه بدلا من قلبه وليتقبلوه « (٣) •

وكانت الذبائح المضحاة تنظم فى عناية • وقد حدد جوديا — بعد أن عمل لوجال أوشو مجال ذلك أيضا — عدد الأسماك والثيران والنعاج والحملان والخيول التى يضحي بها فى معابد لجش باسم المدينة المناسبة أعياد السنة المهمة • وقد فرض دونجى مبالغ لمحافظة المدن ليضمن تنظيم الذبائح الشهيرة تكريما لانليل • ويوضح نابوابال ادين تفصيلات عن

Ibid, p. 107.

XLIV, p. 274 ; XLI No 157.

XLIV, p. 273.

(١)

(٢)

(٣)

القرايين التى كانت ستقدم مستقبلا لشماش وذلك فى لوحته الخاصة
بعبادته فى سيبار (١).

وكانت الذبائح (التضحيات) المنتظمة العامة تختلف بالضرورة
تبعا للموارد التى كانت تحت تصرف كل معبد . ففي أوروك (٢) عى
معبد أنو وفى عصر معين كانت هناك يوميا وجبتان تتكونان من الشراب
والخبز والفاكهة واللحوم تقدم للآلهة كل صباح كما تقدم اثنتان أخريان
كل مساء وذلك طبقا لوثيقة أعيدت كتابتها فى حكم السلوقيين .

وكان شراب أنو يقدم فى ١٨ اناء ذهبيا : أربعة أنواع من الحجة
والنبيذ المعصور . أما فى الصباح فاللبن فقط فى اناء من المرمر . وكان
يقدم له ٣٠ رغيفا كل منها مصنوع من ٢ ١/٢ لترا من الدقيق (٣/٤ من الدقيق
الشعير و ١/٤ من القمح) يقدم منها ثمانية فى كل من وجبتى الصباح
وسبعة فى كل من وجبتى المساء . وكان يقدم البلج من بابل . والبلج
من دلون على شريحة من الخبز منقوعة فى الزيت . وكان يضاف الى ذلك
التين والزبيب .

أما المعبودات الأخرى فكانت تتقبل أنصبه أصغر فـ « انتو » لم
يكن يقدم لها النبيذ . وكانت عشتار تحصل على ١٢ اناء شراب بينما لم
تكن نانا تحصل على أكثر من عشرة . وكانت كل من هذه الالهات الثلاث
يقدم لها ثلاثون رغيفا كباقي الآلهة يوضع منها ١٢ رغيفا أمام العرش
الالهى والاله المحلى للهيكل وأربعة أمام التاجين و ١٦ أمام البرج المدرج
والله المحلى .

وكانت الصحف الرئيسية تقتضى وجود ٢١ خروفا عمر الواحد منها
سنتان علفت بالشعير . وأربع نعاج أطعمت باللبن و ٢٥ نعجة من المرتبة
الثانية وثوران وعجل رضيع و ٨ حملان و ٦٠ طيرا من نوعين مختلفين
و ٣ دجاجات و ٧ بطات و ٤ خنازير من المستنقعات و ٣ بيضات لورمو
و ٣ بيضات من بيض البط . وكانت وجبات الصباح هى الأكثر أهمية
فكان لافطار الصباح ١٨ نعجة وثور واحد وعجل رضيع . وللغداء ٦ نعاج
والثور الآخر والحملان ومعظم الدواجن والبيض . وأما وجبة المساء فعشر
من النعاج ومثلها من الطيور . وأما العشاء فعشر من النعاج فقط .

XLIII, p. 391.

(١)

LXXVII, B.

(٢)

وتقدم كتب الطقوس الخاصة تفاصيل العمليات المقدسة التى تباشر خلال الأعياد ، وان نحن ضممنا النصوص الجزأة المتعددة الى بعضها لاستطعنا أن نعيد منها تشكيل أعظم جزء من نظام الاحتفالات خلال « اكيثو » مردوك وهو أعظم أعياد بابل شأننا (١) .

وكان ال « أوريجاللو » (كبير كهنة اكوا) يستيقظ فى اليوم الثانى من شهر نيسان قبل نهاية الليل بساعتين ويظهر نفسه بماء النهر ويرتدى ثوبا من الكتان ويدخل الى قدس أقداس مردوك ويتلو فى السر دعاء ثم يفتح الأبواب حتى يباشر السحرة والكالى والمغنون واجباتهم الطقسية كالاعتاد . وكانت تعمل فى نفس اليوم استعدادات مختلفة وكانت توضع أشياء معينة أمام الآلهة . وفى اليوم الثانى كان احتفال الهجة الأخيرة الشهرية مماثلا لما سبق . وبعد غروب الشمس بساعات ثلاث كان يستدعى ثلاثة من الصناع وأحد النساجين الى المعبد ، ليصنعوا تمثالين صغيرين ارتفاعهما سبع أصابع مزينين بالذهب وبالأحجار الكريمة ومرتدين ثوبا أحمر ومحزومين بحزام من سعف النخل . وكان أحدهما يصنع من خشب الأرز ويمسك فى يسراه ثعبانا والآخر من خشب الأثل (الطرفاء) ويمسك عقربا . وكلاهما يرفع يمناه أمام « نابو » عند وصوله الى ال « اى هورساج تىلا » فى اليوم السادس . وعندئذ يقطع رأسيهما سياف ويرميهما الى الموقد . ومن اللحظة التى يبدأ العمال فى صنعهما حتى ساعة احراقهما يتناول هؤلاء العمال خير القطع المنتقاة من موائد التضحيات . وكان الصائغ يعطى صدر نعجة . ونحات الخشب فخذا . والنساج الضلوع . وكانت الكتف تحجز وتخصص لصانع ثالث يدعى « جورجورو » (أى حفار المعادن) .

وفى اليوم الرابع كان الاحتفال السرى يحوى وردين ويبدأ قبل الفجر بأربع ساعات . وبعد مشرق الشمس بساعتين يبدأ تطهير المعبد فيرشه أحد السحرة بالماء الذى يؤخذ من بئر الفرات ومن خزان دجلة ثم يقرع الدفوف النحاسية ويستعمل مجمرة ومشعلا ولا يدخل الى هيكل مردوك حيث يظل ال « أوريجوللو » داخله والباب مغلق عليه . ثم يذهب بعد ذلك الى معبد نابو ويباشر نفس الطقوس هناك ويلمس بزيت الأرز مصاريع الأبواب ويمسح الحوائط بجسم شاة لا يزال دافئا ويكون السياف قد قطع رأسها لتوه . ثم يخرج هذان الرجلان الى الخلاء وأحدهما يحمل جسم الحيوان والآخر رأسه ويلقيان بهما فى الفرات . ولما كانا

قد تدنسا كنتيجة لاتصالهما بالديحة ، فانهما يبقيان خارج أسوار المدينة طيلة عيد ال « اكينتى » أما ال « أوريجاللو » فكان يظل داخل قدس الهيكل كى يجتنب التدنيس ولو بمشاهدة المعبد أثناء تطهيره .

وعقب الساعة الثالثة بقليل يخرج ويستدعى الموظفين التابعين له ثم يذهبون الى الخزانة لاستحضار « السماء الذهبية » ويطفون معبد نابو من أعلاه الى أساسه وبعد حين يعد ال « أوريجاللو » ذبيحة أمام مردوك ثم تنقل المائدة الذهبية التى استعملت فى هذا الغرض الى ضفة القناة حتى يستطيع نابو استخدامها فى لحظة رسوه .

ويصل الملك فى نفس اليوم وربما كان يصحب اله بورسبيا ويقاد الى الايساجيل ويترك وحده فى الفناء الرئيسى وعندئذ يخرج الأوريجاللو من الهيكل ويخلع عن الأمير علامات الملك والصولج والدائرة والعصا ذات الأسنان والتاج ويذهب ليضعها جميعا على مقعد أمام تمثال مردوك ثم يعود الى الأمير ويضربه على الخد ويقدمه الى حضرة الاله ويشد أذنيه ويجعله يركع . ثم يتلو الملك اعترافا سلبيا :

« أنا لم أرتكب اثما يا سيد الأراضى . أنا لم أهمل فيما يختص بالوهتيك

أنا لم أحطم بابل ولم آمر بتفريقها

أنا لم أهز الايساجيل ولم أنس طقوسه

أنا لم أضرب الزوار على خدودهم ولم أسبب لهم مذلة

لقد عنيت ببابل ولم أهزم حوائطها » .

فيجيب الأوريجاللو الملك « لا تخف . سيباركك بعل الى الأبد

وسيحطم أعدائك وسيهزم خصومك » .

ثم يخرج الملك من الهيكل وتعاد اليه علامات الملك ويضربه الأوريجاللو مرة أخرى على الخد ويجب عندئذ أن تتساقط دموعه والا كان ذلك طالعا سيثا معناه أن الاله غاضب وأن اعتداءات ستحدث وأن نهاية الحكم أذنت .

وفى نفس اليوم بعد غروب الشمس بقليل يصنع الأوريجاللو حزمة من أربعين قصبة تربطها الى بعضها سعفة نخيل ثم يضعها فى حفرة فى وسط الفناء الرئيسى للمعبد ويسقيها بالعسل والقشدة والزيت ويقاد الى هناك ثور يضحي ويشعل الملك بنفسه الحزمة بواسطة غصن مشتل .

وربما كان اليوم السابع من الشهر - كما هي الحال فى أوروک - مخصصا للاستعدادات النهائية للموكب والبأس مردوك . أما اليوم الثامن فكان الإله يغادر فيه هيكله . وكان الملك هو صاحب الحق فى « أخذ يده » ليقوده الى ال « أكييتى » . أما فى المدن الأخرى حيث كان يتمتع بنفس الامتياز فانه كان يجوز للملك أن يرسل ثيابه لتمثله . ولكنه كان مضطرا فى بابل أن يحضر شخصيا والا فان الموكب لا يتحرك وفى هذا كارثة شاملة لأن أقدار السنة سوف لا تقرر . وكان مردوك يتوقف عند خروجه من الهيكل . كان يتوقف « بين الأستار » فى مذبح مقام فى وسط الفناء الرئيسى حيث تكون وضعت (طبقا للنظام المقرر للاحتفال) العلامات المقدسة والآلهة الذين يسمح لهم أن يكونوا فى الركب وقد حدد الطقوس التضحيات التى تقدم والأغاني التى تردد . أما فى المحطة الثانية فكان مردوك يجلس على مقعد أمام نجمة نجهل اسمها . وتقع المحطة الثالثة فى « دو - أزاج » هيكل الأقدار . وعند مغادرة الدو أزاج يترك الموكب أبهاء الايساجيل ويتحرك على الطريق المقدس متجها الى الشمال ومارا خلال بوابة عشتار حتى يصل الى الفرات . وهناك يدخل الإله الى قاربه كى يذهب وينزل الى البر على رصيف ال « أراهنتو » ومن هناك يذهب الى ال « أكييتو » الخاص به المسمى « ايزور » أى « معبد الصلوات » ويظل فيه حتى اليوم الحادى عشر من الشهر ثم يخترق الموكب مرة أخرى نفس الطريق فى الاتجاه المضاد . وبعد وقفة أخرى عند ال « دو أزاج » يدخل مردوك الى هيكله مرة أخرى . وفى اليوم التالى يعود نابو الى بيته فى بورسيبا .

١٥ - الخطيئة

كان مصدر كل خير للرجل رضى الهه عنه وكان فقدان هذا الرضى أصل كل المتاعب . وكان الإله الحارس مسئولاً بطريقة ما عن الأخطاء التى يرتكبها من هو فى حمايته ضد الآلهة الآخرين وكان عليه أن يعاقبه عليها . ويقول كاتب لاجاش الذى كان يرثى تدمير بلده صراحة : « لم يكن هناك اثم من ناحية أوروكاجينا ملك جرسو . أما من ناحية لوجال زاجيسى ، ايشساكو أوما ، فلتحمل نيسابا الهته هذه الخطيئة فوق رأسها » (١) . ولكن كيف كان المعبود الغاضب يعبر عن سخطه ؟ انه كان فى الأوقات العدائية يسكن جسد خادمه وحين يضطر لظهار عدم رضائه من أجل اثم فانه كان ينسحب منه فتأتى الأرواح النجسة للتو لتحل محله وتجر معها فى موكبها المصائب والشقاء . « ان من لا اله له

يدثره الصداع كتوب يسير فى الشارع » • « ان من ليست له آلهة
حامية يحطم كيانه الصداع » (١) •

ولكى يعود اليه رضى الاله كان يلجأ الى السحر لطرد الأرواح
وتكتسب رعايته من جديد عن طريق التكفير والتضحيات والتطهيرات
- وفوق كل شيء - الصلاة المصحوبة بمظاهر طقسية • وتحوى « مزمار
التوبة » الاعتراف بالخطيئة المعروفة أو غير المعروفة وتنتهى أحيانا
بأنشودة مديح :

« مولاي ! ان آثامى كثيرة وذنوبى فظيعة

الهى ! ان آثامى كثيرة وذنوبى فظيعة

الهى ! ان آثامى كثيرة وذنوبى فظيعة

أيها الاله الذى أعرفه أو الذى لست أعرفه ان آثامى كثيرة وذنوبى
فظيعة

أيتهى الالهة التى أعرفها أو التى لست أعرفها ان آثامى كثيرة
ذنوبى فظيعة

ألا فليخف الغضب فى قلب مولاي

ليهدأ الاله الذى أعرفه أو لا أعرفه

لنهدأ الالهة التى أعرفها أو التى لست أعرفها » (٢) •

ويكشف الاعتراف السلبي جزئيا عن الذنوب التى قد يقتربها
المؤمن وفيه - بعد الاشارة الى الخطأ الذى يرتكب فى حق الآلهة - يأتى
ذكر أولئك الذين يبذرون الفروقة والكذابين والمشاكسين والتجار الذين
يغشون فى النوع أو الكمية أو يطففون وأولئك الذين ينقلون علامات
الحدود من أماكنها ويسلبون بضائع الغير أو يضرون به والذين يزنون •

١٦- المجازاة (العقاب)

كان كل اثم - مهما يبلغ أمره - يعاقب عليه فى هذا العالم وبالمثل
كان للفضيلة هنا جزاؤها • ولم يكن الانسان الذى خلقه المعبود على
صورته ومن أجل خدمته ليتوقع شيئا وراء هذه الحياة التى سيفادها ان
عاجلا أو آجلا لينزل الى العالم السفلى الذى ليست هناك عودة منه • ولقد
قالت الجنية سابيتو الى جلجامش انه حين خلقت الآلهة البشر وضعوا
الموت نصيبا لهم واحتفظوا بالحياة فى أيديهم • وكان نبات الحياة الذى

XXIII t. XVII pl. XIV ch XIX.

(١)

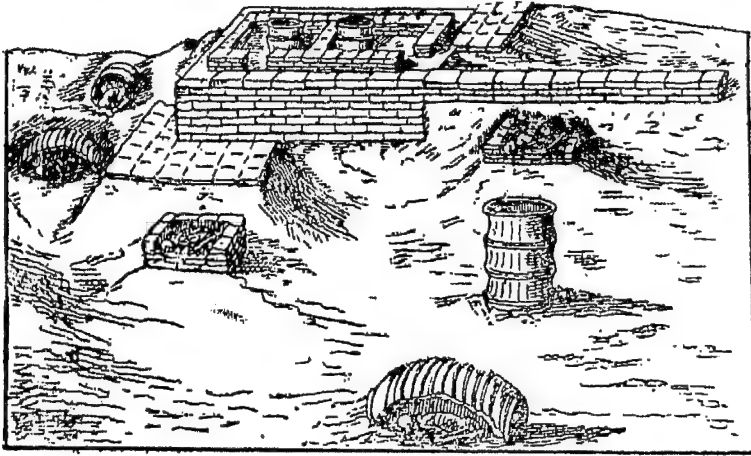
XLIV, p. 237.

(٢)

يجب أن يؤكل للحصول على الخلود ينمو في «الابسو» • وقد حصل عليه جلعامش بعد رحلة بالغة المشقة ولكن سرقه منه ثعبان • ولقد كاد أدايا يخلص من رق الفناء لو أنه تقبل الطعام والشراب المقدم إليه من الآلهة انو ولكن قدره شاء له أن يرفضه - وحتى عشتار - رغم خلودها - لم تكن لتستطيع أن تهرب من الجحيم عندما نزلت إليه تبحث عن محبوبها لو لم تكن قد رشت بماء الحياة •

وعلى ذلك فإن البابلي - خوفا من الموت - كان يلتمس من آلهته أن يطيلوا في حياته الحاضرة ولقد طلب لوجال زاجيسى (صاحب) أوروك أن تضاف حياة إلى حياته (١) والتمس جوديا أياما طويلة من أجل أعماله التي تنسم عن تقواه (٢) ورغب أراسن ، أجوم كاكريم في « مصير من الحياة » وأطلق نبوخذ نصر الثاني على الأصر الذي بناه « ألا فليعش نبوخذ نصر ! ليعش حتى الشبيخوخة قهرمان الايساجيل » وقدم نابونيد هذه الصلاة إلى إله القمر : « خاصني من الآثم ضد عظمة ألوهيتك وامنحني الحياة أياما طويلة وأما بالنسبة « لبعل شار أوتسور » أكبر الأبناء الخارجين من قلبي فضع الخوف من عظمة ألوهيتك في قلبه اجعله لا يرتكب اثما - ألا فلتمتلئ نفسه بالحيا الكاملة » (٣) •

١٧ - بعد الموت



(شكل ١٥) مقابر في لجش (منقولة عن كتاب الحفائر الحديثة في تللو ،

صفحة ١٢٦) •

LXXI, p. 55.

LXXXVI, p. 17E.

XXXII, b, p. 253.

(١)

(٢)

(٣)

مهما يظل بقاء اليبابلي فإنه سيأتي يوم يموت فيه . وكان الأحياء
يعنون بأن يهيئوا للميت دفنه مشرفة تختلف باختلاف ثراء الميت . وقد
تطورت وتبدلت على مر القرون (١) ففي سيبار مثلا في نحو نهاية الألف
الذاتية كان الميت يوضع على ظهره في حوض مستطيل الزوايا من الطوب
وتوضع في متناول يده آوان من الطين والبرونز . وفيما بعد تحول الحوض
الى مستطيل وأصبح الأثاث الجنزى يتكون من أشياء مختلفة : كالسكاكين
والموازين والحبات من العقيق والبراميل الصغيرة والسهم . . . ثم
استبدل الحوض فيما بعد بأناءين كبيرين من الفخار . وكان طعام القربان
يقدم مرة كل شهر للراحل لقاء لأذاه ، أكثر منه تكريما له لأنه كان من
المعتقد في الواقع أن ظل الميت يفترق عن جسده مباشرة عقب الموت
ويتحول الى روح شريرة تسمى « أديمو » وتنضم الى طبقة ال « أوتوكي »
الأشرار وهي لا تستريح طالما لم تدفن الجثة « ان من تبقى جثته ملقاة في
الحقول يظل خياله غير مستقر في الأرض . وان من لا يعنى أحد بخياله
يققطع ما يصل الى يده في مطافه السريع من بقايا الأطعمة الملقاة في
الشارع ليأكلها » (٢) وعلى ذلك ، فإن الحرمان من الدفن كان أقصى عقوبة
« فلتسقط جثته وذ يجد لها قبرا » (٣) . وحين تؤدي آخر الواجبات
للجسد ينزل الاديمو الى « الأرض العظيمة » . الى « بيت الظلام » « مسكن
نرجال » « الى البيت الذي لا يخرج منه من يدخل فيه » وطبقا لما جاء في
قصيدة « نزول عشتار الى الجحيم » (٤) كان ذلك المكان مسورا يسمح
حوائط تتخلل كل منها بوابة وكان يشمله ظلام حالك في كل الأوقات
وكان الموتى « وهم يلبسون ثيابا من الريش كالطيور » يأكلون التراب
ويتغذون بالطمى وكان على رأس هذه المملكة نرجال واللاتو الملقبة
اريشكيجال وكانت تحت امرتهم ارواح الطاعون والمرض ترقب الموتى
وتمنعهم من الصعود لمهاجمة الأحياء .

ولما رأى انكيدو رفيق جلجامش نفسه في رؤيا يتحول الى أحد
ساكني الجحيم رأى هناك المولى والكاهن والساحر والنبي وكل أنواع
البشر مجتمعين هناك دون تفرقة بينهم (٥) ولما استندعاه جلجامش بعد

CX b, p. 214, 265 et suiv.

(١)

XIII, p. 315.

(٢)

Ibid, p. 397.

(٢)

Ibid., p. 326.

(٤)

Ibid, p. 215.

(٥)

هوته ليستعلم عن « قانون الأرض التي كان قد رآها » كان تصويره لذلك مريرا للأحياء الى درجة أبكتته . ومع ذلك فإن المصير المجزن بالنسبة للموتى جميعا لم يكن واحدا فبعضهم كانت تأكلهم الديدان كقطع من الثياب القديمة وبعضهم كان يملأهم الغبار ولكن كان هناك بعضهم أقل تعاسة يستريحون فوق أسرة ويشربون ماء نقيا على حين كان أولئك الذين يسقطون في المعارك ينالون عون آبائهم وزوجاتهم (١) .

أما السماوات التي كانت مقسمة الى مساكن مخصصة للآلهة فلم تكن من نصيب البشر . فبطل الطوفان وزوجه اللذان أصبحا خالدين قد وضعا في جزيرة نائية « عند مصب الأنهار » ولم يصعد الى السماء سوى رجلين فقط هما أدايا الأريدى واتانا ملك كيش (٢) ، وكان على أدايا بعد أن كسر أجنحة الريح الجنوبية أن يظهر أمام أنو وقد رفض - مستمعا في ذلك الى نصيحة ايا - الطعام والشراب اللذين قدما له وقد هدا غضبه أنو بعكس ما كان يظنه اله أريدو : ولقد كان ذلك الطعام والماء طعام الحياة وماؤها فقال له : « لم لم تأكل ؟ لم لم تشرب ؟ سوف لا تعيش ا » .

ولقد صعد اتانا - الملك الثاني عشر للأسرة الأسطورية عقب الطوفان - الى السماء كذلك بقصد سرقة الشعار الملكي الموضوع أمام أنو . وقد تعرف عند الجبل الذي ذهب اليه لبحث عن « نبات انجاب الأطفال » ليضمن لزوجته أن تلد ولادة موفقة ، تعرف الى النسر الذي عرض عليه أن يحمله الى السماء . ولقد حدث ذلك الأمر مما أدهش الرعاة وكلاهم (٣) وأراد النسر بعد وصوله الى سماء أنو أن يرتفع صاعدا الى عرش شعتار نفسه ولكن الدوار أصاب اتانا الذي يجر معه النسر أثناء سقوطه . وتوجد ثنائية الاديمو الخاص ب « اتانا » - كباقي المؤلهين - بين الموتى في العالم السفلى (٤) .

Ibid, p 325.

Ibid, p. 148 et 162.

XLII, t. 97 ; CIV fig. 391.

XLIII, p. 215.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

الفصل الثانى

الفنون

١ - العمارة

كانت المساكن الأولى لسكان سوميروأكاد خياما أو أكواخا من القصب ، وكما هى العادة اليوم فى هذه الأقاليم كان القصب يزرع فى دائرة أو فى صفين متوازيين . وكانت السيقان ترتبط الى بعضها عند ثنيها حتى تصبح على شكل مجموعة من الأقواس (القباب) وهناك شاهد قوى على ذلك من بعض المناظر المرسومة على الأسطوانات . ولما لم يكن فى البلاد أحجار فان المباني كانت تغطى بطبقة من « الطين » (طمى مختلط بقش) وسرعان ما لوحظ أن الطين يكتسب من حرارة الشمس فى الصيف صلابة وقد أدى ذلك الى تشكيله فى صورة مكعبات تترك لتجف : ومن هنا كانت قوالب اللبن المجفف فى الشمس . وبوضعها فوق بعضها البعض قبل أن تجف تماما استطاعوا الوصول الى ما يربطها دون الاستعانة بالمونة : ومن هنا جاءت فكرة الحائط من الطوب . وقد استطاعوا أن يبنوا منازل سريعة صغيرة الحجم من اللبن المجفف فى الشمس صنعت سقفوها من القصب المغطى بالطين وترتكز على ركائز من أخشاب النخيل (العروش) أما اختراع الآجر الذى يسجل تقدما جديدا فيرجع الى الصدفة : فان اللبن أصبح أشد صلابة فى الموقد منه حين يترك ليجف فى الشمس . وهكذا استعملت تلك الطريقة البدائية ثم تعلموا فيما بعد أن يصنعوا الآجر فى أتون مغلق (قمينة) .

وأقدم أنواع الطوب من عهد الملك أورنيينا فى تللو وغيرها فى أبو شهرين مستطيلة ومقببة على أحد وجوها وأما فيما بعد فهى ملساء . وفى المباني الرسمية نرى عليها نقوشا محفورة أو مختومة . أما أحجامها فكانت تحدد فى كل عصر على حدة سواء أكانت مستطيلة أم مربعة أم مثلثة الأركان كما هى الحال فى مغير أو على شكل أقواس محزومة للأعمدة كما هى الحال فى تللو . وأما أنواعها فتختلف من عصر الى آخر . فلك التى تمت الى عصر نبوخذ نصر الثانى فى بابل عبارة عن طوب مربع طول ضلعه $3\frac{1}{2}$ سم وهى تامة النضج .

وكان هناك دفعة أخرى فى هذه الصناعة الى الأمام وهى اختراع القاشانى الذى ساد استعماله فى الامبراطورية الجديدة لتكسية حوائط القصور وقد نقل البابليون هذا الفن بواسطة الأشوريين .

ولم يكن الحجر يستعمل قبل حكم نبوخذ نصر الثانى سوى فى أرزاز الأبواب فى المعابد والمنشآت العامة ويرجع هذا الترف الى عصر سحيق وطبقا لما ذكره هيرودوت وديودور كانت هناك قنطرة من الحجر فوق الفرات عند بابل فى القرن السادس ولكن واقع الأمر أن الأحجار لم تستعمل فقط الا لتغطية الدعائم ولتسند روافد الخشب .

ومن الملاحظ أن الدعائم السبع التى كشف عنها مصنوعة من الآجر (١) وقد استعملت الأحجار فى هذا العصر لرصف الطريق المقدس فى بابل وللحوائط المعلقة وللحائط الشمالية للقلعة .

وكان المبنى دائما مستطيلا متوازي الأضلاع سواء كان خصرا أم معبدا أم مسكنا خاصا يرتكز أصلا على مرتفع من البناء يدرأ عنه الفيضان . وكان هذا المرتفع ويسمى « تمنو » عبارة عن أربع حوائط من الطوب الذى غالبا ما يكون آجرا يملأ ما بينها بالتراب والأنقاض وغيرها . وكانت تتخلله مجار بقصد حمايته وتجنباً لتجمع ماء المطر . وقد عثر فى سومير على بعضها عمودية مصنوعة من أنابيب فخارية ملأى ومحاطة بالخفاف ومغلقة بواسطة قبة مثقوبة بمرغاة « مطفحة » فى مستوى الأرضية (البلاط) . وكما عثر فى بابل فى المدينة من عصر البابلية الجديدة على بعضها من أحجام كبيرة مقببة بشكل جمالون وأخرى صغيرة من قالبين من الطوب على شكل ٧ مغطاة بقالب ثالث أفقى .

وكانت المنازل تشيد أحيانا كلها من الآجر وأحيانا أخرى تقوم على بعض صفوف (مداميك) منه وقد استعملت الطريقة الأخيرة فى بابل منذ أيام حمورابى حتى سقوط الامبراطورية . أما فى الأحياء الخاصة فقد كانت للبيوت حوائط ضعيفة وكان من النادر أن يبنى فوق الدور الأرضى غرفة علوية وكانت البيوت متلاصقة بحيث لا تترك فيما بينها إلا ممرات أو حارات ومع ذلك فإن المبنى لم يكن يقوم بغير نظام ، لأنه منذ الأسرة الأولى نجد هناك تصميمات للشوارع لا مثيل لها فى المدن السوميرية القديمة . وكان هذا التصميم (الذى ظل محتفظا به رغم الثورات) يحدد الشوارع الرئيسية التى تتجه من الشمال الى الجنوب ، وتتقاطع معها شوارع عرضية .

ولسنا نعرف كيف كانت توضع السقوف فاننا نرى فى كل مكان بقايا الحوائط القديمة قائمة الى ارتفاع بضعة أقدام فقط وليس لدينا أى أثر لما كان يعلوها وليس من شك فى أن أصحاب المباني الخاصة كانوا يستخدمون النخيل الذى كان ينمو فى الاقليم ثم يغطون أفلاقه بطبقة من الطين تثبت عليه تماما أما بالنسبة للمباني العامة منذ عصر أورنيثا فاننا نلاحظ استعمال جذوع الأرز التى ثبت أن خشبها لا يعطب . وقد كان يؤتى بها من الجبال وخاصة من لبنان . وقد كان من النادر عمل فتحات أخرى غير الأبواب وأقصى ما كان يعمل هو بعض فتحات صغيرة فى أعلى الحوائط . ولقد كان شكل المبنى عامة لا يوحى بمنظر لطيف . وكانت الحوائط تغطى بطلاء ملون يزينها ويحميها من التقلبات الجوية .

ولقد شهدنا حتى الآن الترتيبات الخاصة بالمعابد (١) . أما قصر نبوخذ نصر الثانى فى بابل فكان مكونا من مبان موزعة حول أربعة أفنية رئيسية . أما قاعة العرش - وطولها ٥٢ مترا وعرضها ١٧ مترا - فكانت تواجه الشمال . وتقوم فى ثالث الأفنية وأوسعها وتتصل بكل المباني المجاورة . وكانت الزينة الوحيدة لهذه القاعة مشكاة ضخمة حيث يجلس الملك وكانت ترى من الفناء . أما سمك الحوائط فكان ستة أمتار وكانت كلها مطلية باللون الأبيض . أما حوائط البهو فعلى العكس من ذلك اذ كانت مزخرفة بطوب مغطى بالميناء وزخارف ، مستوحاة من الفين الحيشى والأشورى ، وهى تتكون من عمد صفراء على أرضية زرقاء سماوية اللون تحمل شريطا عريضا مرصعا بوريدات بيضاء ذات لون أصفر فى الوسط ومعينات زرقاء محاطة باللون الأصفر (٢) . أما الغرف الشخصية فكان يتقدمها دهليز يمكن الوصول اليه بعد اختراق غرفتين وقد عثر هناك على بئرين دائريتين .

أما فى الركن الشمالى الشرقى من القصر فقد عثر على مبنى ضخيم مكون من أربع عشرة غرفة مقببة رتبت فى صفين . وأن وجود بئر وأحجار تناولتها يد الانسان بالتهذيب لما يدفعنا الى التساؤل ان كان ذلك هو أساس الحدائق المعلقة احدى عجائب العالم القديم . وعلى أية حال ، فان الحدائق كانت قائمة داخل أسوار القلعة طبقا لما ورد فى مؤلفات اليونان .

وكان يحيط بهذه القلعة التى كان يشغل القصر معظمها - شأنها فى ذلك شأن المدينة - سور مزدوج . وكان الحائط الخارجى لمدينة نبوخذ

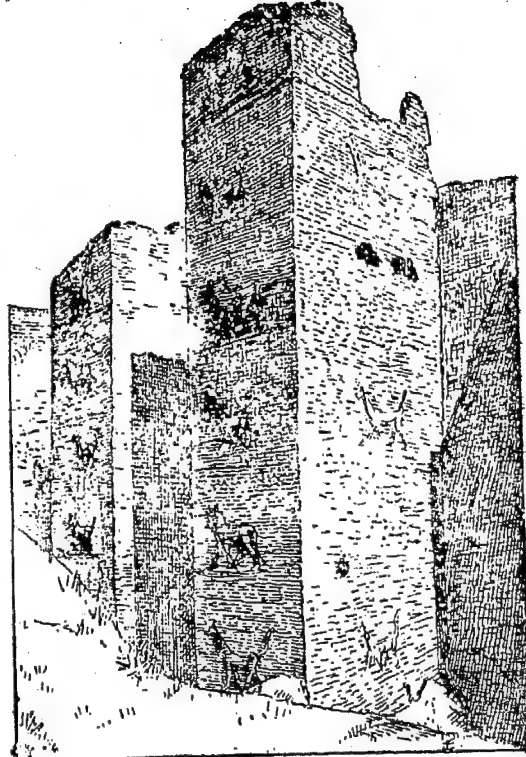
(١) انظر صفحة ١٤٥ وما بعدها .

(٢) انظر شكل ٢٧ .

تصير مصنوعا من الحجر وبين طبقاته القار وسمكه ٧ر٨١ مترا وقد دعم من الخارج من خندق التحصين حتى مستوى الأرض بحائط آخر سمكه ٣ر٢٥ مترا • أما الحائط الداخلى (الذى تفصله عن الحائط الآخر مسافة ١١ر٢٥ مترا) فقد بنى من اللبن بسمك أقل (٧ر١٢ مترا) وجهاز بأبراج على مسافات متباعدة منتظمة بإرزة فى الجانبين • وكانت تبعد هذه المجموعة من الاستحكامات مسافة ٢٤٠٠ متر من الايساجيل - معبد مردوك - الذى يعد قلب المدينة • وفى القرن السابق تحت الاحتلال الآشورى لم تكن المدينة تشغل سوى مساحة صغيرة • وكانت تحصيناتها التى لا تبعد أكثر من ١٤٠٠ متر من الهيكل تتكون من سور مزدوج من اللبن عرضه ٦ر٥٠ مترا تقع على جانبيه أبراج ضخمة بينها أبراج أخرى صغيرة • ومن المحتمل أن المدينة كانت أصغر من ذلك فى القرون السابقة ولكن أسوارها الدفاعية القديمة لم يكشف عنها بعد • وكانت المدن السوميرية كذلك محاطة بحوائط من اللبن كشف عن بقايا منها فى تللو •

ولعل أجمل أثر فى بابل هو بوابة عشتار التى أعاد بناءها نبوخذ نصر الثانى وهى تقع بالقرب من القلعة عند النقطة التى يبدأ عندها الطريق المقدس دخول المدينة القديمة • وكانت مكونة من مبنيين من الحجر يمت كل واحد منهما الى أحد حوائط المدينة وكان كل مبنى منها يتغلق عليه باب من الأمام والخلف ويفصلهما بهو يحيط به حائطان صغيران • أما فى الجانبين الآخرين فإن البوابة يقع على جانبيها جناح يتخلله ممر • وعلى ذلك فإنه كانت هناك ثلاثة مداخل مختلفة تغلق عليها ثمانى بوابات • ويلاحظ أن البرجين المركزيين اللذين يقعان على جانبي المدخل فى جهة الشمال والغرب شأنهما فى ذلك شأن الواجهة كلها والممر الرئيسى والواجهة الجنوبية الشرقية للواجهة للمدينة قد زينت جميعها بحيوانات رتبت فى صفوف أفقية يمثل كل منها نوعا معينا : ثور أداد وتنين مردوك • وهناك صفوف ستة كائنة الى أسفل ما يظن أنه كان ممرًا قديما للطريق المقدس وهناك ثمانية أسفل الممر من اللبن وعشرة أسفل ممر نبوخذ نصر المرصوف بالحجارة • والحيوانات فى الصفوف التسعة الأولى منقوشة وهى تتكون من طوب غير مغطى بالميناء • أما الى أعلى فهناك صفان من الحيوانات من الطوب المغطى بالميناء ولكنها ليست منقوشة ثم صفان من الطوب الخزفى المنقوش • وقد أحصى عدد الصور التى توجد بهذه الجاميع الثلاث عشرة من الحيوانات فوجد أنها ٥٧٥ صورة منها ١٥٢ مازالت قائمة فى أماكنها • وهى كلها تواجه - بقدر الامكان - الأشخاص الذين يدخلون المدينة • ولقد صور نبوخذ نصر الطريق المقدس بواسطة تحصينات جديدة عند هذه البوابة وذلك بواسطة حائط

سمكه ٧ أمتار تقع على
جانبه أبراج تقوم بينها
سباع منقوشة نقشا
بارزا ومزينة بالمبناى يبلغ
عددها ستين فى كل
ناحية وهى تواجه
المدينة :



وقد رصف الطريق
المقدس ببلاطات عريضة
من الحجر الجيرى
استجلبت من Hit
على الفرات من بين
طبقتين من البرشيا
الحمراء المعروفة
بالأبيض . وتقوم
الأحجار - التى يربطها
ببعضها البعض
الأسفلت - على أساس
من الآجر المغطى بالقار .
ويظهر أن الطريق كان

شكل (١٦) بوابة عشتار فى بابل (نقلا عن كولداى
Das wieder ersiehende Babylon

مخصصا للمشاة وللمراكب الدينية . ولا يلاحظ عليه آثار مركبات على
الاطلاق . وبعد أن يسير بجوار الزيجورات فى الشرق نراه ينحرف فى
زاوية تاركا معبد مردوك على اليسار حتى يصل الى كوبرى الفرات ثم
يهبط مرة أخرى من الشمال الى الجنوب فى اتجاه بورسيبا .

ويظهر أن البابليين كانوا يهدفون الى ضبط زوايا مبانيهم على
اتجاهات البوصلة مما كان يسمح بعدم حرمان أية واجهة حرمانا تاما من
أن تظل فى الشمس . ولم يكونوا يقيمون أى مبنى دون تأدية طقوس
معينة . وقد أعدوا تحت الحائط أو الرصيف مخايب صغيرة خبثت فيها
نقوش تذكارية ترافق تماثيل صغيرة واقية وأحيانا تمائم وأشياء أخرى .
وحين كان يسقط أحد المباني ويتحول الى أنقاض ويسمح الآلهة بإعادة
بنائه فانه كان من الواجب أن يبحثوا عن النص القديم وأن يرش بزيت
مقدس ثم يعاد وضعه فى الطبقة السفلى (بدروم) للمبنى الجديد .

وكانت الأكوام الصناعية تتكون من البقايا والمخلفات توضع بين الحوائط من الآجر عادة : وكان الطوب يجفف تماماً قبل استعماله . وكان يراعى فى الرصيف السميك ترك فتحات عديدة ضيقة حتى يكون الجفاف محققاً . أما فى آشور حيث كانت المواد تستعمل وهى لا تزال رطبة فان مثل هذه الفجوات لم يعثر عليها .

وكان الملاط يصنع من الأسفلت المختلط بالطين أو القش . وقد استعمل فى عصر نبوخذ نصر ملاط من الجير . كما استعمل الأسفلت وحده لحائط الفرات فى عهد نابونيد وكما استعمل ملاط الطين فى مباني الفرس واليونان .

أما الزخرفة الخارجية للمباني فكانت تتركب من نقوش وزخارف من الطوب أو العملة المربعة كان الهدف من استعمالها كسر حدة الملل فى الحوائط وكان الطوب يغطى فى كل مكان بطبقة من الطلاء من الجير أو الأسفلت لحمايته من التقلبات الجوية . ومن المحتمل أن استعمال الطوب المغطى بالمينا لم يعرف قبل الاحتلال الأشورى . وقد استخدم بقصد الزيادة من روعة هذه الزخرفة . التى اكتملت بما كانت عليه الأبواب المشغولة من أبهة وفخامة فبوابات جوديا فى انينو فى لجش صنعت من الأرز المغطى بالمعدن شأنها فى ذلك شأن الأبواب المتأخرة لمعابد بابل التى رسمها نبوخذ نصر . أو مصاريع بوابة عشتار المزينة بالنحاس . وكانت هذه الأخيرة تدور على « رزاز » من البرونز مثبتة فى عتبة من نفس المعدن وربما استعيرت النقوش التى عليها من الفن الاشورى .

٢ - النحت

ولقد كان فن النحت السوميروأكادى فى تقدم حتى عصر جوديا وملوك اور الى أن انتهى به الأمر الى الانهيار منذ قيام الأسرة الأولى فى بابل فحل محله طراز جديد هو الفن الميزوبوتامى فى عصر الكاسيين . ولقد كان السوميروأكادى يهدف الى تمثيل الطبيعة فى تماثيله الكبيرة من الديوريت التى جاءت ثقيلة نوعاً ما ولقد نجح فى التماثيل فى اظهار شكل الضلالت رغم صلابة الحجر كما حاول ابراز ثنيات النسيج وهو أمر لم يعن به الفن البابلى فيما بعد مما يجعل العصر الغارق فى القدم فى مقدمة العهود من حيث الكمال فى تمثيل الصورة الانسانية .

أما التماثيل فنادرة . وبمتحف اللوفر ثمانية من الديوريت كان قد وضعها جوديار فى معابد لجش وكلها تبين الايشاكو فى مظهر الولاء أمام المعبود ويداه معقودتان الى بعضهما وهو اما واقف أو جالس ويمسك أحياناً على ركبتيه تصميماً للمعبد أو مسطرة أو قلما ولكن كلها - لسوء

الحظ - مقطوعة الرأس • والرؤوس المنفصلة التي عثر عليها في الانقاض لا تناسبها • ولقد أمكن ترميم واحد من التماثيل الجالسة ذات الحجم الصغير (١) ويلاحظ في الرأس بعنقه القصير - ويكاد يكون سليما - أنه محلوّق كنه وتغطيه عمامة • وقد عني بنحت الشفتين والخدين ولكن علينا ألا نعتقد أن هذه صورة الأمير فسان هذا لم يكن غرض النحات الشرقي القديم على الأقل قبل العصر الاكيميى لأن كل تماثيله كانت تقليدية • وقد ظل النحاتون يعنون بإبراز العضلات والتمثيل الدقيق للحركة الطبيعية للملابس خلال عهد ملوك أور ولكن شأن النحت لم يكن كذلك فيما قبل كما يبين التمثال الصغير المنحوت من الرخام لملك من آداب أقدم من جودييا يرتدى ثوبا كالقرباب (الجراب) وليست به عضلة واضحة أما العين فمفرغة جوفاء شأنها في هذا الشأن كثير من التماثيل العتيقة والرأس محلوّق تماما (٢) • ولم تكن النسب الصحيحة مرعية دائما ومن أمثلة ذلك تمثال أورباو (٣) أحد أسلاف جوديا ، إذ أنه قصير قصرا غير متناسب • وكذلك نرى في أحد التماثيل العتيقة (٤) أن الارتفاع كله لا يبلغ أربعة أمثال الرأس وحده •



وكانت التماثيل الكبيرة من الحجر الصلب الصخري • أما الصغيرة فمن حجر لين في معظم الأحيان من الحجر الجيرى أو المرمر أو الأونكس • ولقد بذلت محاولات أحيانا لجعلها طبيعية تنض بالحياة وذلك عن طريق التطعيم

(شكل ١٧) قطعة من نقش بارز دائرى
(متحف اللوفر - حفائر تللو)

(١) شكل ٥ صفحة ٣٦ •

LXX, pl. 21 fig. 4.

Ibid., pl. 6, et 8.

Ibid, p. 1 ter fig. 3.

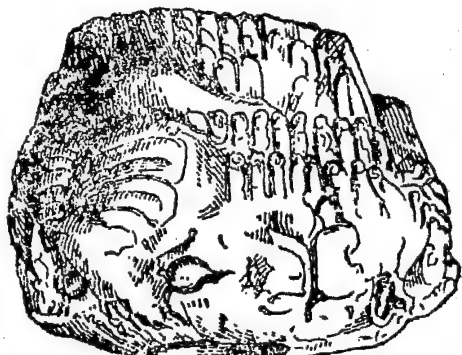
(٢)

(٣)

(٤)

بأحجار من ألوان أخرى أو بالمعادن وليس من شك في أن تمثال ملك آداب كانت عيناه موضوعتين . وهناك تمثال امرأة من الحجر الجيري الأشهب يرجع الى عصر جوديا حلى معصمه بأساور نحاسية مكسوة بالذهب (١) وهناك آخر أحيط عنقه بعقد من العقيق والفيروز وحبات (خرز) النحاس المذهب (٢) . وتسمح لنا مجموعة النقوش البارزة - وهي أكثر كمالا من مجموعة النحت في التمثيل المجسم (التماثيل) - بأن نتتبع التطور والنمو الفني في تمثيل الشكل الانساني ابتداء من الصورة ذات الريش (٣) حتى لوحات جوديا مارين فيما بين هاتين المرحلتين بالنقش البارز الدائري (٤) وصور أسرة أورنيينا (٥) ولوحة العقبان (٦) والنقش البارز لـ « دودو » ولوحات سرجون ونارام سن (٧) وفي لوحة العقبان يوجهيها - وأحدهما تاريخي والآخر أسطوري - المقسمين الى صفوف

متعاقبة نرى تنفيذا أكثر حرية من نقوش أورنيينا . ولقد استطاع الفنان في آثار نارام سن أن يستخدم في تكوين موضوعه سطحا غير مستو مثل فيه الملك واقفا فخورا مما يجعله يحتل المقام



الأول

(شكل ١٨) رأس ديوس جوديا

(متحف اللوفر - حفائر تللو)

وتمثيل الحيوان - شأنه في هذا شأن الصور الانسانية يكون سلسلة حلقاتها مستمرة ولقد أمر جوديا بنحت آساد بالحجم الطبيعي لم تبق منها

XLVIII, no 108.

(١)

Ibid, No. 121.

(٢)

LXX pl. 1 bis, fig 2.

(٣)

LXX pl. 1 bis fig. 2.

(٤) انظر شكل ١٧ .

Ibid, pl. bis fig. 1

(٥) انظر شكل ٣ صفحة ٢٨ .

Ibid pl. 3 à 4 ter.

(٦) انظر شكل ٨. صفحة ٨٤ .

(٧) انظر شكل ٤ صفحة ٣٥ .

الا قطع قليلة (١) وحوض مزين بصور جانبية لسباع (٢) ولا يزال رأس الحيوان ومقدمه يحملان اسم أورنيينا (٣) وصناعتها بدائية عتيقة والمقارنة بين صولج « مسيليم (٤) المنقوشة عليه رسوم أساد ونظيره لـ « جوديا » (٥) تكشف عن التقدم الفني في معالجة الموضوعات الدائرية • والنقوش التي تمثل المواشى كثيرة كذلك • فعلى النقش البارز لـ « دودو » نرى ثورا مضطجعا وعلى لوحة العقبان نرى ثورا مهيأ للتضحية وهو مربوط الى وتد • وهناك رأس عجل من الحجر الجيري (٦) يقدم لنا فكرة عن المتطعيم : فلقد صنع محجر العين من الأصداف وقطع انسان العين (سوادها) من القار •



ولم يكن السوميريواكادي - أكثر من ذلك - ليقنع بتمثيل الكائنات الحقيقية ، اذ كان شديده الميل لاختراع مخلوقات مختلطة غير متجانسة الأجزاء انتقلت خلال الأجيال من عصر الى عصر معتمدا في ذلك على تشابه معين قل أو كبير بين الانسان والحيوان وعلى ما كان يلاحظه من مظاهر شذوذ في الطبيعة • فالنسر برأس الأسد حفائر تلولو •

شكل (١٩) اناء لصب السوائل والحيوان وعلى ما كان يلاحظه من مظاهر شذوذ في الطبيعة • فالنسر برأس الأسد حفائر تلولو •

مثلا - وهو رمز الاله ننجرسو - كثيرا ما نجده على آثار لاجش • والثور بالرأس الآدمي مزاج من نوعين يظهر أنه جاء مباشرة من محاور لاهبار

Ibid pl. 24.

(١)

Ibid pl. 24.

(٢)

Ibid, pl. 25 bis.

(٣)

Ibid pl. I ter. fig. 2.

(٤) انظر شكل ٢ صفحة ٢٦ •

Ibid, pl. 25 bis, fig. 1.

(٥) انظر شكل ١٨ •

Ibid, p. II, ter. fig. 1.

(٦)

نوع من الجاموس • وفي واحد من هذه الحيوانات المنحوتة من
 « ستيايت » استعملت الأصداف لملء فجوات العينين فيما عدا انسانها
 الذى لم يعثر عليه • وهذه القطعة أحدث من عصر جوديا ويمكن مقارنتها
 برسم آخر أكثر ثباتا ويدون تطعيم (١) غطى كل جسمه بصفائح مثلثة
 من الأصداف • وعلى أواني التقديمات للايشاكو (٢) نرى التنين برأس
 الثعبان مغطى بحفر كان يملأ من غير شك أصلا بمادة مضادة للون أرضيته
 وسيصبح هذا التنين رمزا لمردوك بابل وهو في نفس الوقت الوحش
 العجيب الذى نراه بعد عشرين قرنا فى أيام نبوخذ نصر الثانى على نقوش
 بوابة عشتار بنفس الجسم ذى القشور ومخالبه الأمامية مخالبا نسر وله
 ذيل ورأس ثعبان ويعلو رأسه غطاء ذو قرون تتحول الى التفاف وريش
 يتحول الى قرن مدبب • ولم يختلف سوى الأجنحة وحلت محلها ذؤابة



ملفوفة بطول
 العمود الفقرى (٣) •
 هذا وهناك
 قطعة فنية
 رائعة (٤) تمثل
 كلب سوموايلوم
 سابغ ملوك

(شكل ٢٠) كلب - سوموايلوم (متحف اللوفر - حفائر تللو)

أسرة لارسا حوالى ٢٠٠٠ ق م • ولكنه لازم قيام الوحدة السياسية واختفاء
 السومريين كشعب عهد انحطاط بالنسبة للفن • والنقوش البارزة لعمورابى
 دليل واضح على هذا الانحلال • ومنذ عهد الكاسيين تقدم الكودورو دليلا

على الاهمال (الابتعاد) المعتمد للصورة الحقيقية بحثا وراء التفصيلات الخاصة بملابس الشخص الذى يمثل .

ولانزال نجد حقا ملفات يدون نقوش ولكنها لا تكون ثيابا . ونلاحظ كذلك ظهور الثياب المطرزة التى تنتشر عليها الوريدات والشجر المقدس والحيوانات . وهى كلها موضوعات تثبت لنا تأثير الفن الحيثى الذى ربما وصل الى بابل عن طريق آشور . واننا لنجد نفس الترف فى القرن التاسع على الكونوكو من اللازورد الذى حفره « مردوك زاكر سوم » (١) تمجيدها للاله مردوك وكذلك على مثيله فى اللوفر (٢) .

٣ - الصور المعدنية

لم يلجأ بابل الى الحجر وحده كمادة لصنع التماثيل والنقوش التى تصور الآلهة والرجال والحيوانات بل انهم مهرؤا منذ عصر ممعن فى القدم فى استعمال المعادن وخاصة النحاس ، فلقد كشف فى تلو (٣) عن قرن لثور بالحجم الطبيعى مكون من رقيقة من النحاس ملفوفة حول قالب خشبى وملصقة به عن طريق مسامير صغيرة ويظهر أن هذه الطريقة قد استعملت فى صنع أشياء أخرى ذات أحجام أكبر مثل أشجار النخيل التى أقامها « جونجو نوم » ملك لارسا فى معبد شماش فى السنة الثانية من حكمه (٢٢٦٣ ق.م .) ولقد نصب فيما بعد تماثيل نحاسية فى هياكل متعددة كما أمر خلفه الثانى « سوموايلوم » بصنع أسود نحاسية . وهناك من نفس الفترة ذكر لعدد من التماثيل من المعادن الثمينة الى جانب تماثيل من العقيق واللازورد أوصى على صنعه « أبى سارى » . ولقد صنع « سن ايقيشام » (٢١٧٣ - ٢١٦٩) لنفسه أحد عشر تمثالا من الفضة وواحدا من الذهب للاله « شماش » كما قدم واراد سن تمثالا ذهبيا لأبيه « كودورما بوج » لنفس معبد الاله . وصنع « رم سن » واحدا ل « سن ايدينام » أحد أسلافه لمعبد آداب . ومن المحتمل أن هذه الأشياء لم تكن تصنع من معدن خالص وربما كانت تصنع من النحاس أو البرونز وتغطي بطبقة من الذهب أو الفضة وهى لم يعثر عليها ولا بد أنها هشمت وان كان لدينا من حفائر سوسة تماثيل ذهبى صغير هو موجود باللوفر الآن .

أما المستندات النحاسية فلدينا منها بالعكس عدد كبير فهى تماثيل صغيرة صلبة موضوعة تحت الأساس تحمل نقشا وتصحبها لوحة تخلد

(١) شكل ١٣ صفحة ١٤٢ .

XLII, pl. 39. A. 830.

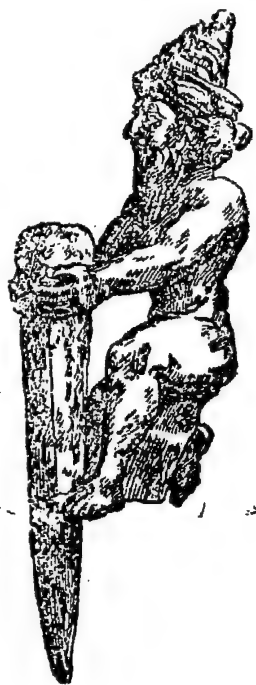
(٢)

LXX pl. 45 fig. 1.

(٣)

ذكرى اقامة المبنى • ولعل أقدمها تماثيل نصفية لنساء ذات شعور طويلة موجة ذات منظر جانبي حاد التقاطيع كما هي الحال بالنسبة للنقوش البارزة وتنتهى هذه التماثيل النصفية بمسامير وكانت تثبت فى دوائر ذات مركز واحد فى مكانين فى الطابق الأرضى (بديوم) من مبنى يرجع عهده الى ما قبل عهد أورنيثا (١) وفى عهد أورنيثا نفسه (٢) وفى عهد خلفه الرابع انتمينا (٣) وكانت هذه الصور لا تزال صور نساء ميزت فى الحالة الأخيرة بوضوح كأنها هى حوريات بقرون واضحة على الجبهة • وفى حكم « أوريساو » اختلف الموضوع فظهر اله راكمح ولم ينته بسن لينغرس فى الأرض ، ولكنه يمسك بيديه وتدا ضخما كأنما هو يهزم بفرسه فى الأرض (انظر شكل ٢١) ولعل هذا هو أجمل مثال لهذه المجموعة من التماثيل (٤) وفى حكم جوديا (٥) لا نجد نفس الطراز يصل الى هذه الدقة من التنفيذ ثم يبدأ بعد ذلك ظهور حملة السلال واقفين على أوتاد وكن من النساء فى عصر دونجى ، بورسن وقد ظهوروا مرة أخرى فى عصر رم سن • وكانت تماثيل الحيوانات تحل أحيانا محل الصور الانسانية فمن عهد جوديا صنعت تماثيل لثيران على قاعدة تقوم على مسار ضخمة وفى عهد دونجى (٦) نجد نفس الموضوع ممثلا تمثيلا خيرا من ذلك •

وكانت التماثيل المعدنية الأكبر حجما تصب جوفاء (٧) وهناك رأسان لثورين هما نموذج طيب لعصر ما قبل السرجونية • وكما هى الحال فى بعض التماثيل الحجرية كانت العيون ترصع • وفى هذه الحالة كانت



(شكل ٢١) معبود واق
(تلو - اللوفر)

LXX, pl. 1 bis.

Ibid, pl. 2 ter.

Ibid. pl. ٤ bis.

Ibid. pl. 8 bis.

Ibid, pl. 28.

Ibid, pl. 28.

Ibid.. p 51 ér.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

(٧)

من الصدف وكان انسان العين من اللازورد • وهناك ثور من البرونز (١) من أصل غير معروف مطعم بالفضة وقائم على قاعدة يعتبر دليلا واضحا على اثبات ودوام الطراز السوميريواكادي • وطبقا لنقوش نبوخذ نصر الثاني نراه أقام ثيرانا من البرونز وتنانين عند بوابة عشتار ولم يكشف عن واحد منها بل ان نفس قطعها قد اختفت •

ولقد اشتق فن النحت في الحجارة أو المعدن أو حتى الطمي المجفف في الشمس - مثل نقوش بوابة عشتار - من التشكيل بالطين واننا لنجد من عصر ما قبل السرجونية الى جانب التمثيل من الطمي (maquette) تماثيل صغيرة مشكلة بأكملها في قوالب من قطعة واحدة شكل الجانب الآخر منها باليد مثل الهات عاريات أو مكسوات وآلهة بالتيجان فوق رؤسهم (٢) • ويقدم لنا عصر جوديا موضوعات متعددة عنيت القوالب بأعدادها : وهي خاصة بالهه والبطل جلعامش وحامل الجدى والهات لابسات وبصفة خاصة الهة تقوم بحركة الشفاعة وقد ظلت هذه التماثيل الصغيرة حتى العهد اليوناني الفارسي وازداد تكاثر الالهات العاريات أكثر من غيرها (٣) • ويوجد في ودائع الأساس من المعابد البابلية الجديدة عادة تماثيل صغيرة من الفخار لـ « يابسوكال » •

٤ - النقش

يرجع الحفر على الأصداف الى عصر بعيد جدا • ومن « كلوملا » أصداف معينة كانت تؤخذ رقائق صغيرة أو شرائح مقدسة • وربما جاء استخدام الأختام الأسطوانية من استعمال الأصداف • واننا لنجد على قطع الأصداف نفس ما نجده على الأختام الأسطوانية العتيقة من نسر برأس أسد منقش على ثور برأس بقرى بقصد اقتراسه (٤) كما نجد



(شكل ٢٢) نقش على الصدف
(متحف اللوفر - حفائر تللو)

Monuments piot VII, pl. 1.

(١)

LXX, pl. 39.

(٢)

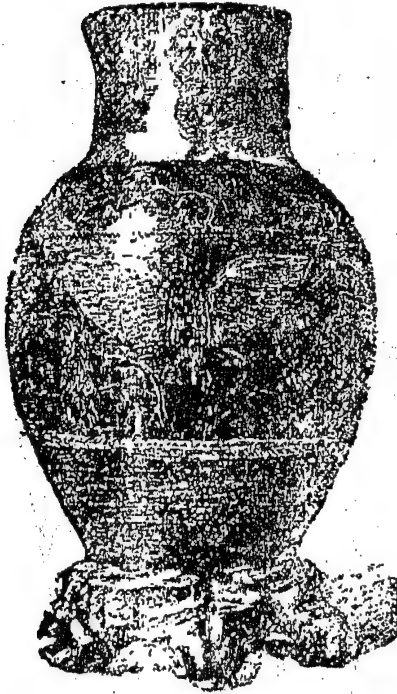
XL.

(٣)

LXX pl. 46.

(٤) انظر شكل ٢٢ ، ٢٣ •

فلى قطعة من اناء صورة أخرى شائعة هى الصراع بين أسد وثور
تتدخل فيه شخصية ثالثة يذكرنا بطراز الدبابيس من عهد مسيليم
وهناك حامل زاد (١) هو أقدم كذلك من أورثينا ان نحن استطعنا الحكم
على ذلك من رداء ستر عورته (كادناكس) الذى يتصل به صف واحد
من الأسداب . وهناك أدوات أخرى معدة لتطعيمها مثل جدى يقفز أو جذع
مكسور ثقب بعناية فيما بين الصدر والذراعين ، ولكن لعل خير قطعة من
الاصدف ترجع الى هذا العصر السحيق هى رأس أسد عرضها ٢٤ ملليمتر
مجسمة بعيون مطعومة وانسانها من اللازورد (٢) .



(شكل ٢٣) نقش على الاصدف
« حفائر تللو - متحف اللوفر »

(شكل ٢٤) اناء فضى « تللو ب اللوفر »

ولقد بدأ اللؤلؤ يحل محل الاصداف . وانحدر الحفر على هذه المادة
السريعة القصف الى تخطيط مستقيم (٣) . أما الحفر على المعدن فمثاله

LXX, pl. 46.

LXX, pl. 46

LXX, p. 271.

(١) انظر شكل ٢٢ ، ٢٣ .

(٢)

(٣)

حربة ضخمة حفر عليها ملك من ملوك أجاده صورة أسد (١) وكذا إناة
فضى لأنتمينا (٢) وجسمه مزين بنسور لها رؤوس سباع ترتبط على
التوالى بأسود وأياكل ثم أسود مرة ثانية وأخيرا وعول (تيوس وحشية) .
وهذه المجاميع الأربع ليست مستقلة . وكل أسد يعض الأيل في فمه
أو الوعل في المنظر المجاور . وفوق الخط الذى يحد الحقل (الساحة)
توجد سبعة عجول يرقده الواحد منها خلف الآخر وكل منها يرفع أحد
حوافره الخلفية . وقد تم الحفر بعناية زائدة . والخطوط حادة ومتساوية
وقد مثلت الحيوانات من الجانب (يروفييل) بأمانة بينما نرى الوجوه
الممثلة من أمام للنسر والأسد ليس لها نفس الطابع كما هى الحال فى
أسطوانات هذا العصر لأن الفنان لم يستطع إعطاءها شيئا بالحقيقة .

٥ - الأختام الأسطوانية

كان الحفر على الحجر يمارس منذ العصر العتيق . وقد حفظت أطلال
نيبور ولاجش بعض الأمثلة له على لوحات كبيرة الحجم ، ولكنه تطور أكثر
ما تطور على الأختام الأسطوانية التى ظلت تستعمل حتى العصر الفارسي
لثوبيق المستندات . وهناك آلاف من تلك الأحجار فى المتاحف والمجموعات
الخاصة الأولى مستخرجة من الحفائر الرسمية والأخرى وعددها هائل قذف
به الى السوق الحفاريون الوطنيون : وهى مرتبة طبقا لفترات تاريخية محددة
تماما دون أى اعتبار لماهيتها الفنية وذلك اما نظرا للكتابات المحفورة عليها،
واما بالمقارنة بما هو منقوش على اللوحات المؤرخة . أما الموضوعات فليست
تختلف كثيرا عن نظائرها فى النحت ولكن بالنسبة لانتشارها فى عدد
كبير من الأشياء الخاصة نراها تمثل الذوق السائد فى كل عصر واختبار
نوع الحجر نفسه فيه الدلالة الكافية : فقبل عهد ملوك أجاده كانت
الأصداغ الحلزونية والحجر الجيرى والحجر اليماني الأخضر واللأزورد
كثيرة الشيع .

أما الرخام فكان نادرا فى عصر أجاده وقد بدأ ظهور الستياتيت
والحجر الأرقط serpentine وحجر الحديد Hematite . وكانت
لحجر الحديد السيادة فى عصر جوديا وملوك أور وظل الحفاريون يستعملون
الحجر الأرقط والألأزورد وبدءوا يقومون بتجاربهم على بعض أنواع البشب
والببور الصخرى . وقد ظلت لحجر الحديد المكانة الأولى خلال عهد الأسرة

LXX, pl. 5 ter.

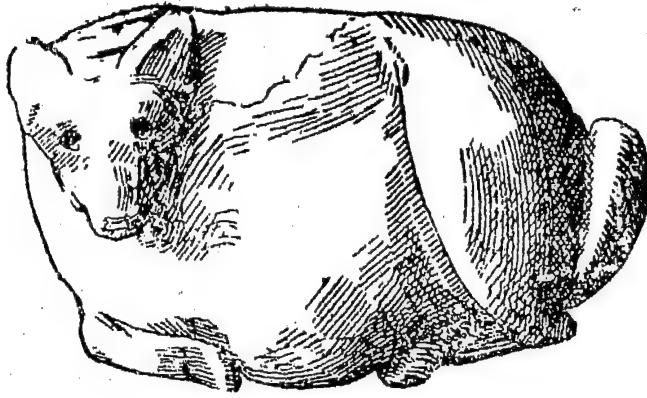
(١)

LXX pl. 43, 43 b.

(٢)

الأمورية في بابل • ولكن في عصر الكاسيين كثر استعمال اليشب وبدأ
العقيق اليماني يأخذ دوره في الاستعمال • وبدأ استعمال العقيق الأبيض
يكثُر في القرن السادس وخاصة في الأختام المسطحة بينما كان صانعو
الحلي القرس يستعملون العاج والكوارتز البلوري (البلور الصخري)
واليشب والعقيق •

ويمتاز أقدم العصور العتيقة بمجموعة من الرسوم الهندسية (١)
مشتقة من الرسوم الاصطلاحية لبعض الأشياء والحيوانات والصور
الانسانية ثم مجموعة متناثرة من الحيوانات يحفرها الصانع بالثقب بغير
دقة • وكانت صورة الانسان تنقش بنفس الطريقة ، فلقد كان وجهه يمثل
على شكل منقار الطائر ان استعمل الفنان المثقاب ، أو على شكل المعين
ان هو استعمل المنحت (المسار) • أما الأسطوانات (٢) فكانت لاتزال
نادرة وكان يفضل عليها الختم المسطح المحفور في شكل حيوان بأعين
مستديرة مجوفة وربما مطعمة (٣) ثم تظهر مناظر عراك الحيوانات اما بين
بعضها البعض أو ضد الأبطال مثل جليجامش وصاحبه الوفي انكيدو •
وهناك نحو اثني عشر منظرًا تتجمع حول اسم « لوجالندا » ايشاكو لاجش
الذي أمكن العثور على طبقات لثلاثة أختام مختلفة له (٤) •



(شكل ٢٥) ختم عتيق « متحف اللوفر »

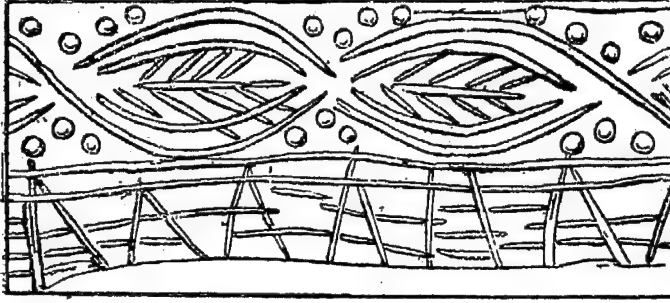
- (١) شكل ٢٥
- (٢) شكل ٢٦
- (٣) شكل ٢٧
- (٤) شكل ٢٩



ويستمر في خلال حكم « نارام سن »
و « شار جاليشاري » ظهور معارك جلجامش
وانكيديو مع الأسد والثور . وتمتاز إحدى
الأسطوانات من تلوو بعمق الحفر وبراعة
تصوير الوجوه وهي تحمل الاسم الإلهي
ل « نينين » (١) .

ولعل هذه هي أروع فترات صناعة
النقش على الأحجار الكريمة حين يبذل
الفنان قصارى عبقريته في تنويع الموضوعات

(شكل ٢٦) اسطوانة

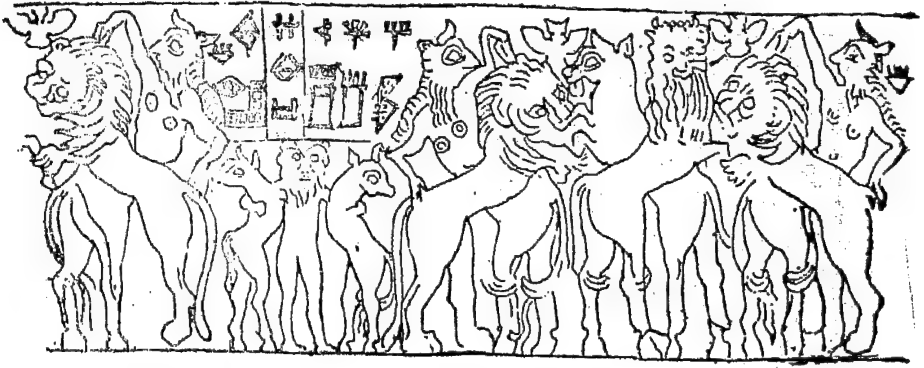


(شكل ٢٧) اسطوانة اركية « متحف اللوفر »



(شكل ٢٨) اسطوانة من عصر اجاده « متحف اللوفر - حقائق تلوو - »

(١) شكل ٢٨ .



(شكل ٢٩) اسطوانة لوجالاندا ايشاكور لاجش « مجموعة الوت دى لافى »



(شكل ٣٠) اسطوانة زو - عصر أجاده « المكتبة الاهلية »

المشتقة من الأساطير الهامة • ومجموعة شماش اله الشمس والقاضى الأول
أعلاه: شأنا اذ عولجت معبودات الزراعة ومحاكمة زو (١) الذى حاول سرقة
لوحات القدر وأسطورة اتانا الذى رفعه نسر الى السماء والشجرة
المسحورة ••• عولجت جميعا ولكن ليس بنفس الدقة •

وفى عصر جوديا وملوك أور كانت تفضل المناظر الدينية التى كان
يمثل فيها المخلوق وهو يتصل بالمعبود عن طريق وساطة الهه الخاص
الحارس •

والأمثلة لهذا
عديدة جدا ولا
تختلف عن بعضها
البعض كثيرا
وتكاد لا تكون
هناك مناظر معينة



(شكل ٣١) اسطوانة جوديا ايشاكولجش «حفائر تلو - متحف اللوفر» تسترعى التفاتنا
خاصا . ويهتاز ختم جوديا بفنه (١) الخاص وبتكوين الموضوع بآلته
موضحة توضيحا تاما وبالتنين ذى رأس الشعيان الذى تظهر دقة تفصيلاته
واضحة رغم صغر الوجه . كما يظهر كذلك واصحا على اناء السكب
الخاص بالاشاكو .



وبعض الاسطوانات
لا تتصل بهذه المجموعة ولكنها
— كما هي الحال فى القرون
السابقة — تصور صراع بطل
مع الحيوانات البرية .

ولقد ظلت الحال كذلك
خلال حكم ملوك الأسرة الأولى

(شكل ٣٢) اسطوانة كاسية « متحف اللوفر »

البابلية : فلجلجامش لايزال شخصية شعبية وبطلا قويا على اتم استعداد
للنزال وهو فى صحبة انكىدو نراه يتولى تقديم الجدى الى المعبود وخاصة الى



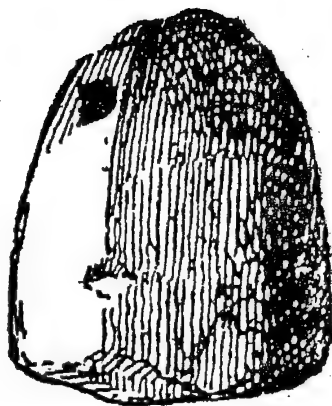
شماس . ثم يظهر اله آخر للمرة
الأولى فى زى قصير وهو معمم
ومسلح بهراوة ويظهر أنه أمرو
اله الغرب . كما يظهر أداد وفى النادر
مردوك والهات حرب والآلهة
العبارية لتكمل قائمة (مجموعة) هذا

(شكل ٣٣) اسطوانة نيو بابلية « متحف اللوفر »

(١) شكل ٣١ .



(شكل ٣٥) ختم نيو بابلي (متحف اللوفر)



(شكل ٣٤) قالب ختم نيوبابلي

العصر وفي خلال الفترة الكاسية نرى الموضوع يقتصر في كثير من الأحيان على تصوير شخص واحد فقط أو بضعة رموز مقدسة ، وتصبح الكتابة إما القدح المعلى وهي عادة دعاء للمعبود لالتماس العون والحماية والعمر الطويل لصاحب الختم خادمه الأمين (١) .

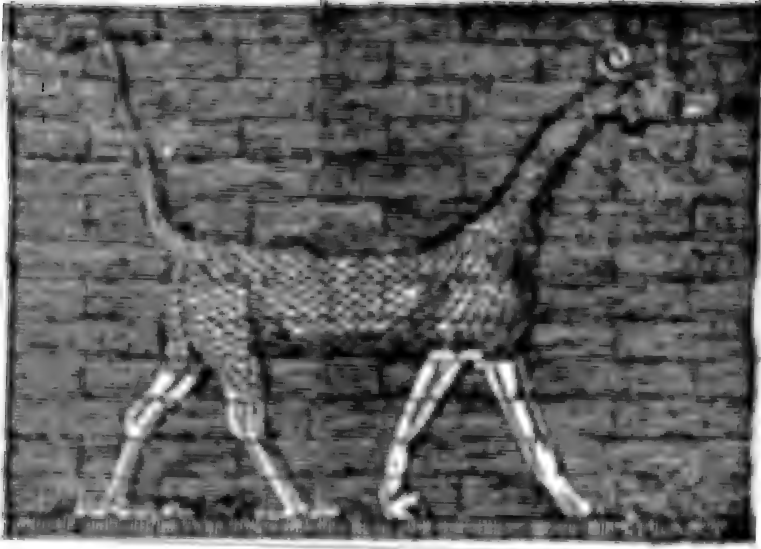
وفي خلال الاحتلال الاشوري قلما نجد الحفر أو النقش على الأحجار يقدم لنا شيئاً له مميزات خاصة فلقد سمح لنفسه أن يتنزل ليحل الختم المسطح (٢) ذو الحجم الصغير محل الأسطوانة ، وأخذ منذ ذلك الحين يقدم المناظر المميزة للفترتين النيوبابلية والاكيمينية : وفيها يظهر كاهن وهو يقوم بشعائر الصلاة ويده مرفوعتان أمام المذبح الذي توضع فوقه رموز مقدسة (٣) .

ولم يتوقف انحطاط فن الحفر على الأحجار الكريمة منذ عصر أجاده : فلقد استبدل بالسعى وراء التكوينات الأصلية والفنية منذ أيام ملوك أور مجرد صنع الأختام بالجملة وبسرعة إلى أن أصبحت مجرد رسوم * وخاصة في القرن السادس .

(١) شكل ٣٢ .

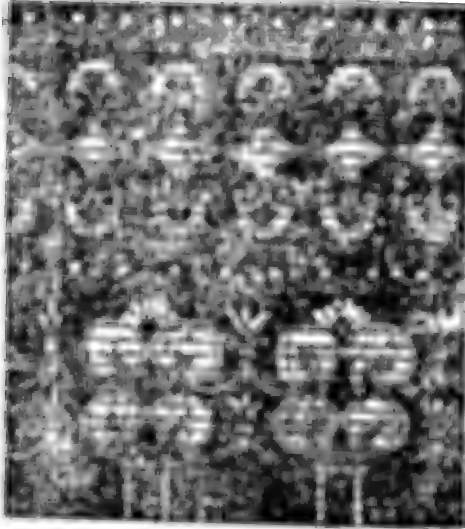
(٢) شكل ٣٤ .

(٣) شكل ٣٥ ، قارن شكل ٣٣ .



... (شكل ٣٦) قنين مردوك على بوابة عشتار نقلا عن كولداوى
Das Wieder erstehende Babylon

٦ - الطوب الخزفى



(شكل ٣٧) زينة الحوائط الخارجة لقاعة العرش
فى قصر نيوخذ نصر فى بابل ، نقلا عن كولداوى
Das Wieder erstehende Babylon

استعمل البابليون فى
الامبراطورية الحديثة - كما
سبق أن لاحظنا - طوبا خزفيا
لتزيين المباني العامة وهذا هو
أهم استعمال للألوان فى
الزخرفة الى جانب التطعيم فى
التمثيل والنقوش * ولقد
كانت حوائط بوابة عشتار
مزينة بحيوانات غريبة الشكل
وثور اداد وتنين مردوك التى
توجد تسعة صفوف منها
منقوشة على طوب المبنى والى أعلاها
صفان من حيوانات مشابهة
من الطوب الخزفى يعلوهم
ايضا صفان آخران من الطوب
الخزفى المحفور * أما الأرضية

الزرقاء فقد توصلوا الى صنعها عن طريق اللازورد المسحوق كما هي الحال في القرن الثامن في آشور في قصر سرجون . ولون الثيران أصفر ولها قرون وحوافر خضراء أما أهداب الذيل والشعر فزرقاء وتنين مردوك أبيض ، أما قرونها ولسانه المشعب ومخالب الأسد ومقدماه وكعبا مؤخره فمن الأصفر الخفيف ، وأما الأقدام الخلفية فمكونة من معجون زجاجي ملون أحيانا بالخزف المجاور له . وقد كشف أخيرا عن طريقة معالجة هذا الطوب (١) . ويظهر أنه أخذ من الآشوريين الذين ربما نقلوه عن الحيثيين ثم انتقل الى فارس حيث استخدمه دارا في زحرفة قصر سوسة . أما اختيار الألوان واستخدامها فمأخوذ من غير شيك عن آشور ، وأما فكرة المناظر نفسها فتقليد للفن الحيثي فمثلا ، نجد ذلك على الحوائط الخارجية لغرفة العرش حيث تغطي الأعمدة الصفراء من أعلى بتاج مزدوج من الحلزونات الزرقاء التي تعلوها وريقات بيضاء ذات لون أصفر في الوسط على أرضية داكنة الزرقة وهو طراز كان معروفا في آسيا الصغرى انتقل منها كذلك الى الفن القبرصي .

٧ - الزى

يمتاز الآلهة في كل الآثار المصورة من كل العصور عن الناس بلباس الرأس الذي هو عبارة عن قلنسوة مزينة بقرون تتقابل أطرافها من أمام كل اثنين معا . وإذا نحن استثنينا بعض الحالات النادرة جدا فيما يختص بالمعبودات الثانوية نرى صورها انسانية بحتة وللتمييز فيما بينها نراها تخصص بالأسلحة التي تمسكها بأيديها وبرموز معينة فوق اكتافها أو بالحيوانات التي تطل عليها بأقدامها . وقد استبدلت صورها فيما بعد برموز مشتقة من شخصياتهم الأسطورية وصفاتهم وبعض تقاليدهم الموروثة . ولقد كان انو سبدا للآلهة وكان رمزه التاج ذا القرون وهو الرمز الالهى البحت يوضع على العرش . أما مردوك فقد استحوذ على السلطان بعد صراعه مع تيامات ولذا قاننا نرى عند قدميه تينينا مهزوما . وأما رمزه فحربة . وأما نوبو اله الكتاب فميز له قلم أو طائر « اداد » اله العاصفة فيرمز له بالصاعقة . وأما شمش اله الشمس فيرى محاطا باللهب كما تظهر نيسابا الهة الزراعة في وسط القصب .

وكان تمثيل الأشكال العارية نادرا • ومن بينها معبودات فى نزاع مع بعضها البعض وكاهن يباشر عملية الاوراق (السنسكب) وبعض الأشخاص الثانويين فى بعض المناظر المحفورة على الأحجار الكريمة والهة الخصب وخاصة فى التمانيل الصغيرة الفخارية وعلى أسطوانات أسرة حمورابى • وكان جسم البطل جلعامش فى النقش الغائر الأركى مشدودا فى حزام ينزل طرفه فى محاذاة الساق • وفى عصر أجاده نرى بعض الآلهة أو الجان يلبسون قطعة من قماش يمر فيها بين سيقانهم ويمسكها حزام •

- وأقدم زى للسوميريين والأكاديين كان يتكون من ملفعة (شال) مستطيلة تلف كالنقبة (الجونلة) حول العجز وتسدل حتى الركبتين وكانت من لون واحد ولها أهداب على شكل الخيوط أو العنكبوت تنتهى بأهداب فى صفوف منتظمة وهو ما عناه اليونان بكلمة « كادناكس » الذى كان ينسج فى اكبتانا فى أيام أرسطوفان •

ولقد كان ذلك زى الالهة على أقدم الآثار وعلى ذلك فانه كان أيضا زى اورنيثا الملك العجوز للاجش • ثم أضيفت قطعة أخرى تدور حول الكتف اليسرى مثل زى الملك « اياناتوم » على لوحة العقبان • وبمرور الزمن ازداد حجم الملفعة حتى غطت الجسم كله وأصبحت تربط تحت الابطل وتلف الذراع اليسرى ثم تمر نهايتها الأخرى تحت الذراع اليمنى ولقد كان ذلك لباس الآلهة والرجال منذ عصر سرجون الأجادى ، كما كان لباس جوديا وحمورابى • أما الكاسيون فقد ارتدوا قميصا ذا أكمام طويلة ضيقة • وقد ثروا بملفعة « شال » مزركشة أو منسوجة من ألوان متعددة (١) وهى من الأشياء التى كانت تستعمل منذ عهد بعيد ودليلنا على ذلك أن أنوال ملوك أور كانت تورد للأمراء قطعاً من الثياب الثقيلة المنسوجة من الصوف المختلف ذى الصبغات المتناسقة الألوان • وتظهر الزخارف والوريدات والأشجار المقدسة والجان والحيوانات حوالى عام ١٠٠٠ ق.م • فى أقهشة الزى الملكى وقد أخذت جميعا عن الفن الحيثى أما مباشرة (ذلك لأن التأثير الحيثى ظهر فى الفن حتى السلاسل المحيطة بأيران) أو عن طريق آشور حيث ظهرت نفس الطرز •

أما رداء الأشخاص العاديين فقد ظل بسيطا ذا لون واحد وكانت له عادة أهداب • وقلما يضع جلعامش على رأسه لباس رأس بينما نجد رجالا من عصر أورنيثا يلبسون أحيانا تاجا ذا عريشة يشبه « الكلاثوس » الذى

عرفه اليونان • ثم ظهرت فى عصر جوديا العمامة التى أصبحت لباس الرأس عند حمورابى • وكان الآلهة ملتحين بشعور طويلة معقودة عند القفا مزدوجة أصلا ثم بسيطة فيما بعد وكانوا يعنون دائما بتصفيفها • وكانت للآلهات أحيانا ضفائر وأحيانا عقائص تمسكها عصابة • وللأبطال القدامى لحي وشعور طويلة هى فيما يختص بجلجامش يقسمها فرق دقيق واضح يكون ثلاثة صفوف من الحلقات (البوكل) على كل من جانبي الرأس • ولقد صور كورجال بن أورنييا برأس مخلوق مرة وبشعر طويل معقود على القفا مرة أخرى • ويرى « نارام سن » بلحية على لوحة النصر • أما جوديا ومعاصروه فى لجش فلهم عادة بشرة ناعمة ورأس حليق مثل أشخاص لوحة الكودورو الخاصة « بمردوك بالاتسو اقبى » (١) فيما بعد •

أما كهنة البابلية الجديدة فيضعون شعرا مستعارا يربطه الأكليين وكانت نساء السوميريين والأكاديين يعنين عناية خاصة ويبدلن جهدا ملحوظا فى تصفيف الشعر فى أشكال مختلفة ويشبتونه فى مكانه عن طريق شرائط وشبك وملفحة يشبت أحد أطرافها عن طريق الأهداب التى تصبح شكل عصابة • وكان الرجال والنساء فى أكثر الأحيان حفاة فى الفترة البدائية ثم انتعلوا النعال فى عصر أجاده • وكانوا يضعون حول رقابهم عقودا من أصداف أو أحجار منحوتة أو تماثم وكانوا يضعون أساور حول أذرعهم •

٨ - الأثاث

كان الأثاث يتكون من أسرة وكراسى منسوجة وأدوات منزلية • والقوائم دلالة تشهد على وجود عدد كبير من المقاعد ذات الأشكال المتباينة والآثار المصورة تقدم لنا ما يكفى لتعريفنا ببعضها ابتداء من المقعد البسيط الذى يجلس عليه جوديا الى العرش المحفور للمعبود على أسطوانة « حاشهامر » المعاصر « لبورسن » ملك اور • فهذه الآثار تصور لنا : مقاعد مكعبة ذات اطار من عصر أجاده وأخرى مغطاة بالكاوناكس من عصر دونجى وكذا مقاعد وكراسى ذات ذراعين من طرز متباينة •

وكانت الأواني تصنع من الأحجار والطين وكذا من المعدن • وكانت تصنع من النحاس أو من معادن أخرى أشد نفاسة ومنها الاناء القضى

لانتميننا عند بدء الألف الثالثة المزخرف بحفر دقيق والمركب على قائم نحاسي (١) . وكانت الأواني الحجرية رمزا للترف وكان يحتفظ بها عادة للمعابد وكثيرا ما كانت تحمل تكريسا (٢) .



أما الأواني
الطينية وبعضها
مصنوع باليد
والبعض الآخر
على العجلة فكانت
تغطيها النقوش
أحيانا ولكن هذه
الصناعة لم تكن
متقدمة في سومير

(شكل ٣٨) اناء مزخرف (حفائر تللو - متحف اللوفر)

وأكاد كما قامت في سوزيانا حيث كرس الفنانون جهودهم مدى فترتين طويلتين عشيقتين لتنويع زخارفها (٣) .

ويمكن حصر طرزها في ثلاثة أشكال : اناء الشرب المخروطي والصفحة ذات الحافة المثقوبة لوضع الطعام بها والقدر لحفظ ونقل السوائل .

(١) انظر شكل ٢٤ صفحة ١٨٥ .

LXXI, p. 261.

(٢)

XVIII. t. XIII : cf. LXXIX, p. 349.

(٣)

الفصل الثالث

الآداب والعلوم

١ - الكتاب

لقد استخدم الاصطلاح العام « عقد » استخداما في غير موضعه حين أطلق في مختلف العصور على جميع الوثائق القانونية التي تنشئ التزاما يقره القانون أو العرف . ولقد ذاع استعمال الاتفاقيات المكتوبة ولم يكن لمعظم التصرفات المدنية التي ينشأ عنها تعهد أو التزام أية قيمة قانونية ما لم تكن على صك مكتوب .

ويحوى الخط المسماري عدة مئات من العلامات وكانت علما قائما بذاته يتطلب الامام به مجهودا كبيرا ووقتا طويلا وذلك لصعوبته . بيد أنه كان يوجد في جميع العصور عدد كبير من الكتاب ، رجالا ونساء . وقد بلغ بعضهم أسمى مراتب الشرف حتى أن كلا من « لوجال أوشو مجال » الذي عاصر نارام سن « وأور آبا » في أيام ملوك أور أصبح ايشاكو لجش كما أن أشور بانيبال ملك أشور يفخر بأنه ملك زمام الكتابة .

ولقد قامت المدارس حيث كانت تعلم المطالعة وتدرس مبادئ الكتابة والرسم على الطين . وكانت مدارس سيبار (١) أشهرها وذلك في الألف الأولى فيما يتصل بقديم النصوص المحفوظة في أضايرها . ويكشف لنا عدد من اللوحات من قرن هورابي ، بعضها نماذج وبعضها نسخ - عن طرق التعليم : هي قراءة وكتابة العلامات البسيطة أولا مع دراسة قيمتها الصوتية ثم تعليم التلاميذ تدريجا استعمال مجاميع العلامات والاشارات ثم الصيغ

المتداولة • وكان التلميذ يعطى بعد ذلك دروسا فى النحو فى صورة الصيغ المختلفة من تصريف الأسماء والأفعال وينهى تعليمه فى آخر الأمر بالرياضيات : بقواعدها الأربع والموازين والمقاييس والمعايير والمسكوكات •

وأحسن الكتاب منذ البدء بحاجتهم الى مفكرة أو جدول يجمع شتات العلامات والكلمات والجمل • وهناك لوحة أركية تحشد معا كل مركبات « كا » وساج • وهناك أخرى من عصر أجادة تحوى العلامات التى تظهر فيها « جال » وهناك ثالثة تقدم أسماء عدد معين من المراهم وهى تضم بذلك كافة العبارات التى تدور حول « شم » (١) •

وكان الكاتب يفخر بعلمه • وكانت الدراية بالقراءة والكتابة لقباً يعدل لقب مدير المعبد أو القاضى • ولم يكن هناك من يغفله فى عقود • وكان لا يفوت أحد ذكر اسمه فى العقود أو نقشه على الأختام الأسطوانية • وفى عهد لوجالاندا خصص كاتب لبيت زوجته الأميرة « بارنا متارا » ويحمل خاتمه النص الآتى : « أنيجال - كاتب بيت الزوجة » وبعد إصلاحات أورو كاجينا حين أعيدت الأملاك الى الآلهة يعد أن كانت قد استخدمت فى أغراض دنيوية بغير وجه حق استبدل هذا النص بـ « أنيجال كاتب الآلهة باوو » وكان تمرين الكتاب يتم فى ظل المعابد ولهذا فراهم يكونون تدريجيا طائفة معينة متصلة بمديرى الهياكل حتى ان الوظائفين اختلطتا ببعضهما فى عصر البابلية الجديدة فى بعض المدن وخاصة سيبار • فهناك كان يذكر اسم الشانجو (مدير المعبد) فى غالب الأحيان على الألواح بينما قلما يظهر لقب دويشارو (كاتب) •

وكان اعداد اللوحات يتطلب طميا ناعما تم عجنه مدة طويلة يوضع فى شكل قوالب تختلف حجما ولونا وشكلا باختلاف المكان والزمان •

وأقدم ألواح لجش قبل عهد أورنيينا مصنوعة من الطمى الذى لم يدخل النار ، وهى مستديرة وهناك ألواح أخرى تعادلها فى القدم مستديرة مثلها ولكنها سويت فى النار ومصدرها شوروباك ووجهها مستو بينما الوجه الآخر مقبب • ولم يختلف شكل اللوحات فى عصر لوجالاندا وأورو كاجينا فى لجش ولكنها كانت تسوى فى النار • وبعد أقل من نصف قرن حدث

تغيير واضح فأصبحت الوثائق المعاصرة للملك اجاد تختلف اختلافا بينا عن سابقتها : فالطين لم يعرف النار وفيما عدا النصوص المتصلة بالمساحة نجد اللوحات مستطيلة وهو الشكل الذى سيحتفظ به منذ هذا الوقت .

وكان الكاتب يرسم علاماته والطين لا يزال طريا وذلك بواسطة قلم مثلث منشورى الشكل يمسك به مائلا وهو يضغط بخفة . وكان الركن يترك خطا صغيرا بينما تترك القاعدة علامة أكثر أو أقل عمقا . ويكون كل ذلك شكلا يشبه الوتد أو المسمار ومن هنا جاءت كلمة المسماوية التى أطلقها المحدثون على الكتابة السومروأكادية . ويرجع شكل عناصر العلامات الى استعمال القلم والطين . ولقد سرى استعماله بعد ذلك فى الكتابة على الأحجار ولكننا لا نراه فى العصور البدائية على المواد الصلبة التى لا تشهد عليها سوى خطوط بسيطة .

وحتى عصر ملوك أور لا نستطيع أن نرسم سوى طريقتين لحساب الأعداد والأرقام وبعضها مكون من مسامير - شأنها فى ذلك شأن باقى علامات الكتابة - والبعض الآخر من دوائر وأشكال مشتقة من الدوائر . وكانوا يتوصلون الى رسمها عن طريق قلم أسطوانى يوضع عموديا أو منحرفا على اللوحة . ولقد أبطلت هذه العادة فى النصف الثانى من الألف الثانية حين لم يعد الكاتب يستعمل سوى القلم المثلث .

ولم تكن هذه الاداة تسمح برسم الخطوط المستديرة وعلى ذلك كانت كل العلامات مكونة من خطوط مستقيمة رأسية أو أفقية أو منحرفة كما تحولت دوائر الأرقام الأصلية الى مربعات أو معينات وكانت كل المسامير الأفقية لعلامة ما ترسم قبل المسامير المنحرفة أو الرأسية التى غالبا ما تتقاطع معها وكانت كل علامة تكمل قبل الانتقال الى علامة أخرى لأنه قد يحدث أن العلامة القديمة تظفى على سابقتها . ولكن حين نكتم عن المسامير الرأسية أو الأفقية ، فإن هذا يعنى تبعا لطريقتنا الحديثة فى القراءة المبنية على أساس ترتيب النص على الآثار الحجرية ابتداء من العصر الكاسى . وكانت العلامات ترتب فى خطوط رأسية فى العصور القديمة كما هى الحال بالنسبة لقانون حمورابى ومسلّة « مانشتوسو » ولوحة العقبان . وربما كان الكاتب يرسم على اللوحات كل المسامير من أعلى الى أسفل . ثم يدبر اللوحة فى زاوية قدرها ٩٠° من اليمين الى اليسار ومن اليسار الى اليمين : وكل عناصر العلامات تتشابه تماما فى الواقع مع بعضها البعض . واننا لنرى

أنه إذا ضغط القلم في عمل المسامير اقلية فإن هذا الضغط يحدث عند
تخطيط المسامير الرأسية .

ولقد تغيرت الكتابة من قرن الى قرن بل ولم تكن متشابهة تماما في
كل المدن في عصر من العصور . وكان لكل مدرسة تقاليدھا وطرائقھا
الخاصة : ففي أيام ملوك أور مثلا كانت مدارس أوما تختلف اختلافا بينا
عن مدارس لجش المدينة المجاورة .

ولقد كانت الكتابة على الطين بقلم مثلث سببا في تحريف الكتابة
المقدسة الأصلية حتى انه من الصعب التعرف عليها ومع ذلك فان بعض
المستندات يرجع بنا الى عصر كان الشيء فيه يمثل بصورته الطبيعية . فعلى
لوحة يملك المتحف البريطاني قطعا منها نرى كاتبا آشوريا قد جمع أقدم
الصور المعروفة لديه جنبا الى جنب مع العلامات المستعملة خلال حكم آشور
بانيبال (١) . وعلى لوحة حجرية عثر عليها في أوما (٢) نجد اناء ذا صنوبر
(بزبور) بقاعدة مخروطية مغطى بقطعة من النسيج وهناك اناء آخر مشابه
له موضوع على قائم . وأننا لنرى العلامة التصويرية لـ « مولى » و « قلعة »
التي نستطيع متابعة تطورها حتى آخر الامبراطورية البابلية - ممثلة -
كما هي الحال على تيمية باللوفر - بواسطة مبنى مستطيل على جانبه
برج . أما القدم فلها شكل يمكن ادراكه في أحدث الكتابات وعلى قطع أخرى
يمكن تمييز أنواع من الألوان والصاغة والمشط والقيثار والفأس والقوس
والسهم والأغصان والأزهار .

وكان الأمر كذلك في عيلام حيث ظهرت كتابة خاصة تفرعت من نفس
نقطة البدء وتطورت تطورا مستقلا عن ذلك التطور الذي أدركناه في سومر
وأكاد . وقد أخرجت حفائر سيوسة علامات أركية يظهر من بينها عدد من
علامات الكتابة المقدسة البدائية (٣) .

وكان النص قبل ملوك أجاده - وفيما بعد على اللوحات الكبيرة
الحجم - يرتب في أعمدة تقسم الى خانات وكان كتاب لجش في عصر
« لوجالاندا » و « أوركاچينا » بعد أن يملأوا الوجه الأول من اليسار الى

LX, t. I, p. 727.

(١)

XVIII, t. II, p. 130.

(٢)

XVIII, t. VI.

(٣)

اليمين يقلبون اللوحة من أسفل الى أعلى ويستمررون فى الكتابة على الوجه الآخر من اليمين الى اليسار . وعلى هذا فان الخانة الاولى للوجه الثانى تقابل الخانة الاخيرة للوجه الأول . ولم يكن ملخص النص يتبع النص الكامل ، بل يبدأ فى رأس العمود الأيسر من الوجه التالى ويستمر فى الأعمدة المجاورة ان لزم الأمر . ومنذ عصر أجاده نرى فيما يختص باللوحات الحسابية أن مسافة تترك فراغا لتفصل بين مختلف العمليات الحسابية والمجاميع النهائية . وفى عهد الأسرة الأولى البابلية أخذ استخدام الخطوط بين سطور الكتابة يختفى . ومع ذلك فقد ظل باقيا ليفصل أحيانا قائمة الشهود وأحيانا أخرى التواريخ أو المجموع . وفيما بعد نرى خطوطا مرسومة متوازية مع أطول جانبي اللوحة ، كما نرى النص مقسما الى أقسام يفصل ما بينها فراغ .

والوثائق الممهورة بأختام كثيرة العدد . وكثيرا ما كان الكاتب يشير إليها فى النص . وقبل الأسرة الأولى البابلية كانت الأسطوانة تدار أحيانا فوق سطح اللوحة كلها وأحيانا أخرى كانت يكتب اسم ومهنة وأجداد صاحبها . وكانت هذه العملية تسبق كتابة النص . ومن عهد السيادة البابلية كان أغلب الشهود يشبتون أختامهم فى العقود بالقرب من أختام المتعاقدين ويفضل أن يكون ذلك على أطراف الوثيقة . ولما كانت هذه الأختام غير منقوشة عادة فان اسم صاحبها كان يكتبه الكاتب على القرب من البصمة . ولقد انحدرت العادات المحلية عن طريق المدارس . ففى نيبور نرى فيما يختص بعقود معينة أن قالبا معينة تم صنعه ، بعد أن نقش عليه اسما المتعاقدين . وفى عهد الامبراطورية الجديدة نجد أن بصمة الأختام توضع أحيانا على الأطراف وأحيانا أخرى فى الفراغ الكائن بين الخانات المختلفة للنص بعد تحريره .

ويظهر أن هذه الاحتياطات لم تكن كافية لحماية المستند ومنع تزويره ، ولذا فاننا نرى أنه منذ فترة ما قبل السرجونية روعى فى بعض اللوحات الهامة أن يرش عليها مسحوق من الطمى الجاف وأن توضع فى غلاف طمىي يكرر عليه النص وكان عليه وحده عادة بصمات الأختام (١) فاذا قام نزاع كان أنكر الطرفان صحة المستند مثلا ، فان الغلاف يفض فلا يستطيع أحد التشكيك فى اللوحة الموجودة بداخله .

وقد استعمل الغلاف الطمى كذلك فى المراسلات الرسمية او الشخصية وكان ذلك على الأقل منذ عصر أجاده . ولكنه كثيرا ما كان يستبدل بقطعة من القماش تلتصق بها كتلة صغيرة من الطين تحمل بصمة الخاتم وتؤدى وظيفة ختم الرصاص الحالى .

وحين الفراغ من اللوحة كانت تسلم نسخة منها لكل من يهمه الاحتفاظ بوحدة . وغالبا ما كانت تودع أخرى فى محفوظات المعبد أو القصر . وكان أمين المحفوظات يخزنها فى سلال عليها بطاقات وضعت بعناية . وكانت البطاقات من الطمى كذلك . وفى خلال حكم لوجالاندا كانت مشابهة للوحات واحداها تحمل النص التالى : « سلة لوحات (لما) جاء به سماكو البحر وسماكو الماء العذب - « بارنامتارا » زوجة لوجالاندا ايشاكو لاجش : السنة الثانية » ثم أخذت فيما بعد شكل الزيتون المثقوب الذى يمر بداخله خيط . وطبقا لترتيب متسق للموضوعات من عصر أور نرى أمين المحفوظات يجمع فى سلة الأحكام التى أصدرتها هيئة أو أخرى من هيئات القضاة . وكذلك القرابين التى قدمت للمعابد أو الآلهة فى مناسبة الأعياد أو مدفوعات المستأجرين سنة بعد سنة مع ذكر اسم الموظف المختص بالحسابات أو قيمة الأجر من الشعير والصوف للعمال الذين يعملون فى المؤسسات الملكية للنسيج أو بيانا بمقدار الشعير الذى يسلم للبئر أو الاستهلاك وهكذا فيما يختص بكل فرع من فروع النشاط الاجتماعى (١) .

وكانت الرسائل ترسل من مدينة الى أخرى فى سلال مختومة . وكانت تثبت كتلة من الطين الى عقدة الخيط الذى يربط السلة ثم تبصم بخاتم الراسل ويكتب عليها اسم المرسل اليه . واننا لمدينون الى هذه العادة بالمعلومات التى لدينا عن مجموعة من النماذج الطيبة للنقش على الأحجار من عصر أجاده .

ولقد انتشرت اللغة الأرامية فى بابل فى عهد الامبراطورية الجديدة . وكان للأسرى المستجلبين من سوريا طريقة كتابة أبسط وأقرب من الناحية العملية من الخط المسمارى . ومع أنها لم تستعمل الا أن العادة جرت منذ القرن الثامن على استعمال الأرامية فى مناسبات كثيرة فى تدوين ملخص المستند على هوامش اللوحات المسمارية . وكان هذا من عمل

الكتاب الذين يتقنون اللغتين معا . ولقد كان ذلك أمرا له قيمته في أكثر من ناحية . وأعان على تحديد نطق بعض الحروف في اللغة البابلية للعصر المذكور .

٢ - الآداب

لم يقنع الكتاب السوميريون والبابليون بأن يضمنوا لوحاتهم حسابات أو عقودا بل دفعهم الأمراء إلى ذكر أهم أحداث حكمهم على أوقاب الأبواب وقوالب المباني والألواح الحجرية واللوحات . ولقد سجلوا القوانين ونسخوا القصص والطقوس والدعوات والرقى ، بل إن هناك بعض ما خلفوه مما يهم القارئ من الناحية الأدبية البحتة .

وهناك بدء القصة السوميرية التي يحكى فيها انتمينا معارك لجش مع جارتها أوما :

« حدد ننجرسو (اله لجش) وشارا (اله أوما) تخوم حدودهم تبعا للكلمة الحقّة لـ « انليل » ملك البلاد . وأقام هسيليم ملك كيش تنفيذا لصوت آلهته « كادى » فى مكانها لوحة . وتصرف أوش ايشاكو أوما طبقا لخططة الظامعة .

فزحزح اللوحة وأتى الى سهل لجش فحدث صراع مع أوما طبقا لكلمة العبدل من ننجرسو محارب انليل وكنتيجة لصوت انليل العظيم هزمت الشبكة (الالهية) العدو . وأقيمت فى السهول فى مكانها أكرام جنزية .

وأقام اياناتوم ايشاكو . لجش سلف انتمينا ايشاكو لجش تخوم الحدود : فحفر حفرة من النهر العظيم الى « جو ادين » وأقام لوحة على هذه الحفرة وأعاد لوحة هسيليم مكانها ولم يغز سهل أوما .

وبعد أن يقص كيف أنه هو بنفسه أملى السلم على العدو الذى عاد الى غزو مقاطعة لجش ثراه ينتهى بهذه اللعنات : « اذا عبر رجال أوما حفرة الحدود لننجرسو وحفرة الحدود لـ « نينا » بواسطة رجال أوما أو رجال بلاد أخرى بوضع أيديهم على القطر . ألا فليهلكهم انليل ويقضى عليهم تماما . ألا فلتهمهم شبكة ننجرسو العظيم ! ألا فلتسقط (عليهم)

يده الرفيعة وقدمه السنيه من عل • ألا فليبتلى جند مدينته غضبا وليدخل
الخوف فى كل قلوب أهل مدينته (١) •

وهكذا - أى باللعنات - كانت تنتهى نصوص عديدة يذكر فيها
الملوك مؤسساتهم ونظمهم ومبانيهم وقراراتهم • وهذه هى خاتمة لوحة كتب
عليها كاتب من لجش هذه المرتبة المؤثرة حقا عند تخريب مدينته فى أيام
أوركاجينا (٢) •

« رجال أوما فى ال « ايكي » •• أشعلوا النار •• أحرقوا
ال « انتاسوررا » ونهبوا الفضة والأحجار الثمينة وأسألوا الدماء فى قصر
« تيراش » وأسألوا الدماء فى ال « ابزوباندا » وأسألوا الدماء فى هيكل
انليل وهيكل بابار • وأسألوا الدماء فى « أهوش » ونهبوا منه الفضة
والأحجار الكريمة وأسألوا الدماء فى « أى بابار » ونهبوا منه الفضة
والأحجار الكريمة • وأسألوا الدماء فى جيكانا - نمنا بالغابة المقدسة ونهبوا
منه الفضة والأحجار الكريمة •

ويتكرر هذا الدعاء دون اغفال هيكل واحد ودون أن ينسى حتى الحقل
المقدس لننجرسو الذى سلبت منه غلاله • وأمام هذه الكارثة لم يستطع
هذا اللجاشى العجوز التقى الا أن يبدي هذه الأمنية :

« ان رجال أوما باتلافهم لاجش قد ارتكبوا اثما ضد ننجرسو ،
وستسترد منهم القوة التى كانت منحت لهم •• ان اثما لم يحدث من جانب
أوركاجينا ملك جرسو أما بالنسبة الى لوجال زاجيسى ايشاكو أوما فلتضع
الهته نيسابا هذا الاثم على رأسه » •

قصيدة الخليقة :

أنشئت قصيدة الخليقة تمجيذا لمردوك اله بابل وهدفها وصف لكيفية
ظفر هذا الاله بمكان الصدارة فى عراكه مع تيامات :

فلقد أخرجت تيامات البحر وأبسو المحيط من اختلاط أمواهما
الآلهة جميعا ولما لم يرضيا عن خليقتهم قررا - بنصح من مومو أول
مولوداتهم أن يحطماها ويقضيا عليها • وعرف أيا اله الحكمة مؤامرتها
وأسر أبسو ومومو • وأرادت تيامات الانتقام لهما فخلقت جمعا من الجبابرة
تردد الآلهة انو وايا فى الدخول معهم فى معركة •• وطلب مردوك عندما

LXVI, p. 68.

(١)

Ibid p. 91.

(٢)

دعاه انشمار الى أن يمجّد من مجمع الآلهة قبل الموافقة على الدفاع عنهم
فأرسل انشمار رسوله جاجا ليدعو أولا أقدم المعبودات لاهمو
ولاهامو ٠٠٠ (١) .

« ذهب جاجا وسار في طريقه
وأمام لاهمو ولاهامو والآلهة والديه
تواضع ٠ وقبل الأرض أمامهما ٠
وركع ثم قام وقال لهما :
« أرسلنى انشمار ابنكما
وكشف لى عن بغية قلبه
وهى أن تيامات أمنا حملت الكراهية ضدنا
وهى تجمع حشدا ٠٠٠ وهى تعصف غضبا
استجاب لها الآلهة جميعا
حتى أولئك الذين خلقتهم ٠٠٠ يسرون الى جنبها
هم يلعنون اليوم ٠ والى جانب تيامات يتقدمون
انهم غاضبون ويتآمرون ليل نهار دون راحة
انهم يستعدون للقتال ويدمرون ويشورون
ويكونون عصابة وينظمون المعركة
أم الجميع خالقة الأشياء كلها
جمعت أسلحتها التى لا تبارى وولدت أفاعى ضخمة
حادة الأنياب لا ترحم فى القتال
استبدلت الدم بالسم فى أجسادها
والبست الثنانين المخيفة ثوب الرعب
وملاتها بالجلال والبهاء وأعطتها سحنة متعالية
حتى يهلك فزعا من يراها
حين تقوم أجسامها لا يستطيع أحد أن يقاوم هجماتها
لقد أمرت بتدفق الأفاعى والزواحف الوحشية واللاهامو

ووحوش العواصف والكلاب الغضبية والرجال العقارب
 والأعاصير القوية والرجال الأسماك والكباش
 التى تحمل أسلحة لا ترحم ولا تخشى العراك *
 وبعد أن ذكر الرسول أن « قنجو » على رأس هذا الجيش المكون من
 أحد عشر نوعا من المسوخ استمر يقول باسم انشار :
 « لقد أرسلت أنو ولكن لم تكن له القوة ليقترب منها
 وخاف ايا وتراجع
 فقام مردوك العاقل من بين الآلهة من ذريتكما
 واستحثه قلبه ليواجه تيامات
 وذكر لى هن فمه :
 « ان كان لى ٠٠٠ انا المنتقم لكم
 أن أقيد تيامات بالأغلال لتبقوا أحياء
 فأجمع مجمعا ومجدنى وأعلن مصيرى
 اجلسوا جميعا فرحين فى ال (ابشوكينا)
 ولتقرر كلمة فمى المصائر كما تقررها كلمتكم
 ليكون كل ما أعمله غير قابل للتغيير مستقبلا
 لتكن الكلمة التى تخرج من شفتى غير قابلة للتغيير أو التبديل
 كى يذهب ويهاجم تيامات عدوكما المرعب
 أسرعا - سارعا وحددا له مصيركما
 وسمع لاهمو ولاهامو ذلك وصرخا بصوت عال
 وبكى ال « اجيجى » (١) معا بدموع مريرة قائلين :
 « من هو العدو الذى جعل المحيط يطفح
 لسنا نقر عمل تيامات »
 واجتمعوا وذهبوا
 الآلهة الكبار معا - الذين يحددون المصائر
 واتوا أمام انشار وملأوا ٠٠٠
 واحتضنوا بعضهم بعضا فى المجمع

(١) الهة السماء *

وتحدثوا معها وجلسوا فى مادبة
 وغير النبيذ الخلو من ...
 وواصلوا الشرب حتى سكروا وانتشيت أجسامهم موحا
 وأخذوا يصيحون كثيرا وقلوبهم فرحة سعيدة
 وحددوا لمردوك المنتقم لهم مصيره .
 ولما انتهى العراك وأعلن مردوك المنتصر عزمه على أن يعجن الطين
 بدمه ليقيم الانسان ... اجتمع الآلهة مرة أخرى وأعلنوا أسماء
 الخمسين « (١) » .
 ولسنا نستطيع أن نغفل ذكر قصص الطوفان واحداها هى التى
 نورد منها الفقرات التالية مأخوذة من قصيدة « جلجامش » وفيها يصف
 « أوتا نابشتيم » - نوح البابلى - ملك أوروك كيف أنه اكتسب الخلود .
 ولقد بنى سفينته بناء على طلب الاله ايا :
 « قال : حملتها بكل ما كنت أمتلك ... كل بذور الحياة
 أنزلتها اليها .. أسرمتى كلها وأقاربى
 ماشية الحقل وحيوانات الحقل والصنار ... أنزلت كل ذلك
 ثم دخلت السفين وأغلقت الباب .
 وعهدت الى « بوزور انليل » الملاح بقيادة السفينة
 عهدت اليه بها بكل ما تحوى
 ولما أضاء الفجر
 خرجت من بطن السماء سحابة داكنة
 وزأر اداد (٢) فيها
 وكان نابو (٣) والملك (٤) يسيران فى المقدمة
 وسار المتنادون فى الجبال والسهول
 وانتزع رجال (٥) الصارى

ومضى اينورتا (١) يقود المعركة
وحمل الـ « اتوناكى » (٢) المشاعل
والهبوا الأرض بأضوائهم
وارتفع ضوضاء اداد الى السموات
وانقلب كل ما هو مضى الى ظلام
فلم يعد الأخ يرى أخاه
وأصبح الناس فى السماء لا يعرف الواحد منهم الآخر
وخشى الآلهة من الطوفان
فهربوا وصعدوا الى سموات انو
وربض الآلهة واضطجعوا ككلاب على الحائط
واستمرت الريح والطوفان ستة أيام وست ليال
وساد الأرض اعصار
فلما أشرق فجر اليوم السابع هزم الاعصار
وكذلك الطوفان الذى كان قد حارب كجيش بأسره
وارتاح البحر وهدأت الريح الرديئة وتوقف الطوفان
ونظرت الى البحر وكان صوته قد سكت
وكانت البشرية قد تحولت طينا
وادفع المستنقع الى السقوف
وفتحت النافذة وسقط الضوء على خدى
وانهزت على مقعد وظللت جالسا أبكى
وأخذت الدموع تسيل على خدى
نظرت الى العالم ٠٠٠ الى أفق البحر
فرايت هناك على مبعدة ١٢ (مقياسا) جزيرة برزت
وبلغ السفين جبل نتسير (٣)
واستوقف جبل نتسير السفين ولم يدعها تتحرك

(١) اله الحرب •

(٢) الارواح الجهنمية •

(٣) بين دجلة والزاب الصغير •

ولما جاء اليوم السابع
أخرجت حمامة وأطلقتها
ذهبت الحمامة ولكنها عادت
عادت لأنها لم تجد مكانا
فأخرجت سنونو وأطلقته
فذهب ولكنه عاد
عاد لأنه لم يجد مكانا
أخرجت غرابا وأطلقته
ذهب الغراب ورأى الماء يختفى
وأكل ومشى فى الطين ولعب ولم يعد
فأخرجت من السفين عددا أطلقتته الى الجهات الأربع وسكنت
سكيبا
وقدمت قربانا على قمة الجبل
ووضعت ١٤ انا « ادا جورو »
ونشرت من تحتها القصب والأرز والآس
واشتم الآلهة عيبرها
اشتم الآلهة عيبرها المعطر
وتجمع الآلهة كالذباب فوق مقدم القربان
وفى أسطورة « اتانا » أحد أوائل الملوك قبل العصر التاريخى نجد
خرافة طريفة هى خرافة النسر والضببان . فلقد عقد نسر نيته على الثمام
صغار الضبان ورغم نصيحة ملؤها السداد من أحد صغاره العقلاء أنفذ
مشروعه وشكا الضبان الى شماش اله العدالة (١) .
« فحين سمع صلاة الضبان
فتح شماش فمه وقال للضببان :
اذهب فى طريقك حتى تصل الى الجبل
وسأحجز لك جاموسة

افتح أمعاءها واخترق بطنها
واتخذ بطنها مسكنا لك
وستنزل من السماء كل أنواع الطيور
لتأكل من لحم الجاموسة
وسينزل النسر معها
وما ليس يعرفه ٠٠٠
وسيبحث عن مدخل الى اللحم في ال ٠٠٠ سيرفرف حولها
وسيحلم بالمكان الخفى للقلب
فحين يصل الى الداخل اقبض عليه من أجنحته
واقطع هذه الأجنحة وریشها ومقالبه
ومزقه وارمه فى حفرة
ودعه يموت ميتة الجوع والظما ،
وأطاع الشعبان واختبأ فى بطن الجاموسة
ونزلت كل طيور السماء وأكلت من اللحم
ولو كان النسر يعرف ما قدر له من سوء طالع
لما نزل مع صغاره ليأكل من اللحم
ولكنه فتح فاه وقال لهم :
« لننزل ونأكل نحن من لحم هذه الجاموسة »
ونطق نسر صغير ملئ بالفهم الى أبيه النسر قائلا :
« لاتنزل يا أبى ربما كان هناك شعبان يرقد مختبئاً فى بطن الجاموسة »
وقال النسر لنفسه كذلك كلمة
انه لم يفهم ما قيل له ٠٠٠ انه لم يتدبر ما قال الصغير
فنزل وجثم فوق الجاموسة
ونظر النسر الى اللحم وقدر ما أمامه وما وراءه
وكرر الأمر ونظر ثانية الى اللحم وقدر ما وراءه وما أمامه
وأخذ يطوف فى ٠٠٠ وأخذ يحلم فى حفايا القلب
وحين دخل قبض عليه الشعبان من أجنحته ٠٠٠
وفتح النسر فاه وقال للشعبان :

« ارحمنى وساعطيك بائنة كما يعطى للعروس »
 وفتح الشعبان فده وقال للنسر :
 « ان تركتك فكيف أستطيع أن أجاب شماش المعظم ؟ »
 سوف ترتد العقوبة على
 تلك العقوبة التى أفرضها عليك
 وقطع أجنحته وريش أجنحته ومخالبه
 ومزقه ورماء فى حفرة
 حتى يموت جوعا وعطشا .
 ولقد كانت مشكلة الخير والشر تسيرعى انتباه البابليين فالآلام يحل
 بالمستقيمين ولا يمس أهل السوء مما دعا الرجل التقى الذى يرى الواجب
 إلى أن يتساءل عن سبب نكبته (١) :

لم أكد أصل الى الحياة حتى عبرت الزمن المحدد
 فاستدردت ٠٠٠ انه شر ٠٠٠ وشر أكثر
 زاد الجور على ولم أستطع بلوغ سقى
 صرخت الى الهى ولكن لم ينظر الى
 توسلت الى الهى ولكنها لم تعن برفع رأسها
 ان العراف بعرفته لم يحدد مستقبلى
 والساحر بضحية لم يستطع أن يجعل محاكمتى جليلة
 لقد تحدثت الى العراف ولكن لم يعلمنى شيئا
 ان الساحر برقاء لم يستطع أن يحل اللعنة التى أنا هدفها
 ما أكثر اختلاف الأحداث فى العالم !
 لقد نظرت ورائى : فوجدت الشر فى عقبى
 كأنما لم أكن أقدم التقدّمات بانتظام لالهى
 وكأنما كنت لا أخلد ذكرى آلهتى فى الوليمة
 وكأنما لم أحن وجهى وكأنما لم ينظر الى عبادتى
 فكنت كمن توقفت الصلوات والابتهاالات فى فمه

وكنت كمن انتهى يومه الالهى • لقد مات القبر الجديد
 وأصبحت مثل ذلك الذى اضطجع على جانبه واحتقر صورهم
 والذى لم يعلم أتباعه الخوف والاجلال
 والذى لم يذكر الهه والتهم الطعام المخصص له
 والذى هجر الهته ولم يأت بالمقرر عليه
 والذى كان ظالما ، والذى نسي مولاه
 والذى نطق كلمة الهه القوى باستخفاف
 اننى أصبحت مثل ذلك الرجل
 ان مضطهدى يتبعنى كل يوم
 وعند قدوم الليل لا يدع لحظة أتنفس فيها
 ان أعصابى تتفكك من كثرة اضطرابى
 وقواى تنحل وأدى فالأسيثا

فارانى ملقى على سرىرى كالنور ملوثا ببرازى كالشاة
 لقد عذبت الساحر عضلاتى المريضة
 وضللت العراف التنبؤات التى جاءته عنى
 ان صاحب الرقى لم يفهم شيئا عن عرصى
 ولم يضع العراف حدا لعجزى
 ولم يأت الهى لعونى ولم يأخذ بيدي
 ولم ترحمنى الهتى ولم تسر الى جانبي
 القبر مفتوح ومسكنى تم الاستيلاء عليه (١)
 وانتهى الحزن على حتى قبل أن أموت
 لقد رددت كل الناس « كم هو مهلم ا »
 وسمع عدوى بذلك وتهللت أسارىه
 لأن بشارة الخير قد وصلته فانبثق النور من قلبه «

★★★

وقلما اختلفت أساليب الانشاء على بن العصور . واننا لنرى لوجال
زاجيسى ملك أوروك فى القرن التاسع والعشرين يذكر بركات الآلهة عليه
فى مقدمة نقوشه السوميرية كما نجد نابونيد آخر ملوك الامبراطورية
البابلية الجديدة يستعمل نفس الصيغة فى القرن السادس . فقد قال
الأول (١) :

« حين منح انليل ملك البلاد الى لوجال زاجيسى ملك أوروك سيد
البلاد .

كاهن أنو نبي نيسابا بن أوكوش ايشاكو اوما ونبي نيسابا
المحفوظ بعين رعاية أنو ملك الأقاليم الايشاكو الأكبر لانليل الممنوح ، فهما
من أنكى الذى ردد اسمه باباز كبير وزراء أنزو شاكاناكو باباز قهرمان
أنينا طفل نيسابا الذى يطعم على لبن .

« نهار ساج » المقدس ، رجل الاله من ، كاهن أوروك . . . تلمذ
« نابوهادو » سيدة أوروك . . الأباراكو الكبير جدا للآلهة . . حين منح
انليل سيد البلاد الى لوجال زاجيسى ملك الأرض . . . حين جعله
ينجح أمام الأرض . . حين أخضع البلاد لسلطانه . . حين هزم الجميع من
مشرق الشمس الى مغربها . . فى ذلك اليوم . . » .

ويقول الثانى (١) :

« حين خلق مردوك سيد الآلهة العظيم سيد العالم . . حين خلق الأمير
سماء نابونيد ملكا مكرسا للعبادة ليمارس السلطان . ورفع رأسه فوق
الملوك جميعا . سعد الآلهة العظام بكلمته من أجل ملكه ولقد منحه أنو
انليل العرش الى الأبد ، والتاج والصولجان وعصا الملك وكتاب الطقس
الملكى . . جعله ايا خالق جميع الأشياء . . كامل الحكمة . . أما بعليت
ايل خالقة العالم فأكملت تكوينه . وأما « نابو » مراقب العلم فقد منحه
العقل . وأما سن ابن الأمير فقد تبصر فى صورته . وأما شماش ضو
الآلهة فقد جعله راعيا لقطيعه ووضع رعاياه تحت امرته . وأما ايرا العظيم
القوى بين الآلهة فقد منحه القوة وأما زبابا المعظم فقد جعله كاملا
نبيهته . وأما نوسكو المخيف فقد زينته بأبهة الملك ثم استدار الى روحه
الحارسه حتى يستطيع تنظيم الرؤيا الالهية واتخاذ القرارات وتحديد
المستقبل . واستدعته الآلهة المعظمة لمعيته حتى يستطيع انفاذ أوامره . » .

وأما بقية النص فتمودج طيب للنصوص التاريخية البابلية (١) :
 « نابونيد ملك بابل الأمير العظيم الراعى الفطن الذى يحترم الآلهة
 العظمى الوكيل التقى »

الذى يعنى برؤيا الآلهة والذى يشغل نفسه كل يوم بطقوس الآلهة
 والالهات ابن « نابو بالاتسو اقبى » الأمير العاقل .

اننى منذ عين مردوك السيد العظيم أسمى سيده أعلى للبلاد ومجد
 نابو ابن الأمير أسمى الملكى . . . اننى أكرر كل يوم احترامى لجلالتيهم
 وأشغل نفسى باستمرار بما يرضيهم وأزيد من عنايتى بالاييساجيل (٢)
 والد « أزيذا » (٣) . اننى أقدم لهم خير ما لدى من أشياء جميلة وأهتم
 بالأى ينقطع تقديم القرابين وأبنى الهياكل تمجيدها لهم كما أبنى مدنهم
 العظيمة وأمجد أسمائهم على لسان كل الأحياء .

أما بالنسبة لشماش القاضي العظيم والاله الفخم سيد سيبار فإن
 ال « أبارا » الهيكل الطاهر ببيته الأسمى الذى لم يدع ملكا من قبلى يرى
 ال « تمن » الخاص به فإن شماش انتظرنى حتى أقيمه وقد وضعت أساسه
 على « تمن » نارام سن . ورفعت رأس حائط أوجال أمارو ، حائط كونا
 وأمرت بحائط « ميلام كوركورا دولا » حائط كيش أن يرتفع كالجبال .
 أما بالنسبة للسيد العظيم أوراش فقد جدت - كما كانت الحال من قبل -
 قصر الأعياد الهادى . وأما عن المدينة - بين بابل وبورسينيا - فقد رفعت
 أبراجها بالأسفلت والآجر وأدخلت نانا الآلهة المؤمرة الى هيكلها .

أما عن سن السيد العظيم الذى يسكن « اكيس شرجال » التى تقع
 فى أور فقد قررت أقصى كمية من تقدماته النابتة وعנית بأن تكون تقدماته
 الاختيارية فخمة . ولما كنت مهتما بهيكله متضرعا الى جلالته ، فقد أظهرت
 احترامى للرغبة التى أبداها . واهتممت بها ولم أرفض طلبه وأطعت أمره
 ورفعت الى مرتبه الكهنوت الابنة التى أنجبها قلبى وسميتها بعل شالتى
 نانا ثم أدخلتها ال « اجيبار » (٤) وقادنى قلبى الى أن أعنى بمدن جميع
 الآلهة العظام فمجدت سيدى لوجال ما زادا المحارب الصنديد والبطل

L. t. XI, p. 114.

(١)

(٢) معبد مردوك

(٣) معبد نابو

(٤) مسكن كبير كاهنات أور

الرائع الكامل القوة الأعصار الذي لا يقاوم الذي يغرق الأراضي المعادية ويغتنل أرض الأعداء الذي يسكن في معبده الـ « أي ايجي كالاما » . أما بالنسبة لعجلته - عربة جلالته رمز شجاعته التي تغتنل أرض العدو المعدة للمعارك تلك العربة التي لم يعد مثلها منذ أقدم العصور ملك آخر من قبلي فقد وجدت أحجار زخرفتها وطاقمها في أساس الـ « أي ايجي كالاما » هذه العربة فأعدت بناءها من جديد وزينتها بالفضة النقية والذهب اللامع والأحجار الكريمة ثم قدمتها له . أما معبده « أي ايجي كالاما » الذي كان قد أقامه ملك سابق ورفع رأسه ولكن لم يحط الأسوار بحوائط تسندها ولم يدعم حائط الحراسة فقد كان هيكله مخربا وأحجار عتبة بابه غير متماسكة فقد هدمتها وفحصت الـ « أمن » القديم وحددت أساسه على « تمنه » وأعدت بناء الأسوار وقويت حائط الحراسة وخدمته ورفعت قمته أعلى مما كانت

أي لوجال مارادا ! أيها السيد العظيم والمحارب القوى ! حين تدخل فرحا الى معبدك وحين تشهد كل الأعمال الطاهرة التي أتممتها . . . ألا فلتكرر كل يوم أمام مردوك ملك السماء والأرض ما يسعدني . . . ألا فلتطل أيام حياتي ! ألا فلاكلل بذرية ضخمة ! . . . ألا فلتسحق أعدائي بذراعيك القويتين وتقضي على كل أعدائي ! . .

٣ - التعامل بالمراسلة

يظهر أن التعامل بالمراسلة كان معروفا منذ أقدم العصور . فكان الخطاب يكتب على لوحة جففت في النار عادة ثم تغلف بغلاف من الطين . ولم يكن يستطيع أحد مطالعتها دون كسر الاختام مما كان يسمح بتلافى افشاء محتوياتها . وكان يكتفى أحيانا بلفها في قطعة من القماش تثبت عليها قطعة من الطين تحمل بصمة ختم مرسلها .

ولعل أقدم خطاب حفظ لنا رسالة تتصل بالغزو العيلامي لأرض السوميريين (١) وهي موجهة الى « انيتارزي » الايشاكو المقبل للاجش .

ومرسل الخطاب المدعو « لو انا » يخبره أنه هزم العدو ثم يعدد الأسلاب وربما ما وقع من نصيب الايشاكو الذي ضاع اسمه لسوء الحظ وكذا ما كان من نصيب « الاباركو » والالهة « نمار » .

« هذا ما يرسله « لو انا » سانجو (مدير) نمار الى « انيتارزي سسانجو »

ننجرسو ليبلغه : لقد استطاع ٦٠٠ عيلامي أن يستولوا من لاجش على أسلاب لأخذها الى عيلام : لقد حارب « لو انا » سانجو (نمار) ضد العيلاميين ولقد هزم العيلاميين (وقتل أو أسر) ، ٥٤٠ عيلاميا . أما أورباو ، أحد عمال نجلو نوتوم رئيس السباكين فقد استلم ٥ مينا من الفضة الخالصة

و ٥٠٠٠٢٠ آتواب ملكيه و ١٦ مينا من صوف أغنام الأكل . . . ل ايشاكو لاجش وهو ما يخصه . ولايناناتوم سيزيد (الاباروكو ما يخصه) ألا فايؤخذ ال ٠٠ الى نمار « السنة الخامسة » وهاك خطابا آخر كتب في زمن لوجالاندا (١) :

« بخصوص ال ٦٦٠ نعبه وحمل وال ٢٤ ثورا وبقرة وال ١٦ جحشا التي أرسلها «جوبي» له انه يقول ل « لوجالمو » : لقد نفذ الكاتب أمر ارسالها فليبلغه ذلك - (السنة / الرابعة) .

ولعل صيغة « ما يرسله س له أنه أبلغه الى ص » تعيد الى أذهاننا تلك الفترة حين كان يعهد بالرسالة شفويا الى رسول، اد أنها موجهة الى الكاتب الذي سينقل الى المرسل اليه محتويات المستند ذلك لأن أغلبية السوميروأكاديين لم يكونوا ملمين بالقراءة ، وكان من الضروري أن يلجأوا الى خدمات المتعلمين . ولقد طرأ بعض التعديل على هذه الصيغة في عهد أجاده (٢) وان بقيت جارية الاستعمال مهما تكن وظيفة أو صفة المرسل اليه « ما يرسله لوبا ال « نوباندا » (الرئيس) أبلغه الى ملكي » وقد اختصرت الصيغة أحيانا الى « الى ملكي ما يرسله انيجلولا » وقد اختفى في عهد ملوك أور الجزء الأول الذي كان يحوى اسم المرسل ولم يبق سوى : « أبلغه الى فلان » .

ولدينا عدد من الخطابات ابتداء من عهد الأسرة الأولى البابلية يشير بعضها الى شئون الدولة والبعض الآخر الى أمور خاصة وليس هدف النوع

I, t. XVII, p. 95.

(١)

XIX, no. 1058, 1170, 1261.

(٢)

الأول - كما هي الحال بالنسبة للنقوش الرسمية - أن يبقى للأجيال القادمة ولكنه يهدف الى تصفية منازعات أو ابلاغ أوامر أو تقارير . وهذا النوع أحسن ما يقوم مثالا لتعريفنا بالعرف المتبع والتقاليد والعادات والأحداث . وهكذا تبين مراسلات حمورابي مع « سن ادينام » محافظ لارسا كيف كانت السلطة المركزية تعنى بإدارة شئون الدولة وتهتم بأقل التفاصيل وتركز في بابل إدارة جميع الشئون . واننا نرى أن وحدة الامبراطورية تحققت في النهاية وأن الملك يشغل نفسه ويهتم باستقرار كل الأنظمة التي وضعها أو عدلها وقد نجح في ذلك . ولقد كانت ثروة المعابد ضخمة وكان للمشرفين عليها نفوذ واسع وكان حمورابي يطلب حسابا عن ايراداتها ويعنى بالترميمات أو إعادة البناء أو زخرفة الهيكل . ولما كان الأمر يتطلب أعمالا انشائية كبرى ، فانه كان يهتم بتعيين العمال وتحديد أجورهم وكان البت في بعض الشئون من اختصاص السلطات المحلية فأصبح من اختصاص السلطة المركزية . ولقد كان التقويم من هذه الشئون اذ كانت كل مدينة تحدد ان كانت السنة الحالية بها ١٢ أو ١٣ شهرا . وقلما كان يتم اتفاق على هذا الأمر بين الأمراء المتجاورين لأن كلا منهم كان يتصرف حسب هواه . الا أنه منذ ذلك الوقت بدأ العمل بحساب واحد لكل الامبراطورية وكان الملك بما له من سلطة ملكية يقرر ما اذا كان يجب اضافة شهر الى السنة الجارية وهكذا نرى حمورابي يخطر « سن ادينام » في واحد من كتبه أنه قد حل احتساب أيلول آخر في تلك السنة .

ولم يكن الملك يكتفى بجمع الأحكام القضائية ووضع التشريعات واصلاح بعض المساوئ فحسب ولكنه كان يتولى الحكم بنفسه في القضايا الكبرى ويتلقى التظلمات ويوجه قضاة المقاطعات . فلقد ضبط حادث رشوة في « دور جور جوري » فأمر بالتحقيق والتحرى وأشار بأن يرسل المجرمون الى بابل ليعاقبهم بنفسه .

« الى سن ادينام قل : هذا نطق حمورابي ! هكذا نطق شوما ايلو لا ايلو ... هكذا يقول : حدثت رشوة في دور جورجوري ان اولئك الذين سمحوا لأنفسهم بقبول رشي وشهود الحادث هنا ... هكذا قال : اننى أرسل لك شوما ايلو لا ايلو بنفسه ... لتقم بالتحقيق بمجرد وصول هذا الخطاب فاذا كانت هناك رشوة فلتؤخذ الفضة ، أو ما أعطى كرشوة ولتوضع في حرز مختوم وترسل الى : أما المرتشون وشهود الحال الذين سيكشف

عنهم شيوما ايلولا ايلو فليسوا اى « (١) .
وقد نزعنا أرض ايلوبانى منه وقدم صك بسند الملكية الى الملك فامر
هذا بردها الى صاحبها (٢) . ولقد شكنا أحد أهالى سيبار من أن الجيوب
التي أودعها مخزن غلال قد سرقت فاتصل الملك بـ « سن ادينام » لانهاء
هذه المسألة (٣) .

« الى سن ادينام قل : هكذا تكلم حمورابى ؟ أخبرنى
تمومو من نيبور بما يأتى : قال : لقد أودعت ٧٠ جورا
من الشعير فى مخزن فى « أونابو » وفتح « اويل ايلي » المخزن
وأخذ الشعير . . . هذا ما أخطرني به . اننى أرسل
تمومو بنفسه . استدع « اويل ايلي » واستمع اليهما وليعد
اويل ايلي الى تمومو شعيره الذى أخذه منه . . . »

وكان « ايلوشو ايقيش » (٤) قد أعاز « سن ماجير » ٣٠ جورا من
الشعير وأخذ ايصالا عنها ولكنه ظل مدى ثلاث سنوات يطلب السداد دون
جدوى . وقد أطلع الملك على الايصال فلم يكن هناك من داع لتحقيق الأمر ،
وحل الملك المشكلة بنفسه فكتب الى الحاكم يقول : « ليرجع سن ماجير
الشعير والفائدة وليعطهما الى ايلوشو ايقيش » .

ولم يكن حياة الضرائب يتعجلون تقديم حساباتهم اذ أنهم كانوا
مزارعين يدفعون مبلغا معينا الى الخزانة ويحصلون على مسئوليتهم
الضرائب المستحقة فى الناحية التى سبق أن تعاقدوا عليها . ولقد اشتهر
« شب سن » بتباطؤه فى دفع التزامه وقد طالبه الملك ذات مرة بتسديد
ما عليه (٥) . وفى مرة أخرى اعتذر بصعوبة جمع المال المستحق لمعبد
معين (٦) وأخيرا غضب حمورابى وكتب الى سن ادينام (٧) :

« اننى كنت قد كتبت اليك طالبا اليك فيما يختص برئيس الجباة
شب سن أن ترسله ومع ١٨٠٠ جور من السمن »

LXXXIX, No. 11.

(١)

Ibid No 76.

(٢)

Ibid, No. 12.

(٣)

Ibid, No. 24.

(٤)

Ibid, No. 16.

(٥)

Ibid, No. 30.

(٦)

Ibid No. 33.

(٧)

١٩ مينا من الفضة واجب عليه سدادها • وكذلك رئيس
 الجبابة سن موشتال ومعه ١٨٠٠ جور من السمس ،
 ٧ مينا من الفضة مستحقة عليه ، وأرسلها الى بابل •••
 ولكنك أخبرتنى بأن رئيس الجبابة هذين قالاً : لقد حل
 موسم الحصاد وسنذهب بعد الحصاد • - هذا ما قاله وأخبرتني
 به •• والآن وقد انتهى الحصاد فحالما ترى هذه اللوحة التي أرسلها
 لك أرسل الى بابل « شب سن » رئيس الجبابة ومعه ١٨٠٠ جور
 من السمس و ١٩ مينا من الفضة مستحقة عليه وكذلك
 سن موشتال رئيس الجبابة ومعه ١٨٠٠ جور من السمس
 و ٧ مينا من الفضة مستحقة عليه كذلك • وأرسل معها حارسك
 الأمين • وكلفهما بأن يقدمتا نفسيهما أمامي بكل ما يملكان •

ولقد تعرض موظفون آخرون للوم عتيف واستدعوا كذلك أمام
 الملك • وهذا ما حدث لـ « اتيل بى مردوك » بسبب ما اعتاده من
 ربا فاحش (١) فلقد طلب ايشاكو خاضع لأوامره أن ينقل الى خدمة
 سيد آخر (٢) ، كما شكوا أحد الرعاة من أنه فرض السخرة على رعاة كانوا
 معفين منها (٣) وكانت صيانة القنوات من أهم الأمور ليس لرى الأراضي
 وصرفها فحسب بل لأنها وسيلة للعلاقات التجارية كذلك • وكان أولئك
 الذين يعيشون على ضفافها يخضعون للسخرة تحت اشراف المحافظين •
 ولم يكن الملك ليانف من أن يعطى أوامره باستدعائهم وتكليفهم بتطهير
 القنوات في فترة يحددها (٣) • ولقد تبين له ذات يوم أن تطهير قناة معينة
 لم يتم فامر باتمامه خلال ثلاثة أيام (٥) • وكانت قطعان الملك وأراضيه
 الخاصة موضوع خطابات عديدة • وكان يتلقى عنها تقارير ويرسل
 ضباطا من رجاله لمراقبة الرعاة • وكان يستدعى الى القصر أحيانا
 ٤٧ راعيا في وقت واحد ليستقى منهم الاخبار مباشرة • وكان يهتم بجزر
 الغنم ومحاصيل البلع والبقول وتخزين الأخشاب ••• الخ •

Ibid., No. 18, 30, 73.

(١)

Ibid, No. 38.

(٢)

Ibid., No. 3.

(٣)

Ibid, No. 26.

(٤)

Ibid, No. 5.

(٥)

وقد حدث في خلال حملة ضد ايموتبال (وهو اقليم على حدود
عيلام) أن استولت الجيوش الملكية على آلهات هذه البلاد وحملتها عند
عودتها الى بابل . وطبقا للعقائد الدينية كان يجب أن تعامل هذه الآلهة
الأسرى باحترام ، وأن توضع في معابد الآلهة البابلية حتى تصبح موالية
للغزاة فيسمح لها أن تعود الى هياكلها توطئة لتسهيل الغزو السلمى
للمقاطعة التي تخضع لسلطتها الشرعية . ولقد كتب حمورابى عنها الى
سن ادينام (١) :

« ضع الالهات حالا على (مركب) مواكب وأرسلها الى بابل .
ودع العاهرات (داعرات المعابد) .

يصحبنها . ولتحمل السفين طعاما من أجل ولائم الالهات وكذا شرابا
وصغار ماشية ومستلزمات ومعدات للعاهرات حتى يصلن الى بابل .

وليعين من يعملون فى جر المركب ولتأت الالهات الى بابل دون عائق
ولا يتأخرون بل يأتين بسرعة الى بابل . « ولسنا ندرى كيف نفذ ما جاء
فى هذا الخطاب . وهناك كتاب آخر كذلك موجه الى حاكم لارسا يأمر فيه
بإعادة نفس المعبودات الى معابدها :

« قل لـ « سن ادينام » : هكذا يتكلم حمورابى : أن

الهات « ايموتبال » اللواتى تحت رعايتك سوف تحضرها

جيوش « انوحسامار » لك تحت حراسة قوية وحين تصل

اليك ضم هذه الجيوش الى جيوشك وأعد هذه الالهات

الى هياكلها » (٢)

وقد شكّا « لالو » الى ساموايلونا ، خليفة حمورابى من حاكم كان
يدعى حقوقا على محصول من متعلقات « ايلكو » واستولى عليه . وكانت
اللوحة فى القصر . وكان المدعى فى الواقع صاحب حق استثمار عدد
٢ جان من الأرض . فأرسل أمر الى سن ادينام (٣) للتحقيق وأن يلام
الحاكم ان كان قد أعطى سلفة على رهن هذه الأرض .

Ibid, No 34.

(١)

Ibid, No. 45.

(٢)

Ibid, No 6.

(٣)

وكان هناك في ذلك الوقت نظام خاص بصيد الأسماك . وكانت كل ناحية تحتفظ لنفسها بحقوق معينة في حدود أراضيها تعويضا عما يؤدي من أعمال خاصة بصيانة القنوات وتطهيرها . وحين تلقى « سامسو ايلونا » شكاية أعطى الأمر التالي (١) :

« الى سن ادينام . . . قل ل « كارسنيبار » وقضاة سيبار :
هكذا يقول سامسو ايلونا : لقد وصل الى علمي أن
قوارب الصيادين تنزل الى نواحي ، رابي » و « شامكاني »
تصيد سمكا هناك . لذلك فأنني ارسل ضابطا من
ضباط « بوابة القصر » وحين يصل اليك استدع قوارب
الصيادين التي تصيد سمنا في نواحي رابي وشامكاني
ولا تسمح مرة أخرى بأن تنزل قوارب الصيادين الى نواحي
رابي وشامكاني » .

ويشهد خطاب ل « أمي ديتانا » محفوظ في اللوفر (٢) بعادة القيانم
بطقوس شهرية للموتى :

« قل ل « شوما ايلوم بن ادين مردوك »
هذا ما يقوله أمي ديتانا : لا يوجد اللبن والزبد
اللازمان للتقدمات الشهرية لشهر آب . فبمجرد وصول
لوحتي هذه اليك دع خادمك يأخذ ٣٠ بقرة ،
٦٠ قاهن الزبد ويأتي الى بابل . ودعه يحضر لبنا
حتى تنتهي التقديمات الجنازية . ولا تدعه يتأخر بل دعه
يأتي سريعا »

وهناك خطاب آخر من « سامسو ديتانا » (٣) يكشف عن ظروف
اضطراب الأمن خلال أخريات عهد الأسرة الأولى :

« بالاشارة الى ما كتبته الى قائلا عن الحبوب التي تنمو في
مقاطعه سيبار - ياروم وأنه ليس من الصواب

Tbid, No. 80.

XXIV, p. 160.

Ibid, p. 161.

(١)

(٢)

(٣)

أن تترك في الحقول تحت رحمة جند الأعداء . . . إلا
فليسمح سيدنا بإعطاء الأمر بإرسال تعليمات إلينا
لنفتح بوابة شماش ونقل هذه الحبوب إلى المدينة .
هذا ما كتبته لي . . . وبمجرد جمع الحبوب من كل الأراضي
فلتفتح حالا بوابة شماش وحتى يتم ادخال الحبوب
هناك فلتستمر جلسات القضاة منعقدة ولا تدعهم يهملون
حراسة البوابة » .

أما الخطابات الشخصية التي تعالج شئوننا خاصة فهي غامضة ، لأننا
لا نعرف شيئا عما وراء نصوص اللوحة نفسها . ونصها في أغلب الأحيان
مقتضب جدا ومحشو بالإشارة إلى أمور يعرفها المرسل إليه ونجهلها نحن .
فهناك فلاح أغار العدو على ماشيته يسأل مولاه أن يزوده ببقرة وهو
يرسل له خمسة شواقل من الفضة ويعد بدفع باقي الثمن حين يتسلم
البقرة .

« إلى سيدي قل - هكذا يقول « ايجاتوم » خادمك :
كما علمت ياسيدي استولى العدو على ماشيتي .
انني لم أكتب اليك من قبل والآن أطلب تحرير
خطاب اليك ياسيدي . أرسل لي ياسيدي بقرة
صغيرة وسأزن وأرسل لك خمسة شواقل ياسيدي !
أرسل البقرة الصغيرة مع أخي إيلي إقيشام ولكي
يوافق مولاي بدون تأخير ويرسل لي البقرة الصغيرة
فانني سأزن في الحال وأرسل لك ١٥ شاقلا من الفضة ياسيدي » .
وكان أريب سن ، ابني نابو شريكين في عمل من الأعمال . وطلب
الأول من الأخير أن يدفع ١٤ شاقلا إلى المدعو « شماش بل إيلاني » وأجابة
الأخير بأن يأخذها من مبلغ الـ ١/٢ مينا من الفضة السابق تسليمها إلى المدعو
« واران إيليشو » (١) .

« أما فيما يختص بـ « واران إيليشو » ابن « ابني ديارا
فانني سلمته ١/٢ مينا من الفضة واعترف بذلك كتابة

بحضور شهودى • وقد ذهب الى آشور ولم يدفع المال
الى « شماياتو » • وقد تقابل « شماياتو » معى فى داجانا
وتناقشنا فى هذا الموضوع وقلت له : « لقد أرسلت لك
النقود مع واران ايليشو » فأجاب قائلا : « ان كان
واران ايليشو قد دفع النقود بالابل • • • »
اما فيما يختص بما كتبتة عن ال ١٤ شاقلا الخاصة
« بشماش بل ايلانى » فاننى لم أدفع له النقود • اقبض
على واران ايليشو والزمه بأن يزن الفضة بفائدة أكثر
أو أقل وخذ من هذا المبلغ ١٤ شاقلا وأرسل الى الباقي •
وهناك رجل ألقى فى السجن منذ خمسة شهور يشكو تعاسسته
ويلتمس من مولاه بأن تيسر له سبل العيش (١) :
« أرسل الى نصف مينا من الفضة أو ٢ مينا من الصوف
لاستعمالها الى ألا لا يرجع ما رابوللى فارغ اليدين •
ان رجع خاوى الوفاض فان الكلاب ستنهشنى
انه لم يلق بى فى السجن من أجل سطو أو اقتحام منازل •
أنت تعلم يامولاي كما يعام كل أهل سيبار وبابل
لقد أرسلتني يامولاي عبر النهر بزيت فهاجمنى السوتيون
وسجنت • • • لتقل كلمة فى مصلحتي لاختصاص « اباراكو » الملك
أرسل الى شيئا حتى لا أموت فى بيت البؤس • أرسل الى
« قا » من الزيت وه قا من الملح • ان ما سبق أن
أرسلته الى لم يسلم الى » •

وقد وصلتنا عن طريق الحفائر فى نيبور خطابات موجهة الى الملوك
الكاسيين ومراسلات بين الموظفين فى القرنين الخامس عشر • والرابع عشر
وهناك مذكرة بغير امضاء تبين أن طريقة مسك حسابات المعابد والضياع
الواسعة ظلت معقدة كما كانت منذ البدء (٢) •

Ibid, p. 331.

(١)

XXV, t. XVII, 76.

(٢)

« هكذا يقول أبوك : أعط وجهك - كن عطوفا وأرسل بأسرع ما يمكن التقرير الى « رئيس الشعير » حتى أستطيع أن أرسل تقريراً من عندي ... »

وكان الأمر يتصل بحسابات أمراء أو صوامع مختلفة في عهدة نفس الموظف وكان على كل حارس أن يقدم قائمة بالسلع حتى يستطيع عمل القائمة الاجمالية التي ترسل الى السلطة الرئيسية . وقد بدأت تظهر اذ ذاك اصطلاحات « أب » و « أم » بمعنى « رئيس » واصطلاح « أخ » بمعنى زميل أو صديق أو نذ : تلك الاصطلاحات التي انتشرت استخدامها في الرسائل الكتابية في عهد الدولة الحديثة .

وهناك آخر يشكو من خطأ : انه كان قد طلب بعض الأواني وأرسل له تبين بدلا منها (١) ، كما نرى السيدة « انبي ايرى » تكتب الى رئيس حراس المخازن لمعهد نيبور وتأمره أن يسلم كمية معينة من الشعير :

« الى اينانى قل : هكذا تقول انبي ايرى :

أعط ادين زجال ٣ جور من الشعير .

لاتعاملنى معاملة لاتنطوى على روح المودة ولكن

— كما قلت له — دعه يأخذ ويحضر هذا الشعير .

أما فيما يختص بضمانه الناس فارسلها الى سن ايساهارا

وأرسل الى « دينى » ابنة « ايبا » ٤ جور من الشعير ،

وكان الملك غالبا ما يحكم فى القضايا بنفسه كما كانت الحال خلال عهد الأسرة الاولى :

قل الى اديل مردوك : هكذا قال الملك :

هكذا يقول الى اديل مردوك : ان « ابريش نادين شوم »

ابن « اباى » الذى افترى على هانيبى ودامجو بن ...

الذى افترى على سن ... أحضره أمامى (٢) .

وكان اديل مردوك هذا رئيس شرطة نيبور أيام حكم « شاجاراكى شورياش » (حوالى ١٢٧٠ ق م) ويبدأ امجوروم تقريراً مقدماً الى

Ibid. 76.

(١)

Ibid. 45.

(٢)

الملك « بورنا بورياش » عن الشئون التي تحت رعايته على الصورة التالية :

« خادمك امجوروم • ألا أستطيع أن أحضر أمام سيدي ؟
تحيات الى بيت مولاي ! » .

ثم يصف حالة العمل في مختلف المباني الجارية بناؤها بعضها من اللبن والبعض الآخر من الآجر ثم يشير الى عدم وصول الصوف من « بعل أوساعتوم » ويبين كيفية توزيع الصوف الذي تسلمه ويلتصم من الملك أن يرسل بعض الصوف ما دام لا يستطيع الحصول على شيء منه في دور كوريجا لزو ويقرر أنه « لا يجد لذة في هذه الوظيفة » ثم ينهي خطابه بأن يطلب الإفراج عن النساجين المسجونين في بان بالي • وكان قد تحدث الى الملك من قبل وكتب اليه ثلاث مرات في هذا الشأن دون أن يتلقى جوابا •

وهناك شخص آخر يدعى « كالبو » (١) يصف نفسه بأنه متواضع كالتراب وخادم محب لمولاه ويبدأ خطابه بهذه الجملة :

« الى مولاي الرائع في بهائه ذي الأصل السماوي ، القوي ،
الجبار ، العاقل ، ضوء اخوانه الذي بضئ مثل الفجر ،
هادئ السادة الجبابرة والمرعبين ، قوت الشعب ،
مائدة النبلاء ، بطل عشيرته ، ذلك الذي منحه أنوار
وانليل وايا وبعليت ايلي اقطاع النعمة والعدل •••
الى مولاي أقول : هكذا يتكلم كالبو التراب والخادم الذي يحبك » .

كان هذا المتملق حاكما على « مانوجبر رمان » واجتاحت مقاطعته ••• اجتاحتها « أمطار السماء وأمواج الهاوية » ••• حطم الفيضان البوابات وقضى على قطيع من النعاج عمرها عامان ولم يبق شيء لغذاء السكان • وبعد أن يعرض بعض الشئون الأخرى نراه ينهي خطابه ملتصقا زدا عاجلا •

ومن العصر نفسه فإن المجموعة التي لاتقدر من خطابات تل العمارنة تلقي ضوءا قويا على سياسة الامبراطوريات الشرقية وسياسة مصر في كنعان وفي عمورو وهي أقطار كان يطمع فيها دائما جيرانها الأقوياء ليس لأنها كانت أقطارا غنية فحسب بل ولأنها أيضا كانت الطريق التجاري

الوحيد الذى يهبط من بلاد بابل واشور ومن المملكة الحيثية نحو
امبراطورية الفراعنة . وليس خطاب « خاتوسيل » ملك الحيثيين الى
« كاداشام - اليل » ملك بابل (١) بأقل قدرا أو أهمية فى المعلومات التى
يقدمها لنا عن العلاقات بين البلدين .

ويحمل خطاب بابل من القرن السابع - كتبه ملك آشورى - أمرا
بالبحث عن وثائق قديمة كان يحتاج لنسخ منها لمكتبته . وهو يعطى لمحة
واضحة عن الطرق التى كان يتبعها آشور بانيبال فى تكوين مجموعة
كبيرة من النصوص فى قصره فى نينوى :

« أوامر الملك الى شادونو . . . أنا بخير . . . ليسعد قلبك
فى اليوم الذى تقرأ فيه لوحتى ، خذ « شوما » بن « شوموكين »
وأخاه « بعل اتير » و « ابلا » بن « أركات ايلانى » وصناع
بورسينا الذين تعرفهم . . . خذهم فى خدمتك وابحث عن
كل اللوحات التى فى منازلهم وكل اللوحات المودعة فى « أزيدا » ولوحات
تمائم (٩) الملك والأنهار والحرائق (٩) وشهر نيسان وال . . . الأنهار
وشهر تشريت ومنزل الرش وال . . . الأنهار (٩) واحصاء الأيام
وأربع (٩) تمائم وسادة سرير الملك و . . . الملك
وسلاح « ارو » لسادة سرير الملك ورقية « ايا ومردوك الحكمة التى
يباشرانها واجتماع . . . وقصص المعركة وكل ما هو كائن مع
اللوحات الكبيرة مما هو هناك ، (والمجموعة) : « لا تدع (السوء)
« آس مى جى » يقرب الرجل .
الذاهب الى الحقول (أو) الداخلى الى القصر » . وابحث عن
النصوص الخاصة

بالطقوس ورفع الأيدى والنقوش على الحجر وكل ما يفيد جلالتي
و (مجموعة) تطهير

المدنية (٩) كلها وكل ما فى القصر خاصا « بالكروب والحاجة
الملحة ، وكل اللوحات

الشمينة فى منازلكم (الخاصة) غير الموجودة فى آشور . . . ابحث

(١) قارن ما ذكر قبلنا فى صفحة ٥٦ .

(عنها) جميعا وأرسلها الى • ولقد كتبت فورا الى الوكيل والضابط •
 وضعها في مخزنك • لا تدع
 أحدا يرفض اعطاء لوحة لك • وإذا وجدت لوحة أو نصوص خاصة
 بالطقوس لم أكتب لك عنها
 وتري أنت أنها ذات نفع لقصرى فخذها وأرسلها الى (١) •

٤ - المقاييس والموازين

هناك تماثلان من بين تماثيل جوديا المحفوظة في اللوفر يرى فيهما
 الايشاكو جالسا وهو يمسك على ركبتيه لوحة تستقر فوقها مسطرة
 مدرجة : لعلها المقياس الوحيد لدينا لتقدير الأطوال في الألف الثالثة •
 وأحد النموذجين كامل وببعد أقصى خدشين فيه عن بعضهما بمسافة
 ٢٦٤٥ سنتيمترا وأحد المقياسين مقسم الى ١٦ جزءا متساويا أربعة منها
 مقسمة الى جزئين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أجزاء • أما الآخر
 فمقسم كذلك الى ١٦ قسما متساويا من بينها اثنان مقسمان الى ١٢ و ١٨
 جزءا • والتماثيل أصغر قليلا من الحجم الطبيعي ولسنا ندرى على وجه
 التحقيق أتمثل المسطرة مقياسا حقيقيا أم هي مصغرة وتمثل مقياسا
 للرسم فقط (٢) وهناك دلالات أخرى أهمها أحجام طوب البناء مما يسمح
 لنا باعتبار الأقسام كأنما يساوى كل منها كسرا من وحدة الطول المعمول
 بها في هذا العصر • وهذا الكسر الجزئي لا يمكن أن يكون سوى الأصبع
 وهو $\frac{1}{3}$ من « المقياس » أو الذراع المستعمل في لجش منذ عصر ما قبل
 السرجونية • والذراع يساوى على وجه التقريب $\frac{49}{3}$ سنتيمتر (٣) •

أما كسور الذراع ذي ال ٣٠ اصبعاً فهي « المقياس » أو القدم ذو
 العشرين اصبعاً و « اليد المفتوحة » ذات الخمس عشرة اصبعاً و « يد البناء »
 ذات عشر الأصابع وأخيرا الاصبع • ومضاعفاته هي : « القصبية » وتعادل
 ست أذرع و « الشاخص » ويعادل ١٢ ذراعا و « التسوبان » ويعادل ٦٠
 ذراعا وشريط المساح ويعادل ١٢٠ ذراعا •

LVIII, p. 19.

(١)

LXX, pl. 15.

(٢)

V, t. XVIII, No 3.

(٣)

والجدول التالى يبين قيم هذه المقاييس بالنظام المترى :

الاصبع	=	٠.١٦٥ ر	متر
يد البناء	=	١٠ أصابع	= ٠.١٦٥ ر
اليد المفتوحة	=	١٥ أصبعا	= ٠.٢٤٧٥ ر
القدم	=	٢٠ أصبعا	= ٠.٣٣٠ ر
الذراع	=	٣٠ أصبعا	= ٠.٤٩٥ ر
القصبية	=	٦ أذرع	= ٢.٩٧ ر
الشاخص	=	١٢ ذراعا	= ٠.٩٩٤ ر
نصف الشريط	=	٦٠ ذراعا	= ٢.٩٧٠ ر
شريط المساح	=	١٢٠ ذراعا	= ٥.٩٤٠ ر
الفرسفن	=	١٨٠ شريطا	= ١٠.٦٩٢ ر

ومنذ الأسرة الثالثة البابلية نجد مقياسا ثالثا أو ذراعا طوله ٤٥ اصبعا وكان يسمى « بالمقياس الطواف » أو الذراع الكبير ويعادل $\frac{1}{4}$ متر تقريبا (١) ولقد أمكن تحقيق هذه التحديدات بمقارنة مقاييس سيجورات بابل التى تقدمها لنا لوحة من عصر السلوقيين مع المقاييس الصحيحة التى عملت لاطلال هذا الأثر حين الكشف عنه .

وكانت وحدة المساحة فى الألف الثالثة هى ال « سار » (ربع الفدان) وهو مربع طول ضلعه شاخص وأجزاؤه $\frac{1}{4}$ و « القمحة » التى تعادل $\frac{1}{4}$ ال $\frac{1}{4}$. وأما مضاعفاته فهى : ال « جان » أو الحقل ذو ال ١٠٠ سار ثم ال « بور » ذو ١٨ جان وتحقيق هذه المساحات بما يقابلها من مقاييسنا الحديثة هو :

القمحة	=	٠.١٩٦ ر	سنتيمترا مربعا
	=	٥٨٨ ر	»
ربع الفدان	=	٣٥٢٨٣٦ ر	»
الفدان	=	٣٥٣٨٣٦ ر	آر
البور	=	٦٣٥١٠٤٨ ر	هكتارا

وقد ظهر مع الكاسيين مقياس مساحى جديد يرتبط بمقياس الجديد . وكما أن هناك ذراعا كبيرا يرتبط بالخطوة المعادلة ل ٧٥ سم

وهو $\frac{3}{4}$ الذراع المعتاد ، فاننا نجد الأمر كذلك بالنسبة للأراضي التي تسمح بـ « الحان الذي يقاس بالذراع الكبير » وهذا الحان أو الحقل الذي ظل ثابتا موافقا مع لجان القديم حتى سقوط بابل كان مقياسه ٧٩٣٨٨١ آر ونسبته الى الحان الآخر كنسبة ٩ : ٤ ، أما وحدة مقياس الأحجام فكانت $\frac{1}{16}$ من الذراع المكعب وتعادل ١٧٤٦٥ رمترا مكعبا وأجزاؤها الـ « جن » أو الـ $\frac{1}{64}$ (١) .

والوحدة الأساسية لقياس المكاييل كانت الـ « قا » ويعادل $\frac{1}{128}$ من الذراع المكعب أو حوالى ٨ر٤٢ ديسيلتر . وكان هناك تقسيم للمكاييل السوائل قال « جن » أو الـ $\frac{1}{64}$ الذى يذكر كثيرا فى لجش فى عصر أور فى تعيين كميات الزيت التى تعطى لمناسبة مآدب الموظفين المرتجلين الى جانب مكيال آخر هو الـ « أجام » الذى يظهر انه كان يساوى ٥ جن أو $\frac{1}{16}$ قا . أما مضاعفاته فـ « الوعاء الصغير » سعة ٥ قا و الـ « نجن » سعة الـ ١٠ قا و الـ « دج » أو الوعاء سعة ٢٠ قا فى عصر ما قبل السرجونية - وكان الوعاء يعادل ٣٠ قا فى عصر أسرة أجاده ب ثم الـ « سادوج » أو « الحجرة » سعة ٣٠ قا ، ثم الحجرة المزدوجة ثم الـ « أدايا » سعة ٣٠٠ قا .

وقد عرفت المكاييل للمواد الجافة سعة ٦ ، ٣٦ ، ٧٢ ، ١٤٤ قا فى عصر لوجالاندا وأورو كاجينا . والمكيال الأخير يسمى الـ « جور سجال » وكان له كذلك مضاعف يعادل حجمه ٣٦٠٠ مرة . وقد ظل مستعملا حتى عصر أور ولكن كان هناك فى نفس الوقت مكيال آخر هو الـ « جور » سعة الـ ٣٠٠ قا (٢٥٢٦ لترا) الذى سمى فيما بعد جور أجاده أو الجور الملكى . وقد ظل استعماله قائما حتى عصر الأسرة الثالثة حين حل محله الجور سعة ١٨٠ قا (حوالى ١٥١٥٦ لترا) .

أما وحدة الوزن فكانت الـ « مينا » وزنتها $\frac{1}{60}$ من الذراع المكعب من الماء وليس من الـ « قا » التى كانت $\frac{1}{128}$. وكانت المينا مقسمة الى ٦٠ شاقلا وكانت كل ٦٠ مينا تعادل « وزنة » . وهناك عدد من الأوزان البابلية والأشورية والعلامية استطعنا عن طريقها أن نحدد وزنة المينا بحوالى ٥٠٥ جرامات . وكانت المينا مقسمة فى الألف الثالثة الى ٦٠ شاقلا والشاقل الى ١٨٠ قمحة . وكانت كل ٣ قمحات تعادل شاقلا صغيرا وكل ٦٠ تعادل « مينيت » وكل ٩٠ نصف شاقل وكل ١٢٠ مينيت مزدوجة وهذا هو الجدول :

(١)

القنطرة	٠.٤٦ ر	جراما
الشاقل الصغير	١٤٠ ر	«
المينيت	٢٨٠٥ ر	«
نصف الشاقل	٤٢٠٨ ر	«
المينيت المزدوجة	٥٦١١ ر	«
الشاقل	٨٤١٦ ر	«
المينا	٥٠٥ ر	«
الوزنة	٣٠٥٠٥ ر	كيلو جراما

وكان الشاقل يقسم في العهد البابلي الجديد الى $\frac{1}{4}$ ، $\frac{1}{3}$ ، $\frac{1}{2}$ ، وكان اسم الأخير هو ال « أوبول » ويعادل ٣٥ سنتي جرام . وكان السومريون يسمون محيط الدائرة الى ٣٦٠ درجة بكل منها ٦٠ دقيقة وقد ظل هذا التقسيم قائما رغم عدم تكافؤه مع النظام المترى . ويظهر انه لم تكن به قابلية للتقسيم الى درجات (Grades) لتسعين كثيرة بعد ذلك .

كيف توصل السومريون القدماء الى اختراع الطريقة الستينية للعد . ان أسماء الأعداد نفسها تقدم لنا الإجابة : فهم من أول الأمر لاحظوا الأصابع الخمس لليد وبدءوا في العدد : أش (١) ، من (٢) ، اش (٣) ، لمو (٤) ، أى أويا (٥) ولما كان العدد ٥ غير كاف كما هو واضح فانهم زادوا في الترقيم بالاضافة الى الأربعة الأولى وهذا يعطينا أش (ياش) (٦) ، ايمين (اى - مين = ٧) ، أوشو (اى - اش = ٨) ، ألمو (اى - لمو = ٩) . وللمجموعة الخمسة اخترعوا اسما جديدا جعلوه وحدة جديدة أعلى هي العشرة « أو » (١٠) وضعفها ٢٠ المسماة نش (٢٠) . ومن هاتين التسميتين للعشرات صنعوا مركبات تعنى أربعة أمثال هي : أوشو (أوش أو ثلاث عشرات = ٣٠) ، نيمين (نيش مين = عشرين = ٤٠) ، نينو (أو = عشرين + عشرة = ٥٠) أما الستون فجعلوها لها اسما جديدا هو « جش » .

وكان أعلى الأحاد المربع والمكعب والقوة الرابعة ل ٦٠ . وكانت ستون مربعا تسمى سار (٣٦٠٠) وكانت القوة الرابعة (١٢٩٦٠٠٠٠) تسمى « بالسار العظيم » أو « السار العظيم الذى لا تدركه الحواس » .

وكانت الأرقام تطبع أولا على اللوحات بواسطة قلمين مستديرين فى القاعدة لكل منهما قطاع نصف قطرى يختلف عن الآخر . وبضغط الدائرة

الصغرى بانحراف على الطين نستطيع الوصول الى ما يشبه نصف دائرة ممدودة تمثل الوحدة . وكان اثنان أو ثلاثة تصنع عن طريق تكرار هذه الوحدة على نفس الخط . ثم - ابتداء من ٤ - كانت ترتب الأرقام في صفين لتسهيل عملية القراءة وحين الوصول الى ٩ كانوا يفضلون كتابة (١٠ - ١) وكانت علامة الناقص يشار اليها بزاوية قائمة متجهة نحو العدد المطروح منه وكانت هذه العلامة كثيرة الاستعمال بقصد تجنب الخطأ ولتسهيل الكتابة : ولذا فاننا نجد أن رقم ٧ يكتب « ١٠ - ٣ » ونجد مبلغ ٥٦ شاقلا من الفضة يكتب « ٣ مينا - ٤ شاقل » .

أما العدد للعشرات فكانوا يصلون اليه بنفس القلم حين يمسك عموديا وليس مائلا حتى يتروك دائرة تامة . وأما العشرات بعده ٣ فكانت ترتب في صفين كالآحاد .

وكانت أعلى وحدة وهي الستون تختلف عن العدد ١ بحجمها الأكبر وكانت تصنع بواسطة قلم كبير يستعمل مائلا . أما علامة عشرة ستينات فتعمل على شكل نصف دائرة تمثل ٦٠ مع الدائرة الصغيرة التي تمثل ١٠ منقوشة بداخلها أو متقاطعة مع حافتها وكان السار (الستون المربعة) يرسم بالقلم الكبير ويكون دائرة كاملة . ولتبيين عشرة من السار (٣٦٠٠٠) كانت تطبع الدائرة الصغيرة في وسط الدائرة الكبيرة وكانت ترسم ٤ خطوط صغيرة على شكل × مقاطعة للشكل المذكور وذلك لتشير الى مكعب ال ٦٠ .

وقد اخترعت منذ زمن بعيد علامات الكسور وكانت علامة الوحدة داخل ٩٠ درجة الى اليمين تقسم بواسطة خط صغير لتشير الى كسر الـ $\frac{1}{4}$ أو تصحب بزاوية لتمثل الـ $\frac{1}{3}$ أما الكسور أكبر من $\frac{1}{4}$ فقد استخدمت لها بعض اصطلاحات ، ف « ايجى - ٣ جال » = $\frac{1}{4}$ ، « ايجى - ٤ - جال » = $\frac{1}{4}$ ، « ايجى - ٥ - جال » = $\frac{1}{4}$ وهكذا .

ولبيان المساحات كان الـ « جان » أو الفدان يمثل بوحدة وأما ٦ جان وتعاادل ٦٠٠ سار فتمثل بالعدد ٦٠٠ والبور من ١٨ جان برقم ١٠ وأما ١٠ بور فبنفس العدد تقطعه ٤ خطوط على شكل × وكانت ٦٠ بور تبين على شكل دائرة كبيرة وأما ٦٠٠ بور فدائرة صغيرة داخل أخرى أكبر منها وأما ٣٦٠٠ بور فبنفس الشكل تقطعه علامة × المكونة من أربعة خطوط صغيرة .

ومع الجور كمكيال استعملت الأعداد العادية للحساب وهي ١٠، ١، ٦٠، ٦٠٠ وكانت الوحدة الراقدة على الجانب الأيمن تشير الى الجور . وقد تكرر الى أربع مرات وكان نفس العدد اذا قطعه خطوط ما بين واحد وخمسة يمثل من — الى — من الجور على التوالي .

ومنذ عصر لوجالاندا لا نجد الكاتب يستعمل دائما القلم بالقطاع الدائري لكتابة الأرقام وكان يستعمل أحيانا القلم المثلث الذي كانت ترسم به العلامات الأخرى وحينئذ كان يستطيع عمل مسامير مائلة بدلا من الدوائر ومسامير قائمة بدلا من أنصاف الدوائر .

وقد ظلت الطريقتان تستعملان جنبا إلى جنب حتى عصر ملوك أور حين اختفت الطريقة الدائرية ولم تبق سوى الطريقة المسماة . وفي النصوص التي تستعمل فيها الطريقتان معا نجد أن ذلك لم يكن في أغلب الظن يرجع إلى الصدفة أو إلى مزاج الكاتب « لقد كانت الواحدة من الأثنين تستعمل عادة لهذا النوع أو ذاك من الحساب ولكنها تستبدل بالأخرى حين يراد إحداث تمييز من شأنه أن يساعد على وضوح النص كما نستعمل نحن الحروف الكبيرة لنفس الغرض » (١) .

ويظهر أن مسح الأراضي كان نظاما وطيد الأركان قبل أن تصبح مصائر لأجش في يد لوجالاندا وأوركاجينا بزمان طويل ، ذلك لأن القوم هناك كانوا يرسمون تخطيطات ذات أرقام وكانوا يستطيعون أن يحسبوا مساحة الأراضي مهما بلغ من عدم انتظام شكلها وكانت للسوميريين صيغة لإيجاد مساحة المثلث والمنحرف والأشكال ذات الجوانب الأربعة غير المنتظمة وكانوا يقومون برسم صورة مساعدة تقاس بسهولة ثم تضاف إليها مساحة ما يقع خارجها لحساب الشكل ذي الزوايا والأضلاع الكثيرة العدد .

كانت القصبة ذات ست الأذرع هي الوحدة الطولية للمساح وطولها ٢٩٧ مترا وكانوا يتجاهلون عند قياس الحقول كل طول يقل عن القصبة كما كانت تحذف كذلك كل مساحة تقل عن $\frac{1}{4}$ جان وكان الخطأ الناتج لا يتجاوز (٥٠ : ٤) آر . وفي حالة الأراضي المستعملة كحدائق ، فإن وحدة المساحة كانت السار وهو $\frac{1}{4}$ من الجان وذلك لارتفاع قيمتها وصغر حجمها وكانوا يتجاهلون الكسور الأقل من $\frac{1}{4}$ سار وكان تجاوز الخطأ في حدود ٩ سنتيمتر وأما في أرض المبانى فإن القصبة لم تكن تصلح لذلك الأمر فاستعاضوا عنها بالذراع وكانت المساحة تعد صحيحة إلى $\frac{1}{4}$ من السار أو ما يعادل ٥٨ ديسيمتر مربع .

وقد خلف لنا مانشتوسو ملك أجاده ما ينبىء عن شرائه لضياع واسعة سجل أمرها على مسلة ولعل أكبرها جميعا كانت تحتوى على ٣٨٣٤

جان أو أكثر بقليل من ١٣٥٢ هكتارا وكانت الحدود تذكر أحيانا وإن كان يغفل أمرها في غالب الأمر . وليست هناك تفصيلات عن تحديد المساحات بل اقتصر على ذكر أن هدايا أعطيت للمساكين (١) .

وقد كشف حفائر تملو عن عدد كبير من مستندات المساحة من عصر أجاده إلى عصر أور (٢) وبعضها يقدم بالتفصيل حساب الوضول إلى مساحة الحقول : من طول جوانب للمستطاح الإضافي والأجزاء التي تضاف أو تخصم والمساحة الحقيقية للأرض التي تقاس . وفي بعض التصنيفات الأخرى يوجد منها ما هو خاص بالمنازل والمدن والأراضي المقسمة إلى قطع والأراضي التي تخترقها قنوات ولم تعد وحدة القياس هي القصبة ذات ست الأذرع بين الشاخص ذو ال ١٢ ذراعا الذي كان مربعه يعادل السار تماما (٣٠٢٨ سنتير) وهو $\frac{1}{2}$ من الجان وهكذا نجد على لوحة واحدة من أجاده (٣) قطعتين من الأرض بالتحديد التالي :

٢٠ من الأمام (مزدوج) ١٨٠ من الجانب (مزدوج) حقل مساحته ٢ بور
١٧ من الأمام (مزدوج) ١٨٠ من الجانب (مزدوج) حقل مساحته ١ بور
 $\frac{1}{2}$ جان $\frac{1}{2}$

ذلك لأن $20 \times 180 = 3600 = 260$ ومن الناحية الأخرى من المعادلة
٢ بور = ٣٦٠٠ سار فوحدة الطول هي على ذلك جانب السار أي الشاخص
أما بالنسبة للقطعة الثانية فإن مساحة ما هو أقل من $\frac{1}{2}$ الجان كان يهمل
كما هي الحال في عصر ما قبل السرجونية . وما دام حاصل ضرب
١٧ شاخصا \times ١٨٠ شاخصا يعادل ٣٠٦٠ شاخصا مربعا أو سار فإن هذا
يعنى $\frac{1}{2}$ بور ونصف جان و ١٠ سار .

ولم يتخلوا عن استعمال السطوح ذات الجوانب في عصر حمورابي (٤)
وكانت أرض البناء تقاس مضبوطة إلى $\frac{1}{2}$ من السار أو ١٤٧ ر . مترا .
وقد أدخل الملوك الكاسيون تجديدات على مقاييس الأراضي أو بمعنى
أدق على صيغ العقود . وبينما نرى « مانشتوسو » يشتري قطعة من
الأرض مساحتها عدد معين من الجان قيمتها في أول الأمر مقدرة بالشعير
ثم محولة إلى نقود ، نجد أن « كاشتلياشو » ، « نازيما رذنا شي » والأمراء
الآخرون من أسرهم لديهم أملاك يتبادلونها حسب اتساعها بـ « أجوار »
من الشعير وكان الجور منها يساوي ٣٠ ق للذراع الكبير . ومن الواضح

XVIII, t. II.

LXXV, pl. 63 à 68 et 150.

XIX, No 2923.

LXXI et XLVI.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

أن هذه الكمية الصغيرة من الحبوب تمثل من الناحية التقليدية البذور المستعملة .

وقد ظلت هذه الطريقة الجديدة فى تقدير الأراضى قائمة حتى نهاية عهد الامبراطورية البابلية الجديدة رغم اختلاف النسب .

ولقد أدخل الكاسيون كذلك طريقة جديدة لحساب ما لديهم من طوب . وكان المتبع منذ عصر أجاده أن تقاس جوانب الكومة ويسجل الكتاب الارتفاع وطولها وعرضها . وبدأ منذ الأسرة الثالثة الأحصاء بالوحدات وظلت هذه هى القاعدة خلال حكم نابونيد وأرتكرسيس الأول .

٥ - النقود

لم يعرف البابليون النقود حتى الاحتلال الفارسى وكان الشعير فى العصور القديمة واسطة التعامل وأضيفت اليه قبل الألف الثالثة سبائك من النحاس والفضة ومن ثم كان الشعير والفضة معيارين لتحديد بهما قيمة كل شيء .

وكانت العلاقة بينهما تختلف وعلى ذلك كانت التقاليد والعادات تفرض عمل الحساب فى بعض الظروف بأحد المعيارين لأيهما وهكذا نرى أن أجور الموظفين الملكيين فى عصر حمورابى شأنها فى ذلك شأن الأجور الزراعية كانت تحسب شعيرا وإن الصناع والقلافى ضاربى الطوب والبنائى والتجارى كانت تدفع أجورهم فضة شأنهم فى ذلك شأن المعمارين والأطباء .

ولعل من الطريف أن نتابع التغيرات التى طرأت على قيمة المواد الرئيسية للمعاملة التجارية من البدء حتى نهاية الامبراطورية ولكن ما لدينا من معلومات غير كاف ولا يسمح لنا بالقيام بأحصاء فى هذا الشأن . ولدينا « سن جاشيد » ملك أوروك الذى تمنى أن يمتد حكمه سنين عديدة مليئة بالخير (١) وأن يكون فى الاستطاعة الحصول على ٣ جور من الشعير و ١٢ مينا من الصوف و ١٠ مينا من النحاس ، ٣٠ قا من الزيت

مقابل شاقل من الفضة ومعنى هذا أنه يتمنى أن تبلغ قيمة الفضة ٦٠٠ حرة وزنها من النحاس أو ٧٢٠ مرة وزنها من الصوف . والواقع إن الأثمان كانت مرتفعة عن ذلك فمثلا نرى أن الصوف كان يبلغ ضعف الثمن المذكور والزيت ثلاثة أمثاله في عصر « اميد يتانا » و « أميزادوجا » . وكان سعر الشعير غير ثابت خلال السنة فكان ثمنه يتضاعف أحيانا : وكان يساوى في الشهر الرابع خلال حكم أميزادوجا ١/٢ شاقل للجور بينما يرتفع في نهاية العام - قبل الحصاد بقليل - إلى أكثر من ٣ شواقل . وقد قدرت قيمة الذهب في بعض النصوص من مختلف العصور : فكان يساوى ثمانية أمثال وزنه من الفضة في عصر أجاده ووصل إلى نسبة ١٠ : ١ في السنة الثامنة (٨) من حكم بورسن ثم هبط إلى (٧) في زمن « جميل سن » و ٦ : ١ في السنة الخامسة والثلاثين لحومورابي ثم ارتفع مرة أخرى إلى ١٢ : ١ في السنة الحادية عشرة من حكم نابونيد .

٦ - التقويم (النتيجة)

بعد اليوم الذي فرضته الطبيعة على البشر كان أول مقياس للزمن اعتمدته السوميريواكاديون هو الشهر القمري . وقد نظموا بداه بظهور الهلال في السماء وكان يستمر حتى ظهوره مرة ثانية . وما زالت هذه الطريقة التجريبية مستعملة في البلاد الإسلامية لتحديد نهاية رمضان شهر الصوم . ولقد كان الأمر كذلك عند اليهود فكانوا حتى عام ٣٦٠ الميلادى حين أنشئت نتيجتهم الحالية يحددون بهذه الطريقة بدء نيسان شهر عيد الفصح . وكان ظهور القمر الجديد والبدر واختفاء الهلال موضعا لاحتفالات دينية : وفي الحاليتين الأوليين كانت تقدم التضحيات في القصر . أما يوم اختفاء القمر فكان يعتبر يوم حزن وكآبة .

وسرعان ما رثى أن من الضروري أن تدخل في حسابهم فترات أطول فقامت محاولات لإيجاد عدد ثابت من الشهور تتفق ودورة الفصول ولكن ليس هناك مقياس مشترك بين وجوه القمر والسنة الشمسية وكان لابد لتحديد سنة مدنية يعترف بها في كل مكان انتظار تركيز السلطة في يد واحدة .

وكانت أسماء الشهور في عصر ما قبل السرجونية تختلف من مدينة إلى مدينة ويبلغ عدد هذه الأسماء في لجش وحدها خمسة وعشرين اسما على الأقل وقد أدخل أحد الإصلاحات في أيام ملوك أجاده أو غيرت بعض

الأسماء على الأقل . ولم ينجح ملوك أور في فرض قائمة واحدة لهذه الأسماء في كل أنحاء امبراطوريتهم اذ أن كل مدينة كانت لا تزال لديها طريقتها الخاصة للحساب والعد وليس هذا فحسب بل إن بدء السنة كذلك كان مختلفا وكان اعتراض بعض الشهور الاضافية في نظام مخالف دون قاعدة معينة مما سبب ارتباكاً جديداً في التقاويم فهل لنا ان نعجب لهذه الحالة منذ أربعة آلاف سنة في الوقت الذي نرى فيه الناس في أوروبا اليوم في القسطنطينية من غربيين ويونان وأرمن ومسلمين ويهود لا يزالون يستعملون تقاويم متباينة في مدينة واحدة ؟

وقد كان تحديد السنين التي يبلغ عدد الشهور فيها ١٢ بدلا من ١٢ يتم بطريقة تجريبية . وفي بعض الأحيان أيضا كانوا يقرضون شهرا عرضيا بعد الشهر السادس وآخر يقع بعد الشهر الثاني عشر فتصبح السنة مكونة من ١٤ شهرا . وقد لوحظ أن عدد الشهور الاضافية في السنة ٥٤ من حكم دونجى قد بلغ في « درهم » ثلاثة شهور (١) وقد ضمن حمورابى اصلاحاته واحدا خاصا بالتقويم (٢) . فقد جعل من حقه أن يقرر شخصا متى يحل الوقت لاستبدال السنة الصامة بسنة اعتراضية (٣) كما حدد أسماء الشهور نفسها في كل أنحاء الامبراطورية . ولكنه لم يدخل أى تعديل على العادة المتبعة منذ عهد ملوك أجاده حين كان يطلق على كل سنة اسم أهم حادث تم خلالها مثل اقامة تمثال أو تكريس معبد أو شق قناة أو حادث وقع أخيرا كاعتلاء الملك للعرش أو هزيمة بلاد معادية أو تعيين كبير الكهنة . وتدل هذه العادة نفسها على تقدم في طرق الحساب التي كانت متبعة في عصر ما قبل السرجونية حين كان الناس يمينون على اللوحة بواسطة رقم مسلسل عدد سنى حكم الأمير وذلك عندما كانوا لا يقنعون بنص كالآتى مثلا « في هذا الوقت كان أنتمينا ايشاكو وكان انلى تارزى سانجو ننجرسو » .

وقد بسط الكاسيون حساب السنين بأن جعلوا لكل حكم عددا من السنين غير محدود يبدأ بالسنة الأولى بعد ولاية العرش وقد ظلت هذه الطريقة متبعة حتى أيام السلوقيين الذين أدخلوا تاريخهم الى بابل واستمرت متبعة تحت حكم الارساكيين .

I, t. XVII, p. 200.

(١)

I, t. XVII, p. 211.

(٢)

(٣) انظر صفحة ٢٦٠ .

كان الطب البابلي طباً تجريبياً بحثاً • وكان يلعب دوراً أقل أهمية من مزاولة السحر في شفاء الأمراض • وحين كان المريض يتلوى في سريريه عللوا ذلك بأن الأرواح الشريرة الموجودة من حوله وفي جسمه تؤذيه بسحرها (١) وكان واجب الساحر أن يطردها ومع ذلك فقد كان للطبيب دوره إذ كان يستخدم في حالات الرمد المنتشر في هذه الأقاليم نوعاً من المراهم للعين مكوناً من نباتات تطبخ في الدهن أو خلاصة النحاس الخام في الجعة • وكان يعطى من يشكو امساكاً مزيجاً من مركب النباتات المطبوخة تشرب بالجعة • وقد استخدم في دستور الأدوية كل أنواع العناصر سواء أكانت من أصل معدني أم نباتي أم حيواني كما أن روث الغزال لم يكن أشد ما تنتقز منه النفس • وكان بعض الأطباء يتمتعون بتقدير كبير • فقد كان « أور لوجال ادينا » المحفوظ ختمه باللوهر (٢) أحد المشهورين في لاجاش في عصر أور نجرسو بن جوديا • وفي الألف الثانية كان ملوك الحيثيين يطلبون إلى ملك بابل أن يرسل له أطباء إذا مرضوا هم أو مرض أحد أقاربهم مرضاً خطيراً • وهذا وإن كان قانون حمورابي لم يشر إلى الأطباء إلا أنه يحدد أجور الجراحين تبعاً لمركز المريض وهو يفرض جزاء قاسياً بسبب أى خطأ مهني مراعي نفس الاعتبارات •

وهناك نص من القرن الخامس هو عبارة عن مقدمة لدراسة علم الفلك يبين كيف أن العلم كان بدائياً في هذا العصر فالنجوم والأجرام الرئيسية وعددها ٧١ كانت مقسمة إلى ثلاث مجاميع يحكم كلا منها أحد الآلهة العظام للشالوث الأكبر : فهناك ٣٣ من نصيب الليل و ٢٣ لأنو و ٥٠ ل « ايا » وهناك جدول آخر يبين الشروق الشمسي لبعض النجوم الهامة • وقد بينت كذلك أجور الملاحظين وهي ٤ مينا في النهار و ٢ مينا في الليل صيفاً ابتداء من ١٥ تموز إلى ١٥ تبت و ٢ مينا نهاراً و ٤ مينا ليلاً أثناء بقية الشهور • وهناك قائمة ثالثة تحوى ٥٥ نجماً تتفق مع الشمس في الشروق والغروب • وهناك أخرى تبين فترات من النهار بين الشروق الشمسي و ١٦ نجماً هاما • وقد تبينوا الوقت الذي تلاحظ فيه ظواهر معينة في شروق وغروب النجوم فهناك ١٤ نجماً ل « ايل »

LXVIII No 122 ; XLII, A, 831 ; I, t. XVII.

(١)

XLII, T. 98.

(٢)

سنتعمل لضبط الملاحظات عن الشروق والغروب الشمسي • وكذا عن
النجوم والأجرام المنتشرة على طول مجرى القمر • ومن ملاحظة السموات
سعى البابليون وراء الطيرة •

٨ - الجغرافيا

لم يكن البابلي بأقل شغفا لمعرفة حقيقة شكل الأرض التي يعيش
عليها • وقد استطاع هؤلاء الناس الذين تمكنوا منذ أقدم العصور من
وضع أسس دقيقة لمساحة أملاكهم وأراضيهم • • • استطاعوا كذلك أن
يرسموا خرائط للمدن والقنوات مجمعة أحيانا في حلقات • وقد وصلتنا
خريطة مفردة للعالم الذي يمثل على شكل دائرة تبرز من خارج محيطها
مثلثات مختلفة المساحة • أما التاج الدائري فيمثل « النهر المر » أو
الأوقيانوس الذي يحيط بالعالم حيث يمتد التأثير البابلي • أما مدينة
بابل نفسها فمبينة الى يمين وفوق الوسط • وحول المحيط من الداخل
من أعلى الى أسفل نرى على اليمين مدينة أشور وإقليم دير وبيت ياقين •
وهذا الإقليم الأخير الأبعد الى الجنوب تفصله عن بابل مجموعة مستنقعات •
ومن بين الأراضي الواقعة فيما وراء المحيط واحدة في الشمال « حيث لا ترى
الشمس » أفنتطيع من وراء ذلك أن نقرر أن البابليين عرفوا الأقاليم
القطبية ؟ أو ليس من المستحسن أن نعود بذاكرتنا الى ملحمة جلجامش
البطل الذي ذهب في رحلته الى نهاية الأرض - ربما الى الشمال الغربي -
حيث يتبع الطريق الليل للشمس في جبال ماشو : « الظلام هناك كثيف
وليس هناك ضوء » • في مرحلة قطعها في عشر ساعات مزدوجة (١) •

أما اللوحة التي رسمت عليها هذه الخريطة فتتضمن صورة من نص
قديم عن حملات سرجون الأجادى في إقليم طوروس (٢) •

وقد استعاضوا عن عدم وجود خرائط جغرافية دقيقة بجداول تبين
مثلا الأبعاد بين نقطتين أو الأقاليم الواجب عبورها للوصول من بقعة الى
أخرى أو أسماء المدن والمعابد والقنوات في إقليم ما •

ولم يحاول الكتاب البابليون أن يفرغوا جهودهم لتصنيف رسائل
تهذيبية عن نظم العقل وكان التجرد شيئا غير مفهوم بالنسبة لهم •
وكانوا يقنعون بجمع حقائق فردية خاصة وحالات جامدة ، يختلف عددها
قلة أو كثرة ، طبقا للقواعد تعسفية • وهذا هو المبدأ الذي قامت عليه

XLIII, p. 275-277.

(١)

XXXI b, fasc. 6, p. 92.

(٢)

اللوحات الجغرافية والرياضية والنصوص التكهنية ومجموعات القوانين
وقد سادت نفس القاعدة فيما يتصل بالتعليم والآداب . ويضاف الى ذلك
أنه - كما هي الحال في المجتمعات البدائية - كانت الفكرة التي تملك
خيال المخترع يكررها بقدر ما يستطيع في نفس الأسلوب في العمل
الواحد ثم يتناقضونها بغير نهاية في القرون التالية . أما قواعد الانشاء
في كل طراز فكانوا يتناقضونها عن بعضهم البعض دون تحريف منذ بدء
سومير وأكاد حتى بعد انهيار الامبراطورية البابلية الجديدة .

وقد لجأت أشور في كل قرن الى مثل هذه المصادر بقصد تدريب
كتابها . وحتى حماس السرجونيين لترقية الآداب والعلوم في العصر
الذي بلغت فيه امبراطورية نينوى الذروة كان يقتصر غالبا على نسخ
صور من الوثائق البابلية القديمة تودع في مكتباتهم في نينوى .

أجزء الثاني

الحفارة الآشورية

الكتاب الأول :

الخصائص السارية

تقع آشور الى شمال بابل وتبدأ مع السهل المرتفع لميزوبوتاميا على ارتفاع قليل عن ملتقى الأدهم ودجلة وتشغل الجزء الأوسط من حوض هذا النهر حتى كورنيب ويفصلها من ناحية الشرق الجزء الأوسط من الزاب الكبير وجبال زاجروس عن الكاسيين ويحدها شمالا جبل ماسيوس . وهي لا تصل غربا الى الهابور أو الفرات .

وليس لهذا البلد المثلث الشكل الوحدة التي تتمتع بها بابل : والجزء الغربي من ميزوبوتاميا هضبة واسعة متموجة تنتشر فيها بعض التلال من الحجر الجيري . أما في القطاع الشرقي فيما وراء دجلة فتوجد كثير من التلال المليئة بالغابات والوديان التي تجري فيها مجار مهمة كالكورنيب والزبان والأدهم وهو منطقة غنية في معادنها خصبة في الغلال والشر . ويكون الزاجروس في الشرق حدا طبيعيا مكونا من سلسلة من الجبال الوعرة التي لا يوجد بها الا ممران أو ثلاثة لا يمكن عبورها خلال فترة من السنة . ونحو الشمال تتلاحق مرتفعة الواحدة بعد الأخرى مسطحات ترتكز في النهاية الى جبل أرمينيا . وفي الجنوب يقع السهل الفيضي الذي يسكنه البابليون . وينفرد الغرب وحده بعدم وجود حدود طبيعية وهو الاتجاه الذي ستمتد منه فتوحات الدولة الآشورية نحو البحر المتوسط ومصر . وقد ذكر ج . رولنسن ان مساحة آشور تساوي مساحة بريطانيا على حين تقرب مساحة بابل من مساحة الدنمارك (١) .

وأقدم الوثائق التي اكتشفت تحت أحد معابد عشتار في خرائب آشور أول عاصمة لأشور عبارة عن تماثيل تشبه التماثيل السومرية هي : تماثيل لرجل جالس ولكنه للأسف مشوه وبدون رأس . وتماثيل لرجل واقف بعينين واسعتين فارعتين ورأس حليق ولكن له ذقنا تكسوها لحية بخلاف ما هو متبع لدى السوميريين .

وقد اكتشف صدفة أثناء الحفر في « كالاتيبة » بالقرب من « كارا ايوك » وهو قل يقع على مبعدة ١٨ كيلو مترا من شمال شرق شيزارية بكبادوكيا نوحات مكتوبة باللغة السامية وعليها أسماء مركبة من الاله آشور: أنى آشور ، تابا آشور ، آشور ملك ، آشور موتابيل ولم يعد هناك شك في أنه كان يوجد بهذه المنطقة النائية من آشور عباد لأشور في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد وذلك بعد نشر لوحة (١) من هذه المجموعة التي يحمل غلافها رسم ختم سوميرى باسم أحد خدم « أبى نسن » آخر ملوك أور . وهذا الختم مزين برسومات أخرى مقتبسة من الفن السوميرى للحفر على الحجارة الكريمة في هذا العهد ولكن من طراز مختلف تماما يلاحظ فيه امتد ذلك العهد وفي أكثر الأحيان الميل الذى سيرز في الفن الميزوبوتامى الى عدم تشكيل الوجوه مقابل الاهتمام بصفة خاصة بالزينة الخارجية التى جرت العسادة على أن تنقش



(شكل ٣٩)

تمثال كشف عنه فى خرائب اشور (متحف برلين)

فيها الكتابة - فضلا عن التفاصيل المتصلة بالعبادة والعادات المحلية - فى اتجاه القراءة المباشرة على الأسطوانة نفسها . وتدل النصوص على وجود مدنية تطورت تطورا كبيرا خارج نطاق الثقافة السوميرى واكادية كما تدل على أن لها شكلها واصطلاحاتها الخاصة التى وجدت ثانية فى

أشور حتى سقوط نينوى . من ذلك أنهم بدءوا يذكرون على الأغلفة الأختام المطبوعة لجعل الوثيقة صحيحة ولكن الشهود كانوا يضعون هنا إلى جانب أختامهم ختم حامل السند على حين نجد أن هؤلاء الشهود في نينوى في عهد السرجونيين يذكرون فقط في نهاية الاتفاق . وأسوة بالمتبع في آشور كانت السنوات تعرف بأسماء الأشخاص لا الأحداث الهامة أسوة بالمادة المتبعة في سومر وأكاد ولكن لا نستطيع القطع وقتئذ بأن الاسم هو ذاته في آشور . أما أسماء الشهور فهي واحدة في كبدوكيا وفي آشور .

ومن المحتمل جدا أن تجارة منتظمة في مختلف أنواع النسيج والمعادن التي تستخرج من مناجم البلجار داج كانت تجري مع آشور : وكانت القوافل تنزل إلى الفرات حتى نقطة اتصاله بالهابور ثم تعبر بلاد هانا التي كانت حضارتها واقعة تحت نفس المؤثرات وحيث كان جزء كبير من السكان يمارس صناعة النسيج كما حدث بالفعل فيما بعد (١) .

وتثبت هذه المجموعة في آسيا الصغرى وهذه الشهود للحضارة السوميرية التي كشف عنها في آشور أن الأشوريين استطاعوا أن يكونوا في القرن الخامس والعشرين شعبا متميزا بالعلاقات بالسومريين وأكاديين (الذين كان لهم تأثير بين عليهم) وأن تمكنوا في الوقت نفسه من أن يكون لهم طابعهم الخاص . أما أصلهم فلا يزال غير معروف . ويظهر أنهم كانوا قد انتشروا في مساحة واسعة في الألف الثالثة دفعهم الآريون منها إلى آشور نفسها وأن بلادهم نفسها احتلها الميتانيون - أو احتلوا منها على الأقل الأقليم المحيط بنينوى . واننا لنجد إلى شرق تلك المدينة بالقرب من كركوك في الألف الثانية بعض الآريين من عباد تشوب أحد آلهة الحيثيين . ويسود الاعتقاد أن الكاسيين المستقرين في الزاجروس من نفس الجنس .

ولعل أقدم أمير وصلتنا عنه وثيقة مكتوبة كان يدعى زاريكوم (حوالي ٢٤٠٠ ق.م) . وكان معاصرا ومن موالى بورسنة ملك أور . ونسمع عن سلف له هو أوثيبيا الذي يتسبب إليه تشييد الأسوار وكذا كيكيا مؤسس معبد آشور . وكان إيريكا بكابو أيضا أميرا قديما : ويقول «أداد نيراري» الثالث عنه أنه كان ملكا قبل حكم «سوليلو» ولكن سوليلو نفسه لا نكاد نعرف عنه شيئا .

وحوالي ٢٢٥٠ ق.م ظهر «بوزور آشور» الأول ومنذئذ تستمر قائمة الملوك الأشوريين دون انقطاع تقريبا حتى نهاية الامبراطورية .

(١) قارن : CONTENAU - trente tablettes cappadociennes :
S. Smith, cappadocian Tablets in the British Museum.

ولقد هاجم ايلو شوما الأشورى « سوموابوم » مؤسس الأسرة البابلية الأولى ولكن يظهر أنه هزم حسب ما ورد فى احدى الوثائق البابلية وقد بنى ايلو شوما هذا معبدا للالهة عشتار وجدد ابنه وخلفه ايريشوم هيكلا للاله الوطنى الذى كان قد شيده من قبل اوشيبيا كما حفر قناة عند قاعدة السيجورات . وأما ابنه ايكونوم فقد جدد أسوار المدينة وكرس معبدا لـ « نكيجال » وربما كان ذلك فى نينوى . وقد شيده سرجون الأول الذى خلفه مزارا لعشتار . وأما « شامشى أداد » الأول (٢١٢٣ - ٢٠٨١) فكان معاصرا ومولى لحمورابى ولقد وضع حامية بابلية فى آشور وساعد الأمير الأشورى مؤلاه البابلى - اما لغرض خاص أو بدافع الضرورة - فى حربه ضد أمراء لارسا . واننا لنجد فى وثيقة محفوظة فى متحف جامعة بنسلفانيا أن صيغة القسم تحوى اسم شامشى أداد الى جانب اسم حمورابى كما نجد هذا الاسم نفسه فى نصوص أسطوانات مختلفة من الطراز البابلى البحث (١) .

وأما بعد ذلك فيكاد يحجب الأحداث ديجور شديد الاظلام حتى القرن الخامس عشر حين استقبل تحوتمس الثالث المصرى فى العام الثالث والعشرين من حكمه سفارة آشورية قدمت له ثلاث كتل من اللادورز وأحجارا أخرى ثمينة . وتكشف رسائل تل العمارنة عن الموقف الدولى عند نهاية ذلك القرن كما تضيف الوثائق التى عثر عليها فى بوغازكوى مكان عاصمة الحيثيين القديمة معلومات لها قيمتها . وكان امنحنب الثالث يجلس على عرش مصر . وكان الشاطيء السورى خاضعا لمصر ومقسما الى اقليمين : كنعان فى الجنوب وعامور فى الشمال . وكانت دولة الحيثيين الجار المباشرة لعامور وكانت تمتد فى آسيا الصغرى عبر طوروس كما تمتد من ناحية الشرق حتى انحناء الفرات . وهناك كانت تلامس دولة ميتانى التى تحدها بدورها من ناحية الشرق آشور التى كانت قد أخضعتها . وأما أصل الحيثيين والميتانيين غير معروف . وكان الميتانيون يعبدون اندرا ، فارونا ، مشرا . وكانوا قد لعبوا من زمن بعيد دورا هاما فى التاريخ : فقد غزا الحيثيون ميزوبوتاميا فى القرن العشرين واحتلوا بابل وأنهوا حكم الأسرة الأولى فى تلك المدينة (١٩٢٥ ق م) . وكان ملكهم فى عصر امنحنب الثالث يدعى شوبليولياما وكان ملك ميتانى نسيبا لفرعون هو دوشراتا الذى كان قد زوجه من احدى أخواته . وقد هاجمه الحيثيون ولكنه نجح فى ردهم واحتجز جانبا من الفنائم عربية وخيلا لملك مصر وكذا بعض الحلى الصدرية (حلى الصدر) للملكة أخته .

وكان نفوذه يمتد حتى على نينوى حيث كانت آلهتها يمجدها البابليون والاشوريون تحت اسم عشتار - التي يظهر أنها كانت في الأصل معبودة ميثانية . وكانت في عهد الملك السابق قد قامت برحلة الى مصر وحفظت خير الذكريات الممتعة من الترحيب الحار الذي قوبلت به هناك . وقد طلبت الى ملك ميثاني أن يبلغ عن مقدمها حين عذمت على تكرار الزيارة .

ولقد منح فرعون في احدى المرات دوشراتا عشرين وزنة من الذهب وقد أثار ذلك غيرة « آشور أوباليت » ملك آشور (حوالي ١٣٧٠) وسرعان ما تسائل عن سبب عدم حظوته بمثل هذه المعاملة . ولقد ادعى « بورنابورياش » البابلي حق السيادة على آشور وحين سمع بالرسالة التي أرسلها آشور أوباليت شكوا واحتج على أساس أن الاشوريين « وهم من رعاياه » ليس لهم حق الاتصال المباشر بفرعون . وحقيقة الأمر أن كل هذه الشعوب كانت تتنازع فيما بينها جميعا حق السيادة على الشاطئ السوري الذي كان سوقها المشترك وكان الحيثيون اقواها جميعا فأثاروا منافسين من بين الأمراء العاموريين وحاولوا أن يفصلوهم عن مصر وقد نجحوا في السيطرة على وادي الأورونت ولكن امنحيب الثالث أرسل جيشا وأعاد النظام فانتقم شوبليولما من دوشراتا ونهب حدود ميثاني ثم عاد الى سوريا واستولى على حلب .

ويظهر أن امنحيب الرابع الذي كان قد اعتلى عرش مصر لتوه لم يشغل باله بالحروب الداخلية التي كانت قائمة في سوريا كلها . ولقد استطاع « عزيرو » أحد الأمراء العاموريين ان يوسع رقعة نفوذه بعد حملة ناجحة ولكنه اعترف بسيادة فرعون وقدم الى مصر ليعلم ولائه له . وقد عده شوبليولما خائنا فهاجمه وهزمه واستولى على سوريا وقضى على النفوذ المصري قضاء تاما .

وقامت ثورة في ميثاني وقتل دوشراتا وخلفه ابنه « ماتي يوزا » الذي تحالف مع الملك الحيثي ولكن « سوتارنا » ابن أخ الملك السابق استطاع ان يستولى على العرش فطرد ابن عمه الذي لجأ الى البلاط الحيثي ، وسرعان ما تقدمت آشور لاجتياح ميثاني فزوج شوبليولما ابنته الى ماتي يوزا وأعاد له حقوقه ولكن مع معاملته كمولى . وبعد وقت قصير اعتلى مورسيل العرش الحيثي وورث امبراطورية ضخمة تمتد شرقا الى الحدود الاشورية وجنوبا الى الكرمل والجليل . ومات بعد ان هزمه سيتي الأول بالقرب من قادش على الأورونت ثم رمسيس الثاني وشهد ابنه موتاللو وخاتوسيل قواهما تضمحل حتى ذلك اليوم حين رأى هذا الأخير نفسه مضطرا الى أن يعلن السلام في العام الحادي والعشرين من حكم رمسيس الثاني (حوالي ١٢٧٩ ق م) ولكن سرعان ما بدأت مصر نفسها تنحل

كما بدأت بابل تفقد نفوذها . وكانت هذه هي اللحظة التي اختارها
العبرانيون للاستقرار في كنعان وبدأت جماعات من الآراميين في التسرب
عبر حدود آشور وبابل .

وقد تولى « آشور أوباليت » اصلاح العاصمة التي كانت أسوارها
قد دمرت حديثا - ربما كنتيجة لحصار - وقد أعاد بناء معبد في نينوى
وحارب الشوبارى في الشمال الغربى من مملكته ووسع رقعة بلاده وقد
تدخل في بابل ضد حزب الكاسيين الذى اغتال حفيده « كارا انداش
الثانى » وأمن العرش لحفيده الآخر « كوريجالزو » الثالث . وأما ابنه
« ايلليل نيرارى » (حوالى ١٣٤٥) فقد وسع أيضا مملكته على حساب
أرض الكاسيين الفعلية وبعد مذبحة للبابليين في سوجاجي اغتصب أراضي
أخرى من ابن أخيه كوريجالزو (١) .

وقد قام « اريك دين ايلي » (حوالى ١٣٣٥) بخمس حملات مظفرة
على الأقل كانت اجداهما ضد الهابور في ناحية خازان واستجلب من هناك
غنائم كثيرة من قطعان ماشية واغتنام .

ويحدثنا « أداد نيرارى » الأول (حوالى ١٣٣٠ - ١٢٩٠) عن حملات
أسلافه ولقد كان عليه هو نفسه أن يحارب ال « لولومى » في الشرق
وبابل في الجنوب وهي التي فرض عليها تعديل الحدود . وقد أصلح
القصر الملكى ومنشآت أخرى في آشور ونينوى . وقد تابع ابنه شلمنصر
الأول (حوالى ١٢٩٠ - ١٢٦٠) سياسة الغزو فقام بحملات ثلاث في
ناحية ديار بكر وهزم « ساتو وارا » ملك هانيزابات وهو الميتانى القديم
الذى كان قد تحالف مع الحيثيين والآراميين أهلامى وثبت ملكه حتى
قرقيش على الفرات . وقد اضطر ال « لولومى » في الشرق كذلك الى
دفع الجزية . ولما بسط شلمنصر على هذا النحو نفوذه على ميزوبوتاميا
جميعا عول على نقل العاصمة السياسية لدولته . وكانت آشور تقع على
الضفة اليمنى لنجلة الى ما دون ملتقاء بالزاب الأعلى فاختر موقع كلع
الضفة اليسرى فوق نفس الملتقى بقليل وقد دمر في عهده معبد آشور
وربما كان ذلك نتيجة زلزال كما دمر معبد عشتار في نينوى .

وقد غزا ابنه « توكولتى اينورتا » الأول (حوالى ١٢٦٠ - ١٢٤٠)
منذ السنة الأولى من حكمه الأراضي الواقعة الى الشمال والشمال الشرقي
وهي « قوثو » و « شوبارى » ثم نهب وأخضع الأقاليم الواقعة الى الشمال
الغربى حتى كوما حين فتكون ضده اتحاد في « نايرى » فيما يجاور بحيرة
« فان » . ولكن الأربعين من الملوك الصغار لهذه البلاد اضطروا الى

(١) قارن ص ٥٤ وما بعدها .

الاعتراف بسيادته ودفع الجزية له ثم استدار نحو بابل (١) حيث حكم سبع سنوات ومد غزواته حتى الخليج الفارسي وابتنى هناك مدينة جديدة سماها باسمه « كارتوكولتي اينورتا » وزودها بالماء عن طريق قناة وبني معبدا لاشور فيها كما شيد لنفسه بها قصرا . وهناك اغتيل أثناء فتنة اثارها ابنه « آشور نادين ابلا » الأول .

ولقد ظل تاريخ آشور مدى قرن من الزمان لا يكاد يعرف عنه سوى القليل . وأعيد تمثال مردوك الى بابل (١) كما أعاد « آشور دان » الأول (حوالي ١١٨٢ - ١١٤٥) رابع خلف لـ « آشور نادين ابلا » غزو منطقة الزاب التي كان قد اضطر لتركها للاستسلام لبابل كما غزا بابل نفسها وجلب منها غنائم قيمة . واننا لا نعرف شيئا عن « موتا كل نوسكو » أما « آشور رش ايشي » الأول وهو محارب (حوالي ١١٣٥ - ١١١٥) فاننا نراه يحارب منتصرا ضد الأهلامى واللولىمى والقوتى الذين كان أسلافه قد اضطروا لمحاربتهم مرارا من قبل كما انتصر على نبوخذ نصر الأول البابلى وأعاد بناء أو اصلاح معابد آشور وعشتار .

وبولاية « تجلات فلاسر » الأول بن « آشور رش ايشي » (حوالي ١١١٥ - ١١١٠) نرى آشور تتقدم وتمد سيادتها حتى البحر المتوسط .

وتعدد الكتابات على المناشير من أربع نسخ التى وضعها فى أسس معبد أنو وأداد « فى آشور ٥٠٠ تغدد الحملات التى وقعت خلال السنوات الخمس الأولى من حكمه فنراه أولا يهاجم الموسكيانيين الذين يقطنون الجبال الى شمال كوماجين : والذين كان عليهم أن يؤدوا جزية لاشور فى أيام « توكولتي اينورتا » ولكنهم كانوا قد استطاعوا أن يستعيدوا استقلالهم الكامل منذ نحو ستين عاما . ونزل ٢٠٠٠٠ رجل تحت قيادة خمسة ملوك الى كوماجين فجمع الأشورى جيوشه وعبر تلال الكاشيارى فوق نسيبا ، وانقض على كوماجين وأسر ٦٠٠٠ أسير واستحوذ على غنيمة طائلة كما قطع رؤوس القتلى وزين بها أعلى قمم أسوار المدن . وبهزيمة كوماجين ضمت الى الامبراطورية وألحقت بها . وفى العام التالى تقدم الملك نحو جبال أرمينيا - وذلك بناء على طلب آشور فى الوقت الذى كانت جماعات من الجند تغير على كردستان - فى غابات لا يستطيع اختراقها لم يرتدها أى ملك من قبل تقدم فى هذه المنطقة الوعرة التى يتعذر استخدام المركبات فيها تقدم بالمشاة فقط واكتسح كورهي وال « هاريا » وحمل آلهتهم أسرى ونفى الأهلىن وصودرت ممتلكاتهم وأحرق مدنها . ثم بدأ الحبر ضد ال « نايرى » وحاول ٢٣ من صغار الملوك أن يدافعوا عن أراضيهم ولكنهم هزموا وطردها حتى بحيرة

(١) قارن صفحة ٥٧ وما بعدها

فان واضطروا الى قبول حماية آشور وتسليم أبنائهم كرهائن وتوريد
١٢٠٠ حصان ، ٢٠٠٠ رأس من الماشية كجزية .

وفي السنة الخامسة من حكمه « بعد تحديد يوم ملائم بواسطة حلم »
غادر « تجلات فلاسر » آشور ونزل الى أرض سوهي وفي صعوده الى الفرات
دمر آرام النهرين التي كان يحتلها الإلهامي ووصل الى قرقميش وهي
قلعة الحيثيين على الفرات وعبر النهر وأخضع بلاد موتسرو التي تمتد من
الطوروس الى ما وراءه وواصل فتوحاته الى أرض عامور . وصاد الملك
لجاموسة عند سفح لبنان وركب البحر في أرواد وقتل كلب بحر (قرش)
في البحر المتوسط . وأصبح الشاطيء وحده تحت حكم آشور التي لم
تكن تجرؤ بعد على مهاجمة ممالك الأراميين في تشوبا ودمشق ولا حتى
على مقاطعتي صور وصيدا اللتين كانتا قد استعادتا استقلالهما .

ولقد استطاع « تجلات فلاسر » بعد سنوات خمس من ولايته للعرش
أن يفخر بأنه أخضع ٤٢ شعبا بملوكهم .

أما خلفاؤه المباشرون فلم يستطيعوا أن يسيطروا على مثل هذه
الامبراطورية الشاسعة واستطاعت الولايات البعيدة أن تخلع النير عن
كاهلها واحدة بعد الأخرى وذلك في مدى قرنين من الزمان .

وقد أعاد « تجلات فلاسر » بناء معبد أنو ، أداد في آشور ذلك المعبد
الذي كان قد شيده « شامشي أداد » منذ ستة قرون ونصف ودمر في
خلال حكم « آشور دان » الذي كان قد اعتزم إعادة بنائه ولكنه لم يستطع
أن يفعل وقد أصلح أيضا معابد آشور الأخرى وكذلك القصور الملكية وأقام
من جديد أسوار المدن واستورد الخيل من البلاد التي فتحها وكذا الحمير
والماشية كما استورد للصيد الملكي قطعانا حقيقية من الماعز الوحشي وأمر
بأسنجلاب نباتات لم تكن معروفة في آشور لنزرع في الحدائق والأراضي
الملكية .

وقد حارب تجلات فلاسر مرتين ضد بابل خلال النصف الثاني من
حكمه وأما ابنه « آشور بعل كالا » فقد عقد معها الصلح وتزوج من ابنة
الملك البابلي . ولم يستطع آشور رابي الثاني أن يمنع الأراميين من أن
يستردوا مدن بترو وموتكينو . وأما خلفه الرابع أداد نيراري الثاني
(حوالي ٩١٠ - ٨٩٠) فقد بدأ في بعث آشور فأشهر حربا انتصر فيها
على بابل ثم عقد حلفا معها . وكان ابنه « توكولتي اينورتا » الثاني فاتحا
عظيما (٨٩٠ - ٨٨٤) : اذ كان يقوم بحملة كل عام ويكتب يومياته
أثناء حملاته ويظهر من يوميات حملة العام الأخير أنه خرج من آشور ونزل
في مجرى الترتار الى الصحراء المجذبة ثم وصل الى دجلة مارا بدور
كاريجالزو و « سيبار » ثم صعد مع الفرات حتى الهابور متابعا السير

عن طريق بيت خالوبي والشاديكاني ونسبياً متجها نحو بلاد الموسكيين .
 ويعتبر « آشور ناتسير ابلا » الثاني (٨٨٤ - ٨٦٠) بن « توكولتي
 اينورتا » أحد أمراء الآشوريين الذين تركوا نقوشاً وآثاراً مرسومة كثيرة .
 وتوجد كتابات ورسوم له في أطلال قصره بكلح وفي معبد اينورتا وعلى
 نقوش بارزة وعلى سلة وعلى تمثاله وعلى مذبح وفي كل مكان توجد كتابات
 أو رسوم له . وكرجل رمم كلح نراه يملؤها بالأسرى الذين استجلبهم
 من الأقاليم التي فتحتها أسلحته وأتى بمياه الزاب عن طريق قناة زرعت
 صفتها بالأشجار .

ولقد هاجم
 كرديستان في حملته
 الأولى وفتح
 « كرهى » الواقعة
 إلى شمال
 « كاشيارى » وكوم
 جماجم أعدائه
 في شكل هرمي
 وفي تحريف العام
 نفسه غزا كوماجين
 وتسلم هناك جزية
 من الموسكيين
 ولكن « بيت
 خالوبي » ثارت ضد
 حاكمها الآشوري
 فأسرع الملك إلى
 هناك مع جيوشه
 وقبض على
 المعتصب والشار
 الآخرين ، وحكم
 بالموت على واحد
 أو اثنين منهم
 ولف بجلودهم أثرا
 أقامه أمام بوابات
 المدينة ، وأما جثثهم
 المقطوعة الرعوس



(شكل ٤٠) لوحة آشور ناتسير ابلا الثاني

فقد وضعت فوق الخوازيق. وعلقت رؤوسهم كتاج فوق الأثر ونقل المدعى الى نينوى حيث سلخ حيا وعلق جلده بالمسامير على حوائط المدينة .
وفى عام ٨٨٣ ق.م . علم بعد أن تسلم فى نينوى هدايا « ايلو ابني » محافظ سوهي - علم أن المستعمرة الآشورية التي أقامها شلمنصر الأول فى هالزيلوها قد تازت فقام اليها ليقر النظام ومر خلال منع سوينات وأقام لوحة له بجوار لوحات تجلات فلاسر الأول وثوكولتى اينورتا الأول ثم اخترق كاشييارى ووصل الى كينابو مركز المقاومة وأخذ نائب الملك حيا وسلخه ووضع جلده فوق حائط مدينة دامداموسا . أما « توشها » فى « نربو » فقد أعيد بناؤها وشيد قصر بها كما أقيمت لوحة ملكية هناك . ولما أضر الجوع بالمستعمرين الآشوريين القدماء هربوا الى شوبرى واستقروا فى تلك المدينة الملحقة بالأملاك الملكية وخضعت نربو بأكملها وأتت بيت زمانى والشوبرى والنردون والأورومى وكل الناييرى ليقدموا ولاءهم .

وفى عام ٨٨١ ق.م . حدثت ثورة وتكتل عدائى فى أقاليم الزاجروس وسد الثوار الممر البابيتى بواسطة متراس ولكن الممر اغتصب ودمرت ١٥٠ مدينة وقرية وعاد الملك فى عام ٨٨٠ الى زاموا للمرة الثالثة . وفى العام التالى دخل الى كوماجين وكرس قصرا لـ « توليلى » وتسلم الجزية ثم اخترق ممر عشتارات وتوقف عند كيبالكى . ولما كان سكان كيرهى قد هربوا فانه طاردهم فى الجبال وقطع أيدي أولئك الذين وقعوا أحياء بين يديه . كما دمر فى نايرى ٢٥٠ قرية وعند عودته عبر دجلة نزل حتى الفرات وقابل أمير سوهي حليف ملك بابل الذى خرج لمقاتلته . ولكن هذا الأمير هزم وتم الاستيلاء على مدينته وأخذ القائد البابلى أسيرا . ولم يكد الملك الآشورى يرجع الى كلج حتى وصل الى علمه أن ثورة جديدة قد قامت فى « سوهي » و « هندانو » و « لاقى » فسار فى طريق مضاد للطريق الذى كان قد سلكه « توكولتى اينورتا » الثانى وهزم التكتل وبنى مدينة على كل من ضفتى النهر هما : « كاراشور ناتسير ابلا » على أحد الجانبين و « نيبارتى آشور » على الجانب الآخر .

وفى عام ٨٧٧ ق.م . تقدم نحو قرقيش فأسرع « سانجار » ملك الحيثيين ليقدم له هدايا ذات قيمة وكذا رهائن . وبعد عبور الفرات تقدم نحو أرض « هاتين » التي قدم ملكها « لوبارنا » حرسا وأنانا وعتادا حربيا وعبيدا ومعادن ثمينة وحيوانات . وعبر الجيش الأورونت وسانجورا وغزا أرض لوهوتى فى جنوب حماة على الضفة اليسرى للأورونت وتقدم الملك نحو البحر المتوسط وغسل أسلحته فى البحر وقدم التضحيات منبعا فى ذلك الطقس القديم للأمراء السوميروكاديين . ورغم استمراره فى التقدم غربا فانه قنع بجزية من صور وصيدا وجبيل (ببلوس)

ومهاالاتا ومايشسى والعامور وأرواد . وكان من القفظة بحيث عرف أين يتوقف قبل أن يدخل فى صراع مع مملكة دمشق القوية .

وعند عودته من حملته أمر بقطع الأرز فى أمانوس لاحضار خشب من أجل تشييد مباني كلع (نمرود) حيث أسس عاصمته . وقد أعيد بناء هذه المدينة وهى المقر الصيفى القديم لأسلافه وهدم القصر القديم الذى كان قد شاده شلمنصر الأول منذ أمد طويل وحل مكانه مبنى أضخم منه . وقد كشف هناك عن تمثال للملك ولوحة مستديرة مكونة من قطعة واحدة أما النقوش الملونة التى زينت بها واجهة الحائط فانها تسمح لنا بدراسة الفن الآشورى للقرن التاسع وأن نتابع الملك فى حربه أو خروجه للصيد وأن نرقب الأمراء المعادين وهم يقدمون خضوعهم وأن ندرك لمحة صحيحة من كثير من تفصيلات الحياة الآشورية .

وأما ابنه شلمنصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٤) فقد كان جنديا محاربا قاد ٣٢ حملة فى مدة حكمه البالغة ٣٥ عاما ٩٠ ولم يكده يغتلى العرش حتى توجه الى سوريا ليتسلم جزية صور وصيدا . وفى السنوات التالية دعم نفوذه فى « أورارتو » و « نايرى » . وفى عام ٨٥٤ ق م . عاد الى سوريا وغزا مملكة « حماة » التى كانت تسند ملكها « ايرهولبنى » قوة متآلفة على رأسها « أداد ادرى » الدمشقى الذى أنزل الى الميدان ١٢٠٠ مركبة ، ١٢٠٠ خيال ، ٢٠٠٠٠ من المشاة . أما « أشياب » ملك إسرائيل وهو صهر ملك صيدا فقد أرسل ٢٠٠٠ مركبة ، ١٠٠٠٠ رجل . وأما « قى » ، و « موتسرو » وهى أقاليم من قيليقيا الشهيرة بخيلها فلم يرسلوا سوى المشاة . كما ساهمت بنصيبها أربع مدن فينيقية والبعثة الأمونية . وجهز ملك عربى ١٠٠٠ جمل . وأما صور وصيدا فقد امتنعتا عن الاشتراك فى هذه الثورة واستمرتتا بفطنة تدفعان الجزية .

وقامت المعركة فى قرقار بالقرب من الأورونت وطبقا لما جاء بالسجلات الآشورية فإن السهل كان أصغر من أن يتحمل الأعداد الضخمة من الجثث وأن الأرض الواسعة لم تكن تكفى لدفنها وقد أفعم نهر الأورنت بجثث الأعداء وأقيم منها معبر على الأورنت . والواقع أن النتيجة لم تكن حاسمة فإن شلمنصر لم يجسر - أو هو لم يستطع - أن ينتفع من النجاح الذى يفخر به . وقد عاد الى آشور بعد رحلة بحرية .

وفى عام ٨٥٣ ق م . قاتل فى منطقة منابع دجلة وفى البلاد المحيطة ببحيرة فان وقد شق طريقه مرتين الى بابل (٨٥٢ ، ٨٥١) ليسانده « مردوك زاكر شوم » الذى كان أخوه « مردوك يعل أوشاتى » قد رفع لواء الثورة ضده . وفى ٨٥٠ أغار على سنجار ملك قرقميش ، وأراهمى ملك أرني عند سفح الأمانوس . وفى العام التالى قام بحملة ثانية ضد

أرض حصه ريس
ثلاث سنوات (٨٤٦) . وعلى أية حال ، فانه عند موت « أداد ادرى »
استولى مقتصب يدعى حازائيل على عرش دمشق ومات كذلك « أشاب »
وإنحل الحلف . فلما عاد الملك الأشورى للنزال فى ٨٤٢ واجهه حازائيل
منفردا وكان قد حصن نفسه على الـ « سائير » عند مدخل سوريا المكتلة
ولكنه لم يستطع أن يصمد أمام الهجوم وانسحب الى دمشق فخرّب الجيش
الأشورى الاقليم المحيط ودمر حوران وعاد ليعسكر عند مصب نهر الكلب
حيث أحضرت صور وصيدا واسرائيل جزاها . وأهم الآثار المرسومة لهذا
الحكم مسألة مزينة بنقوش وبعض لوحات من البرونز المطروقة عشر عليها
فى خرائب القصر الصيفى الذى بنى فى امجور ايلليل (بالوات) .

وقد أظلمت أخريات سنى الحكم من جراء ثورة الابن الأكبر للملك
المدعو « أشور دانيى ابلا » الذى انحازت الى صفه معظم مدن آشور .
وقد استغرقت الثورة أربع سنوات حتى مات شلمنصر (٨٢٤) . وكان
على ابنه الأصغر « شامشى أداد » الخامس أن يتابع الصراع مدى عامين
آخرين قبل أن يتم له النصر . وقد حارب أيضا فى نايرى حيث قاد ثلاث
حملات . بل وأكثر من ذلك نراه يتدخل فى بابل ويدحر « مردوك بالاتسو
اقبى » فى « دور بابسو كال » وبعد مدة استطاع أن يهزم ويأسر « باو آخى
أدين » خلف مردوك بالاتسو اقبى . وما زال اسم زوجته « سامورامات »
التي كُشف عن لوحها فى آشور مشهورا فى صورته اليونانية
« سميراميس » .

وقد خبا
ضوء العظمة
الأشورية
خلال حكمه
لفترة قصيرة
فقد أضعفها
الحروب الداخلية



(شكل ٤١) جزية يبهو ملك اسرائيل
(المتحف البريطانى - مسألة شلمنصر)

ولما خط الملك
حدود

امبراطوريته لم يجسر على أن يدفعها غربا الى ما وراء الفرات .

أما ابنه « أداد نيرارى » الثالث (٨١٠ - ٧٨٢ ق م) ، فانه لم
يفضن حدوده فتوح شلمنصر الثالث فحسب بل مدها من الخليج الفارسى

وحدود عيلام حتى صحراء مصر • ولكن التوسع لم يكن يستحق الذكر في ناحية الشرق أو الشمال : وكان الميديون قد بدءوا يتحفزون ولم تكن أورارتو التي هزمها شلمنصر عام ٨٢٩ وشامشى أداد عام ٨١٩ ق.م • لتقبل الهزيمة ولكنها استغلت كل فرصة لمحاولة استعادة استقلالها • وقد حارب شلمنصر الرابع (٧٨٢ - ٧٧٢) الأراميين الذين كانوا يحاولون الانتشار في ميزوبوتاميا فقام دست حملات في أورارتو وواجهته في ناحية جبل امانوس (٧٧٥) واثنين ضد دمشق (٧٧٣) ومدينة هزرق (٧٧٢) على التوالي •

وتابع آشور دان الثالث (٧٧٢ - ٧٥٤ ق.م) الصراع ضد الأراميين (٧٦٩) فأرسل حملة الى ميديا في ٧٦٦ وضد هزرق في السنة التالية • وانتشر الظاعون في آشور وكسفت الشمس في سيمانو (٧٦٣) وكان ذلك كافيا كى يوحى للناس بعقوبة السماء • وثارت آشور وتابعيتها في ذلك ، محتذية مثالها مدن أخرى كثيرة • ولم يستطع الملك أن يعاود الكرة ضد مدينة هزرق إلا بعد عشر سنوات من تاريخ حملته الأولى ضدها •

ولم تقم حروب في السنوات الأربع الأولى من حكم أداد نيرارى الرابع (٧٥٤ - ٧٤٦) ولكن نراه يقوم بحرب في عامي ٧٤٩ ، ٧٤٨ ق.م • ضد « نامرى » فيما وراء الزاب الأسفل وثار كلع في عام ٧٤٦ ق.م • وحارب تجلات فلاسر الثالث الذى ربما كان أحد أشقاء الملك • • • حارب الهصاة واننا لنراه في العام التالى وقد اعتلى العرش • ولقد كان أميرا عظيما (٧٤٥ - ٧٢٧) استطاع أن يرتفع بأشور فوق كل جيرانها وأن يجعل لها سيادة مطلقة دون منافس • ولما استحوذ على الملك في الثالث عشر من أيار عام ٧٤٥ ق.م • هاجم نابوناسار البابلى في حريف تلك السنة ونهب مدينتين أو ثلاثا في أكاد وحمل آلهتها أسرى • وعند موت نابوناسار انتهز فرصة الحرب الأهلية فعاد الى أكاد و « أخذ بيد بعل » وجعل من نفسه « ملكا على سومير وأكاد وملكاً على الأقاليم الأربعة » تحت اسم بولو (٧٢٩) •

ولقد انتهز الأراميون فرصة الانحلال المؤقت لآشور لينتشروا في سيزوبوتاميا وعرف تجلات فلاسر الثالث حوالى ٣٥ قبيلة من قبائلهم « مستقرة على ضفاف دجلة والفرات والسواربو حتى الاوكتو (كرخا) على ضفاف البحر الأدنى » •

ولقد قام بحملات أربع ضد « مدينة » أرباد « وتدخل في الشئون الداخلية لـ » يودى « كى يعيد الى العرش بانامو الثانى الكارى الذى قتل أباه أحد المعتصيين وقد قدمت له الجزية كوماجين ودمشق وصوب

وصيدا وبيلوس (جبيل) وقى وقرقيش وخماة وجورجوم ومليد مدن
أخرى في قيليقيا ومليشين وأخيرا زبيبة ملكة سبأ في بلاد العرب .

ولقد اتبع تجلات فلاسر الثالث طريقة جديدة في الغزو ، اذ أنه كان
ينفى سكان الأقاليم المغزوة ويحل حكاما آشوريين في مكان الملوك
المهزومين . وقد أقر في المنطقة الواقعة من حماة الى الشاطئ أقواما
استحضرهم من لولومو في الزاجروس ومن نايري قرب بحيرة فان .

وفي ٧٣٧ ق.م . قامت حرب في الشرق ضد ميديا . وفي ٧٣٥
حدث توسع جديد الى ناحية الغرب فكانت هناك حملة ضد فلسطين ونهبت
غزة ووضع هوشع على عرش اسرائيل . وفي ٧٣٣ و ٧٣٢ قامت حروب
ضد دمشق وتنافس العرب الذين كانوا يعيشون على حدود أراضي
الغرب . في سرعة ارسال الذهب والفضة والجمال والعطور للمرة الأولى :
وكانوا يأتون من تيماء وسبأ وبأدانا في أرض مدين ومن مدن كثيرة أخرى .

وقد تدخل في شئون اسرائيل عندما قامت ثورة ضد صنيعته
هوشع كما ثبت في عسقلان سلطان روكبتو الذي كان أبوه قد تنازل عن
العرش واستولى مقابل تدخله هذا على جانب من الامارة ثم عين أحد الحكام
على العرب أنفسهم .

وقد ترك تجلات فلاسر عند موته لابنه امبراطورية أوسع مساحة
وأقوى تنظيما منها في أى وقت سابق .

وحكم شلمنصر الخامس (٧٢٧ - ٧٢٢) مدى ست سنوات .
وقد عرف في بابل تحت اسم « أولولاي » ولقد كان حاكما على فينيقيا منذ
حملة عام ٧٣٣ ق.م . ولما عاد من هناك الى آشور ثارت صور فاضطر الى
معاودة زيارة شواطئ البحر المتوسط والتوجه جنوبا لتسلم جزية هوشع
وسرعان ما كان ملك اسرائيل يتآمر مع مصر فخرج الجيش الأشوري
ليحاصر عاصمته ساماريا مدى ثلاث سنوات .

السرزيون

مات شلمنصر في الشهر العاشر من عام ٧٢٢ ق.م . وبعد أيام قلائل
اعتلى عرش آشور سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥) وهو من أصل مجهول .
وقبل نهاية العام استسلمت سامريا وتبعا للخطة التي استنتها « تجلات
فلاسر » الثالث طرد الاسرائيليين ٠٠٠ البعض منهم الى ناحية حران والبعض
الى ضفاف الهابور والبعض أخيرا الى ميديا . وقد حل محلهم الاراميون من

افاييم حماة ثم لحق بهم العرب هناك فى عام ٧١٥ وكذا بعض الأهلين من
كوثا وبابل فى ٧٠٩ .

وقد ثارت بابل فى بداية عام ٧٢١ ق.م . واستطاع مردوخ بالادان
الثانى الارامى من بيت ياكين أن يستولى على السلطة وأن يحكم مدى اثنين
عشر عاما . وقد عقد حلفا مع هومبانيجاش ملك عيلان الذى هزم
الآشوريين فى دير .

وكان تقدم آشور نحو شاطيء البحر المتوسط قد بدأ يقلق مصر فنجح
سيبو قائد جيوش فرعون الذى كان قد عقد اتفاقا مع هوشع ملك اسرائيل
فى بداية حكمه نجح فى تجميع حلف تحت قيادة « ياؤو بعدى » ملك حماة
وقد أسهمت فيه ارباد وسميرا ودمشق وسامريا . وتمت المعركة فى قرقار
كما حدث فى عهد شلمنصر الثالث وأخذ « ياؤو بعدى » أسيرا وسالخ حيا .
وقد تكاثر الاشوريون فى حماة تحت قيادة أحد القواد .

وقد أعيد تكوين التحالف بعيدا الى الجنوب بزعامة « سيبو » وجر
وراءه ملك غزة فهاجمهم سرجون واضطروا الى التراجع نحو رفع على حدود
مصر وهرب سيبو تحت ضغط الاشوريين وحمل ملك غزة أسيرا الى
أشور .

أما فى شمال الامبراطورية فقد كان أحد القواد الطموحين لـ « اورارتو »
وهو « اورسا الأول » يحاول أن يثير الدسائس منذ عشر سنوات فاستولى
ميتاني من زيكارتو فى عام ٧١٩ ق.م بايعاز منه وبدون قتال على مدينتين
ولكنهما استعيدتا ودمرتا بالنيران وطرد أهلوهما الى سوريا .

وفى الغرب بدأ ملك الموشيين المدعو ميداس بن جورديوس الفريجي
يتحرك كنتيجة لنفس المؤثر . وفى عام ٧١٧ ق.م . خلع « بيسيريس »
الملك الحيثى لقرقميش وأصبحت مدينته مستعمرة آشورية . وفى الأعوام
التالية قامت حملات جديدة ضد اورارتو كما اجتاحت فى عام ٧١٦ البلاد
الواقعة فيما بين بحيرتى فان واورميا وقامت غارة جديدة فى عام ٧١٥ . وفى
عام ٧١٤ قامت حملة أخيرة انتهت بموت اورسا .

ثم استدار سرجون الى ناحية قيليقيا وتابال وموسكو واستطاع فى
عام ٧١٣ ق.م . ان ييسط نفوذه حتى هاليس واستورد من هناك الأحجار
والمعادن والأخشاب الثمينة لتشييد « دورشاروكين » وهى المدينة الجديدة
التي أنشئت فى شرق نينوى على موقع قرية ماجانوبا .

ريتميز عام ٧١١ بحملة على فلسطين ذلك لأن ملك أسدود كان قد تمرد وحاول بتحريض من مصر ان يحمل الفلسطينيين واليهود والاودميين والموآبيين على التمرد فخلع ولكن الشعب رفض ان يعترف بالملك الجديد الذى نصبته اشور فهزمت جاث مع الاسدوديين وضمت الى الامبراطورية تحت رعاية حكام من القواد . وعندئذ حاول سرجون أن يعيد فتح بابل . وقد استهدفت قبيلة جامبولو للهجوم الأول وتجمعت قبائل أخرى على طول الكرخا حيث حوصروا واضطروا للتسليم . وقامت مظاهرة على حدود عيلام وهرب « مروداخ بالادان » وفتح كهنة بابل بوابات المدينة للمنتصر !

وفى بداية عام ٧٠٩ ق.م . أخذ ملك أشور بـ « يد بعل » وأصبح الحاكم الشرعى لبابل وعندما هدأ اقليم الفرات الأدنى أقر فيه المنفيون من الأقاليم الحيثية وكوماجين كما أنشئت نقط للمحافظة على الأمن على طول حدود عيلام . ولأول مرة نرى ملك دلمون على الخليج الفارسى يرسل جزية وكذلك يفعل ميداس الذى قهر نهائيا . كما أرسل سبعة ملوك من جزيرة قبرص هدايا وسمحوا باقامة لوحة فى ستيوم (لارناكا) أمر سرجون بأن تحفر فيها صورته الملكية ورموز الآلهة العظمى لبابل وأشور .

وفى عام ٧٠٨ أصبحت كوماجين مقاطعة آشورية تحت قيادة حاكم مزود بقوات حربية عظيمة . وفى العام التالى افتتح سرجون القصر ومدينة دور شاروكين بعد رحلة فى جنوب كلدنيا ولكن لم يقدر له أن ينعم بهما طويلا وذلك لأنه قتل فى الشهور الأولى من عام ٧٠٥ ق.م .

وكان سرجون قد أتقن الطريقة التنظيمية التى وضع أسسها تجلات فلاسر فهو لم يكتف بأن نفى الشعوب المغلوبة على أمرها وعمل على مزجهم بأجناس مختلفة ، بل أنه استن طريقة جديدة للاندماج والاحتلال بأن جعل بعض الأشوريين يستوطنون فى المدن الرئيسية المغزوة . ورغم ذلك فان الحيوية الخاصة بالشعوب المنقولة ظلت تنمو حتى اضطرت خلفاؤه الى الدخول فى حرب ليحافظوا على تماسك المجموعة .

وقد أنشأ سرجون مكتبة نينوى كما شجع التجارة عن طريق انشاء أسواق جديدة والزراعة عن طريق عمل خزانات وقنوات . وكان قصره فى دور شاروكين مزخرفا بالنقوش التى تجدر دراستها مع مقارنتها بنقوش قصر آشورنا تسير ابلا فموضوعاتها لم تتغير تقريبا ولكن الذى تناوله التغير كان الأسلوب : فأصبح الأشخاص أكبر من الحجم الطبيعى كما تطورت النقوش وانتشرت . ولعل الأسد البرونزى المقيد ككلب

الحراسسة عند بوابات هذا القصر يعتبر كمثل من أروع أمثلة الفن
الأشوري (١) .

ولم يكد سناخريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق م .) بن سرجون يعتلى
العرش حتى ظهر مدع استطاع أن يستولى على السلطة فى بابل فخرج
مروداخ بالآدان من مستنقعه وطرده فى الشهر التالى (٧٠٣) وحكم هو
مدى تسعة شهور . وقد اعتمد - كما كانت الحال من قبل - على القوات
العيلامية لتسنده . وحالما خرج ملك آشور لمهاجمته جمع قواته بالقرب
من كيش على مبعدة ثلاثة فراسخ من عاصمته . ولكن الأشورى هزمه
واستقبلته بابل استقبال المنتصرين . وقد وضع الملك الأشورى عليها
« بعل ابنى » بمثابة نائب ملك (٧٠٣ - ٧٠٠) وهو بابلى نشأ فى بلاطه .
ثم أمضى عاما كاملا فى تحطيم قوى القبائل الأرامية للفرات الأدنى وهم أولئك
الذين كان العرب قد تسروا بينهم والذين كثر عددهم فى أوروك ونيبور فى
سومير وفى كيش وكوثا فى أكاد . ثم ارتد مرة أخرى ضد الأراميين فى
ميزوبوتاميا ونفى وطرده أكثر من مائتى ألف من بينهم . وقام بغارة على
الكاسيين وبسط عليهم نفوذ حاكم أرافا ثم أكمل عمله فى الشرق ببعض
المظاهرات على حدود ميديا .

وأما فى الغرب فلم يكن ملك صور ليستطيع أن يحتل خضوع الأمراء
القرصيين لأشور وهم الذين كانوا يدفعون الجزية من قبل ويتجرون مع
مدينته ولذا نراه يرسل جيوشا لاستعادة « ستيوم » وهى المدينة التى كان
سرجون قد أقام فيها لوحته . فأرسل سناخريب فى عام ٧٠١ جيشا قويا
وجهه ضد صور ولم تحاول صيدا أو عكا أو المدن الأخرى الساحلية المقاومة
ولكنها فتحت بواباتها للأشوريين فهرب ملك صور الى قبرص حيث مات
بها . أما المواطنون فنظموا الدفاع عن المدينة التى ظلت مصونة .
أما فينيقيا التى كانت قد نظمت شئونها كولاية واحدة فقد قررت عليها
جزية .

أما فى كنعان فإن مصر كانت قد استمرت تدبر اشاعة الاضطراب
فيها وكان عنصر التآمر صدقيا العسقلاني وقد انضموت تحت لوائه يافا
وأكرون وأورشليم ولكن صدقيا هزم وأسر ونهبت مقاطعة يافا فأرسل
أمراء الدلتا وفرعون هدا . وقامت الحرب فى سهل الى جنوب أكرون وخرج
الأشوريون من المعركة منتصرين واستولوا على المدينة وعلقوا جثث زعماء

الثوار على الأسوار ثم اتجه نحو يهوذا واستولى على ٤٦ قرية محصنة وحاصر أورشليم وتمردت حامية المدينة ، الأمر الذي اضطر الملك حزقيا الى المفاوضة وتعهده بدفع جزية قدرها ٣٠ وزنة من الذهب مضافا اليها مازنته عشرة أمثال ذلك من الفضة . كما رأى نفسه مضطرا علاوة على ذلك الى قبول الانتقاص من مقاطعته .

وقد وجد سناخريب نفسه مضطرا عقب عودته الى أشور الى مقاتلة « بعل ابني » ملك بابل الذي خان عهده ولم يبر بقسمه . فطارده « موشزيب مردوك » الكلداني الذي كان قد أعلن استقلاله وكذا « مروдах بالادان » الثاني الذي هجر « بيت ياكين » وركب البحر وهرب الى « ناجيتي رقي » . وبأسر « بعل ابني » وضع « أشور نادين شومي » ابن الملك الآشوري على عرش بابل (٧٠٠ - ٦٩٣) .

وفي عام ٦٩٩ ق.م . قامت حملة الى كردستان والاقليم الغربي لبحيرة فان وفي عام ٦٩٨ اتجه جيش لاختصاع قيليقيا التي كان حاكمها قد روع لواء الثورة فأسر وأحضر الى نينوى وسلخ حيا . وفي عام ٦٩٥ قامت حملة الى أرض تبال .

ويتميز عام ٦٩٤ ق.م . بعملية حربية جديدة تماما - لم يكن لدى سناخريب أسطول ليطارده « مروдах بالادان » الى عيلام بحرا فأمر بإنشاء أسطول جزء منه في « كارشو لمانو أشاريد » و (برجيك) على الفرات والجزء الآخر في نينوى على دجلة . وقد استغرق إنشاء هذا الأسطول عاما كاملا وكان العمال صوريين وصيدائيين وقبرصيين وأبحرت السفن من نينوى حتى أوبيس حيث نقلت برا حتى قناة اراहतو التي استطاعوا بواسطتها الوصول الى الفرات . وتم ضم جزء الأسطول في « باب ساليبي » واتحه الأسطول كله الى مصب الأوليوس . وهزم « مروдах بالادان » وأخذ جنده والجيش العيلامية التي سنده الى الأسر . وسرعان ما دخل المعركة « هاللودوش » ملك عيلام وغزا بابل وثار السكان ضد « أشور نادين شومي » وسلموه للعدو وأعلنوا المذبح « نرجال شزيب » ملكا عليهم . وعاد الجيش الآشوري وانتشرت المذابح في كل مكان وأسروا نرجال شزيب بالقرب من نيبور . أما « موشزيب مردوك » فقد ظهر مرة أخرى وعقد حلفا مع عيلام .

ولقد حاول الملك الآشوري أن يستغل - في نهاية عام ٦٩٣ - ثورة قامت في عيلام استطاع « كوتور ناهونتي » من وراثها أن يخلع « هاللودوش » . وقد تراجع العيلاميون في مبدأ الأمر الى الجبال ولكن

الأمطار والثلوج سقطت بغزارة فى بداية عام ٦٩٢ حتى اضطرت الجيوش الآشورى الى التراجع وهات « كوتور ناهونتى » بعد ذلك بفترة قصيرة وخلفه أخوه الأصغر « أومانيجاش » وقد أرسل جيوشا ضد آشور بناء على التماس ملك بابل : فقامت معركة كبيرة فى هالولى التى لا تبعد كثيرا عن ملتقى التورنات بدجلة ولكنها لم تكن حاسمة (٦٩٠) .

وفى نفس العام بسط سناخريب سبطانه على بعض القبائل العربية التى هربت جيوشها الى ناحية أدوماتو (الجوف) عند مدخل نفود « وهو مكان مجذب لا طعام فيه ولا شراب » وقد سار ملك آشور على طرف الصحراء حتى الحدود المصرية ونصب معسكره فى لاشيس وأرسل من هناك رسلا الى حزقيا ملك يهوذا فأسرع طهرقة الملك الاثيوبى نحو الميدان وتجهز الجيش الآشورى للمعركة ولكن بعد ما تحمله من حرمان من جراء قسوة الطبيعة فى أقاليم الصحراء هلك جزء كبير منه يضاف الى ذلك ما قاساه من جراء وباء انتشر عن طريق الفيران فدفع ذلك كله الملك الى أن يتخلى عن خطته التى كان قد دبرها للمعركة وأن يأمر بالانسحاب .

وكان « موشزيب مردوك » فى بابل يثير متاعب جديدة فقررت سناخريب أن يضع حدا لذلك فاستولى على المدينة وجعل عاليها سافلها وأشعل فيها النيران ثم أغرقها . وبعد ثمانى سنوات أى فى العشرين من تبت من عام ٦٨١ ق.م . بينما كان الملك يصلى فى المعبد اغتاله ابنه « اراد ملكات » و « ونابوشار أوتسور » الذى سعى العام المذكور باسمه .

وقد جدد سناخريب نينوى التى كان سرجون قد هجرها وزودها بكمية وافرة من ماء الشرب وبنى بها قصرا زينته بالنقوش التى بدأت تظهر فيها الصفوف العليا من اللوحات المصورة وميل واضح الى التدقيق فى نقش المناظر . كما وسع المكتبة التى أسسها أبوه وأدخل فى آشور عددا من النباتات والأشجار الجديدة .

ولم يستطع اراد ملكات أن ينتفخ بما جناه من قتل أبيه فبينما هو يستعد لإعلان نفسه ملكا جمع أخوه أسار حدون (٦٨١ - ٦٦٨ ق.م) .

أعوانه وحارب أخاه وهزمه وتوج نفسه ملكا بعد مقتل سسناخريب
ب ٤٢ يوما .

ولما كان من أم بابلية فانه عول على أن يقيم من جديده العاصمة
المهدمة . وكان نابوزر كنوليشير بن مروداخ بالادان الثانى يحاول فى
الوقت نفسه أن ينتهز فرصة تخيير الملك فاثار « أرض البحر » وتقدم
لمحاصرة أور ولكنه هزم واضطر الى الهرب الى عيلام حيث قتله
« حومانالداش » الثانى (٦٨١ - ٦٧٥) وسرعان ما خضع أخوه ناعيد
مردوك .

وأما فى سوريا فان فرعون كان يحاول استعادة نفوذه وقد ثار
« عبدى ملكوتى » ملك صيدا بايعاز منه . وقد انتهت الحملة الأولى بنهب
مدينته وأسر فى عام ٦٧٦ ق.م . وقطع رأسه وحمل الى نينوى . وقد لقى
نفس المصير شريكه « ساندوارى » ملك سيس فى قيليقيا ونفى الناس
جماعات وحلت محل صيدا مدينة جديدة هى « كاراشور احا ادين » وعين
عليها حاكم آشورى وسكنها كلدانيون أسروا فى العام الأول من حكمه .

وكان الاراميون وخاصة قبيلة « بيت ذاكورى » يتآمرون فى بابل حتى
استطاعوا أخيرا أن يدفعوا « حومانالداش » أن يعيرهم عوناً محسوساً
فاستولى الجيش العيلامى على سيبار ولكن موت الملك المفاجئ اضطر خلفه
« أورتاكو » الى أن يكف عن الاعتداء .

وأراد « أسارحدون » أن يتابع الصراع القديم ضد مصر وأن يدخل
الى الدلتا التى لم يسبق لجيش آشورى أن تقدم نحوها فشق طريقه حتى
سيل مصر (وادى العريش) (٦٧٥) ولكنه استدعى الى بلاده ليواجه حلفاء
من الآريين والسكيثيين والميديين الذين كانوا يتهددون الحدود الشمالية
والشرقية للإمبراطورية وكان سرجون (٧٢٠) قد هزم مجموعتين من
السكيثيين والاشكوزاى والسيميريين القادمين من قارة أوربا ولكن
السيميريين استطاعوا اذ ذاك أن ينحدروا ويستقروا فى أحواض الاراكس
والهاليس . أما الاشكوزاى فقد استقروا بالقرب من المانيين فى مكان
ليس بعيدا عن بحيرة فان . فهاجم أسار حدون تيوشبا قائد السيميريين

وطرده ان آسيا الصغرى ثم هزم
الاشكوزاى المتحالفين مع المانيين .

وأرسل الجيش الاشورى مرة
أخرى الى مصر ٠٠٠ ولكن ليس
عن طريق سوريا بل عن طريق
الصحراء الذى كان سناخريب قد
سلكه .



وقد استطاع الجيش أن يخضع
وهو فى طريقه بعض القبائل العربية
التي قتل ملوكها الصغار . ولم يكد
الجيش يصل الى الصحراء السورية
حتى اضطر للعودة لمقابلة العيلاميين
والميديين (٦٧٣) وانضم الجامبولو
الى آشور ضد عيلام واضطر ملوك
« ميدبا » (الميديين) حين ضسيق
عليهم الخناق عند سفح ديما فاند

الى الخضوع وتقديم الجزية .

(شكل ٤٢) لوحة أسار حدون

وقد استدعيت الحشود المسخرة من سوريا جميعا وكذا من قبرص
لينقلوا الى نينوى المواد المطلوبة لبناء قصر جديد . وكان بعل ملك صور
قد أقسم يمين المعاهدة مع آشور : ولكن لم يمنعه ذلك من أن يتصل بطهرقة
ملك أثيوبيا متأمرا فحوصرت مدينته فى بداية عام ٦٧١ ق.م. وتمر الجيش
الأشورى بها نحو الجنوب الى رايبحي (تل رفح) حيث احضر العرب جمالا
لعبور الصحراء وشق الجيش طريقه للمرة الأولى فى أرض مصر . ووصل
بعد خمسة عشر يوما الى منف وهو يقوم بمعركة تلو معركة . وفى الثانى
والعشرين من تموز (يولية) استسلمت المدينة بعد مقاومة استغرقت نصف
يوم وفر طهرقة الى الجنوب وأسرت زوجته وحريره وأولاده . وأعيد الأمراء
الأقدمون فى المدن المهزومة الى وظائفهم وإن الحق ببلاطهم ضباط وكتاب
أشوريون .

وكانت قعقعة الثورة تدوى فى آشور فذبح الملك فى عام ٦٧٠ ق.م .

الكثيرين من أمرائه الذين لم يكونوا ليقبلوا بغير تدمير اختيار آشور بانيبال الابن الأصغر لاسار حدون وريثا شرعيا للتاج الأشورى فى الوقت الذى كان عرش بابل وحده من نصيب ابنه الأكبر شاماش شوم أوكين .

وفى العام التالى كانت الأمور فى مصر تتطلب تدخلا جديدا اذ عاود طهرقة الظهور واستعاد منف فاتخذ اسر حدون الخطوة للتقدم لولا أنه سقط مريضا ثم مات فى العاشر من مارهشوان (أكتوبر - نوفمبر) عام ٦٦٩ ق م .

فأمر آشور بانيبال (٦٦٩ - ٦٢٦) رئيس الجيش أن يتابع السير وأن يجمع كل القوى فى الدويلات التابعة له التى يمر بها فى طريقه . فهزم جيش طهرقة بالقرب من كاربانيت فى الدلتا وتقدم الأشوريون فى وادى النيل حتى طيبة وأعيد تنظيم البلاد . ولكن لم تكه الجيوش تعود الى سوريا حتى تأمر ثلاثة من ملوك الدلتا بقصد الاستقلال وهكذا غزيت الدلتا جميعها مرة أخرى ونهبت سايس ومندس وتانيس . ولما مات طهرقة (٦٦٦) استولى ابن أخيه تاندامانى (تانوت آمون) على طيبة وأونو (هليوبوليس) واتجه نحو منف حيث كانت قوات البوليس الأشورية مركزه . ووصل الجيش النينوى الى الميدان واضطره الى الانسحاب جنوبا وظارده الى النوبة ونهب مدينة طيبة وحمل معه مسلتين كعلامة من علامات النصر .

وكانت احدى نتائج هذه الحملة تهدئة سوريا حيث لم يجرؤ أى ملك على معاودة التآمر . وقد ذاعت شهرة آشور بانيبال فى آسيا الصغرى فأرسل جيغس ملك ليديا اليه وفدا هلمتسسا عونه فى صراعه ضد السيميريين الذين كانوا يهددون دولته : وفى الوقت الذى كانت ليديا تحارب هؤلاء الآريين هاجمت آشور أحلافهم المانيين والميديين (حوالى ٦٦٠) الذين كانوا قد اتحدوا تحت قيادة رئيس واحد .

والتمس « شماش شوم أوكين » العون من أخيه ضد العيلاميين الذين انتشروا فى بابل بفضل تستر الجمبوليين . وقد هزم ملكهم « أورتاكو » ومات (٦٦١) واستولى على العرش مغتصب يدعى تيومان وطلب أن يسلم اليه الأمراء العيلاميون الذين كانوا قد التجئوا الى نينوى . وقد دعا هذا الى قيام حرب جديدة فهزم « تيومان » فى « توليز » فى جنوب سوسه وحمل رأسه رمزا للنصر وقسمت عيلام الى ممالكتين وضع على عرشيهما ابنا « أورتاكو » وهما : « هومبا نيجاش » الثانى « وتامارينو » .

وقد كان « شاماش شوم أوكين » سببا فى اشعال نار الحرب من جديد ، اذ أن هذا الأمير كون حلفا ضد أخيه حوالى ٦٥٢ ق م . ضم كل أمراء

كلديا كما انضم له هومبا نيجاش وكذلك فعلت شعوب الجبل وقد امتد هذا الحلف غربا عن طريق بلاد العرب الى شبه جزيرة سيناء وسوريا ، ولكن هذه الحركة قمعت في قوة وعنف وقامت بابل من السيف والنار والدم وحس شماش شوم اوكين نفسه في قصره وأشعل فيه النار وهلك في لهيبها . أما كلديا فقد أقيم عليها حكام آشوريون (٦٤٨) .

وكان « تاما ريتو » في عيلام قد خلع اخاه وانضم الى الحلف البابلي فخلعه مغتصب يدعى « اندابيجاش » ولكن سرعان ما حل محله « أوما نالداسي » ثم « أومباهابوا » وتقدم الجيش الآشوري نحو سوسه واعاد « تماريتو » ولكن سرعان ما تحرك وظهر اوما نالداسي وانتهى التدخل الجدي بنهب وتحطيم سوسه (٦٤٠) ولم ترع حرمة الموتى اذ حملت عظام ملوكهم الى آشور وحرمت ارواحهم من الراحة وذلك بعدم تقديم القرابين الجنزية . وقد حاول بسماتيك في مصر أن يكون حلفا وتلقى مددا من جيوش الليدي ولكن الوثائق المسمارية لا تتحدث عن قمع هذه الثورة وان كانت تذكر فقط موت جيغس في صراع بين السيميرين كما تذكر رسالة أرسلها ابنه الى الملك الآشوري يعترف له فيها بولائه .

وقد وجهت عدة حملات ضد العرب وقامت غارة أولى وصلت الى نباتين وذلك عقب سقوط بابل مباشرة فاصطنع ملك نباتين الخضوع ولكن سرعان ما استدعت الحال العودة اليه : وحاول العرب أن يستدرجوا الجيش الآشوري الى الصحراء ولكنه أخذ معسكرات « اتار ساماين » والكيدارينين واستطاع « واتى » بن « بيرددا » - الذي كان الآشوريون قد نصبوه ملكا - أن يهرب ولكنه طورد وسادت المجاعة وانتشر الطاعون بين العرب الذين خانوا ملكهم وسلموه الى العدو فحمل الى نينوى وربط من فكه الأسفل الى سلسلة كلب وعرض على البوابة الشرقية للمدينة .

وصلت آشور وقتئذ الى أوجها : وبلغ اتساع الامبراطورية الى أقصى ما وصلت اليه وكانت نينوى قد طفحت وامتلاّت بالثراء وكان الأمراء الأسرى يجرون عربة آشور بانيبال حين يذهب الى المعبد ليقدم الشكر للمعبود من أجل انه مهد له دائما سبيل النصر . وجمعت في المكتبة التي أسسها سرجون أهم الوثائق للآداب البابلية والآشورية وزينت قاعات الاحتفالات في القصر بالنقوش التي بلغ بعضها القمة من ناحية الدقة الفنية .

وينقطع قصص الحوليات في عام ٦٣٦ ق.م . وليس بها نبأ ما عن النزاع الذي أدى بهذه الامبراطورية الى الانهيار بعد أقل من ثلاثين عاما .

ولقد كونت في الشرق - حضبة ايران - القوة التي قدر لها أن

تغزو أرض آشور وتحاصر نينوى وتزيلها من وجه الأرض الى الأبد . وربما أتى الميديون والفرس من أوربا عبر القوقاز واستقروا هناك الأول في الجنوب والآخر في الشمال وكان الآشوريون قد دخلوا في صراع للمرة الأولى في القرن التاسع مع بعض القبائل الميديّة ، وفي القرن التالي نفى سرجون بعضهم الى سوريا وأحل محلهم السامريين وبعض الشعوب الأخرى المغلوبة على أمرها . وقد استطاع « دايا اوكو » وهو (De Joces عند اليونان) في خلال حكمه أن يجمع شمل قبائل متعددة ويعلم نفسه ملكا واختار « اكبتاني » عاصمة له وخلفه فرافارتني (Phraortes — حوالي ٦٤٧ - ٦٢٥) وضم بعض الولايات المجاورة وانتصر على الفرس الذين انتهز ملكهم تايستبس فرصة تدمير سوسة ، ليستولى على جانب من عيلام ويعلم نفسه ملكا على انشان ثم هاجم عندئذ آشور ولكنه سقط في ساحة القتال مع معظم جنده .

واعاد سيا كسار ابنه تنظيم الجيش على النظام الآشوري . ونا دخل ساحة الحرب مرة أخرى هزم القواد الآشوريون وحوصرت نينوى ولكن جيشا جديدا اشترك في الصراع وهم السكيثيون القادمون من أوربا والذين كانت تربطهم بأشور صلات منذ أكثر من قرن من الزمان فهاجموا الميديين من المؤخرة وهزموهم الى الشمال من بحيرة اورميا واجتاحوا اقليمهم ثم انقضوا على آشور وحرقوا كلج وأشور ودمروا كل ما لقوه في طريقهم وانتشروا بعد ذلك في البلاد التي كانت تدفع الجزية ووقفوا في النهاية على حدود مصر تقديرا للهدايا الثمينة التي قدمها لهم بسماتيك .

وحوالي عام ٦١١ استطاع « سيا كسار » ان يرفع النير . وكان آشور بانيبال قد مات (٦٢٦ - ٦٢٥) واحتل العرش ابنان له على التوالي وان لم يكن ذلك بغير صراع نظرا لظهور مدعين للعرش . ولم يستطع ثانيهما « سنشار اشكون » ان ييسط نفوذه خارج آشور نفسها الا على بضع مدن بابلية ظلت موالية له ثم أعلن « نابوبو لاسار » الكلداني حاكم بابل نفسه ملكا وسرعان ما تحالف مع الميدي ضد مولاة القديم وحوصرت نينوى وسقطت ودمرت بالنار والفيضان (٦١٢) .

وتحطمت الامبراطورية الآشورية الى الأبد ورددت الشعوب التي خلعت نيرها كلمات النبي اليهودي :

« كل الذين يسمعون خبرك يصفقون بأيديهم عليك :

لأنه على من لم يمر شرك الدام ؟ » (١) .

قائمة تاريخية لأمرء آشور ومن يعاصرهم من أمرء سومير وأكاد
 علامة * تسبق أسماء الأمرء الأشوريين الذين لدينا نقوش عنهم

علامة x تدل على المعاصرين :

أوشيبا { ترتيب غير معروف
 كيكيا { ذكرهما ملوك متأخرون

ايري كاكسابو

سويلو (٩)

* زاريككوم

١ - بوزور آشور الأول

٢ * شاليم أهوم

٣ * ايلوششوما الأول

٤ * ارششوم الأول

٥ * ايكونوم

٦ - سرجون الأول

حوالى ٢٠٤٠ بورسن ملك أور

الأمرة الأولى البابلية

٢٢٢٠ - ١ x ٢٢٢٥ سومرايوم

٢٢٠ x ٢ - سومولا ايلوم ٢٢١٢ - ٢١٧٦

٢ - زانيوم ٢١٧٥ - ٢١٦٢

الأسرة الثانية

٢١٤٤ - ٢١٦١	٤ - أيسل سن
٢١٢٤ - ٢١٤٣	٥ - سن موباليت
٢٠٨١ - ٢١٢٣	٦ - حمورابي

x ايلوما ايلوم

ايتي ايلي نيتي

٢٠٤٣ - ٢٠٨٠	٧ - سمسو ايلونا
٢٠١٥ - ٢٤٠٢	٨ - ايشو
١٩٧٨ - ٢٠١٤	٩ - أهي ديتانا
١٩٥٧ - ١٩٧٧	١٠ - أهي زادوجا
Weidner, Assur, 4128	١١ - سامسو ديتانا ١٩٢٥ - ١٩٥٦

شوتشي

كولكنمار

رن ٠٠٠

٧ - بوزور آشور الثاني

٨ - أهي آشور

٩ - رم سن

١٠ - ايلوشوما الثاني

١١ - أريشوم الثاني

١٢ - شماشي أداد الأول

١٣ - اشعي دجان الأول

١٤ - ٠٠٠ أنششات

١٥ - ريوش

١٦ - أداسي

١٧ - بعل باني

١٨ - شسابابا

١٩ - شارما أداد الأول

٢٠ - جيزيل سن

الأميرة الثالثة

٢١ - زمرايا	١ - جنداش	حوالي ١٧٦١ - ١٧٤٧	بشده اجالدا راماش
٢٢ - لولايا	٢ - أجوم الاول	١٧٤٥ - ١٧٢٤	أدارا كالايا
٢٣ - بان فينوا	٣ - كستلياش الاول	١٧٢٣ - ١٧٠٢	ايكورو لانا
٢٤ - شارما أداد الثاني	٤ - ايرافاش	١٧٠١ - ١٦٩٤	ميلا مكور كورا
٢٥ - أريشوم الثالث	٥ - كستلياش الثاني		ايا جميل
٢٦ - شمشي أداد الثاني	٦ - تازيجوروماش		
٢٧ - اشمي دجان الثاني	٧ - هارباشيباك		
٢٨ - شاشي أداد الثالث	٨ - ...		
	٩ - أجوم الثاني		
	١٠ - كوريجالزو الاول		
	١١ - ماشيباك الاول		

۱۲ - نازیا رو تاش الاول

۳۰ - بووزر آشیر الثالث

۳۱ - انلیل هتیر الاول

۳۲ - نور ایل

۳۳ - اشمی دجان (ثالث

۳۴ * آشیر نیراری الاول

۳۵ * بووزر آشیر الرابع

۳۶ - انلیل نتسیر الثاني

۳۷ - آشیر دانی الاول

۳۸ - آشیر نیراری الثاني

۳۹ - آشیر بعل نشیشو

۴۰ - آشیر دم نشیشو

۴۱ * آشورنا دین آهی

۴۲ * اریبا آداد

۱۳ - بووزر ناپوریاش الاول

۱۴ - کشتلیاش الثالث

۱۵ - أجوم الثالث

فی مصر

× أمحتب الثالث حوالي ۱۴۱۳ - ۱۳۷۷

۱۶ - کارا انداش الاول

۱۷ - کوریچالزو الثاني

× ۱۸ کادشان المیل الاول

× ۱۹ بووزرناپوریاش الثاني

× أمحتب الرابع حوالي ۱۳۷۶ - ۱۳۶۱

* ٤٢ آشور أوباليت

× ٢٠ كادا انداش الثاني

× ٢١ كاد شمان حاربي الأول

ناز يوجاش (مقتضب)

× ٢٢ كوريجالزو الثالث

* ٤٤ ابليل انبراري

* ٤٥ أريك دن ايلي

* ٤٦ أداد نبراري الأول

حوالي ٢٣ سنة ١٣٥٧ - ١٣٣٥

× ٢٣ ناذي مارو تاش ٢٦ سنة حوالي ١٣٣٤ - ١٣٠٩

× ٢٤ كاد شمان تورجو ١٧ » ١٣٠٨ - ١٢٩٢ حوالي ١٢٩٠ - ١٢٦٠ * ٤٧ شلمنصر الأول

× ٢٥ كادشمان ابليل الثاني ٦ » ١٢٩١ - ١٢٨٦

× ٢٦ كودور ابليل ٩ » ١٢٨٥ - ١٢٧٧ * ٤٨ تو كولتي اينورتا الأول

× ٢٧ شاجراكتي شورپاش ١٣ » ١٢٧٦ - ١٢٦٤

× ٢٨ كاشتياش الثالث ٨ سنوات حوالي ١٢٦٣ - ١٢٥٦

۱۲۵۴ - ۱۲۵۵	حوالی	۱/۲ سنه	۲۹ - ايليل نادين شوم	* ۴۹	اشور نادين ابلا الاول
۱۲۵۳ - ۱۲۵۴	»	۱/۴ سنه	۳۰ - كشممان حربي الثاني	* ۵۰	اشور نيراري الثالث
۱۲۴۷ - ۱۲۵۲	»	۶ سنوات	۳۱ - اداد شوم ادين	۵۱	ايليل كودور اوتسور
۱۲۱۷ - ۱۲۴۶	»	۳۰ سنه	۳۲ - اداد شوم اوتسور	۵۲	اينورتا ابال ايكور الاول ۱۱۸۲ - ۱۱۴۵
۱۲۰۲ - ۱۲۱۶	»	۱۵ سنه	۲۳ - مليشيباك الثاني	۶ سنوات	اشور دان الاول
۱۱۸۹ - ۱۲۰۱	»	۱۳ سنه	۲۴ - مرداخ بالادان الاول	۵ سنوات	
۱۱۸۸	»	۱ سنه	۳۵ x زبابا شوم ادين	۱۱۴۵ - ۱۱۸۲	
۱۱۸۵ - ۱۱۸۷	»	۳ سنوات	۳۶ - ايليل نادين اهي	۵۳	

الاسرة الرابعة

۱۱۶۸ - ۱۱۸۴	»	۱۷ سنه	۱ - مردوك شيباك زيريم	۵۴	اينور تاتو كورتى اشور
۱۱۶۲ - ۱۱۶۸	»	۶ سنوات	۲ - اينورتا نادين شومى	۵۵	موتاكل فوسكو
			۳ x ۱۱۱۵ - ۱۱۲۵	حوالی	اشور دشن ايشى الاول
					۵۶

x ٤ ايلليل نادين ايل
 x ٥ مردوك نادين أهى
 ٦ - اتى مردوك بلاتى
 x ٧ مردوك شاييك زوماتيم
 x ٨ أداد أبال ادين
 سنة ٢٢
 ١٠٩٥ - ١٠٧٤

١٠٧٣ سنة ١ ١/٣
 ١٠٧٢ - ١٠٦١ سنة ١٢
 ١٠٦٠ - ١٠٥٣ سنوات ما بين ٨

الأسرة الخامسة

١٠٥٢ - ١٠٣٢ سنة ما بين ١٨
 ١٠٣٥ شهر ٥
 ١٩٣٤ - ١٠٣٢ سنوات ٣

٥٧ - تجلات فلاس الاول حوالى ١١١٥ - ١١٠٠
 ٥٨ - اينورتا أبال ايكول الثانى
 ٥٩ - آشور بعل كالا الاول

٦٠ - ايلليل رانى
 ٦١ - آشور بعل كالا الثانى

٦٢ - اريسا
 ٦٣ - شمشى أداد الرابع
 ٦٤ - آشور تفسير أبلا الاول

١٠١٥ - ١٠٣١	سنة ١٧	الأسرة السادسة	١٢ سنة	٦٥ - سلمنصر الثاني
١٠١٢ - ١٠١٤	١ - أولاش شاكين شومي	٢ سنوات	٦٦ - آشور نيراري الرابع	
١٠١٢	٢ - اينورتا كودور أوتسو	٣ شهور	٦٧ - آشور رابي الثاني	
	٣ - شرفتو شوقامونا			

الأسرة السابعة

١٠٠٦ - ١٠١١	٦ سنوات	ماربتي ابالك أوتسور	٩٦٦ - ٩٩٥	٦٨ * آشور رشي ايشي الثاني
-------------	---------	---------------------	-----------	---------------------------

الأسرة الثامنة

٩٧٠ - ١٠٠٥	٣٦ سنة	١ × نابوموكين أبي	٩٣٣ - ٩٦١	٦٩ * تجلات فلاسر الثاني
٩٧٠	٢ × اينورتا كودور أوتسور	الثاني		
٩٤٦ - ٩٧٠	٣ × ماربتي أهي أدين		٩١١ - ٩٣٣	٧٠ - آشور دان الثاني
٩٠٥ - ٩٤٥	٤ × شماش موداميق		٨٩٠ - ٩١١	٧١ * أداد نيراري الثاني
٨٨٥ - ٩٠٥	٥ × نابوشوم أو كين			

* ۷۲ توكولتي اينورتا الثاني

۸۸۴ - ۸۹۰

۸۸۵ - ۸۵۲ x ۶ نابو ابلا ادين

* ۷۳ آشور ناتشير ابلا الثاني

۸۸۴ - ۸۵۹

۸۵۹ - ۸۲۴

* ۷۴ سلمنصر الثالث

آشور دانيال (مقتضيب)

۸۵۲ - ۸۲۲ - مردوك زكير شوم

۸۲۴ - ۸۱۰

* ۷۵ شمشي اداد الخامس

۸۲۲ - ۷۹۴ - مردوك بالاتسو ايقبي

۸۱۰ - ۷۸۲

* ۷۶ اداد نيرازي الثالث

۹ - باور اهمي ادين

۱۰ - مردوك بعل

۱۱ - مردوك ابلا اوتسور

۷۸۲ - ۷۶۲ - اربيا مردوك

۷۸۲ - ۷۷۲

۷۷۲ - ۷۵۴

* ۷۷ سلمنصر الرابع

۷۸ - آشور دان الثالث

الأسرة التاسعة

٧٤٨ - ٧٦١	١ - نابو شوم اشكون الثاني	٧٤٦ - ٧٥٤	٧٩ - أداد نيرارى الرابع
٧٣٤ - ٧٤٨	٢ - نابو ناسار	٧٢٧ - ٧٤٥	٨٠ * تجلات فلاسر الثالث
٧٣٢ - ٧٣٤	٣ - نابو نادين زر		
٧٣٢	٤ - نابو شوم أو كين الثاني		

الأسرة العاشرة

٧٢٩ - ٧٣٢	١ - نابو أو كين زر		
٧٢٧ - ٧٢٩	٢ - بولو		
٧٢٢ - ٧٢٧	٣ * أولولاي	٧٢٢ - ٧٢٧	٨١ * سلمنصر الخامس
٧١٠ - ٧٢١	٤ - هروداخ بلادان الثاني	٧٠٥ - ٧٢٢	٨٢ * سرجون الثاني
٧٠٥ - ٧٠٩	٥ * سرجون		
٧٠٣ - ٧٠٥	٦ * سنأخريب	٦٨١ - ٧٠٥	٨٣ * سنأخريب

٧٠٣	- مردوك زاكين شوم	٧	
٧٠٣	- مردوخ بالادان الثاني	٨	
٧٠٠ - ٧٠٣	- بعل ابني	٩	
٦٩٤ - ٧٠٠	- آشور نادين شوم	١٠	
٦٩٣ - ٦٩٤	- نرجال شزيب	١١	
٦٨٩ - ٦٩٣	- موشزيرل مردوك	١٢	
٦٨١ - ٦٨٩	- سيناخريب	١٣	
٦٦٩ - ٦٨١	- آسارحدون	١٤	٦٦٩ - ٦٨١
٦٤٨ - ٦٦٨	- شيباش شوم أوكين	١٥	٦٢٦ - ٦٦٩
٦٢٦ - ٦٤٨	- كائدا لانو	١٦	
٢٦٦	- آشور اتيل الياني	١٧	٦٢٦
			٨٤ * آسارحدون
			٨٥ * آشور بانيبال
			٨٦ * آشور اتيل الياني

الأسرة الحادية عشرة

٦٠٤ - ٦٢٥	- نابو بو لاسار	١	
	- سن شوم ليشير	١٨	
٦١٢	- سن شار اشكون	١٩	٦١٢
			٨٧ - سن شوم ليشير
			٨٨ * سن شار اشكون

الكتاب الثانى :

النظم

الفصل الاول

الدولة والأسرة

١ - الدولة

كان نظام الدولة هو نفسه كما فى بابل فكان الاله آشور هو السيد الحقيقى للبلاد والمدينة التى تحمل اسمه كما كان ملك آشور نائبه ولا يستطيع أن يقوم بتنفيذ أى مشروع قبل أن يتلقى أمره ويقدم حسابا عنه . وعند عودته من كل حملة مثلا كان الملك يقدم له تقريرا اضافيا هو فى الحقيقة يوميات الحملة وسرد للنجاح الذى حققته . فاذا كان تجلات فلاسر هاجم كوماجين فما ذلك الا « لأنها منعت جزيتها وهداياها عن الاله آشور » . ويقول الأمير نفسه فى مكان آخر عن الشعوب المنهزمة : « لقد أخضعتهم لأشور مولاي وعددتهم ضمن رعايا آشور مولاي » وكما هى الحال فيما شهدناه فى بابل كانت كل مدينة مسكنا للمعبودات . ويشير سرجون الى « الآلهة الذين يقيمون فى كلسح » « والآلهة والالهات الذين يقطنون سومير وأكاد » وبعد تدمير بابل يقرر أسار حدون أن « الآلهة والالهات الذين كانوا يقطنون فيها صعدوا الى السماء على حين أخضع الناس الذين كانوا يعيشون فيها للنير والقيود » .

وكان يقوم على رأس المجتمع الملك والملكة وولى العهد . ولكل منهم مسكنه الخاص بموظفيه المتعدين . وكان الملك يمنح اسمه للسنة الاولى لولايته للعرش . كما يعطى « التورتان » أو القائد الأعلى اسمه للسنة التالية ويتلو عما فى هذا الشرف المشرف على القصر ورئيس السقاة وعشرات من الضباط الآخرين . ولقد أحاط السرجونيون أنفسهم بجيش من الأخصاء والمقربين : كحامل الحتم ورئيس الاحتفالات وأمين القصر وحامل المفاتيح ورئيس السقاة والمشرف على الحظائر وكبير الأطباء يعاونه طبيب مساعد والطبيب الخاص للملك وكاتب القصر وكاتب الحرمك وكاتب الخطابات

الأرامية وكاتب الخطابات المصرية ومفتش القصر وقائد القصر ورئيس الحرس وبستانى القصر ومفتش الحرمك والمشراف على القطعان ورئيس الخبازين وكبير الخصيان وحامل السيف وحامل الصولج ورئيس الصياغ ومدير الموسيقى ورئيس القصارين ورئيس النساخين ورئيس بوابى البوابة الرئيسية الخ .

وكان للملكة الوالدة وللملكة هيثة موظفين من الكتاب وحامل الختم ورئيس الرسل والنساجات الخ . أما ولى العهد فكان لديه - شأنه فى ذلك شأن الملك - بيت حربى وبيت مدنى . وكان يشرف عليه حاكم ريعوطه عدد من الكهنة ورجال الأعمال والمفتشين .

وكان الشعب ينقسم الى طبقتين : الأمراء والعبيد .

وكما هى الحال فى بابل كان للأسرة مكانتها فى آشور فكان من المعتاد أن تعامل أسرة العبيد كوحدة كاملة لا فردا فردا ، فإذا بيع فانه لا ينتقل وحده بل ان الصفقة تتضمن فى الوقت نفسه زوجته وأولاده وبناته وأمه الأرملة وأخاه الأصغر ان كان لا يزال قاصرا فى حكم القانون .

ولقد اشترى « أولولاي » من « نابواريبا » فى عام ٦٨٤ ق.م . بمبلغ ٦ مينا من الفضة العبد « كاند الانو وأبنائه الثلاثة وزوجته وابنتيه وأخاه وأولاد الأخ الذكور الثلاثة » كما باع « كيكينانو » رجلا وأمه الى « شوقا ايلانى » . وكما سلم « ياكارا احدى » مع ابنته . وانا لنجد فى نقد واحد معا : رجلا وزوجته وابنته ، ورجلا ومعه زوجته وأبنائهما الثلاثة وزوجان وعبد بمفرده (١) .

ورغم أنه كان يشار فى معظم الأحوال الى رفيق العبد بالاصطلاح المشبه « امرأة » فانه كان يطلق عليها كذلك كلمة « زوجة » وكلا الاصطلاحين يترددان على التبادل فى العقد المذكور . وكان السيد يختار بنفسه فى معظم الأحوال العبيد الذين يريد أن يزواجهم : اشترى كاكولانو بنصف مينا من الفضة الفتاة « أبى دلالى » وزوجها من عبده « أولولاي » . وفى مناسبة أخرى نرى نفس الشخص يقوم بعملية مشابهة لمصلحة عبده « تارهمو نازى » . وكان الزواج من امرأة واحدة هو القاعدة فى مثل هذه الزيجات كما هى الحال بين الأحرار . ومع ذلك فانه حدثت زيجات بأكثر من امرأة : فنحن نجد فى عقد من ٦٨٠ ق.م . خاص ببيع سبعة أشخاص أن عبدا بيع مع زوجته وأطفاله (٢) ولم يكن العبد يستطيع أن يمنح أطفاله اسمه فكان العبد يعرف باسمه وحده دون ذكر اسم أبيه .

XIV No 230, 235, 245, 246.

(١)

Ibid No 309, 308, 229.

(٢)

وكما هي الحال في بابل كان العبد يستطيع أن تكون له أملاك خاصة منقولة وثابتة فكان يملك الحقول وحديقة وبيتا وعبيدا . وكان يستطيع كذلك أن يقوم ببعض العمليات من بيع وشراء قرض وشهادة شأنه في هذا شأن الرجل الحر . وكان له كذلك ختم يصدق به على الوثائق . وفي خلال تكتية « مردوك شاراوتسور » نرى عبدا ل « دادا ريماني » يبيع امرأة يمتلكها فينقلها الى « عبدونو » بن « كاكو لانو » رجل الأعمال المشهور الذي كثيرا ما يظهر اسمه في العقود التي ترجع الى عهد آشور بانيبال ولا تختلف محتويات اللوحة في شيء من العقود المتداولة المعتادة بين طرفين من الأحرار . وهناك عبد آخر باع حديقة في ٦٦٦ ق م . واعترف « نابو تاريتس » في عام ٦٧٩ ق م . وهو عبد ل « تسابانو » أنه تسلم ٢١٠ مينا من البرونز من « شانجو عشتار » بوضع ختمه (١) . والعقود التي وردت فيها أسماء العبيد كشهود كثيرة . فهناك عبد مع اثنين من أتباعه كان حاضرا وقت تحرير عقد مؤرخ في ٧٠٩ ق م . وهناك وثيقة سبقت الإشارة إليها بسبب النصوص الجزائية الواردة فيها والتي تطبق على من يحاول إلغاء الاتفاق . وقد ورد فيها من بين الشهود أحد عشر شاهدا من عبيد كبار رجال الدولة : وقد تم تحرير العقد : أمام باججي ، بيلاي ، أو ردو ، آشور كاشوم . . . والأربعة جميعا من عبيد محافظ القصر وأمام لوكيما ، شارو اقبى ، حلسوسو . . . والثلاثة جميعا من عبيد رئيس مأموري الأقوات . وأمام ايلي بالانسو اقبى ، وكناني عشتار وهما عبدان لحامل الختم . وأمام « تسيل اداداد » عبد « راب كرماني » . وأمام « اكرو » جابي مكوس نينوى وأشور احي أوتسور ، أشوراي ، أردى عشتار عبيد . . . و « أمام شوما ايلاني » (٢) .

وكانت هناك طبقة هامة من العبيد تتكون من موالى الأرض . وحين كانت الأملاك التي يعملون بها يتغير أصحابها كانوا يضمون في عقد البيع وكان في معظم الأحيان يشار اليهم عائلة عائلة . ولقد اشترى « ملكي نوري » في عام ٦٦٨ ق م . مزرعة من « نابو شريب » بحالتها بحقولها وحدائقها وعمالها « واشترى « شوموايلاني » خمسين ايمر من الأرض بها ١٠٠٠٠ شجرة فواكه وبيتا و « حشانا » وأبنساء الأربعة وزوجته والمرأة دانجي وابنتها ٠٠٠ أي ٩ اشخاص في المجموع .

وأحيانا كان الناس يؤخذون دون ضمان : وهكذا فعل « ملكي نوري » على ما يظهر الا أن المشتري كان يحتفظ أحيانا أخرى بحقوقه : فقد ورد في عقد بيع من دوجاوا وأبيه فقرة خاصة بالصرع والمطالبة .

Ibid Nos 311, 306, 161.

(١)

CIX, 113, XXIV, 464.

(٢)

وإذا رهنت إحدى الممتلكات فإن العبيد كانوا يسلمون في نفس الوقت ثم يسترجعون عند السداد : ولقد تسلمت السيدة « أداني » في عام ٦١٤ ضمانا عن ٢ مينا من الفضة ٠٠٠ لا قطعة أرض مساحتها ١٢ ايمر فحسب بل وكذلك العائلتين اللتين كانتا تزرعانها واحداهما مكونة من خمسة أشخاص والأخرى من زوج وزوجة لا عقب لهما (١) .

وكان من المستطاع أحيانا أن يصل العبد الى وظيفة عالية : ففي عام ٦٨٣ ق.م. نجد عبدا من عبيد بيت الملكة يصبح مفتشا للمدن .

٢ - الجيش

كان ملك آشور يقود حملة في كل عام تقريبا في شهر تموز « الذي كتب سيد العلم الاله » ن. ايجي أزاج « في اللوحة القديمة أنه فصل تجمع الجيوش وإنشاء المعسكرات » (٢) ومع ذلك فإنه لم يكن ليفعل ذلك أبدا دون استشارة الآلهة بواسطة العرافين الذين يقومون بدراسة أمعاء الذبائح ويتقبلون الأمر الالهي في الأحلام . أو المتفضلين منهم في فن معرفة النجوم . وبعد أن يكون ولاية مدن الحدود قد أرسلوا غيونا الى المقاطعات المزمع مهاجمتها وتكون تقاريرهم دالة على أن من المقدر نجاح الحملة .

وكان الجيش مستعدا للسير تحت قيادة ال « تورتان » وهو أكبر موظفي البلاط وذلك حين لا يكون الملك على رأس جيوشه بنفسه . ويصف سرجون بالتفصيل تكوين جيشه في عام ٧١٤ وذلك في الخطاب الذي يقدم فيه للاله آشور تقريره عن الحملة الثامنة (٣) : فلقد استعرضه ثم وصل أمام سيميريا التي يصفها وصفا شعريا : « انها قمة عظيمة ترتفع مثل سن الرمح وتسمو فوق الجبال . هي مسكن « بعليت ايلي » الرأس الذي تعبد عليه السماء من أعلى ومن أسفل تمتد جذورها حتى تصل الى وسط الجحيم . هي من الخارج كالسلسلة الفقرية للسحمة لا تدع مجالا للبرور من ناحية الى أخرى ٠٠٠ الصعود عليها عسير من أمام أو من خلف . تنشق على جانبيها خوانق وهاد حتى ليوحى منظرها بالربح . وليس من الممكن أن ترقى اليها العربات أو الجياد الصافيات ٠٠٠ هذا الى مسالكها الوعرة التي يصعب على المشاة اختراقها ٠٠٠ ولكن بفضل سمعة أفعى وما أوحى به الى آيا وبعليت ايلي اللذان مدا في ساقى لأذل البلاد المعادية زودت مشاتى بمعاول برونزية حتى استطاعوا أن يجعلوا

XCIV No 472, 422, 429, 58, 447.

(١)

XX I, III, p. 3 (Traduction Thureau-Dangin)

(٢)

Ibid, p. 7.

(٣)

صخور الجبال العالية تتطاير شظايا كأحجار البناء ومهدوا الطريق ورحلت على رأس جيوشى : وكانت العربات والخيالة والمحاربون على جانبي جعلتهم كنسور شجعان يطرون فوق هذا (الجبل) وأمرت العمال من الجند أن ينبعونا وأما الجمال ودواب الحمل فكانت تقفز فوق قمته كما عجز برى ربيت فى الجبال . وجعلت جيوش أشور الثقيلة تتسلق منحدراته الخطرة فى سلام ثم أقمت معسكرى على قمة هذا الجبل » .

واننا لنرى وفقا لما جاء بالتقرير بعد ذلك أن المشاة كانوا مسلحين بالأقواس والبعض بالرماح والدروع . وأما العمال من الجند ممن يقومون بالهدم والكشافون فقد حملوا البلطة والمول . ولم تكن هناك أدوات حصار ولكننا سوف نجدها فى ظروف أخرى .

وطبقا للنقوش التى كانت تزين الجزء الأسفل من حوائط القصور نستطيع أن ندرك أن المشاة الآشورية الثقيلة فى الألف الأولى كان يضع أفرادها فوق رؤوسهم خوذة مخروطية مزودة بقطع جانبية لحماية الأذنين أما الصدر والجزء العلوى من الساعدين فكانا يغطيان بزرد من قشور محارية مروحية الشكل تلبس فوق الدثار . وكان يكمل الزى سراويل وأحذية طويلة . وكانت المشاة الثقيلة تتكون من مجموعتين : حملة الأقواس وحملة الرماح ومع كل منهم سيف قصير للحرب من قرب . وكان رجال المجموعة الثانية يحملون رمحا طويلا ودرعا أما من المعدن مستديرا ومعدبا أو من الخيزران المجدول مستديرا عند القمة ومستقيما فيما دونها . وأما حملة الأقواس فكان لديهم القوس والجمبة المعلقة على الظهر . أما المشاة الخفيفة فكانت تضم كذلك حملة الأقواس وحملة الرماح . ولكن حملة الأقواس لم يكونوا يلبسون الزرد . وكان حملة الرماح يضعون الخوذات التى تنحنى من أعلى الى الخلف كما يحملون درعا صغيرا من الخيزران المجدول .

ومن النادر أن نجد الفرسان قبل حكم سرجون . وكانت معداتهم تشابه معدات المشاة وكان تسليحهم طبق الأصل تقريبا ولكن القوس كان أقصر على حين كان الرمح أطول ولم يكن للدروع وجود . وكان الفرسان الأوائل يركبون الخيل دون الاستعانة بالسرج ويصحب كلا منهم خادم يركب مثله ليقود الحياد أثناء المعركة . ولقد غطيت الحيوانات فيما بعد فى زمن آشور بانيبال بسروج وحلى واختفى الخادم نتيجة لتقدم فن الفروسية .

وكانت عربة الحرب المركبة فوق عجلتين ضخمتين عاليتين تتكون من صندوق يعتمد على المحور (الدنجل) مباشرة وكان جسمها مكونا من لوحات مزينة بالنقوش والتطعيم . وكان العمود قسيلا وينتهى بطرف

معقوف تزيينه زهرة أو رأس حيوان • وكانت تتصل به أربطة من القماش أو الحبال لتربطه بصندوق العربة ولتخفف من الثقل على النير • أما استخدام العريش فلم يكن معروفا ، ولذا فانه كان من الضروري استخدام حصانين لجركل عربة • وكان يحتاج الى واحد أو اثنين آخرين احتياطيين • وكانت عدة الخيل خفيفة وكان يضاف إليها أحيانا بعض السروج أو الزينة • وكان يركب العربة ثلاثة رجال : ويركب السائق الى اليسار لقيادتها والمحارب المسلح بالحربة أو القوس والخادم الذى يحميها بدرع (١) وكان لواء المجموعة يربط الى واحدة من هذه العربات : وكان عبارة عن عصا طويلة تعلوها عجلة توضع بداخلها حيوانات مقدسة أو صورة الاله (٢) •

وكانت المراحل الهامة فى كل حرب تمثل فى نقوش القصر الملكى • وهناك مثلاً قصة حصار مدينة محصنة فى بلاد جبلية على ضفة نهر ، فان هذه المدينة تمثل - حسب أهميتها - بباب سرى بين برجين أو خط مزدوج من التحصينات أو أحيانا ثلاثة صفوف من الأسوار •

أما الجبل فيرمز له - كما هى الحال فى الفن السوميرى - برسم هندسى على شكل قشور وان كان بالاقليم غابات فان بضع أشجار توضع فى المنظر - وكان المجرى المائى طبقاً لنفس التقاليد - يمثل بتموجات وحلزونات تسميح فيها الأسماك • أما المحاصرون فيمثلون بصورة شخص أو أكثر تبرز من كل برج (٣) •



(شكل ٤٣) حصار مدينة محصنة (قصر سرجون : نقلا عن بوتا : آثار نينوى) •

XCVIII 1, pl. 28.

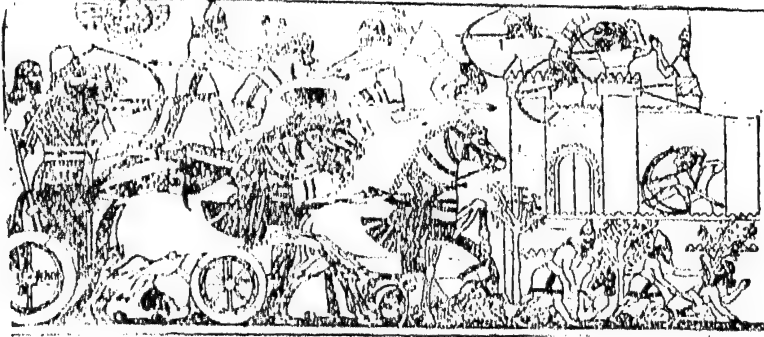
(١)

Ibid I, pl 14.

(٢)

(٣) (٢) آثار بوتا : شكل ٤٣ •

واننا لنرى « أشور ابلا » أمام مدينة راكبا عربته التي تجرها
جياذ مدرعة يدرك بها العدو كما نرى عربة الخصم المهوور مقلوبة يهتز
أحد جياذها يسقط . أما السائق الذي اخترق جسده سهم فانه ينهار
ساقطا الى الامام . ويسقط المحارب الى الخلف تحت عجلات العربة
الملكية (١) ، ونرى الاله أشور من فوق الملك يشترك في العراك كما نرى
على الأرض النباتات تطؤها حوافر الخيل وهي ترمز الى المحصولات والكلأ
الذي أتلف ، ويشاهد كذلك في غابة صغيرة نزال فردى ينتهى بانتصار
الأشورى وفي رسم آخر نرى محارباً مسلحاً بسيف يحميه درع من
الخيزران يطعن عدوه طعنة نافذة فيسقط ويدركه زميل لاسعافه .



(شكل ٤٤) « أشور نيرابلا » أمام مدينة محصنة
(نقلا عن لايار . آثار نينوى الجزء الاول لوحة ١٣)

ومع ذلك فان الملك ينزل من مركبته (٢) ويحارب مع المشاة وينقسم
المحاصرون الى فريقين أحدهما يشد القوس والآخر يحرسه بدرعته .
أما الجند العمال الذين يأتزرون بالزرد فيهاجمون أسفل المائط بمعاولهم
ويحاولون هدمه . وفي ناحية أخرى نرى آلة هدم الأسوار المحوطة
بما يشبه سقفها على شكل شبكة من الأغصان تهب الحائط وتدفع الى
تساقط كتل ضخمة منه . ويحاول المدافعون إمساكها بسلسلة ضخمة
وذلك بهزها محاولة فصلها من سقفها . أما المحاصرون من ناحيةهم فتراهم
يمسكون بالآلة بواسطة خطاطيف ليستطيعوا الاحتفاظ بها وهناك برج
على عجلات استحضر قريبا من الأسوار ومن فمه يفوق حملة السهام

(١) انظر شكل ٤٤ .

(٢)

سهامهم ويجب العدو بمشاة متأججة محاولا اشعال النار فى الآلة •
ويستقط بعض المدافعين من قمة الأسوار الى الهوة • أما السكان المدنيون
فيمثلهم امرأتان فى أعلى أحد الأبراج يبدو عليهما اليأس الواحدة تمزق
شعرها والأخرى تمد يديها ملتزمة الرحمة •

ثم يصدر أمر الهجوم الأخير (١) فقد أحضر الآشوريون المراقى ولم
يبق لدى الحامية بعد أن نفذت سهامها سوى بضعة قطع من الأحجار •
ويستمر الملك فى التصويب متسترا بدرعه على حين ينبجج أحد الجنود
العمال فى صدع الحائط وعمل نقب فيه وينفذ منه ليكون من أوائل من
يدخلون الى المدينة المستولى عليها •

وهكذا انتهت المعركة وانتصر الآشوري فما هذا الذى سيفعله بعد
ذلك ؟ لقد اضطرت تجلات فلاسر الأول الموسكيين فيما مضى الى التماس
الصلح وهم قوم كان قد أخضعهم توكولتى اينورتا من قبل واستردوا
استقلالهم منذ ستين عاما • اننا نراه يقطع الرؤوس ليتوج بها أعلى الأسوار
المهدمة لمدنهم ويحطم القصور ويحرق القرى ويأسر النساء والأطفال
ويستولى على المعبودات ويأخذ من الممتلكات كل ما يستطيع أن يضع يده
عليه ويخصص جانبا منها لآلهة آشور ويحتفظ بجانبا آخر لنفسه ثم
يترك الباقي لجنده • فان سأل العدو الرحمة فرض عليه جزية سنوية
تزداد قيمتها حسب مبلغ اجتياح أراضيه •

ولقد أحرق توكولتى اينورتا المدن وأضرم النار فى المحصولات
والجسائين • وقطع آشور نعيمير ابلا ، رؤوس القتلى وجعل منها أهراما ،
ولم تأخذ شفقة بمن شقوا عصا الطاعة على حكمه فسلخهم أحياء وأصق
جلودهم على حوائط المدينة كما دفن آخرين أحياء فى البناء ووضع غيرهم
فوق الخوازيق على طول المشاريب ويمثل نقش فى قصره (٢) العودة
المظفرة من حملة ناجحة : تدخل عربات الآشوريين فى مشية هادئة ويعد
الكتاب رؤوس العدو • أما الموسيقيون فيحتفلون بالنصر على القيثار ويسهم
فى الغنيمة النصر الذى صحب الجيش المنتصر فى مطاردة العدو (٣)
فيحصل فى خالبه رأس واحد من المهزومين وفى عام ٨٧٩ ق م • يفخر
الملك بقطع ايدي ٢٠٠ أسير سقطوا أحياء فى يده ويقول : « لقد تهلل
رجوس فوق الخرائب • • • وانى لأجد راحة فى اشباع غضبى » وقد حمل

Ibid, pl. 20.

(١)

Ibid. pl. 22.

(٢)

Ibid pl. 14.

(٣)

هو كذلك الى آشور المعبودات المنهزمة . واننا لنرى على بعض النقوش أربع مجاميع من الحملين يحملون تماثيل اله الرعد والهات ثلاث أخريات (١) : واحدة فى مزارها وأخرى جالسة متوجة بالتاج ذى القرون ممسكة بحلقة فى كل من يديها والثالثة جالسة على عرشها ويميزها رأس حربى وحلقة . وفى مكان آخر نرى الأسرى والغنائم (٢) : حيث يتقدم ضباط الملك أزواجا وأيديهم معقودة علامة الاحترام طبقا لعادة سارية منذ أمد طويل كان قد استنساها السوميريون . وخلفهم قائد شاب يسوق الأسرى : وفى المقدمة قائد موثق بحبل يقوده محارب يمسك به من شعره بيده اليمنى ويدفعه . وهناك ثلاثة من الأسرى وأذرعهم مقيدة من خلف ومربطين الى بعضهم بواسطة حبال ويقودهم جندى مسلح بقوس ويمسك عصا كأنه يهيم بضربهم . أما الغنائم فموزعة فى الميدان من أوان وصحاف وقذور وأبواق وسبائك من المعدن وقطع من القماش .

ولم يكن سليمانصر الثانى بن « آشور تسيير ابلا » بأقل قسوة . فقد وطئ « أورارتو » « كثور برى » وحول مدنها الى أكوام من الخرائب ، كرم كوم أهراما من الجماجم ووضع المهزومين على الخوازيق وأحرق القرى واقتلع المزروعات واجتث أشجار الفواكه فى البساتين وأطلق نفسه على سبجيتها فى مساكن العدو فاغتصب الكنوز وانتهبها ولم يرجل حتى أضرم النيران فى كل ما لم يستطع أخذه معه . وفى نقوش برونزية من « بلاوات » نرى الأسرى الذين سقطوا فى سسوجونيا — إحدى مدن أورارتو — يسيرون فى صف عرايا وأيديهم مقيدة خلف ظهورهم وأعناقهم مربوطة الى أطواق خشبية . وبالقرب من مدينة أخرى من نفس الاقليم نجد المدافعين على الخازوق ونجد رؤس المهزومين مكومة وجنود الأشوريين يعملون جاهدين فى قطع الأشجار . ولكن ربما كان ششمى اداد أقل قسوة ، فانه وإن أشعل النيران فى المدن بعد أن نهبها إلا أننا لا نراه يفخر بذبح الشعوب التى سقطت بين يديه بل كان يشنع بثفيهم الى آشور وانزالهم الى مرتبة العبودية وتوزيعهم على جنوده .

أما تجلات فلاسر الثالث الذى اعدى العرش عام ٧٤٥ ق.م . فانه يحب أن يشير الى التدمير الكامل للمدن المهزومة حتى انها أصبحت فى مستوى الأرض المحيطة بها . وقد أمر كذلك بقطع الأشجار وبوضع رؤس الثوار على الخوازيق . ومع ذلك فاننا نراه قد استثنى خطة جديدة للاستعمار : إذ نفى سكان الاقليم المهزومة الى أقطار أخرى من الامبراطورية وحاول بهذه الطريقة أن يخلق شعبا واحدا بمزج جسيم الاجناس بعضها

Ibid. pl. 65.

(١)

Ibid. pl. 24.

(٢)

مع البعض الآخر وعين حكاما فى المدن التى أخضعت حديثا ولم يدمرها وأقر بها سكانا جددًا تحت حكمهم *

وهكذا فعل سرجون : فقد استولى فى بداية حكمه على سناماريا عاصمة مملكة اسرائيل التى ظل يحاصرها الجيش الأشورى مدى ثلاث سنوات وقد طرد أغلب سكانها الى حدود ميديا وحل محلهم سكان جدد استحضروا من شمال سوريا وقد دعيت جموعهم فيما بعد بالعيلاميين والعرب والبابليين * وكان يتصرف فى كل حالة على حدة كسياسى حاذق ويستغل الموقف أروع استغلالا اما بإبقاء أحد هؤلاء الأمراء المحليين للاقليم المهزوم مولى له فيه أو بتعيين أحد ضباطه حاكما ولكنه كان - اذا تبين له أن ليس من الممكن تثبيت حكمه بوسائل أخرى - لا يتردد فى أن يبذر بذور الارعاب ويدمر كل شيء فكان يجتث المحصولات ويقطع الأشجار ويحرق القرى * وقصة حملته الثامنة تقدم دليلا على الخرائب التى أحدثها فى طريقه : ما هو ذا قد وصل الى أرض أرماديللى (١) « غزوت سبع مدن محصنة مع ثلاثين قرية مجاورة لها عند سفح جبال أوبانديا خربتها وقوضتها جميعا وسويتها بالأرض ، أما أخشاب سقوفها فقد أضرمت فيها النيران وحولتها الى شعلة وفتحت المخازن التى كانت الحبوب



(شتل ٤٥) موت تيومان ملك عيلام (نقلًا عن لايار : آثار نينوى - الجزء الأول)

Layard-The Monuments of Assyria, p. 11

أكواما بداخلها وأعطيت لجنودى الغلال التى كانت مخزونة فيها ليأكلوا وأشعلت النار فى المحصول الذى كانت عليه حياة الناس واليابس من الأعشاب الذى كان مخصصا لطعام الحيوانات ٠٠٠ وخربت الاقليم فقطعت مزروعاته ومحوت غاباته وكومت جذوع الأشجار ثم أضربت فيها النيران . « وبعد أن استولى على قلعة يوييايس وقتل المحاربين أمام البوابة الكبيرة كالحملان » (١) وحين فكر فى العودة الى أشور اعتمرز الاغارة على مدينة « موتساتسير » واستطاع الملك « أورزانا » أن يهرب ، ولكن زوجته وبناته وأولاده وقعوا بين الأشوريين مع غنائم ضخمة .

وهناك نقش فى قصر دور شاروكين (٢) ، يبين معبد الاله هالديا والجنود يحملون الغنائم منه . ومن بين الأشياء التى وصفتها قائمة الغزى (٣) دروع مزينة برأس كلب بكشر عن نابه وأحواض للسكائب (للهراق) وتمثال بقرة ترضع صغيرها منحوتة من الحجر .

أما سناخزيب فلم يتردد فى وضع القواد المهزومين فوق الخازوق وأن يحيل المدن المدحورة الى رماد . وكان يدخل الفرح الى نفسه أن يجعل دخان الحرائق يصعد الى السماء كتضحية ترضى الآلهة . ولما تمت له هزيمة اتحاد « شوزوبو » مع العيلاميين قطع أيدي الجند الذين سقطوا بين يديه حتى ينتزع من معاصمهم الأساور التى يلبسونها .

وقطع « أسارحدون » رأسى « عبدى ملكوتى » ملك صيدا وحليفه « ساند وارى » ولكن لم يظهر فرجه كما فعل غيره من الملوك بوصف المذابح والنهب والحرائق فى حولياته . ذلك لأنه كان ابن امرأة بابلية ويظهر انه كان لهذا السبب أكثر إنسانية ورحمة فى كل المناسبات .

أما ابنه أشور بانيبال فلم يكن هناك — على نقيش أبيه — أشد منه قسوة فكان يقطع رؤوس المهزومين ويشق شفاهم ثم يرسلهم على صورتهم المشوهة هذه الى أشور كى يرضوا فضول شعبه السقيم ، ولقد أشرف فى بابل على مذبحه بشعة هدفها « ارضاء قلوب الآلهة » وقد قطعت السنة بعض الأسرى ومزقت أوصال آخرين لتلقى طعاما للكلاب والذئاب والخنازير وجوارح الطير فى السماء والأسماك فى القنوات وقد أطلقت يد الجيش بعد الاستيلاء على سوسه مدى أكثر من شهر ينهب الاقليم المحيط بها . وقد وزعت كل الثروة التى جمعها ملوك عيلام بين العابد والجنود . وقد أمر الحاكم بنهب قبور الملوك الأقدمين وحمل عظامهم حتى تحرم

(١) Ibid, p. 47.

(٢) XXXVII, I, III, p. 148.

(٣) XX I, III, p. 50, 63.

أرواحهم من الراحة الى الأبد وكان ينظم عقب كل حملة دخول موكب النصر الى العاصمة مصحوبا بالتراتيل والموسيقى . وفى نهاية الحملة الثامنة نرى « دوناتو » الجمبولى يظهر فى الموكب وهو يحمل على رقبته رأس « تيومان » ملك عيلام التى كان مقدرا لها أن تعرض على احدى يوابسات نينوى كبرهان على قوة أشور . وهى تظهر مرسومة مرة أخرى على أحد النقوش معلقة على شجرة فى حديقة يستريح فيها الملك مع ملكته ، وقد اقتيد « دونانو » نفسه الى اربيل وقطع لسانه وسلخ جلده وأحضر على هذه الصورة الى نينوى عريان متجردا واقتيد الى مكان الذبح وقدم ذبيحة كـ « حمل » .

٣ - الأسرة

كان شأن الزواج بين الأحرار فى أشور شأنه فى بابل يقتصر فى العادة على زوجة واحدة ولكن الأسرة فيه كانت تكون خلية أقل تماسكا . وكانت الفتاة تحت السلطة المطلقة لأبيها ولم تكن لتستطيع أن تزوج دون موافقته حتى ولو كانت فى خدمة شخص آخر رهنا لدين . وكان من الواجب على اخوتها عند موت أبيها أن يحرروها وأن يحضروا لها بائنة فان لم يفعلوا لفترة معينة فقدوا كل حق لهم عليها واستطاع الدائن أن يحررها ويتزوج منها . وكان حق الوالد يصل الى حد تزويج الفتاة من رجل انتهك عرضها قسرا ان شاء الأب ذلك (١) .

وكانت الخطبة تتضمن احتفالا يصب فيه الخطيب عطورا على رأس الفتاة ويقدم هدايا من الحلوى وأشياء أخرى ومواد غذائية . ومنذ هذه اللحظة تصبح الخطيبة مرتبطة ببيت حميها . واذا مات الخطيب قبل الزواج أو اختفى فانها لا تسترد حريتها بل تسلم الى من يريدونها من اخوته البالغين ، أما اذا مات حموها ولم يكن لخطيبها اخوة فعليها أن تزوج من أحد الأقارب اللائقين للزواج فان لم يوجد من بينهم واحد وصل الى السن الشرعية - التى كانت عشر سنوات - فان والدها يستطيع فى هذه الحالة فقط أن يزوجه من أسرة أخرى بشرط إعادة جميع هدايا الخطبة ما عدا المواد الغذائية . واذا حدث أن ماتت الخطيبة فليس من حق الخطيب أن يلزم بالزواج من احدى اخواتها فان لم يطلبها أو يعطى احدهن فلا أن يسترد لهدايا فيما عدا المواد الغذائية . ومن المستطاع ايضا فسخ الخطبة على أن يودى ذلك الى نفس النتائج السابقة ان مات أحد اخوة الخطيب تاركا زوجة يجبره أبوه على الزواج منها (٢) .

LXXIII lois 49, 56,

(١)

Ibid 23, 24, 44, 32, 31.

(٢)

والعقد التالى المحرر كمعقد بيع عبد يكشف عن أن الزواج بالشراء أحيانا كان عادة متبعة فى الحكم السرجونى (١) :

« ختم » نابورهتو أوتسور « بن » اهارتيش « ال » حاسا « فى أيدي « اردى عشتار » من قرية الغسالين • وختم « تبتاي » ابنه وختم « سليم اداد » ابنه أصحاب الحق على أختهم التى يسلمونها • « نليل هاتسينا » أخت « نابورهتو أوتسور » اشترتها السيدة « نهتشاراو » بثمان قدره ١٦ شاقلا من الفضة لابنها « تسيها » لتصبح زوجته • وقد تسلمتها فهى زوجة لـ « تسيها » وقد دفع المبلغ بالكامل • وان حدث مستقبلا فى أى وقت أن عارض أو طالب سواء كان « نابورهتو أوتسور » أو أولاده أو أحفاده أو قاربه الأبعدون أو أولادهم أو وصيه أو أى واحد من رجاله أو رفع قضية أو قدم تظلما ضد السيدة « نهتشاراو » أو أطفالها أو أحفادها فان ذلك الرجل يدفع ١٠ مينا من الفضة • وان باشر القضية فانه لا يحكم له •

« ساهبيامو المراكبى وبل شوم ادين بن « ايلي أودان نينانى » ، أشدى نليل ابن اتى الغسال ٠٠٠ الثلاثة « أتباع » المرأة • واى ادعاء للخدمة أو الحجز أو الديون يكون الضامن كارميونى — بحضرة اهارتيش ، نابنينو ، اردى ناناي ، بوتسوم هيشى ، هاشبانبوشى وبل شمار أوتسور ٠٠٠

الأول من ايلول فى العام المسمى باسم « اشور ماتو توقين » •

« بحضرة نور شماسر ، بوتو بايتى ، نابو نادين اهى الكاتب » (٢) وكانت المرأة المتزوجة تسكن أحيانا تحت سقف بيت أبيها وفى أحيان أخرى كانت تعيش فى بيت زوجها • وكان الزوج فى الحالة الأولى « يدفع لها » دوماكى « وهو حصة فى النفقات العادية للمنزل • كما كان أحيانا يحتفظ لها بـ « نودونو » أو (صداق) وتصبح هى فى هذه الحالة متضامنة معه فى ديونه والتزاماته • وهو أخيرا قد يعطيها « ترهاتو » يصبح ملكا خاصا بها فى حالة الطلاق • وهو مثل هذه المرأة قد يضيف الى ذلك « زوبولو » وهى هدية من الرصاص والفضة والذهب والمأكولات • أما حين تذهب الزوجة لتعيش مع زوجها فسان بائنتها « شركو » وكل

XCIV Nos 324, 307, 67, 137, 190, 232, 242, 24E, CIX No 655. (١)

XCIV No 307.

(٢)

ما أحضرته من بيت أبيها وكل ما قدمه لها حموها كل ذلك كان مضمونا أن يصبح من حق أولادها وليس لآخوة زوجها أى حق فيه (١) .

ولم يكن يسمح للمرأة المتزوجة الحرة أن تخرج الى الشوارع دون أن تغطي رأسها وكان ذلك متبعا على الأقل فى فترة معينة فى الألف الثانية . وكانت بناتها يضعن كذلك غطاء رأس طبقا للعادة المتبعة . وبهذه الوسيلة كان يمكن تمييزهن من عاهرات المعابد والمومسات والاماء ولم يكن يسمح للمحظية « ايسرتو » أن تضع غطاء الرأس فان رغب زوجها فى أن يرفعها الى مرتبة الزوجة فانه كان عليه أن يحجبها أمام خمسة أو ستة شهود قائلا « هذه هى زوجتى » (٢) .

وقبيل نهاية الألف الثانية لم يكن من حق المرأة المتزوجة أن تبشر أى عمل لا يديره زوجها أو أولادها أو أحد آخوة زوجها . كما أنه لم يكن يجوز لها أن تأخذ شيئا على سبيل الاعارة من شخص خارج عن دائرة الأسرة . وكان الرجل الذى يتعامل معها يعد مجرما حتى لو أقسم أنه لم يكن يدرى أنها متزوجة : وكان عليه أن يدفع للزوج فى الحالة الاولى ٢ مينا من الرصاص وفى الحالة الثانية كان المتهم يلقى فى الماء دون قيد يقيده فان نجا من الغرق كان الزوج يوقع عليه نفس العقوبة التى يفرضها على زوجته (٣) . وكان للزوجة فى العهد السرجونى شخصية مدنية أكثر اتساعا ومع ذلك ، فان ورود ذكرها فى العقود أقل بكثير من زميلتها المرأة البابلية . وفى ٦٩٢ ق.م . كانت « ابات سولا » زوجة « بعل دورى » تمتلك بالاشتراك مع رجلين بيتا غير مقسم فى مدينة نبوى - وقد باعته دون تدخل من زوجها . وقد اشترت أم فتاة لتجعل منها زوجة لابنها كما باعت أخرى ابنتها للسيدة « أهى تلى » . وقد اقترضت امرأة مالا أو شعيرا واستردت أخرى حقلا كان مرهونا وكانت المرأة تستطيع أن تشتري أو تبيع العبيد وأن تظهر بين المتقاضين .

وكانت عقوبة الزوجة الزانية شديدة . ولم تكن زوجة الرجل الحر تعد مجرمة ان اغتصبها ذكر كرها فى مكان عام . أما المعتدى عليها فكان يحكم عليه بالموت ان ثبتت عليه الجريمة . أما ان خانت امرأة زوجها وزارت مسكن عشيقها فقد كان يحكم على كليهما بالاعدام . وان كانت لها علاقات محرمة برجل فى مأخور أو مكان عام فان زوجها كان يوقع القصاص عليها ويلقى العشيق نفس العقوبة ان كان يعلم أن المرأة

LXXIII Lois 28, 33, 31, 32.

Ibid, 41, 42.

Ibid, 22, 23.

(١)

(٢)

(٣)

متزوجة ولكنه لم يكن يمسه شيء ان كان يعتقد أنها غير متزوجة . أما ان ضبط الاثنان فى حالة تلبس ، فانه يصفح عن غضب الزوج ان هو قتلها معا للتو . أما ان استدعاهما أمام القضاء فانهما يقادان الى القصر وعلى الزوج ان يثبت الجريمة وان هو حكم على زوجته بالاعدام فان الرجل كان يلقي نفس المصير . وان قطع أنفها فان شريكها يخصى ويشوه وجهه . وكان من حق الزوج أن يعفو عن الاثنين . وكانت مغازلة المرأة المتزوجة تعود عليها وحدها بالتكدير فان انحطت الى الزنا فان الاثنين يلقيان نفس العقوبة (١) .

واذا ارتكبت جريمة الزنا فى مسكن امرأة أخرى متزوجة فان القانون ميز ما بين أمرين : الأمر الأول أن يكون ذلك برضى الزوجة والأمر الثانى أن يكون ذلك بالاكراه . وفى الحالة الأولى كان للزوج أن يوقع نفس العقوبة على الزوجة وشريكها وصاحبة البيت . وفى الحالة الثانية كان يحكم بالاعدام على الرجل وصاحبة البيت . أما الزوجة فلم تكن توفع عليها عقوبة ما ان كانت قد أخبرت الزوج بما حدث (٢) .

وعلاوة على ذلك يظهر أن المادة الآتية خاصة أيضا بالزنا (٣) حيث تتناول حالة زوجة رجل حر تترك منزل الزوجية واعتادت زيارة مسكن امرأة أخرى متزوجة فإذا كان رب البيت الذى تتردد عليه لا يعرف أنها متزوجة فان صاحبة البيت التى آوت الزوجة تصلم أذناها بعد أن تستعد الزوجة . أما زوج صاحبة البيت فقد يستطيع افتداهما ان دفع ثلاث وزنات ، و ٣٠ شاقلا من الرصاص . ويضاعف هذا التعويض ثلاث مرات ان كان يعرف أنها متزوجة . وان عارض الزوجان أو أحدهما فانه ياجأ الى التعذيب بأن يلقي فى النهر . فان عاد صاحب المسكن يدفع ثلاثة أمثال التعويض أما اذا كان العائد هو الزوج ، فانه يستطيع أن يوقع العقوبة على زوجته .

وان قال رجل لآخر فى هدوء ان زوجته ليست بعفيفة ثم لا يستطيع أن يثبت ذلك عن طريق الشهود فانه يعرض نفسه لأن يقيد ويلقى به فى دجلة . أما ان كان ذلك قد حدث أثناء مشاجرة وعلمنا فان ذلك يعد طرفا مخففا اذ يعاقب القاذف بخمسين ضربة عصا ويؤدى عملا شاقا لمدة شهر فى السخرة الملكية ويدفع وزنه رصاصا ويشوه تشويها واحدا . وكانت

LXXXII fol. 12 à 15.

Ibid, fol 24.

Ibid, fol 25.

(١)

(٢)

(٣)

نفس العقوبة من نصيب من يتهم آخر بعبادات شاذة دون أن يستطيع أن يقدم الدليل على ذلك (١) .

وكان الاجهاض جريمة يعاقب عليها فى كل الحالات طبقا للقانون.
الأشورى . وكانت المرأة التى تتهم بأنها أجهضت نفسها يحكم عليها بأن
توضع على الخازوق وان ماتت قبل تنفيذ الحكم فيها تحرم من الدفن .
وان اتهم رجل بأنه ضرب ابنة رجل حر ضربا أفضى الى اجهاضها ، فانه يدفع
وزنتين من الرصاص ويضرب خمسين ضربة بالعصا ويؤدى عملا شاقا لمدة
شهر فى السخرة الملكية . وفى حالة زوجة الرجل الحر فى حملها الأول
يدفع المعتدى وزنتين من الرصاص . واذا لم يكن لزوج المرأة المضروبة
طفل آخر أو ان هى ماتت فان المعتدى يقتل وفى كل الحالات عليه أن
« يحل محل الكائن الحى » مهما كانت مدة الحمل . وفى حالة العاهر
يضرب المعتدى ضربة بضربة وعليه كذلك أن « يحل محل الكائن
الحى » (٢) .

والى جانب الزوجة الشرعية كان القانون يسمح بمحظية أو أكثر
يطلق عليها اسم « ايسرتو » وكانت تغطى رأسها حين تصحب سيدتها
فى الشوارع . وفى كل الظروف الأخرى عليها أن تلبس مثل الخادم ما لم
ترتفع الى مرتبة الزوجة حين يغطى رأسها سيدها فى حضرة خمسة
أو ستة شهود . وليس لأبناء المحظية حق فى تركة الأب اذا كان للزوجة
المحجبة أطفال (٣) .

وكانت المرأة المتزوجة تسترد حريتها ان طلقها زوجها أو ان غاب
أو اختفى لأكثر من خمس سنوات . . . وتقريبا - دائما - ان مات .

ويظهر ان الطلاق لم يكن خاضعا لى قيد قانونى بل لم يكن الزوج
ملزما باعطاء أى شىء للزوجة التى طلقها اذا كانت قد عاشت عنده . ويظهر
ان المقتنيات التى كانت قد أتت بها الى المنزل تظل فى هذه الحالة تحت
تصرف أبنائها . أما اذا كانت قد ظلت فى بيت أبيها فان الزوج يسترجع
ال « دوماكى » ولكنه يترك لها ال « ترهاثو » (٤) .

Ibid Iois 17 à 19.

(١)

Ibid Iois 21, 52 à 54.

(٢)

Ibid Iois 41 et 42.

(٣)

Ibid, Iois 30, 39.

(٤)

وكان الغياب الذي يمتد أكثر من خمس سنوات سببا من أسباب الغاء الزواج وخاصة حين لا يكون لدى المرأة إيراد خاص أو أولاد يستطيعون أن يكفوها حاجتها . وكانت تعطى لها « لوحة ترمل » وابتداء من السنة السادسة تذهب لتعيش مع الزوج الذي تختاره فان عاد الزوج الأول واستطاع أن يبرر غيابه بطروف قهرية فانه يستطيع أن يستعيد حياته الزوجية بشرط أن يقدم بديلة عن زوجته للزوج الثانى (١) .

وكان الأمر كذلك بالنسبة لمن يرسله الملك لخدمته فى الخارج فان كانت زوجته لم تنتظر مدى خمس سنوات كاملة قبل أن تتزوج مرة أخرى فان الزواج الثانى يعد لاغيا والأطفال الذين يولدون من مثل هذا الزواج يصبحون بحكم القانون أبناء وورثة الزوج الأول عند عودته الى أششور (٢) .

وحين يسقط رجل فى أيدي العدو فان على زوجته أن تنتظره عامين حتى ولو لم يكن لها ابن أو حمو يسد حاجاتها . أما من كانت من موظفات القصر فانه يقدم لها الطعام مقابل خدمتها . أما ان كانت امرأة من الشعب فان عليها أن تتقدم الى المحكمة لتلتمس منها أن يخصص لها رؤساء المدينة كوخا على قطعة من الأرض تزرعها مدى عامين وتحدد حقوقها كتابة . وفى نهاية العامين تعطى « لوحة الترمل » ، التى تسمح لها بعقد زيجة جديدة . فان عاد الزوج المختفى الى بلده فانه يستعيد زوجته ولكن لا حق له فى الأطفال الذين أتوا نتيجة الزواج الثانى . أما بالنسبة لقطعة الأرض الممنوحة لزوجته لمساعدتها ، فان الرجل يدفع ثمنها بالشروط المنصوص عليها ويصبح مالكها وذلك فى حالة عدم عودته للخدمة العاملة بجيش الملك وحين لا يرجع الزوج فان العقار يرد الى المدينة ولا يحق للزوج الثانى أن يحتفظ به .

ولم يكن موت الزوج ليعطى المرأة الحرية دائما ففى بعض الحالات كان عليها أن تتزوج من حميها أو أحد أخوة زوجها من كان قد عقد خطوبة ولكن لم يتزوج أو أحد أبناء زوجها الذى كان ثمة زيجة أخرى . وكانت الأرملة تستطيع بعد موت زوجها أن تعيش مع أولادها فان لم يكن زوجها قد ترك لها شيئا بموجب صك مكتوب فانه كان عليهم إعالتها . وان كانت زوجة لزيعة ثانية ولم يكن لها أطفال ، فان أبناءها من الزواج الأول هم

Ibid, Iota 30, 39.

(١)

Ibid, Iota 37.

(٢)

الذين يعاونونها ولكن ان كان لها أطفال ولم يرد أولاد زوجها من الزواج الأول التكفل بها فانها تقوم بخدمة أبنائها مقابل طعامها (١) .

وحين تتزوج الأرملة من زوج ثان فان كل ما يأتى به يصبح ملكا لها ان أتى ليعيش فى بيتها . أما ان كانت الأرملة هى التى تنتقل لبيت زوجها الثانى فانها تفقد حقوقها على كل ما تملك مما أتت به الى بيته لمصلحته وان لم تحدد التزاماتها بمقتضى لوحة اذ ذاك فانه لا يستطيع طردها بعد مرور عامين من الحياة الزوجية . أما أبناء الزوج الأول الذين يربون فى بيت الزوج الثانى فانهم يعتبرون من أسرة أبيهم ويحتفظ لهم بنصيبهم فى تركته ما لم تكن لديهم لوحة تبين تفصلهم عن أسرهم السابقة وتضمهم الى ذرية زوج أمهم (٢) .

وقد يفقد الرجل زوجته تطبيقا لقانون الأخذ بالنار فان كان مثلا قد اغتصب فتاة فان والد مثل هذه الفتاة يستطيع أن يأخذ زوجة المغتصب ويجعلها تمارس الدعارة ولا يعيدها الى زوجها (٣) .

وكانت الأسرة - كما مى الحال فى بابل - تحت ولاية وسلطة رئيس واحد هو الأب أو أكبر الأبناء - فى حالة عدم وجوده - واذا كان الأطفال صغارا ومات والدهم فان الأم تعتبر وصية عليهم . ومع ذلك فانه توجد اختلافات جوهرية : فان قانون حمورابى فى بابل فى القرن العشرين قبل الميلاد يقوم دليلا على وجود حقوق شخصية واسعة المدى ، بينما نرى أن العادات المتبعة خلال الفترة السرجونية ترجع بنا الى مرحلة اجتماعية أقل تقدما من ذلك مثلا السلطة المطلقة المخولة لرئيس الأسرة لبيع أطفاله وربما أيضا لقتلهم .

وقد اشترى « أبالايا » فى عام ٦٩٤ ابن « زونبو » بمبلغ ٢ مينا من الفضة بضمانة ضد الصرع . كما دفعت السيدة « أهى تاللى » فى سنة ٦٨٧ نصف مينا للسيدة داليا ثمنا لابنتها « أنا أبى دالاتى » . وفى عام ٦٦٨ باع « مانوكى اربايلى » اخته « بيليكتو » الى السيدة « زاربى » وأدرج فى وثيقة البيع النص الخاص بالصرع والمعارضمة وكذا النص الجزائى الخاص بالعقوبات ضد من يعارض فى الصفقة باسم البائع والذى يقضى بدفع عشرة أمثال المبلغ المنصرف وأن يقدم عشر مينات من الفضة

Ibid. Iois 31, 34, 47.

(١)

Ibid. Iois 36, 35, 20.

(٢)

Ibid. Iois 50.

(٣)

ومينا من الذهب لئلا « اينورتا » وفي مختلف هذه العقود نجد أن رأس الأسرة يتصرف كـ « سيد للطفل المباع » • ولا تختلف صيغة هذه العقود عن الصيغة المستعملة في كل عقود البيع الأخرى ولم يكن يذكر فيها سبب نقل الملكية ولكن الأمر لم يكن كذلك في الحالة التي سلم فيها « ايشدى آشور » أخته « اهات ايشنا » الى « زابدى » فى السنة المسماة باسم « اشور دورو أوتسور » سدادا لدين (١) •

وقد كان من نتائج تخويل حق بيع الطفل تقرير حق تسليمه كرهن وكان من حق الوالد أيضا أن يكرسه لخدمة أحد المعابد • وقد قدم « مانودق » سايس اسطبل الملك ابنه « نابوشارق نابشمتى » الى الاله « اينورتا » اله كلح « لحياة آشور بانيبال ملك آشور » (٢) • وفى هذه الأحوال توضع صيغة الشرط الجزائى فى شكل لعنات : يلتمس المانح من المعبود أن يضرب بذراعه التي لا ترحم كل من يحول الطفل عن خدمته وأن ينزله اداد الى مرتبة السؤال وإن يجره الآلهة الآخرون الى الهلاك • وهناك مثال أجدر بالسرد هو الخاص بابن عاهر المعبد الذى كرسته أسرة أمه لخدمة نفس المعبود • ويظهر - كما هى الحال فى بابل - أن النسيب المتصلات بخدمة المعبد لم يكن فى استطاعتهم أن تكون لهم ذرية شرعية • وفى الحالة التي نحن بصدد ما لا يعتبر الطفل مالكا لأمه « رايشتو » بل لعميه ولرجلين آخرين صلته بهما غير واضحة • وهؤلاء الأشخاص الأربعة « سادة الطفل المنذور لـ « اينورتا » معبود كلح » قد تولوا أمر تربيته وهم يقدمونه لئلا « للخدمة والسخرة » ويلتمسون من الاله أن يصغى بعناية الى صلوات كل من يحترم رغباتهم هذه وأن يرفض صلوات من يحاولون عرقلة تنفيذها •

ويستندعى التبنى تحرير عقد يستطيع الطفل المتبنى بواسطته - كما هى الحال فى بابل - أن يحصل فى أسرته الجديدة على كل حقوق الابن الشرعى حتى ولو أنجب المتبنى أطفالا فيها بعد • وفى العام الذى سمى باسم « شانابوشو » نرى « سنقى عشتار » وزوجته « رايشتو » يأخذان طفلا صغيرا هو « آشور تساباتسو اقبى » من نابونايد « ليحمله منه طفلا لهما » وقد نصا على أنه لو قدر رزقا بعد ذلك حتى بسبعة أطفال شرعيين ، فإن « آشور تساباتسو اقبى » يظل يعتبر ولدهم البكر (٣) • ولم يكن الأمر

XCIV No 201, 687, 208, 80.

Ibid. No 641.

XV t. VI col. 108.

(١)

(٢)

(٣)

أمر شراء صبي بل أمر نقله الى والديه المتبنين * ومن بين أشروط الجزائية المقرر توقيعها على نابونايد أو أى فرد من أفراد أسرته يرجع فى الصفقة - بالإضافة الى تقدمات الآلهة - مينا من الذهب ومينا من الفضة الى انليل وحسانان اببضان لـ « آشور » فلقد نص على أن الوريث الأكبر للطرف المطالب يحرق تكريما لاداد وهذا الأمر يحل محل التعويض بقدر عشرة الأمثال الذى يرد عادة فى عقود البيع .

وكان من الممكن ان تقسم ثروة الأب عند وفاته ولكنها كانت أحيانا تظل على المشاع بين أبنائه * ولم يكن لأبناء المحظية الحق فى شئ منها ان كان للزوجة ابن أو أكثر * وأغلب الظن انه لم يكن من الممكن تبنيهم * أما ان كانوا هم وحدهم الذرية فان المراث كله يقسم فيما بينهم .

وقد يمنح الوالد أثناء حياته الى واحد أو أكثر من أبنائه من يرغبون فى تأسيس بيت خاص الميراث - سواء كله أو جانب منه - كمقدم * وعلى ذلك نجد فى القرن السابع فى العام الذى أطلق عليه اسم « اوباق انا اربايلو » * * * نجد « تبتاي » يعطى ابنه « اداد اوباليت » بعض العبيد والماشية والأرض ويقدر نصيبه فى التركة بثمانها ($\frac{1}{8}$) (١) وفى ظروف مشابهة نرى البابلى يفقد كل حق فى أى نصيب من تركة والده .

وعند موت الرجل الذى تعيش امرأته فى بيت أبيها يصبح الذ « دوماكى » ملكا للأبناء * فاذا لم يكن له أطفال ولم تقسم التركة بين اخوته ، فان الذ « دوماكى » تكون من نصيب هؤلاء دون أن يطلب اليهم أن يقسموا اليهم أو يملأوا بتجربة الماء : كان يكفى أن يشبوا حقهم * أما ان لم يكن له أطفال وكان المتوفى قد حصل من قبل على نصيبه من تركة والده فان الذ « دوماكى » يصبح ملكا للزوجة (٢) .

أما الممتلكات التى تاتى بها الزوجة التى تنتقل الى بيت زوجها وكذا كل ما أعطاه اياها حموها فانه يثول الى أبنائها * وليس هناك فى أمة حال من الأحوال ما يسمح لاختوة زوجها أن يطالبوا بشئ منه (٣) .

II. 1898, p. 202.

LXXIII, lois 26, 27.

Ibid, loi 30.

(١)

(٢)

(٣)

الفصل الثانى

التشريع

لم يعثر فى أشور على مجموعة من القوانين يمكن مقارنتها بقانون حمورابى من ناحية اتساع مدى أحكامه • ولقد كانت توجد - كما هى الحال فى بابل - لوحات دونت على كل منها شريعة تتصل بموضوع معين ولقد عثر على وثيقة من هذه الوثائق سليمة تقريبا وذلك فى خرائب أشور وقد كتبت فى النصف الأخير من الألف الثانية وهى تتناول فى حوالى ٥٠ مادة العقوبات التى توقع على بعض الأثمة وخاصة حالات ضرب أو هتك زوجة رجل حر • وهناك لوحة أخرى من نفس العصر ولكنها مكسورة لسوء الحظ تتعلق بالقانون الريفى • وهناك ثالثة من نفس العهد فى حالة سيئة تحوى قرارات خاصة بالسرقة وتدخل بينها المعاملات التجارية غير الشريفة (١) • أما فيما يختص بالأعوام الأخيرة من عهد الملكية فإن مكتبة أشور بانيبال تقدم لنا عددا من الوثائق التى يعطينا بعضها فكرة عما كان التشريع اذ ذاك • فحوالى نهاية الألف الثانية كان يصدر الأحكام قاض واحد يقيم فى المحكمة على حين كان هناك عدد من القضاة يحققون عادة كل قضية فى بابل • وكان لا يلجأ الى القاضى فى بعض الجرائم والجنح وكان - على الأقل - الرجل الذى وقع عليه الضرر مختصا بحيانا بتطبيق القانون بنفسه أو التخفيف من شدة أحكامه : فزوج الزانية له فى كثير من الأحوال أن يعين بنفسه العقوبة المناسبة أو مراعاة الظروف الخفيفة •

وكان القانون الجنائى يتطلب عادة اثبات الذنب ويحدد العقوبات التى توقع على الجانى وهى الاعدام والتشويه والغرامة والجلد والعمل الاجبارى فى السخرة الملكية لفترة طويلة أو قصيرة • وكان المصير يعاقب بغرامة وخمسين ضربة من عصا وعدد معين من أيام الشغل الاجبارى فى السخرة الملكية • وفى عهد السرجونيين سرق من يدعى « أهو لاما ش » ثورا (٢) ، فحكم عليه بالسجن الى أن يصبح قادرا على رد ما سرق • وكان العهد الذى

LXXIII.

(١)

XCHV No 1601.

(٢)

يسرق عبيدا آخرين يسام الى مولاهم حتى يستطيع أن يخلص ذمته .
وقد حكم فى ٦٨٠ على « هانى » الذى أخذ ٣٠٠ نعجة من متعلقات ولى
العهد (١) وقتل الرعاة ٠٠٠ حكم عليه بإعادة القطيع ودفع ٢٠٠ وزنة من
البرونز عن كل رجل . وأخذ مع كل عبيده وكل ما يملكه كرهينة حتى
يتم الارجاع والرد .

وكان كل من يتقبل وديعة فى الريف يعتبر لصا ان فقد منها شيئا
نتيجة اهماله . وكانت نفس المعاملة من نصيب التاجر ان هو غالى فى
تقدير ثمن البضائع التى يمرضها للبيع فان كانت الصفقة تمت بالكتابة ،
فان الكاتب نفسه كان يعاقب . وكانت المرأة المتزوجة التى تتسبب الى
طبقة الأحرار اذا دخلت معبدا وثبت عليها أنها أخذت منه شيئا فانها تعاقب
بعقوبات مشيئة .

وكانت الزوجة التى تأخذ متاعا خاصا ببیت الزوجية وتنقله الى الغير
تعاقب عقوبة شديدة جدا فان كان الزوج ميتا أو على وشك الموت فانها
تقتل هى وشريكها أما ان كان الزوج يتمتع بصحة جيدة فانه يترك له اختيار
العقوبة التى توقع عليها . وحين يتم البيع لمصلحة عبد أو أمة فان الزوج
قد يصلح أذان الزوجة والمشتري . وعلى أية حال فانه كان يجب أن يعاملهما
نفس المعاملة .

وان سرقت امرأة متزوجة سرقة تقدر بأكثر من ٥ مينا من الرصاص
من شخص آخر فان زوجها قد يصل الى اتفاق مع الضحية ويعيد له
المسروقات ويصلح أذن زوجته . وان فشل فى الاتفاق مع من وقع عليه
الضرر فان هذا الأخير فى هذه الحالة يمسك المرأة لجدع أنفها . واذا سلمت
امراة فى الريف وديعة خلصة فان المشتري يعيد سارقا .

وكان القانون الأشورى يعاقب بتسوة الضرب والجرح وخاصة اذا
كانت المعتدية أو المعتدى عليها امرأة متزوجة فكانت تلك التى تضرب رجلا
تعاقب بدفع ٣٠ مينا من الرصاص وتضرب ٢٠ ضربة بالعصا - وان هى
أصابت خصية رجل فى معركة ، فان احدى أصابعها تبتر ، وان أصيبت
الخصيتان أو أصاب الجراح الأخرى أثناء مباشرته لعلاج الخصية المصابة
فان المرأة تتحمل المسؤولية كلها ويحكم عليها بقطع ثدييها . وكان المعتدى

عرضه لفقد إحدى أصابعه ان هو اعتدى بالضرب على امرأة متزوجة وكان قانون العين بالعين والسن بالسن يطبق على القاتل ولكن ربما لم يكن ذلك في كل الأحوال . والمادة الخاصة بهذا الموضوع أصابها التلف لسوء الحظ . واننا لنجد في زمن السرجونيين أن القاتل يستطيع تفادي عقوبة الاعدام بأن يمحو جريمة الدم بمنح ابن المقتول عبدا وأسرته « والا فانه يضحي به على قبر القتيل » وحين وجد أن « سيليم ايلي » ارتكب جريمة القتل عدة مرات ختم الأحد عشر شخصا المستحقين للتعويض لوحة أمام اليهود قرروا فيها أن « تسيرو هو سيد القتلى الذين ذبحهم » سيليم ايلي « وأنه يحل محل القتلى قبلهم زوجه وأخوه وابنه ومن يقسوم غيرهم (١) » .

وليست لدينا أحكام قضائية بل وثائق خاصة فقط تتصل بالقضايا . واننا لنرى في احداها مقترضا يمنح مهلة لاستحضار شهود يثبتون بشهادتهم أنه سدد الدين والا فانه يكون عليه أن يدفع رأس المال والارباح . ونجد في وثيقة أخرى أمة مسئولة عن موت خادمة ويضيق ضمانها ان تعذر عليها تعويض الضرر في وقت محدد (٢) . وقد اختصم شخصان بسبب بيت ثم وصلا الى اتفاق ولذا لم يعد هناك مجال للنزاع وهما لذلك يقرران هذا في عقد أمام الشهود كما يقدران تعويضا قدره ١٠ مينا من الفضة يدفعه أيهما اذا خاصم الآخر (٣) . وقد أنزل « شماش نستير » زوجة وابنها الى طبقة العبيد بسبب الديون ثم استولى على أملاكهما : ٥٠ أيمر من الشعير وآلة رى وثور و ١٢١ مينا من الفضة . وعمل المدينون اتفاقا معه لاعطائه تلاوة على ذلك ثلاثة من العبيد (٤) .

XCIV, Nos 321, 618.

Ibid Nos 101, 166.

CIX No 650, f.

Ibid, No. 655.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

الفصل الثالث

النظام الاقتصادى

١ - الملكية العقارية

تنقسم الملكية العقارية فى أشور - كما هى الحال فى بابل - الى حقول ومزارع وحدائق وبساتين وأراضى بناء • ولم تكن المزارع الكبيرة الحجم أحيانا لتقوم (بتشديد وفتح الواو) بالمساحة بل بكمية الشعير اللازمة لبذرهما • وكانت جودة التربة تقدر حسب ما تستلزمه هذه البذور ٨ أو ٩ أو ١٠ قا من الحبوب لكل وحدة مساحية • ولم تكن المزرعة تحوى أرضا صالحة للزراعة ومراعى فحسب بل حدائق ومبانى كذلك • وكان عبيد الأرض يكونون جزءا من الملكية العقارية وينتقلون معها من مالك الى آخر أو كانوا يقدمون من وقت الى آخر كرهون لضمان قرض •

وكان يملك المزرعة أحيانا عدة أشخاص على المشاع • وقد أقرض ريبائى فى عام ٩٨٧ ق.م • ثلاثة أشخاص ٢٥ شاقلا وتسلم مقابل ذلك حقلين وعينا بصفة رهن • وفى العام الذى أطلق عليه اسم « شارو نادين » اقترض « موتاقين أشور » و « أشور رش اشى » متضامين ١٧ شاقلا مقابل إعطاء المقرض حق استغلال قطعة من الأرض • وفى العام الذى أطلق عليه اسم « اوباقو انا اربايلى » نجد شخصين آخرين يظهر أنه لم تكن تربطهما رابطة عائلية يملكان معا ضيعة مشتركة (١) •

ويظهر أن مدة الايجارة كانت سنتين • وكانت المناوبة الزراعية مرة كل سنتين فكانت الأرض تسمى فى سنة « مريشو » (الزرع) وفى السنة التالية « كارابهو » (وكانت الأرض تستأجر لمدة « ثلاثة مريشو وثلاثة كارابهو » وكانت تقدر للرهن الفترة نفسها وهى ما يوازى ست سنوات متتالية) : « وكان من الممكن أن يعطى حق الانتفاع بالحقل لمدة ثلاثة مريشو وثلاثة كارابهو أى ست سنوات » ففى سنة ٦٧٩ عملت لمدة ٨ سنوات وهى خاصة بمدة ايجارة أطول من ذلك وهذا بالنسبة لحقل مساحته ٦ ايمر لضمانه مينا من الفضة • ويمكن استعادته مقابل دفع المبلغ المقترض ولكن بعد انتهاء ال « مريشو » لأن المريشو هى السنوات التى تنتج أفضل

محصول مما يلحق بالدائن ضررا ان هو فقد فائدة هذه السنوات ومع ذلك فاعتمادا على هذا النص نفسه ندرك أن المزرعة لم تكن كلها تزرع بنفس الطريقة في وقت تنفيذ العقد فان ثلثيها كان مريشمو والثلث كارابهو . وهذا الاجراء يختلف هنا عنه في بابل حيث كانت ترتب زراعة الأرض عادة على فترات مداها ثلاث سنوات (١) .

وكانت الأموال الريفية تسمى أحيانا باسم صاحبها الحالي (الفعلى) . وأحيانا أخرى باسم معين هو غالبا « أم المكان الفلاني » في القرن السابع وربما كان ذلك يعنى أول منشأة في المكان المذكور مثل : أم الكودورو ، أم قرية دونى ، أم المزرعة الأرامية ، أم الكلديين . وكانت الحدود في عقود البيع وفى كثير من الأحيان فى عقود الرهن تبين بأسماء الجيران والطرق المتاخمة والأنهر أو القنوات . وكان الدائع يطبع ختمه أو ظفره كما كانت تبين المباني المختلفة وعدد العبيد المختصين بأعمال الأرض مع ذكر أسماء أهمهم . وكان الشارى يستطيع فى مدى مائة يوم أن يقيم الدعوى أن أضيف أحد الخدم بالصرع (٢) وكان القانون الريفى فى النصف الأخير من الألف الثانية تنظمه مجموعة من القرارات الملكية عشر على بعضها فى خرائب آشور .

ولم يكن تقسيم الأرض بين الورثة فى أنصبة متساوية دائما . واننا لنرى فى حالات معينة أن الابن الأكبر كان له الحق فى أن يستولى على الثلثين : ثلث منهما يختاره والآخر بالقرعة أما الجزء الذى كان من نصيب رجل قتل « كائنا حيا » فانه من حق « صاحب هذا الكائن الحى » أن يطالب به ان كان الأخير يعتبر التعويض مناسبا ولا يصير على موت المجرم . ويظهر ان كلمة « كائن حى » فى هذه المادة من القانون تعنى أى مخلوق بشرى سواء ولد أم مازال فى الرحم ، لأن نفس العبارة واردة فى النصوص الخاصة بمنع الاجهاض (٣) .

وكانت لمدينة آشور أملاك ريفية كانت تقرض لظروف معينة أو تنتقل ملكيتها الى الأفراد . وكانت كشسوف الملكية محل مراجعة من وقت لآخر .

وكان هناك موظف هو ال « ناشى » يعين النداء الآتى فى المدينة ثلاث مرات فى الشهر : كل من يرغب فى تقديم مطالبة فى مصلحة أو ضد حيازة فلان بن فلان للملكية العقار الفلانى مدعو للحضور فى نفس اليوم مزودا

XCIV Nos 70, 622, 623, 8384.

(١).

Ibid 373, 622, 301, 443.

(٢)

LXXIII Iols I, II.

(٣)

بلوجاته أمام هيئة احتكام مكونة من ممثل الملك يعساونه كاتب المدينة
وال « ناشى » نفسه وبعض الحكام وشيخ البلد وثلاثة من الأعيان . وحين
كان ينادى على القضية كان كل فريق يدلى بحججه ويقدم لوجاته
للفحص . وكان القرار الذى يسجل فوراً يعلن للمتقاضين أثناء الجلسة
فان لم يحضر أحد المدعين فى إحدى الجلسات الثلاث الخاصة بقطعة معينة
من الأرض فان مستأجرها يفقد كل حقوقه ويعرضها منادى المدينة
للمزاد (١) .

وكان توسيع اقطاعية على حساب مزارع مجاورة لها يعرض الفاعل
لعقوبات صارمة : فكان يحكم عليه فى حالة ثبوت تعديل الناحية الكبيرة من
حدود أرضه بأن يرد ثلاثة أمثال الأرض المسروقة ويضرب مائة عصا ويؤدى
عملاً شاقاً فى السخرة الملكية مدى شهر . وغالباً ما كانت تبتر إحدى
أصابعه الى جانب ذلك .

وكانت العقوبة مماثلة فى حالة تعديل الحدود الصغيرة من الحقل
وان كان عدد الضربات يخفض الى النصف كما يستعاض عن بتر الأصبع
بغرامة وزنة من الرصاص . وكان حفر جدول فى أرض الغير يعاقب عليه
بثلاثين ضربة عصا وعشرين يوماً من السخرة الملكية وكان تسوير قطعة
أرض يملكها جار وبدء البناء عليها يعاقب عليه بخمسين ضربة من العصا
وشهر من السخرة الملكية ومصادرة الطوب ودفع ثلاثة أمثال قيمة الأرض .
وان زرع ببستان على أرض الغير فان الأمر يحتمل شيئين : فان كان
المالك يعيش فى مكان قريب فانه يفترض فيه أنه أعطى موافقته على ذلك
وفى هذه الحالة تسلم قطعة أرض مساوية بصفة تعويض . أما ان كان بعيداً
فان المفروض أن العمل تم ضد رغبته وله عند عودته أن يضع يده على
البستان (٢) .

ولما كانت حقوق الرى بالماء فى كل البلاد وفى كل العصور سبباً
للمنازعات بين الجيران فى الريف ، يفترض القانون الأشورى وجوب اتفاق
الجيران على طريقة استعمال ماء الرى وماء المطر فان تعذر الاتفاق فانه
ترك للزارع الأكثر نشاطاً أن يتقدم للمحكمة لتقرر حقوقه وتثبتها فى
لوحة (٣) .

وكانت هناك ضرائب (رسوم) تختلف من ناحية النوع سواء عن
طريق السخرة أو الخدمات العامة تثقل كاهل الأملاك الريفية .

Ibid loi .VI.X

(١)

Ibid Lois VIII, IX, XII, XIII .

(٢)

Ibid, loi VI.

(٣)

فإذا أراد الملك أن يكافئ خادما مخلصا للامبراطورية عن حميته وان
يمنحه مزرعة فانه كان يحدد الاعفاءات التي تتمتع بها مثل هذه الاقطاعية .
ولقد منح « أداد نيرارى » كلا من قانونى « اهولامو » ، « مانوكى أبى »
بعض الاراضى فى قرية ماجا نوبا . وحدد العشور المستحقة للاله آشور
والالهة باو بمقدار ١٠ ايمر من الحبوب . وحين قرر سرجون أن يأخذ هذه
القرية ويمنى مدينة دورشاروكين فى مكانها استبدل هذه الأملاك بغيرها مع
« مانوكى أبى » الذى كان لا يزال حيا ومع أولاد الرجلين الآخرين : وقد
أعفاهم من ضريبة الشعير ومن الاجبار على تقديم العلف ، بل انه
« مانوكى أبى » الذى كان لا يزال حيا ومع أولاد الرجلين الآخرين : وقد
سار الى أبعد من ذلك فأعفاهم من التزاماتهم قبل الاله آشور . ولكى
لا يلحق ضررا بالمعبود ولا يمس الأوقاف (المؤسسات) التى أقامها أسلافه
فأنا نراه يمنحه حقلا ذا ١٥ ايمر بصفة تعويض .

وحيث أراد آشور بانيبال أن يظهر تقديره لـ « بولثا » الطبيب الشجاع
منحه لوحة اتفاء لحقوله وحدائقه : « لا تفرض عليها ضريبة شعير ولا استيلاء
على العلف ولا يؤخذ أى حيوان كبيرا كان أو صغيرا . أما حقوله وحدائقه
هذه فلا تخضع لأية ضريبة أو التزام أو سخرة أو جمع رجال وهم معفون من
كل حقوق عوائد الرصيف والمرور » .

وتظهر هذه الالتزامات المختلفة فى الوثائق الخاصة ولكن ليس من
الممكن الوقوف على النظام الذى كان مقررا للضرائب بالضبط أو ظروف
وطريقة تطبيقه . وفى العام الذى كان يسمى باسم « سنشمار أوتسور »
دفعت أملاك ابن « ابو اريبا » العشور من محاصيل الحبوب وكان عليها
أن تورد ¼ العلف (الكلال) الذى تنتجه للفرسان الملكية . وفى كلمات
مبهمة نجد ضريبة اردى عشتار ، واردى آشور خاضعة « لالتزام تقديم العلف
وضريبة الشعير » وعلى العكس من ذلك نجد أن بستان « قوردينى عشتار
لامور » أعفى من ضريبة الشعير والضريبة المخصصة لمصالح القرية وذلك فى
٦٨٢ . وهذا النص الأخير يبين أن « ضريبة الشعير » يجب أن تفهم فى
معنى عام يتضمن كل الالتزامات العينية المستحقة حسب مختلف أنواع
الزراعة .

وانا لنجد فى عقد يخصص فيه أحد الآباء ملكا خاصا لابنته يتضمن
بيتا وبعض العبيد - نراه يصب لعنة الآلهة على من « يفرض جزية الملك »
على هذه الممتلكات التى كانت تتمتع فى أغلب الظن باعفاء مقرر فى وثيقة
سابقة (١) .

٢ - الاتفاقيات

ان معظم الوثائق الاشورية التى تكشف عن الحياة الخاصة المعروفة حتى اليوم يرجع معظمها الى محفوظات قصر آشور بانيبال وهى محفوظة فى المتحف البريطانى ومعظمها يرجع الى عصر السرجونيين وتتفاوت لدى مائة عام وقد استخلصت منها معلومات عن الأسرة والرق ونظام الملكية والقرض بفائدة وحقوق الرهن وعمليات البيع والتبادل واستئجار الخدمات وقوانين العقوبات وذلك عندما بلغت الحضارة الاشورية القمة .

وتبدأ الاتفاقيات الخاصة عادة ببيان أختام الأشخاص الذين يتعاقدون . وهذه الأختام اما أسطوانات أو أختام مسطحة كان يطبعها على اللوحة صاحبها بنفسه فان استحالة ذلك فوكيل له يذكر اسمه وصفته نصا تلافيا لقيام أية صعوبة مستقبلا ولم يكن من المعتاد أن توضع أختام الشهود كما كان يحدث فى اللوحات البابلية أو الكبادوكية فى الألف الثالثة .

وحين لم يكن لدى المتعاقدين أسطوانة أو ختم كان يضع ابهامه ويغرس ظفره فى الطمي . ولم تكن التعهدات المتبادلة شائعة على ما يظهر وحتى فى التبادل كان أحد الفريقين فقط يثبت خاتمه . وكان يعتبر البائع . على حين كان الآخر يلعب دور المشتري . وفى كثير من الأحيان أشير فى اللوحة الى هدية من الفضة أعطيت مقابل وضع الختم أو الظفر : من ذلك أننا نجد فى عقد من ٧١٣ ق م . خاص ببيع عبيد سلموا مقابل ١٨٠ مينا من البرونز وقد أضيفت « أربعة مينا من البرونز مقابل الظفر (١) » . وكان نص الوثيقة يحذر فى أسلوب غير شخصى يتبع بقائمة الشهود وتاريخ السنة المسماة باسم الشخص . ولم يكن الكاتب يكتب دائما باسمه فان فعل فأننا نجد فى نهاية قائمة الشهود مع العبارة التالية : « الكاتب الذى يمسك اللوحة » أو « الكاتب الذى يمسك الوثيقة (٢) » .

٣ - البيع

كان البيع فى آشور دائما مقابل فضة أو رصاص أو برونز . وكان الثمن يدفع فورا فان لم يتسلم البائع الثمن الكلى للشيء فإنه يقدم مع ذلك ابصالا ويأخذ مقابل الرصيد صكا يعترف فيه بالدين . وكان العقد

Ibid Nos 307, 318 393, 409, 452, 248.

(١)

Ibid Nos 412, 1141.

(٢)

يبدأ ببيان بصمة ختم البائع أو الظفر مع الإشارة الى الشيء موضوع التعاقد . وكان هذا الشيء يوصف تفصيلاً مع الثمن واسم المشتري وشهادة الحياة . ويقرر الكاتب أن الدفع قد تم وأن الشيء المعروض للبيع قد اشترى وأخذ . وهكذا تنتهي العملية ولا يعود هناك مجال للمناقشة . وكانت تحدد العقوبات التي توقع على من يقيم أى نزاع بشأنه كما كان العقد ينتهى بقائمة الشهود والتاريخ .

« ختم دايان كوربان » صاحب البيت المبيع . ثلاثة مخازن بحوش بما فيها باب فى نينوى بجوار « ناهارو ، نابوا ، كدوما ، ديرا ٠٠٠ » . اشتراها من « دايان كوربان » مقابل ٣٠ شاقلا من الفضة وتسلمها . وأعطيت النقود بالكامل . واشترت هذه البيوت وأخذت . وليس هناك رجوع فى ذلك أو تقاض أو مطالبة . ومن ينازع يدفع ١٠ مينا من الفضة .

ولم يكن العقد يشتمل على مساحة الأرض فى حالة البيوت كما هى الحال فى بابل . ومع ذلك فانه كان يثبت فى بعض الأحيان مقاييس الجوانب . وعلى ذلك فمن الصعب تقدير قيمة أرض البناء : فبعض البيوت كانت تباع بنصف مينا ، على حين يبلغ ثمن البعض الآخر ١٢ مينا . وبفرض وجود هذه المعلومات كقاعدة فانه كانت تقوم الى جانب ذلك صعوبات أخرى لأن الكاتب كان يفرق بين أنواع متعددة من المنشآت : بيت اكوللى ، بيت قطاى ، بيت ربيتو ، أترو ، بوتسى ، قاقير ، تابريو ٠٠٠ مما لسنا نعرف حقيقتها (وربما كانت دكاكين ومخازن ٠٠٠ وهكذا) ولم تكن قيمتها تحدد فقط على أساس المساحة المشغولة . كان يذكر وجود الآبار وصهاريج الماء والشرقات والأبواب . وكما هى الحال فى بابل يظهر أن الأبواب لم تكن ملكا ثابتا بل يمكن أن تكون ملك المستأجر أو المالك على السواء . وكان البيع يتفق عليه بالفضة أحيانا وأحيانا أخرى بالبرونز . وهناك عقد ذكر فيه أن المبلغ الأصلى للبيع ٣٢ شاقلا من الفضة وذكر فيه أن « شاقلا من الفضة حدد مقابل الختم » . أما العقوبات المنصوص عليها فى العقد ليقع البائع تحت طائلتها هو أو أى واحد من أفراد أسرته يرفع قضية ضد المشتري أو ورثته فانها كانت عادة عبارة عن تعويض يبلغ أحيانا عشرة أمثال قيمة البيت ومنحة تدفع الى معبد عشتار فى نينوى أو الى أى معبود آخر فى حالات نادرة وقد تصل هذه الهبة الى ١٠ مينا من الفضة أو الذهب (١) .

وكانت حدائق الفاكهة أو الخضر نباع كارض البناء • وكانت صيفه
العقد مماثلة : فلان الفلاني يشتري بستانا صغيرا به ٣٥ شجرة • وآخر
يشتري زراعة ٦٠٠٠ مقابل ٢ مينا من الفضة • ولا يذكر في غالب الأحيان
أى بيان عن مساحة الأرض وكانت تكفى الإشارة الى أنها فى حالة جيدة
أو أنها تسلم بحالتها • وفى العام المسمى باسم « تسالمو شارو اقبى »
نجد أن « كولكولانو » يشتري بستان فاكهة به عبدان ويدفع ٣ مينا من
الفضة مقابل ذلك • ولابد أن الصفقة كانت مهمة فلقد كان هناك خمسة
شهود من القرية التى كانت بها الممتلكات وعشرة من القرية المجاورة •
ولم يتعهد البائع بأن يدفع عشرة أمثال المبلغ أن هو رجع عن كلمته فحسب.
بل يدفع كذلك وزنة من الفضة و ٥ مينا من الذهب الى معبد عشتار فى
اربيل • ولقد ورد فى العقد بيان عن المنشآت والعبيد وعيون الماء والنافورات
فى وصف قطعة الأرض المباعة (١) •

ولم تكن قيمة الأرض الزراعية تقدر حسب مساحتها بل بكمية
الحبوب اللازمة لزرعها كما كانت الحال فى نفس العصر فى بابل • وقد
عنى بالإشارة الى علاقتها بالمقاييس الجارية وهى ١٠ ، ٩ ، ٨ قا • وكانت
الصفقة تتضمن عبيد الأرض كما كانت تتضمن أحيانا الطيور • وكان
يثبت وجود المباني والحدائق • وقد اشترى « شومو ايلانى » حقلا مساحته
٥٠ ايمر به ١٠٠٠٠ شجرة فواكه ومبان و ٩ من العبيد فى قرية « تى اى »
مقابل ٦ مينا من الفضة • وكانت بعض الضياع متسعة جدا فقد اشترى
« عشتار دورى » أحد ضباط الملكة الوالدة فى حكم آشور بانيبال ضيعة
لم يكن بها أقل من ٣١ عبدا وقد دفع ثمنها لها ٥٨ ١/٢ مينا • وقد اشترى
أحد ضباط الملك كل قرية « موسينا » فى ناحية « ارباد » ودفع ١٧ ١/٢ مينا
ولكن لم يكن بها أكثر من ١٥٠٠ شجرة فاكهة وستة أشخاص • ومما هو
جدير بالملاحظة فى هذا العقد الشروط الجزائية الواردة فيه فقد نص على
أن كل من ينازع فى الصفقة باسم البائع يقدم حصانين أبيضين لاله آشور
وأربعة من الجحوش الى نرجال ووزنتين من الفضة ووزنة من الذهب الى
عشتار نينوى الى جانب التعويض الواجب دفعه للمشتري وهو مقدر بعشرة
أمثال قيمة العقار (٢) •

وكان بيع العبد يتم بنفس الاجراءات المتبعة فى بيع الاملاك العقارية
ولكنه كان يتضمن مع ذلك فقرة مزدوجة لامكان الفسخ مماثلة للفقرة

Ibid Nos 446, 468.

(١)

Ibid Nos : 621, 622, 473, 431, 422, 428, 471, 464, 429.

(٢)

الواردة في قانون حمورابي . وكان الصرع عيبا يلغى البيع كما هي الحال في بابل . وكان على المشتري الأشوري أن يتبين وجوده خلال ١٠٠ يوم لينسني له الغاء عقد الشراء على حين كان البابلي من عصر حمورابي يعطى شهرا فقط لهذا الغرض : أما بعد هذه الفترة فكان يفترض أن الاصابة بهذا المرض حديثة . أما فيما يختص بالمطالبة فإنه لم تكن لها حدود . واننا لنجد الصيغة تبين على الأقل في شكل بالغ الغموض أن على البائع أن ينفذ المطالب الحق « في كل الأيام وكل الاعوام » وفي عام ٧١٣ ق م . نجد أسرة مكونة من أب وأم وخمسة أطفال انتقلت ملكيتهم مقابل ١٨٠ مينا من البرونز . وقد نص على أن من يبدأ اجراءات النزاع عليه أن يدفع ١٠ مينا من الفضة الى « اينورتا » اله كلعج كما يدفع وزنة من الرصاص الى حاكم مدينته بخلاف التعويض المقدر بعشرة الاضعاف للمشتري . وكنا قد لفتنا النظر الى اشارة في عقد سابق عن منحة عن الختم الا أننا نجد في هذا العقد أن البائع ليس لديه ختم ولكنه تسلم مقابل بصمة اظفره ٤ مينا من الرصاص أى أكثر بقليل من ٢٪ من ثمن الشراء الفعلي . ولقد بيع نساج مهر في صناعة الأقمشة المتعددة الالوان بمبلغ ١٢ مينا لخدمة معبد « اينورتا » في كلعج . وفي حالة قيام بعض المصاعب حول هذا الأمر فإن من ينازع في عقد البيع يدفع ١٠ مينا من الفضة وكمية معينة من الذهب للمعبد بخلاف التعويض المعتاد . وكان الرجل يساوى ٢٠ ، ٣٠ ، ٣٢ شاقلا من الفضة و ٥٠ أو ١٠٠ مينا من البرونز ولكنه كان يساوى أحيانا ١ مينا و ٧ شاقلا من الفضة . وكان ثمن حمار (بتشدده وفتح الميم) يبلغ ١/٢ مينا من الفضة وهو ما يعدل ثمن النساج . كما كان ثمن الأمة ٩ شواقل أو ٣٢ وقد يصل الى ٢ مينا (١) .

ولقد تبينا وجود عقوبات توقع على البائع أو أحد أفراد عائلته أن هو رجع عن الصفقة ، واننا نجد أن الاطالة في هذا الموضوع قد تكون ذات فائدة : ان العقد الذى يلزم البائع بمقتضاه انما هو اتفاق علنى لا يربطه بالشارى فحسب بل بالمعبود كذلك وكان يتضمن نوعا من القسم - ضمينا على الأقل - مما يجعل نقض الاتفاق حثا يعده ذنبا وخطيئة . وقد عبر عن هذه الفكرة صراحة في عدد كبير من النصوص بفقرة « الآلهة هم اصحاب قضيتته » التى خصصت حتى أصبحت « آشور هو صاحب قضيتته » و « آشور وشماش هما صاحبا قضيتته » ولعل هذا هو السبب في أن المخطيء أو المذنب كان عليه أن يتطلب رضاهم اما في شخصه أو في أطفاله أو فى أملاكه . وكان الأمر كذلك بالنسبة للملك لأن الملك كان يتمتع

Thid Nos 248, 254, 642, 177, 180, 186, 196-199, 315.
CIX Nos 505, 506.

بنفس امتيازات المعبود : « ان القسم بالملك هو في الواقع صاحب قضيته »
 وحين اشترى « ابلا » مزرعة واربعة من العبيد في ٦٩٨ نرى أن كل من
 ينازعه أو ينازع أطفاله يجب أن يأكل قدرا معينا من احشاء ثور مع روثه
 ويشرب « دم الأرض » (١) . وليس هذا مثلا مفردا فاننا نجد نفس الصيغة
 في عقد بيع العبيد أو عقد بيع أرض . وهناك عقد آخر يضيف الى ذلك
 التزام تناول قدر معين من نبات شوكي حتى يصبح اللسان مسحوبا
 (مجلوطا) ومثقوبا . وكان الآلهة القساة يغالون في المطالب فينتظلبون
 أحيانا تقديم ضحايا بشرية . ولقد ذكر ذلك ابلا نفسه في عقد اذ ذكر أن
 الابنة الكبرى للمنازع ستحرق ب ٢٠ قا من خشب الارز تمجيدا للالهة
 « بعليت تسيرى » . وقد تطلبت نفس الضمانة السيدة « مانوكى اللا »
 في عقد بيع ثلاثة من العبيد « سيعرق ابنه الأكبر أو ابنته الكبرى تمجيدا
 لمبعليت تسيرى مع ايمر من أفضل الطيوب » ولم يكن الاله اداد باقل
 قسوة : وكان التماس رضائه يستلزم حرق الابن الأكبر لورثة « نابونايد »
 أو ورثته الشرعى ممن يرفع دعوى استرداد طفل تبناه « سنكى عشتار »
 وزوجته « رايمتو » .

وكانت تقدمه الخيول البيضاء كذلك عقوبة توقع على المنازع لمصلحة
 الآلهة . وكان عليه أن ينذر اثنين أو أربعة لأشور ، وسن وعشتار وغالبا
 كان يضيف أربعة مهور (جحوش) الى نرجال اله العالم السفلى
 (الجحيم) . وهناك إشارة الى قوس لاينورتا اله كاج في عقد بيع عبيد .
 واننا لنجد فقرة تتردد كثيرا تلزم المنازع بدفع مبلغ معين من المال الى
 خزانة الآلهة : أشور وعشتار في نينوى واينورتا في كنج و « ايل أدو »
 في « كانو » و « اداد » في « دور ايلبل » وسن في حران : مينا من
 الفضة ومينا من الذهب لائليل في عقد تب ، و ١٠ مينا من الفضة ومثالا
 من الذهب لنفس الآلهة في ٦٧٩ و ٢٠ مينا من الفضة في بيع عبيد
 مقدرين ب ٢٢ مينا ووزنة من الفضة وعشر مينات من الذهب . وفي عقد
 آخر وزنة من الرصاص فقط . وهناك شخص آخر يعطى نفس المبلغ
 (وزنة من الرصاص) لمدوب الحكومة بخلاف ما يجب أن يدفعه الى الآلهة
 بالاضافة الى ذلك (٢) .

(١) خلاصة (زيت) مستخرجة من خشب الارز .

(٢) Ibid, Nos 315, 163, 161, 318, 476, 473, 474, 244, 436, 481, 474, 310, 215, 350, 471, 326, 263, 262, 316, 161, 282, 283, 247, 523, 498, 326, 417, 248, 554.

CIX, Nos 505, 506, 41.

وكان هناك كذلك مجال للتعويض ضد الطرف الثاني مقدرا في أغلب الأحيان بعشرة أمثال قيمة الشيء المتنازع عليه . وفي حالة خاصة قدرت فيها قيمة أرض ب ٨٠ مينا من البرونز نرى أن التعويض قد قدر بمائة ضعف لهذا الثمن (١) . وكان يعمل حساب لاحتمال قيام نزاع حول الشيء المبيع مستقبلا وتقرير امكان اعتبار الصفقة ملغاة ولكن هذا لا يكون بدون نفقات يتحملها من يرجع في الصفقة فيسمح له باستعادة بيته أو حقله أو حديقته أو عبده كأنما كان قد سلمها بصفة رهن ولكن على شريطة دفع تعويض للطرف الثاني وكذلك الى المعبرود أحيانا . وفي عام ٦٨٧ ق.م . نجد امرأة قد اشترت بوزنة من البرونز « لا قضايا ولا منازعات . . . ان من ينازع في المستقبل في أي وقت (وبقول) : « انني أعتق المرأة » عليه أن يدفع مينا من الفضة ويأخذ المرأة » . وقد وضعت بعد ٦ سنوات شروط مماثلة وردت ٢ مينا لاستعادة امرأة قدرت ب ٩٠ شاقلا . ولكن -- كقاعدة عامة -- كان كل عقد بيع يعتبر نهائيا وكانت تنص الصيغة الهادية جدا على أنه اذا احتكم البائع أو أي عضو من أسرته الى المحكمة فإنه لا يأخذ شيئا . واننا لنجد في صيغة أخرى أنه نص على أنه ليس للقاضي أن يستمع الى التظلم كما نرى في صيغة ثالثة أن التظلم لن يعتبر قضية وأن المتظلم لا يجاب الى طلبه (٢) .

٤ - التبادل

لم يكن التبادل - كما هي الحال في بابل - نوعا خاصا من التعاقد بل كان يتم بموجب عقد مماثل لعقد البيع . وفي العام المسمى باسم « سن شار اوتسور » كان هناك ثلاثة أشخاص يمتلكون معا العبيد « عشتار دورقالي » استبدلوه بأمة كان يملكها « كاكولانو » . وكنا نتوقع أن نجد في بداية العقد ذكرا لأختام الطرفين المتعاقدين ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ، بل أثبت سادة « عشتار دورقالي » وحدهم أختامهم كما لو كانوا هم وحدهم الملتزمين .

« ختم نابو اهو اوتسور ، ختم اهو نى وهما ابنان ل « نارجى »

ختم اهو لورى بن سيلى . . . جملة عددهم ثلاثة رجال .

يملكون رجلا سلم على سبيل التبادل مقابل امرأة » .

ويستمر النص - كما هي الحال في عقد البيع - على الوجه التالي :

Ibid No 350.

(١)

Ibid, 453, 218, 213.

(٢)

« عشتار دورقالي عبد هؤلاء الرجال قد اشتراه كاكولانو
 ال « راب كتسير » من هؤلاء الرجال بالتبادل مع أمته « توليها »
 لقد اشتراه وتسلمه • ولا رجعة في ذلك ولا قضية أو مطالبة •
 ومن يقوم مستقبلا ويرتكب عنفا سواء أكان نابو أهو أوتسور
 أم اهونى أم اهونورى أم أولادهم أم أحفادهم أم أقرباؤهم
 الأبعدون أم أبناء أقربائهم الأبعدين أم من يمت لهم بصلة
 ... • أى من هؤلاء ان نازع مستقبلا أو أقام دعوى ضد كاكولانو
 أو اطفاله أو أحفاده فان « آشور وشماش وبعل ونابو » هم
 سادة قضيته : سيدفع ١٠ مينا من الفضة •
 ويلى ذلك أسماء أحد عشر شاهدا والتاريخ •

وهناك لوحة أخرى ليست أقل فائدة رغم تشويهاها تشويها كبيرا وهي
 تخص عبيدا ثلاثة استبدلوا بحصان في حالة طيبة : « انهم اشتروا وتسلموا »
 ويضيف الكاتب الصيغة المعتادة لعقود البيع : « دفع المبلغ بالتمام » ولكن
 لم يكن هناك مجال لذكر شيء عن فرق الثمن بين الشئيين المتبادلين ولم يكن
 هذا التعبير هنا سوى نص تقليدى بحث (١) •

٥ - القروض

من النادر أن كان القرض يمنح في آشور دون أن يحدد المقرض
 الضمانات الحقيقية والمباشرة وهي رهن ذو أهمية ينتفع به في الحال
 ويحتفظ به غالبا دون إجراءات أخرى ان لم ترد إليه أمواله • ذلك بينما
 كان المتبع في بابل بصفة عامة ألا يتخذ الدائن إجراءات اثبات حقوقه على
 الأشياء المرهونة الا عند حلول تاريخ السداد • وفي آشور أيضا كانت
 القروض في أساسها هي الشعير • وفي الاقاليم المحيط بنبيلوى كانت
 القروض بالفضة والبرونز وهي العملة السائدة • الا أنها كانت أحيانا
 خاصة بالحبوب والزيت والماشية •

وقد وجدت القروض من غير فائدة لأجل قصيرة في القرن السابع •
 وفي عام ٦٩٣ ق م تسلم « أربا » مبلغا قدره ١٧ مينا من « انديبى » في
 التاسع من آب وتعهد « ان يعيد المال في تيشرى على أساس راس المال •
 وفي حالة عدم السداد تكون الفائدة الشهرية ٢ شاقل لكل مينا « أى ٤٠ ٪

فى السنة وهذا السعر المرتفع جدا ربما كان يعتبر كمقوبه على الدائن الذى لا يستطيع المحافظة على تعهده . وكانت الفائدة المعتادة فى بابل ٢٠٪ ولكن من المستحيل ان نعرف السعر المعتاد فى آشور لأن العقود نادرا ما تتناول الفائدة بالذكر . واننا لنجد الفائدة فى واحد منها مقدرة على أساس ٣٠٪ وفى آخر قدرت أرباح المبلغ الخاص بمعبد اربيل ب ٢٥٪ وكانت الفائدة تقدر على أساس الشهر أو السنة . وفى سنة ٦٦٧ ق م . اقترض « نرجال شار اوتسور » ٥ مينا ، وهذا المبلغ « يتزايد بمقدار ٥ شواقل من الفضة كل شهر » أى بفائدة ٢٠٪ وفى ٦٨٦ اقترض سوكا ٣ مينا من الفضة « تزيد ٦ شواقل شهريا » أى بفائدة ٤٠٪ .

أما اذا كان القرض بدون فوائد فانه فى حالة عدم سداد الدين فى التاريخ المحدد للسداد فانه يقدر على رأس المال من هذا التاريخ فائدة بسعر ٤٠٪ أو ١٠٠٪ أو أحيانا ١٤١٪ . وبالنسبة للفائدة المقدرة على أساس ٥٠٪ كان الاصلاح المعتاد هو « يزيد بمقدار نصف شواقله » وعلى أساس ٢٣٪ و ٢٥٪ يعبر عنها بنفس الاصطلاح « يزيد بمقدار ثلثه أو ربعه » وليس هناك من شك فى أن سعر الفائدة المعتادة كان معروفا ، واننا لنجد فى بعض الحالات اشارات مبهمة مثل « المال يزيد » ان لم يدفع رأس مال فانه يدفع أكثر منه (١) .

أما بالنسبة لسلف الجيوب فان الفائدة كانت عادة ٥٠٪ ومرة ٣٠٪ ولقد كانت فى بابل سابقا ٣٣٪ ثم أخذت تنحط الى مستوى فائدة الفضة حتى بلغت ٢٠٪ « ٥ ايمر من الشعير تخص ولى العهد ، فى يد تاقونى الثانى ، توضع تحت تصرف « هاماثوئو » من قرية « هاندوات » يزيد الشعير بمقدار ٥٠ قا للايمر » .

وكان نفس السعر يستعمل بالنسبة للقروض بغير فائدة حين لا يتم السداد فى التاريخ المتفق عليه (٢) .

وقد اقترض « كئشير آشور » ١٠ شواقل من الفضة وهى الثمن المقدر لكمية معينة من العلف يجب أن يسلم فان لم يسلم هذا الدريس طبقا للشروط المقررة فانه تسرى على المبلغ فائدة بواقع ١٠٠٪ وكذلك وضع « شوما ايلانى » فى ٢١ آب ٦ ايمر من الزيت الطيب تحت تصرف « آشور بعل اوتسور » وكان يجب ان تستعاد فى الشهر التالى والا احتسبت

Ibid. Nos 78, 87, 27, 28, 271, 18, 258.

(١)

Ibid, Nos 131 129 148.

(٢)

الفائدة - كما هي الحال في الأمر السابق - مساوية لرأس المال أى قدرت
الفائدة بواقع ١٠٠٪ * وفى هذين المثليين وأحدهما خاص ببيع تم الدفع فيه
مقدما والآخر خاص بقرض بغير فائدة نجد ان الشرط الخاص بالفائدة هو
في الوقت نفسه شرط جزائي ولا يمكن الاعتماد عليه باعتباره السعر
المعمول به بصفة عامة (١) *

وحين يجد المدين نفسه في حالة لا تسمح له بإعادة الشيء المعار عينا
او ما يعادله ، فانه كان ينص عادة على ما يفرض عليه دفعه * وفى شهر
تبت ٦٨٣ ق م* وضع « مانوكى ننوا » ٢٥٠ ق م من التبيذ تحت تصرف
« أوتاما » على أن يردها فى شهر ايارو * ان لم يرده فانه يلزم بأن يدفع
الثلث على أساس سعر السوق فى نينوى * وهكذا تصرف سيليم آشور
فى موقف مماثل فى ٦٧٥ * وفى ٦٧٤ اعطى « دانا » الى « ايلى موكنى
اهى » و « اداد ابال ادين » حق استعمال هجينين وكان عليهما أن يردهما
فى الاول من « مارششوان » أو يدفع ٦ مينا من الفضة فان لم يكونا فى
وضع يسمح لهما بذلك فانهما يدفعان الفائدة * وفى ظروف أخرى كان
ينص على دفع « قيمة المنازعة » أى عشرة أمثال قيمة الشيء الذى
لم يرد *

وقد يتم اتفاق كذلك على مكان التسليم وفى حالة التأخير يحدد مكان
آخر * ريفد اقراض نابودورى ٣٠ ايمر من الشعير الى تبتاي سائق « عجلة
ماجانسى » بشرط اعادتها فى مارششوان فان قام بتسليمها بعد ذلك فعليه
أن يحضرها الى نينوى (٢) *

٦ - الرهون

كان الرهن الذى يطلبه الدائن عبارة عن ملك عقارى أو منقول
وغالبا ما كان عبارة عن مزرعة بعييد الأرض الذين عليها * وكانت الصيغة
المعتادة هي الواردة فى العقد التالى :

« ٢ مينا من الفضة على نظام مينا قرقيش خاصة ب « اداتى » زوجة
الحاكم تحت تصرف ٠٠٠ يا ، مساعدا مفتش المدن * وقد أخذت بدلا من
ال ٢ مينا عقارا مساحتها ١٢ ايمر وهو حقل موحود ب « مزارع » مدينة
اشورو « كوردي اداد » وزوجته وثلاثة أبناء و « كاندلانو » وزوجته وعددهم

Ibid, 151.

(١)

Ibid, Nos 127, 122 à 124.

(٢)

جميعا سبعة أشخاص و١٢ ايمر أخذت بصفة رهن تحت تصرف اداتي
ويعتبر سداد المبلغ يرد اليه الحقل والمذكورون .

ثم يلي ذلك أسماء الشهود والتاريخ .

وفي هذه الحالة الخاصة ، وفي حالات أخرى ، كان يصبح للدائن
حق الانتفاع بالحقل المرهون ويعتبر هذا مقابلا للفائدة . وقد نص على
ذلك صراحة في عقود أخرى وهكذا نرى أن « مارشاري بعل احى » يستلم
ويأخذ في مقابل ١٢ شاقلا أرضا مساحتها ٢ ايمر و ٢٠ قا بمكيال سعة
٩ قا (أى أنه يلزم ٩ قا من الشعير لزراعة وحدة المساحة) « وسياخذ
محصولها كل سنة » وحين يسدد المدين « سن كوتسوراني » المال فانه
يسترد حقله . وكان في مثل هذا النص مخاطرة من جانب المقرض .
اذ لم يكن دائما موضع تنفيذ . فقد اقرض معبد اربيل رجلين مبلغ ١٧
شاقلا من الفضة بفائدة ٢٥٪ ، وكان على مدير المعبد أن يستغل قطعة من
الأرض مقدمة كرهن وأن يجمع المحصول : فان زادت الغلة عن الفائدة فان
المدينين يستمتعان بالفائض . أما اذا قلت عنها فعليهما أن يعوضا العجز .
وحين يكون الرهن بيتا وكان المقرض يعيش فيه فان الايجار يمكن اعتباره
معادلا لفائدة المال المقرض . أما اذا لم يكن يعيش فيه فان المدين يكون
ملزما بدفع الفائدة المتفق عليها . وكان العبد المسلم كرهن يؤدي خدماته
للدائن وكانت قيمة هذه الخدمات تخصم من الفائدة وقد تعادلها . وهكذا
نرى في ٦٦٨ ق م . قرضا قيمته ٣ مينا اتفق على أنه بدون فائدة مادام
هناك عبدان قد وضعما تحت تصرف الدائن حتى تاريخ السداد .

أما عن التبعات من هرب أو موت فانها تقع على كاهل المالك لا على
الدائن . وقد ذكر ذلك صراحة « موشكينوبا » الذي أقرض ٣٠ شاقلا
من الفضة الى « نابونادين اهي » في العام المسسمي باسم « نابوشار
اهيشو » . وهذا هو المتبع بعينه فيما يخص الضمانة ضد الصرع . وكان
يمكن أن ينص على أن المال المقرض يصبح واجب السداد فورا في حالة
اختفاء الرهن (١) .

٧ - الكلمة

كان الأشوري يستطيع أن يفعل ما يفعله البابلي من ناحية رهن
زوجته وأبنائه أو بناته . ولم يكن من حق الدائن أن يخلق أو يشوه هؤلاء .

الأشخاص والا فانه يعاقب بشق اذنيه فكان لا يستطيع تزويج الفتاة الحرة الموضوعت تحت خدمته دون موافقة أبيها فان كان الأخير ميتا ، فان على اخوتها واجب عتقها فى مدة قصيرة والا فانه يصبح من حق الدائن نفسه أن يحررها ويزوجها (١) .

وكان من المحظور بيع الأشخاص أو الحيوانات المعطاة كرهون وكان جزاء ذلك عقابا شديدا (٢) .

وكما هى الحال فى بابل — ولكن ربما كان ذلك فى نطاق أضيق — كان يمكن اختيار الكفالة فى آشور . وقد فعل ذلك «كتسير آشور» لا فى صفقة قرض ولكن بمناسبة سلفة مالية أعطاها لثلاثة أشخاص كان عليهم أن يوردوا له كمية من الدريس (العلف) . وقد أخذ أحدهم على عاتقه مسئولية تسليمها بالكامل . وتحمل التعويضات فى حالة عدم مراعاة التنفيذ فى الأجل المحدد . وفى ٦٨٠ ق.م . طلب « دانا » كفالة لضمان إرجاع ٧٢ نعجة معارة لفترة تبدأ من شهر « سمانو » الى شهر « آب » . ومن الجائز أن يشترك فى عقد القرض طرف ثالث يصبح المدين الحقيقى ويوقع العقد بخاتمه . وفى سنة ٦٧٠ وضعت ١٠ شواقل تحت تصرف « مينو اهتى انا ايلى » لمدة عشرين يوما وقد استعارها ليقدم خدمة « بودوبياتى » الذى لا يطمئن اليه « سيليم آشور » « أن أعطى بودوبياتى المال الى « مينو اهتى انا ايلى » ليسلمه سيليم آشور (هذا حسن) وإن لم يعط بودوبياتى المال فان على مينو اهتى انا ايلى نفسه أن يدفعه (٣) .

XXIII, loi 45,

(١)

Ibid. Iots B,C,D.

(٢)

XCIV, Nos. 151, 119, 99.

(٣)

الكتاب الثالث :

المعتقدات والحرف

الفصل الأول

الديانة

لم يكن الدين الآشوري يختلف عن البابلي في روحه فكانت العبادة من وحي التقاليد العتيقة لسيبار وأوروك وبابل . أما العقيدة فقد تناولها التعديل لتلائم العبقرية الخاصة لجنس حربي . وعلى أية حال ، فإن الدين لم يكن له أثر مطلق على هذه الحضارة الحربية . ويلاحظ ذلك بصفة خاصة في زخرفة القصور حيث كان يقوم تصميم كل شيء بقصد عرضه لا عن وحي شعور ديني بل تمجيذا للامير الحاكم .

وقد منح الإله الأعظم آشور (العلو) اسمه إلى أول عاصمة وإلى البلاد جميعا . وكان يعبد الكثيرون منه القرن الخامس والعشرين وكان له المقام الأول بين الآلهة الممجدين في ناحية قيصرية في كبادوكيا . وقد وحد بانشار الذي كان طبقا لقصيدة الخليقة البابلية أسبق من أنو إله السماء . وكان ملكا للآلهة جميعا وخالقا للسماء ، أنو والأقاليم السفلية . وكان - مثل مردوك - في نظر البابليين خالق البشرية كذلك ، وقد صنعت نظرية خلق العالم تمجيذا له . وكاله حربي ادعى إخضاع الناس جميعا لنيره لأن مردوك « منحه منذ الأبد آلهة الأقاليم الأربعة لشمجده حتى لا يتهرب من ذلك أحد » (١) وكان يمثل مسلحا بقوس ومدود مستعد لرمي سهم في وسط قرص مجنح مستعار من الرمز الحيثي . وكانت زوجته عشتار الآشورية التي تسمى في معظم الأحيان بعلميت (الملكة) .

وتحتل عشتار بعد آشور أهم مكانة في مجمع الآلهة الآشورية على الأقل فيما يتصل بالحملات الحربية لأنها كانت هي كذلك محاربة . ويسمونها آشور ريش ايشي « بطلة المعارك تلك التي لا تبقى على واحد من أعداء آشور » ويحكي آشور بانينال أنها رثيت في الحلم بجعبيين أحدهما على الكتف اليمنى والأخرى على الكتف اليسرى وهي تمسك

بقوس فى يدها وتستل سيفا حادا كما هى مصورة على الأختام الأسطوانية .
وهناك ثلاث الهات عبدت تحت هذا الاسم كانت لهن معابد فى كلج ونيوى
واربىلا .

والآلهة سن ، شماش ، أداد ، بعل مردوك ، نابو ، اينورتا ،
رجال ، نوسكو هم الآلهة الذين يتردد ذكرهم كثيرا فى النصوص التاريخية
وهم الذين يلتمسهم الملوك بطيبة خاطر مع آشور وعشتار .

وكانت المعابد الأشورية تبنى على نمط الهياكل السوميرى والكادية .
ولكن بها نفس الاختلافات التى لاحظناها فى العمارة المدنية .

وفى أحواش هذه المعابد - كما هى الحال فى بابل وبورسينا -
كان الأشوريون يبنون « زيجورات » أو برج مدرج وهو آخر مراحل التطور
لما كان من قبل رمزا للاله . وقد عثر على أطلالها فى دور شاروكين
وأشور .

وكان الكهنوت يشمل نفس الترتيب والتقسيم الى ثلاث طبقات من
الكهنة تبعا للموظائف المقدسة التى كانوا يؤدونها هناك وهى الخاصة بمن
يظهرون الناس والأشياء (الأدوات) عن طريق الطقوس السحرية
والصاوات ثم أولئك الذين يقرءون رغبة الاله فى كتاب الطبيعة ثم أولئك
الذين يقومون بالدور الثانوى للمغنين والخدم . ويظهر أن الكاهنات كن
أقل عددا منهن فى أكاد إذ أن النصوص لا تذكرهن كثيرا .

وكان للأمير - وهو ممثل الآلهة على الأرض - الذى اختاروه ليتولى
الملك . . . كانت له مهمة ثلاثية يباشرها : أن يحفظ العدالة ويتمسك
بالحق فيمنع ظلم القوى للضعيف وأن يخضع لأشور الشعوب التى لم
تحتزمه بعد ويعاقب أولئك الذين يحنثون بايمانهم والاخلاص له وأخيرا
أن يعمل ككاهن بنفسه وذلك سواء فى عودته من الصيد أو فى احتفالات
العبادة الهامة وتحوى نقوش القصور مناظر يباشر الملك فيها سكب
السوائل القربانية تمجيذا لعشتار على أجساد السباع المرشوقة جسما .

وكان الدور الذى يلعبه الكهنة الذين يستطلعون الغيب بالغ الأهمية فكانت لديهم فى مكتباتهم الطقوس البابلية وكانوا يضيفون اليها باستمرار نتائج ملاحظاتهم وكان يلجأ اليهم عند كل حادث فى الحياة العامة أو الخاصة • وفى المناسبات الخطيرة الشأن كانت الاستشارات تتزايد • وقد تبين لسرجون فى لحظة الانطلاق ضد « موتسا تسير » أن نجوم نابو ومردوك تشير الى بيت فى السماء مما كان فالاً يدعو الى حمل السلاح وكان سن قد أشار فى اليوم السابق الى علامات مرضية تنبئ بالاستيلاء على السلطنة كما خط شماش على الأحشاء نذراً يعتمد عليها تعنى أنه سيسير الى جانب الملك • وقد كان الآلهة يكشفون عن أنفسهم بأبسط الوسائل • فأنقذ استشار آشور بانيبال الاله نابو فأجابته نسمة عن الاله قائلة : « لا تخش شيئاً فسامحك عمراً طويلاً » •



(شكل ٤٦)

تمثال الاله نابو حوالى عام ٨٠٠ ق.م •
(المتحف البريطاني)

وكان المعبود يظهر رضاه نحو البشر عن طريق الأحلام فى معظم الأحيان • وكانت عشتار تسلك مبدأ السبيل لتدخل السكينة الى نفس

آشور بانيبال فى أخرج اللحظات - ولقد كان الحلم فى إحدى الليالى واضحا حتى انه لم يكن يحتاج الى كهنة يفسرونه • ولقد وصل الجيش الآشورى عند مطارده لليلاميين حتى ضفاف أيديد حيث خندق العدو وراها وكان التيار سريعا وجارفا ولم تكن هناك مخاضة وخشى انه يجمع المحاربين أن يعبر النهر فظهرت عشتار اربيلاً للجنود أثناء نومهم وشددت من عزائمهم بهذه الكلمات « سأتقدم أمام آشور بانيبال الملك الذى خلقته يدي » فعادت الثقة الى نفوسهم وعبروا النهر فى اليوم التالى دون حدوث حادث ما •

وكانت العبادة الالهية - كما هي الحال فى بابل - تتكون من ادعية وصلوات عامة أو خاصة ثم تقدمات وتضحيات . وكان العيد الرئيسى لكل معبود يشتمل على « اكيثو » أى « موكب » يحمل فيه تمثال المعبود حتى يصل الى معبد يسمى أيضا « اكيثو » ويقع خارج المدينة . وقد كشف عن اكيثو آشور المسمى « اكيث تسيرو » على مبعده ٢٠٠ متر وراء سور المدينة .

وكان يحتفل باكيثو عشتار نينوى فى شهر تبت وبسميتها عشتار فى اربيل فى شهر آب : وقد حضر آشور بانيبال الاحتفال بعيدها فى عام ٦٥٥ ق م . وكان يقود بنفسه فى رحلة العودة العربية الموضوع عليها تمثال الالهة ودخل المدينة دخول الظافرين وسط هتاف الجماهير وكان يسبقه بعض الاسرى المثقلين بالأغلال وهم دونانو ، وسامجونو امراء جامبولو كما عرضت رأس « تويمان » ملك عيلام على الشعب .

والنقوش الملكية مليئة بالدعوات فهناك تجلات فلاسر الأول يلتمس من انو وأداد أن يلتفتا اليه دائما « ألا فليرضيا عني عندما أرفع يدي ويسمعا دعواتي . ألا فليمنحا حكمي اطارا غزيرة وأعواما من الثروة والرخاء . ألا فليعاوناني على الخروج من الحروب وطين الممارك سالما آمنا . ألا فليخضعا تحت قدمي كل الأقاليم المعادية لى وكل الأقاليم والأمراء والملوك الذين يخاضعوننى . ألا فليسسبغا بركاتهما على وعلى نسلى الكهنوتى . ألا فليشبتا كالجبال الى الأبد كهنوتى أمام آشور وآلهتها » .

ولم يبدأ سرجون الحرب ضد اورسا ملك أورارتو قبل أن يرفع يديه الى آشور ملتسما « ان يتم هزيمة (عادوه) فى وسط المعركة : وأن يرد عليه سلطة لسانه حتى يحل به العقاب » .

والتمس اسارحدون ان اجابته الى هذه الرغبة الآتية : « ألا فليراع الآلهة الذين يساعدوننى اعمالى بفرح . ألا فلتبارك قلوبهم الثابتة ملكى . ألا فليخلد نسلى الكهنوتى حتى اليوم الأخير مثل أساس الايساجيل وبابل . ألا فلترحب الجماهير بالملكبة مثل نبات الحياة . ألا فلأرعيهم واربيهم على العدالة والحق » .

وقد دعا نفس اسارحدون الى القصر آشور وعشتار نينوى وكل آلهة آشور ليقيم لهم تضحيات وهدايا ، كما أنه كذلك فى يوم مناسب من شهر ذى قبال طيب دعا سرجون آشور ومعبودات أخرى وقدم لهم هدايا من الذهب والفضة « حتى أسعد نفوسهم » .

وكانت التقدّمات للآلهة متنوعة جدا وكان الملك عند عودته من كل حملة يضع جانبا من الغنائم لصيانة وترميم هياكلهم ولتنمية خزائهم .

وقد قدم تجلات فلاسر الأول آلهة البلاد التي فتحتها الى أداد . وكرس سنخريب مباني دينية تخليداً لذكرى انتصاره على بابل . وعند عودة آشور بانيبال من عيلام بعد نهب سوسة أرسل خيرة العبيد وأحسن ما في (الغنائم) الى آلهة آشور وكان المواطنون يسمحونهم الأراضي وأحسن الأشياء ويكرسون لهم العبيد بل - وكذلك - أطفالهم لخدمتهم .

وكان حلف اليمين يصحب أحياناً بتضحية . وكانت التضحية تقرر بمن يسأل الآلهة أن تشهد على صدق ما يقول . وكما كان الأمر في بابل لم يكن هناك فاصل بين الدين والسحر . وحين عقد آشور نيرارى اتفاقية مع « ماتى ايلو » أمير ارباد قدم كبش - مخصصاً كذبيحة وقال المضحي : « هذا الرأس ليس رأس كبش مخصى . انه رأس ماتى ايلو ورأس أطفاله ورأس عظماء قومه وشعب أرضه . . . هذه الخاصرة اليمينية ليست خاصرة الكبش . انها خاصرة ماتى ايلو وخاصرة أطفاله وخاصرة عظماء قومه وخاصرة شعب أرضه » ثم تمنوا أن يكون مصير ايلو مصير هذا الكبش المخصى ان هو حثت يمينه .

وكانت التضحية مصحوبة ببعض الطقوس السحرية تستخدم في مناسبات كثيرة في الحياة الخاصة . وعلى هذا كان « تطهير المرأة التي لم تكن تحظى بحب زوجها تتطلب الى جانب الذبيحة رقية توجه الى عشتار . وفى خلال الاحتفال كانت عقيصة ذات ١٤ عقدة من القنب والصوف « وقطعة من متن غزال » توضع فوق حجرها (١) .

وكما كانت الحال في بابل كان الخوف من الآلهة أساس الدين . وقد كتب « أداد شوم أوتسور » فى وصفه البداية السعيدة لحكم آشور بانيبال قائلاً : « ان الآلهة على استعداد طيب والخوف من الاله عظيم والمعابد غنية » والملك نفسه يقول : « أنا فى خشية فى حضرة هياكل الآلهة العظام » .

وكانت العقوبة جزاء نقض ناموس الواجبات الدينية بل ان الموت كان أحياناً عقاب المجرم . وقد عاقب آشور بانيبال من قصرنا علنا فى

أداء هذا الواجب فقطع السنة جنود أكاد الذين تمردوا على آشور .
ويقرر سناخريب « أنه بأمر الهى آشور لم يكمل كودور ناهونتى ملك
عيلام ثلاثة شهور بل مات فجأة بموت قبل الاوان » .

وكانت التقوى الدينية من ناحية أخرى تكافأ بالعمر الطويل فى هذا
العالم . أما الحياة فيما وراء القبر فلم تمنح الآشوريين أكثر مما منحت
البابليين أى نوع من الجزاء عن أعمال الخير أو الشر ، مع أن العدالة كانت
تتطلب جزاء مناسباً . ويؤكد تجلات فلاسر الأول مثل هذه المكافأة فى
حالة « آشور دان » أحد أسلافه « كان سلوكه وقربان التضحية مرضياً
لكبار الآلهة وهو لهذا السبب قد وصل الى شيخوخة وقور وتقادم » .

ويقدم « آشور نئسير ابلا » مذبحاً « كى تطول حياة روحه وحتى
تكون أيامه عديدة » ويقول آشور بانيبال للمعبودات التى رمم معابدها :
« امنحونى - أنا الذى أخشى معبوداتى العظيمة - حياة تمتد أياماً طويلة
وسرور القلب وليجعل السير فى معبدك أقدامى مسنة » .

الفصل الثانى

الفنون

١ - البناء والتشييد

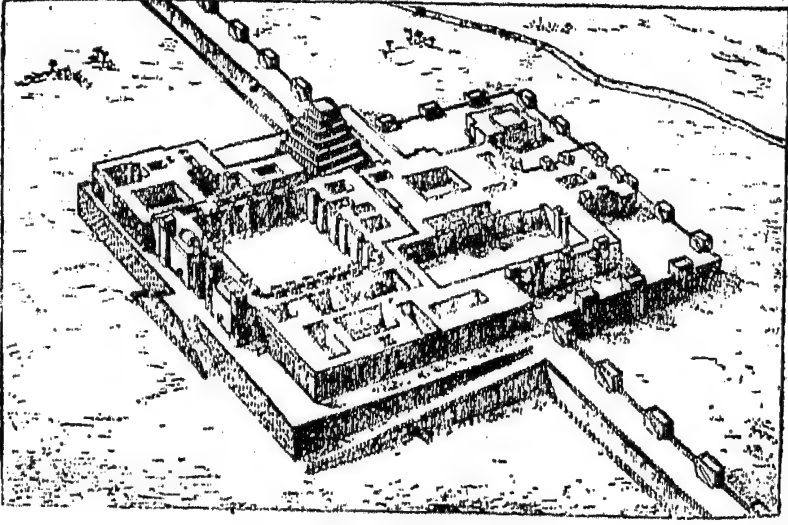
لا يكاد أحد ملوك آشور يعتلى العرش حتى تملكه نزعته هجر قصر تملأ حوائط غرف الاحتفالات به نقوش وكتابات تشيد بشجاعة سلفه وتخلد ذكرى الأعمال العظيمة التى قام بها . وذلك رغبة منه فى أن يقوم هو أيضا بتشبيد أثر تمجيده له تصور فيه وتوصف أهم أحداث عهده . وقد أنقذت عادة ترتيب هذه النقوش فى أسفل الحائط جانبا كبيرا من التدهيم اذ أنه حين انهارت الحوائط سد الجزء العلوى منها الغرف والأبهاء ، دون أن يحطم التصميم وترتيب العناصر المختلفة .

والقصور الآشورية كلها متشابهة ان لم يكن فى تفصيلاتها فعلى الأقل فى التخطيط العام لترتيبها . ولعل أشهر قصر نعرفه هو قصر دور شاروكين الذى بنى فى الأعوام الأخيرة من القرن الثامن . ولقد وصف بوتنا وبلاس الكشف عنه وزينه بلوحات معتنى بها تظهر فيها تباعا مراحل الحفر المتعددة . وقد خصص بيرو وشبييه وصفا رائعا له مصحوبا بمنظر يختلف عما تخيله توماس . ولقد بنيت مدينة دور شاروكين والقصر فى نفس الوقت ولكنهما لم يعمرا طويلا ولم يتناول المبانى الرئيسية أى تعديل . وقد اختار سرجون مكانا لهما قرية « ماجانوبا » على « الخاسار » على مبعده نحو ١٥ كيلو مترا الى شمال شرق نينوى . وقد احاطت المدينة بسور تحصين مستطيل وبنى مسكنه فوق مسطح فى مستوى الحوائط على جانبى الجدار الشمالى الشرقى حيث يوجد بروز تحيط به أبراج تشبه أبراج السور وبروزها الى ناحية الريف . وهناك بروز آخر الى داخل المدينة وتبلغ المساحة التى يشغلها هذا المسطح حوالى ١٠ هكتارات ، وهى تتكون من مستطيلين يرتبطان عند جوانبهما الطويلة أما المستطيل الصغير من الخارج فمساحته ٣٥٥٥٠ مترا مربعا والآخر ٦٠٩١٦ وكان بالقصر أكثر من ٢٠٠ غرفة كشف منها بوتنا عن ٤٠ وبلاس عن ١٨٦ وكانت تتجمع فى ثلاثة أجنحة متميزة منها ما كان مخصصا لكفاعات استقبال ومنها ما كان مشتركاً من غرف السكنى ومنها المعبد .

وفى الجانب المواجه للمدينة كانت توجد واجهة فسيحة تتخللها ثلاث بوابات فخمة تحيط بها أبراج مربعة . وكان يحرس المدخل الأوسط الرئيسى ثلاثة أزواج من الثيران المجنحة صور كبيرة الحجم لجلبامش وهو يخنق أسدا كما أن ما حول العقد كان مزينا بطوب خزفى متعدد الألوان . أما المدخلان الآخران فكان لكل منهما زوج من الثيران المجنحة كحراس . هذه البوابة تؤدي الى المساكن الخاصة مرتبة حول جوانب ثلاثة من بهو مربع تقارب مساحته مساحة بهو اللوفر . ومن داخل هذا البهو يستطيع المرء أن يمر الى جناحين آخرين هما المعبد وقاعات الاستقبال التى لم يكن يوجد اتصال داخلى مباشر بينها . أما كيف كان يمكن الوصول الى الشرفة التى ترتفع ١٤ مترا فوق مستوى السهل ، فان هذا سؤال لم تستطع أعمال الحفائر أن تسمح بالإجابة عليه حتى الآن ، اذ أنه لم يعثر على أثر لسلم أو منحدر فى اتجاه الريف أو المدينة . والمنظر المجدد الذى أعده توماس وشيبييه يصور مجرد افتراضات لما كان عليه القصر ولكن مهما يكن من أمر من حيث المكان الذى أقيم فيه هذا السلم أو المنحدر ، فانه مما لا شك فيه أنه كان هناك طريق للدخول للسماح للعربات والمشاة السمينه بالوصول الى مخازن التموين والتجهيز ولتسهيل دخول وخروج الحاشية الضخمة الملحقة بالقصر .

وكان يواجه الزائر بمجرد وصوله الى البهو الكبير الخاص بالجناح المشترك حائط مرتفع به باب واحد يؤدي الى قاعات الاستقبال . والى اليمين توجد غرف متعددة متجمعة حول ابهاء صغيرة تستخدم كمطابخ ومخازن وحظائر ٠٠٠ الخ وفى هذا الحى عشر كذلك على المراحض (دورات المياه) والى اليسار كانت مخازن المثونة والأدوات والطوب والمعادن ومختلف أنواع الغنائم مستقلا بعضها عن بعض ولكل منها مسكن خاص المحارس . وفى وسط هذه المباني يمر يؤدي الى المعبد ويتفرع ليمر بين حائطين عاليين الى البرج المدرج والأجزاء الخلفية من المبنى . ويمتد أمام مجموعة قاعات الاستقبال بهو كبير كانت مساحته حوالى ثلثى بهو الجناح المشترك . ومن المحتمل أنه كان يمكن الوصول اليه من الخارج من جهة الشمال الشرقي من جانب حائط السور . ولكن هذا الجزء من البناء مخرب تماما وليس هناك أثر باق للبوابات .

وكانت المباني المخصصة للاستقبال تشتمل على حوالى ٦٠ غرفة موزعة حول ابهاء مختلفة ومقسمة الى مجموعتين متميزتين تماما الواحدة عن الأخرى وتكون الأولى ما سماه بلاس بالقسم المنقوش وهو مجموعة قاعات الاستقبالات . أما الآخر فأقل زخرفة وكان حى الكاتب والديوان .

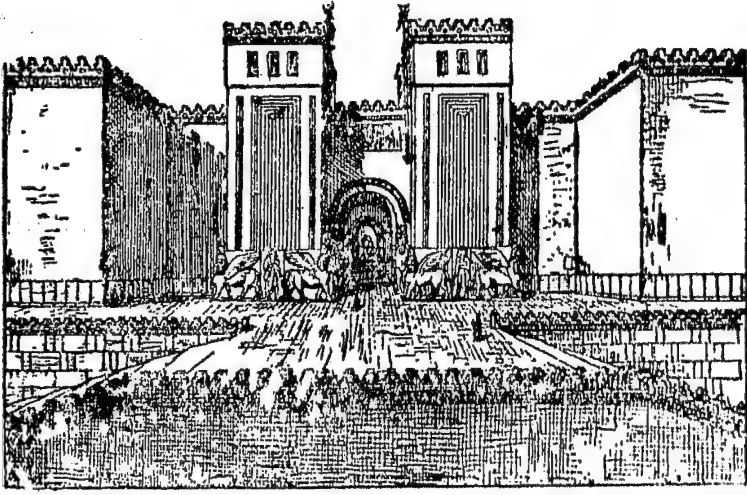


(شكل ٤٧)

قصر دور شاروكين (منظر من اعل) (نقلا عن بروه وشيبه)

وقد وضع المدخل بحيث يحجب أية رؤية مباشرة من الخارج . وكان المرء يدخل أولا الى بهو صغير يخرج منه دهليز ضيق طوله ٤٥ مترا يؤدي الى البهو الرئيسى وهو أفخم بقعه فى القصر كله . وعند الدخول الى هذا البهو ومساحته ٩٧٦ مترا مربعا كان الزائر يجد أمامه ثلاث بوابات جميلة مقببة واثنتين أخريين على كل جانب تؤدي الى شرف الاستقبال الرئيسى السبع وكلها مزينة ببلاط منقوش وطوب زخرفى . وكان البهو نفسه مزينا بنفس الطراز وتحرس الأبواب الرئيسية ثيران مجنحة . وكان أسفل الأفاريز العالية مقسما بانتظام قسمين : فالجزء العاوى متعلى بكتابات طويلة تكرر فى عدة قاعات بينما نجد فى أحد الأجزاء أحداث الحكم تذكر فى ترتيب تاريخى وهى الحوليات اذ نجد فى آخر الأعمال البارزة للخمس عشرة حملة الأولى تتجمع فى ترتيب جغرافى وهى تكون « فخر » الملك وتقاويمه وفى الجزء السفلى نحت ونقشت بارزة ملونة تروى بالصور ما تقصه لنا النصوص المكتوبة فوقها .

ولم تكن المواد المستعملة تسمح للمعماري بأن يبنى القاعات بالاستجمام التى يريدونها وقد جعلها كلها على نمط واحد بطول ٣٢ مترا عرض ٨ أمتار .



(الشكل ٤٨)

قصر سرجون - تفصيلات الواجهة من ناحية المدينة

- اما مكاتب الدولة فكانت أضيق و
- خمس أبناء وقلما كانت جدرانها
- طبقة ملونة من الملاط أو مصورة
- الى الشمال الغربى من بهو الدخول :
- الأشخاص ثمانى قاعات استقبال كبيرة

والى الجنوب الغربى من البهو الكبير للحنى المشترك يقوم المعبد وتشق طريقك اليه اما بالدخول الى بهو عن طريق مدخل ينفتح مباشرة على المباني المشتركة ثم ينحنى فى محاذاة الحائط الخلفى لقاعات الاستقبال أو عن طريق مدخل آخر على الواجهة المقابلة للمدينة بمرر ينحنى فجأة فى زاوية قائمة • وكانت المباني مكونة من ثلاثة أجزاء متشابهة من ناحية التصميم ومنفصل بعضها عن بعض تماما وكانت زخرفتها بسيطة تقتصر عادة على ملاط أبيض مع أفريز سفلى عريض أسود • ومن بين ثلاثة الأبناء التى تقوم حولها المباني نجد واحدا جديرا بالملاحظة بالنسبة لفخامة زخرفته : فلقد كان مزينا بطوب خزفى يكون أفريزا سفليا عريضا تقوم فوقه أنصاف أعمدة • وبالقرب من الأبواب ذات العقود توجد تماثيل وأشجار نخيل من البرونز المذهب وكان يخترق الأرضية من الطوب

رباطان من البلاط المتقاطع المرتفع كانا يربطان الأركان ويؤديان الى أربع غرف ثلاث منها كانت غرف احتفالات بمشكاة فى الحائط الخلفى يسبقها مسطح يرتفع ٦٠ سنتيمترا فوق الأرضية .

وكان مسطح القصر يشمل الى جانب ذلك مبنيين آخرين على الجانب الجنوبى الغربى فهناك أولا ال « زيغورات » بفيت منه أربعة طوابق تدل آثارها على أن لكل منها لونا خاصا ثم مبنى منعزل ومخرب كان مبنيا من كتل الحجر الجيرى بنقوش من البازلت : لمناظر الصيد والحرب والجزية .

وكانت المشكلة القائمة أمام المعمارى هى هذه : أن يجمع ثلاث مجاميع من المباني كان يجب أن يكون بينها وبين العالم الخارجى أقل ما يمكن من صلات ثم - بعد ذلك - أن يكون فى كل منها مجاميع فرعية بنفس الظروف على أن تراعى حاجات العمل للحاشية النسخة الملحقة بالقصر . ولقد استطاع حلها بطريقة تنطوى على الحذق وذلك عن طريق عمل أبهاء لا ترتبط الا بواسطة ممرات ضرورية وتتجمع حول كل مجموعة منها الغرف العديدة اللازمة لخدمة معينة . وكان المحور هو البهو الكبير للعى المشترك الذى كان يتصل مباشرة بالخارج من ناحية وبالمجموعتين الآخرين من ناحية أخرى (١) .

أما طراز زخرفة الحوائط والبوابات فقد فرض عليه عن طريق التقاليد منذ القرون الأخيرة للملكية . ومثال ذلك فى قصر سرجون وقصر « آشور نتسير ابلا » فى كالح الذى رسمه بنفسه وزينه بنقوش يشيد فيها بأعماله وكذا فى قصر « آشور أتيل ايلانى » خلف آشور بانيبال ذلك القصر الذى لم يتم العمل فيه والذى نرى حجراته وهى من حجم صغير مزينة بصور غير معتنى بها .

والتقاليد التى نحن بصدددها لم تأت من بابل بل أخذها الآشوريون عن الحيثيين الذين توجد فى قصورهم المبنية فى الألف الثانية زخارف منحوتة فى أفاريز (أسفل الحوائط) التى نجددها عند الحيثيين أقل ارتفاعا . بل وأكثر من ذلك أن الملك نفسه - مثل ما فعل « تجلات فلاسر » من قبل - يشير فى هذه النقوش الى هذا التأثير ويقرر أنه هو كذلك أقام مبنى على الطراز الحيثى يسمى « هيلانى » بأوغا العاموريين .

وكان قد جرى تساؤل لم كانت المباني الهامة تبنى من الطوب فى بلاد ليس بها الجص نادرا ولم يكن الأمر أمر تقاليد فقط ما دام الحجر

كان يستعمل الى مدى لا نظير له فى بابل حتى حين خضعت الأخيرة بدورها للتأثير الاشورى أليس من الممكن أن نقرر - كما اقترح بروه أن السبب فى ذلك يرجع الى أن الأعمال الثقيلة يمكن أن تؤدى بسرعة بواسطة أسرى الحرب حتى يستطيع المعمارىون بذلك أن يجدوا أنفسهم فى وضع يسمح لهم بارضاء طلبات الملك التى لا تحتمل الارجاء ؟

وكانت المباني الرئيسية - كما هى الحال فى بابل - تقوم فوق ربوة لم تكن ضرورية فى آشور للوقاية ضد الفيضان ولكنها كانت تصفى على المبنى كله منظرا رائعا .

وكان اللبن يستعمل فى الجدران قبل أن يتم تجفيفه حتى ترتبط طبقاته المتتالية بعضها ببعض دون استعمال المونة . أما بالنسبة للقباب فان الطوب التام التجفيف كان يستعمل وكانت الفجوات تملأ بالطين . ولقد استعمل سرجون الأحجار ليسند شرفة قصره . وكانت الحوائط بارتفاع ١٤ مترا تقوم على أساس من ٢٢ مترا ويتوجها حاجز ارتفاعه ١٢ من الأمتار أما مقاس الكتل الطولية فى القاعدة فكان ٢٧٠ طولاً × ٢ عرضاً × ٢ سمكا من الأمتار وزنتها أكثر من ٢٠٠ طن أما أحجار الرباط فنصف ذلك فى الطول بسمك قدره ٣ أمتار . وكان السمك يتناقص كلما ارتفعنا نحو القمة بحيث تصبح أحجار الرباط والكتل الطولية أقل مترا منها عند القاعدة وكان الميل أو الانكسار من الداخل ليوازن ضغط التراب بينما كانت الحائط من الخارج عمودية تماما . ولم يكن هناك ملاط لربط الكتل التى كانت تهذب الا حيث تنصل بالطوب الذى لم يتم تجفيفه : وهنا كانت تترك خشنة لتسهيل الالتئام .

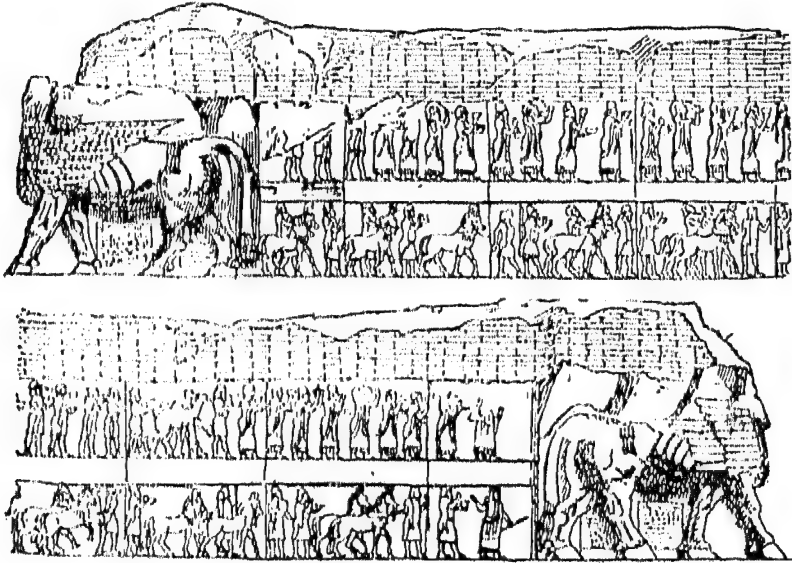
ولم تكن الأحجار تستعمل فى حوائط الأسوار للمدينة بنفس الطريقة ، بل كانت عبارة عن أساس ارتفاعه ١٠ الى ١٢ مترا وتتكون من كتل مصقولة بعناية ولا يربطها بعضها ببعض الملاط (المونة) . وكان الفراغ بينها يملأ بواسطة كتل غير منحوتة مستوية من أعلى كى توضع فوقها الطبقة الأولى من اللبن (الطوب المجفف فى الشمس) .

وحتى فى القصر نفسه كان الحجر يستعمل تكسية لواجهات الحوائط والأرضية ولتيجان الأعمدة . وانما لنجد الأسفلت تحت البلاط وعند قاع المجارى . وفى الحالتين كان هدف المعمارى ان يمنع رشح الماء . وكان البلاط ينحدر نحو مكان تجميع المصارف المقطوعة من الحجر حيث تفيض منها المياه فى ماسورة من الفخار الى بالوعات من الطوب ترتكز على قاعدة من الأسفلت .

ولم توجد قبوة واحدة في مكانها ولكن عشر في أنقاض وسط الغرف على قطع من كتل مقببة هي أحيانا كبيرة ومغطاة بملاط من الداخل . وبظهر أن قباب الغرف كانت تعلوها شرفات ان نحن اعتمدنا على كمية الأنقاض .

وكانت القبوة تستعمل كذلك للمجارى الرئيسية اما على شكل العقد المدبب المكون في كل ناحية من اربع قطع من الطوب على شكل المعين من اشكال مختلفة مربوطة على التوالي بين كل زوج من الصفوف بالطين أو الطوب . واما من المدبب بالتبادل مع القيو شبه الدائري . وكانت نفس عملية البناء بالعقد المدبب تستعمل في كلح جنبها الى جنب مع قنوات ذات قطاع مستطيل مسقوفة ببلاط بسيط مستو .

هذا والقصور مخربة لدرجة لا تسمح بأن تجعلنا نعرف على وجه التحقيق طريقة اضاءة الغرف . وحتى حين نجد حائط الغرفة يصل بطريق الصدفة الى ارتفاع ٧ أمتار (وهو أمر نادر) فاننا لا نجد أثرا للشبابيك . وكانت فتحات الأبواب واسعة وهى لا تقل في خور سباباد عن مترين اتساعا وهى غالبا ثلاثة أمتار ويتراوح ارتفاعها بين أربعة وستة أمتار : ولكن هذا لم يكن كافيا لجعل الاضاءة كافية في القاعات . ومع ذلك ، فان المناظر القليلة للبيوت ليس بها أية فتحة بالجدران ما خلا بعض فتحات التهوية أحيانا قرب السقف .



(شكل ٤٩) الزخرفة في اسفل الحائط لمر في قصر دور شاروكين

(نقلا عن بولتا : آثار نينوى)

((Botta, Monuments de Ninive))

وربما كانت تستعمل أنابيب فخارية قطرها قدم على وجه التقريب
ما دام وجود مثل هذه الأشياء في أكوام الأطلال قد يدل على أنها سقطت
مع القباب أو ربما كان هناك سرداب يترك تحت السقف كما هي الحال
اليوم في بيوت كردستان .

وتدل النقوش البارزة على أن الأبواب كانت ذات عقود أو في القليل
من الحالات مستطيلة وفي الحالة الأخيرة كان يستخدم عتب للبواب من
الخشب أو الحجارة أو المعدن . وقد قدم لنا قصر سرجون مثالا من الحجر
الجيري بعتبة زخرفة على شكل ثنائين مجنحة تزحف نحو اناه موضوع
بينها .

وكان العتب السفلي يصنع عادة من الحجارة في القاعات الخاصة
بالاحتفالات . وباللوفر نموذج رائع جيء به من نينوى (١) نحت على
شكل سجادة تنتشر فوقها ورود ذات ست وركات وتحدها من ثلاثة جوانب
حافة من أزهار اللوتس والبراعم على التوالي ، وهناك ركنان مجوفان
لعارضتي الباب وفي الوسط فجوة مربعة للمتراس السفلي . وهناك ٢٩٦
عتبة سفلية أخرى صنعت لأشور بانيبال مشابهة من حيث الرسم للعتبة
السابقة وفيما عدا ذلك - وخاصة ما بين الغرف ذات الأرضية الترابية
كانت العتبات في أسفل الأبواب تصنع من الطوب . وكثير من الغرف
لم تكن لها أبواب وكان يعلق على مدخلها ستار بسيط وحيث كان هناك
باب كان من الطبيعي أن يصنع من مصراع واحد وأحيانا من مصراعين
وكلاهما تفتتح الى الداخل . وكانت القائمة تعتمد أحيانا على كعب (جلبة)
من البرونز تدور في أوقاب منحوتة في الحجارة في أغلب الأحيان كما هي
الحال في المباني القديمة السوميرية ولكنها كانت في بعض الأحيان من
الطوب أو البرونز .

وكانت البوابات الرئيسية للقصر تغطي بالمعادن الثمينة كما كانت
التمائيل والنقوش الخارجية توضع عادة بالقرب من الأبواب والممرات .

وكانت تعترض الحوائط أحيانا بعض الأعمدة أو القنوات مثال ذلك
في أحد أبواب معبد خور سباد وكذا على الزيجورات حيث تكون الزخرفة
الوحيدة . وكان يعلو الجدران غالبا شرفات مكون كل منها من فئتين
أو ثلاث الواحدة فوق الأخرى وكانت الزخرفة تتم باستعمال الطوب
الزخرفي أو الملاط أو ألواح الحجارة .

وكانت الأحجار المستعملة للأجزاء السفلى تحمى هذه الأجزاء من الجدران المبنية من اللبن . وكانت الألواح تطرق من الناحية الخلفية لتسهيل الالتحام وكانت توضع جنباً إلى جنب وتربط ببعضها البعض أحياناً من أعلى بواسطة رباط معدنى كما تمسك من أركانها بقطع من الحجارة الأخرى المنحوتة على شكل الكوع (الزاوية) . وفى قاعات الاحتفالات كانت هذه الأجزاء السفلى مزخرفة بنقش يلتمع بالالوان . وكان قصر خور ساباد وحده يحوى من الأفاريز المنحوتة على هذه الصورة ما يمتد إلى أكثر من ٢٠٠٠ متر . والنقوش عند البوابات أعلى والصور على حجم أكبر . وكمثل لذلك نستطيع أن نذكر الثيران المجنحة التى يستطيع القصر أن يفخر بوجود ٢٦ زوجاً منها على الأقل .

أما سطوح الجدران كلها التى لم تكن تحمىها مثل هذه الأجزاء السفلية من الحجارة فإنها كانت مغطاة بطبقة من الجير والجص لا يزيد سمكها عن ٤ ملليمترات عشر بها على آثار نقوش تصويرية .

وقد قدم لنا الطوب الخزفى وخاصة بالقرب من البوابات زخارف متعددة الألوان وكان يستخدم فى الأفاريز السفلية كما فى بهو المعبد أو شمبران العقد (حلية معمارية) ، ويظهر أن ملوك البابلية الجديدة تعلموا من آشور استخدام هذا اللون من الزخارف الذى مر بتطور هائل عندئذ فى قصور الأكمينيين .

وفى نينوى ودور شاروكين كانت المباني توجه فى أركانها بالجهات الأصلية كما فى بابل . أما فى كلع فإن الاتجاه يقابل أواسط الجدران .

ولقد انتقلت الطقوس المتعلقة بأساس المباني من شعب لآخر . فلقد دفنت تماثيل صنيعة لجان ذات أربع فى الرمال تحت قصر أسار حدون فى كلع . كما وضعت فى نينوى لوحات من المرمر منقوشة على وجهيها وذلك خلف الأسدين اللذين كانا يزينان المدخل . وأما فى دور شاروكين فقد كان هناك صندوق حجري يحوى اللوحات (١) من مختلف المواد . وكان الأهليون قد القوا عند مدخل المدينة بالأسطوانات والمخاريط والتماثيل الصغيرة المختلفة فى طبقة الرمال بين الثيران المجنحة . وكما هى الحال فى بابل نرى أسطوانات كبيرة من الطين تثبت أحياناً فى فجوات الحوائط لثرد الأرواح الشريرة ولتستجلب بركات الآلهة .

وكان سمك جدران خور ساباد ٢٤ مترا • وكانت مصنوعة من اللبن الذى لم يتم تجفيفه على أساس من الحجارة • وفى بعض المواضع نراها لا تزال قائمة على ارتفاع ٢٣ مترا فوق مستوى الأرض المحيطة بها • وهى تكون جسما متوازى السطوح (١٦٨٥ × ١٧٦٠ مترا مربعا) به ١٦٧ برجا مستطيلا واجهة كل منها ١٣ ١/٢ مترا تخرج بمسافة أربعة أمتار خارج الجدران • وطبقا لبعض النقوش فإن هذه الأبراج البالغ ارتفاعها ٣ ١/٢ مترا تنتهى بقبو مرفرف تتوجه فجوات • وكانت هناك بوابتان فى ثلاثة جوانب الواحدة بسيطة والأخرى مزخرفة أما الجانب الرابع فى الشمال الشرقى فكانت به بوابة بسيطة وشرفة القصر •

وكانت البوابات البسيطة تستخدم لدخول وخروج العربات ومن جهة الوادى (السهل) كان يوجد مكان أمامى يبرز خمسة وعشرين مترا ببرج منخفض عند كل ركن • وكان هناك بهو ضخم يمتد أمام برجى الحائط الذى كان سمكه هنا ٨٥ مترا • وكان هناك سردابان جانبيان توجد أمام كل منهما ، فى وسط كتلة البناء ، فتحات الباب • وفى الحائط نفسه تجويف الباب • وكانت الأرضية تتكون من بلاط كبير من الحجر الجيرى •

وكانت البوابات المزينة مخصصة للمشاة • وفى الاستحكامات الخارجية كان يوجد سلم به ٢٠ درجة من الطوب • وعند البوابة نفسها كان هناك ثوران مجنحان كأنما يسندان القبو المقنطر والمزخرف لشمبران العنقد • وهناك فى نينوى بوابة بناها سناخريپ بها آثار العجلات على أحجار بلاط الأرضية وقد زينت بثيران مجنحة من ناحيتى المدينة والحقول على السواء •

وكانت شوارع دور شاروكين مثل شوارع بابل مستقيمة واتساعها ١٢ مترا • وكانت مرصوفة من حجارة غير منتظمة من حجم متوسط • وقد وضعت على الأرض بدون أساس سفل • ولم تجر حفائر فى المدينة ولكن بعض المجسبات أدى الى كشف غرف عليها بلاط وتطلع من الفخار وبعض الأدوات المنزلية •

٣ - النحت

ينشئ النحت الآشوري للألف الأولى مباشرة من الفن البابلي للفترة الكلاسيكية ، ومن الفن الحيثي للألف الثانية ولقد بلغ الكمال فيما يتصل بتمثيل الحيوانات بيد أنه لم يكن يستهدف في معالجة الصور الانسانية تبيان الأشكال التي تحت الملابس كما كان يفعل الفن السوميري وأكادي ، بل كان على العكس يتركز على تفصيلات الزى والزينة . ولقد كان الفن في بابل فوق كل شيء فنا دينيا . أما في آشور فكان حربيا قبل كل شيء . وان النقوش العديدة التي تملأ حوائط القصر تمثل في أغلبها مناظر الحرب والصيد وأقدم نحت عثر عليه في آشور وجد في خرائب مدينة آشور وهو عبارة عن تماثيل صغيرة من الحجر (١) أسلوبها الفني هو نفس الأسلوب في الفن السوميري في عصور ما قبل السرجونية . وهناك مذبح من القرن الثالث عشر حفر عليه الملك بين صورتين لجلجامش الأمر الذي يعيد للذكرى الطراز القديم .

وهناك نقشان يمثلان تجللات فلاسر الأول من طرازين مختلفين يظهران أن أصول الفن في القرن الثاني عشر لم تكن قد تحسنت أو استقرت بعد . فأما الأول فهو من « سوبنات » ويمثل الفن الآشوري . وأما الثاني فهو على مسلة ويقارب الطراز الميزوبوتامي كما هي الحال بالنسبة للتمثال البرونزي الصغير لأشور دان الثاني (القرن العاشر) .

وتزداد الآثار كثرة ابتداء من عهد « آشور نرسيح إبالا الثاني » (٨٨٤ - ٨٥٩) ولكن ليس هناك تمثال يبلغ من الجودة الفنية ما بلغته صناعة جوديا . فتمثال شلمنصر الثالث في آشور يدل على فن بسيط ، وتمثال « آشور نرسيح إبالا » الذي صمم بفكرة أن يرى من الامام ويوضع بالقسرب من الحائض يمزج ما بين الطرازين الميزوبوتامي والسوميري : والمظهر مظهر التجبر والصلف والزي لا انحناء فيه . وتماثيل « نابر » من عصر « أداد نيراري الثاني » (٨١٠ - ٧٨٢) بها نفس العيب في نصفها الأسفل ولكن الرأس نحت بطريقة أفضل (٢) . ومما هو جدير بالملاحظة بين التماثيل الصغيرة السفريت « بازوزو » بمتحف جيميه وكذا رؤوس هذه الروح الشريرة (٣) .

(١) شكل (٣٩) صفحة ٢٤٤ .

(٢) شكل ٤٦ صفحة ٣٢١ .

(٣)

وقد تكاثرت النقوش البارزة فى القصور الآشورية لتزيين الواح
الجص والمرمر الموضوعة فى أسفل الحوائط تسجيلا لمفاخر كل حكم .
وقد استخدم البابليون النقش البارز غالبا لتمجيد آلهتهم وأعطى الحيثيون
المثال فى استخدام أسفل الحوائط المنقوشة أما الآشوريون فقد جعلوا
منها فنا تاريخيا وزخرفيا فى الوقت نفسه فعنوا خاصة بتفصيلات الزى
والحركات والخواص وقد عولجت المناظر الطبيعية بدقة بطرائق بدائية
غالبا كما مثلت الحيوانات بمهارة فائقة . وكانت هذه المناظر تمثل
الحرب وصيد الملك وأهم أعمال عصره وأحيانا حياته الخاصة . ولقد كان
عدد هذه النقوش والوقت القصير المحدد للانتهاء من صنعها مما لا يسمح
بأن يتولاها الفنانون المشهورون اذ تغطى هذه النقوش أكثر من ٦٠٠٠
متر مربع فى قصر دور شاروكين .

وفى عهد « آشور نتسير ابلأ الثانى » كان النقش ضعيفا . ولم يكن
الرسم المنظور قد عرف بعد فطغت الكتابات على النحت نفسه وكانت
تغطى عادة الجزء الأسفل من الأشخاص . وقد ظلت كذلك فى عصر
« أداد نيرارى الثالث » ولكن سرجون خرج على هذه العادة وأمر بأن تحفر
حوليته ومفاخره خارج الأشخاص أو الأشياء المصورة . ومع ذلك فإن
الطريقة القديمة لم تهجر تماما فاننا نراها مثلا على لوحة « اسارخدون »
فى « سنجرى » .

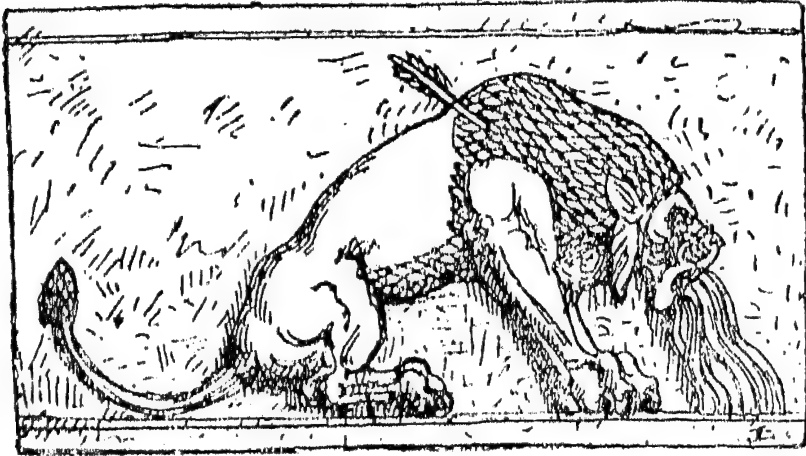
وكان تكوين المناظر فى القرن الثامن تحت حكم سرجون هو بعينه
كما كان فى عصر « آشور نتسير ابلأ » ولكن يلاحظ وجود ميل قوى
الى عزل الصور عما وراءها وتكبير أحجامها وعدم تمثيل الأشياء الثانوية .
وفى المناظر الحربية نجد أن المنظر العام قد مثل بدقة . أما فى النقش
الخاص بالصيد فإنه ليست هناك أقل محاولة لتبيان طبيعة الأرض .
وفى خلال الحكم التالى حدث تطور فظهر طراز جديد ظل دون أن يعتوره
تغيير تقريبا حتى سقوط نينوى وكانت المناظر تسجل فى صفوف تعلو
بعضها . وكان من أثر ذلك أن ضاق المكان مما دفع الى النقش على مقاس
أصغر وازدادت المناظر الثانوية وحاول النحات التزام الدقة فى تمثيل
المنظر وبلغ التنفيذ درجة عالية من الكمال وعنى بالحفر والنقش عناية
أكثر .

وقد اتفق الفنانون الآشوريون على بعض اصطلاحات : فالصورة
الانسانية مثلا قلما تبين الملامح المميزة للجنس أو الشخصية ولا يمكن
التعرف على الأعداء أو الحيثيين أو العيلاميين الذين يقدمون الخضوع
ويأتون بالجزية أو يؤخذون أسرى الا بواسطة زيهام الذى يختلف عن زى
الآشوريين الذين يمكن تمييز نوعين منهما : الأول ملتج وهو قاصر على

تميز الرجل البالغ أو الموظف والآخر بغير لحية وهو يمثل الشبان والخدم .

ولم يستطع الفنان تمثيل شخصياته ما لم يرها من ناحية جانبية تماما . فحين يدور أشور نتسير ابلا ليفوق سهما ضد أسد يحاول أن يعتلى العربة الملكية نرى الصورة العامة جيدة ولكن احترام عظمة الملك والبحث وراء التفصيلات جعلتا الفنان يمثل الصدر من أمام بينما كان يجب أن يظهر من الخلف وأن يجعل الذراعين ظاهرتين ، بينما لم يكن يجب أن يبين غير اليسرى ، ولقد كان هذا الخطأ على كل حال ميراثا تناقلوه عن الفن السوميري وأكادى الذى تظهر فيه حركات الشخصيات خاضعة للترتيب الهندسى للموضوع فى المناظر المتماثلة . وتمثل الأقدام دائما منظورة من الجانب (بروفييل) أما العين فتظهر كأنها ترى من الأمام حتى لو كان منظر الرأس من الجانب .

أما فى تمثيل الحيوانات وهو عمل بلغ فيه الأشوريون حد الكمال فإننا نجد الاصطلاح موجودا وخاصة فى القرن التاسع . فمثلا نرى فى منظر للصيد خيول العربة الملكية الثلاثة ليس لها فيما بينها جميعا سوى سميت سميقتان وفى نحت آخر نرى للشيران قرنا واحدا . أما معارف النخيل



(شكل ٥٠) أسد مطعون بسهم (قصر أشور بانينال - المتحف البريطاني)

فتعامل معاملة أهذاب أجهزة (عدد) الخيل (١) والرسم هندسى جدا
وخير نتاج هذا العصر وهو الأسود يبين المبالغة فى تمثيل الجهاز العضلى
والنسبة البالغة التضخيم (٢) .

ويمثل صيد الأسود من عصر آشور بانيبال أحسن مجموعة فى
الفن الآشورى : فالقطعة التى تمثل الأسد والسهم يخترقه تعتبر قطعة
فريدة (٣) وليست اللبؤة الجريحة بأقل تعبيرا (٤) . وقد أخذ منها
نموذج معروف فى Pare Moncea « بارك مونسو » .

وقد استعمل الفن الآشورى كذلك عملية فى النحت تتوسط بين
النقش البارز والمجسم . ولقد لجأ الى هذا الطراز فى أسفل الحوائط
فى الأماكن الواجب أن تكون أكبر سمكا لتعرضها أكثر من غيرها
للتصادم . أى لوجودها عند مدخل القاعات والممرات . وفيها نرى أن
مقدم العفاريث التى لها أجسام السباع والثيران ذات الأحجام الضخمة
أحيانا نراها منفصلة تبرز عن الحائط بروزا شديدا كما لو كانت
تماثيل .

ويظهر أن الثور برأس الرجل الذى أصبح فى آشور روحا خيرة
وحارسا لبوابة دخول المدينة أو القصر . . . يظهر أنه - شأنه فى ذلك
شأن جملجامش وهو يخنق أسدا يصحبه أحيانا - أخذ مباشرة عن العقيدة
السوميرىأكادية . ومن ناحية أخرى نجد أن الكائنات المركبة التى تتكون
من جسم إنسانى يرتبط بأعضاء أو رأس حيوان معينة يظهر أنها منقولة
عن مصر عن طريق الحيثيين ، لأن البابليين ظلوا يجهلون تقريبا مثل هذه
المخلوقات الخلاسية التى يندر جدا ظهورها فى آثارهم . ولقد كان
الآشوريون يربطون أحيانا الجسم الإنسانى برأس الحيوان وأحيانا يلحقون
ذيل الحيوان ومخالبه بصدر إنسانى كما مثل السوميريون أنكيبدو . وقد
اخترعوا كذلك طبقات من الجان تتميز عادة بزوج أو اثنين من الأجنحة
تمثل سرعتها فى انفاذ أعمال الخير أو الشر . أما الجان الآخرون الذين
يظهر فيهم التمثيل البشرى كاملا فانها تميز من الآلهة حين لا تكون مجنحة
وهى تلبس على رأسها التاج ذا القرون الذى يكون أحيانا بيضى الشكل
تعلوه سوسنة وأحيانا أسطوانيا تزيينه قرون وريش .

XC VIII b, pl, 10.

Ibid, pl. 81.

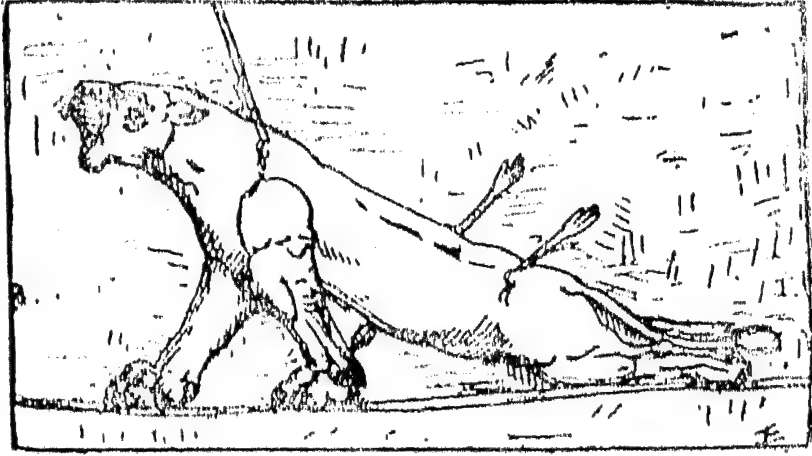
(١)

(٢)

(٣) شكل ٥٠ .

(٤) شكل ٥١ من ٣٣٩ .

وكان الآلهة والجنان - شأنهم في ذلك شأن الناس - يلبسون قميصا قصيرا في العادة وملفعة طويلة لا تغطي الساقين تماما . وهناك استثناء واحد من ذلك فان آشور نفسه يصور عادة في شكل نصفى مزودا بقوس يخرج من قرص مجنح وهذا الرمز حيثى في أصله . وأحيانا يختفى الشكل النصفى للاله ولا يبقى من الرمز سوى القرص المجنح كما هي الحال في أرض القراعنة .



(شكل ٥١) لبؤة جريخة (قصر آشور بانتيبال - المتحف البريطاني)

ويتميز الملك الاشورى بلباس رأسه وهو تاج في صورة مخروط ناقص تعلوه شوكة ويربطه شريط أو برطل تتدلى أطرافه على كتفيه



(شكل ٥٢) الملك والحاشية والجنان (تولا عن لايار - آثار نينوى)

Layard The Monuments of Nineveh

وأحيانا تصل حتى حزامه • ولقد كان فى الأصل بسيطا وقليل الارتفاع
ثم أخذ يزداد ارتفاعه شيئا فشيئا • ومنذ عهد سرجون غطى بالتطريز •
وكان للقميص الملكى حاشية وله أهداب • وكانت قدما الأمير تنتعلان
نعلا لا ينعلى سوى العقبين • وفى الأذنين حلقتان كبيرة وعلى العنق عقود
من التماثم وعلى المعاصم دمالج وفوق الساعد أساور وأحيانا يكمل مظهره
بخنجر وسيف •

وكانت الحاشية تلبس مثل الملك ولكن دون لباس رأس أو بعصابة
فحسب • وأقمشة هذه الملابس أقل ثراء • أما الفخامة فتظهر فى الحلى
خاصة وكان البعض - مثل الجند - يلبسون قميصا قصيرا لا تغطيه
دائما ملنعة •

وكان الأجانب يعرفون عادة من المميزات التى تكون فى زيهم -
أما المارك الاسرى الذين خزم تجلات فلاسر الأول أنوفهم ووضع فيها
الحلقات فيتميزون بلباس الرأس شأنهم فى هذا شأن بعض القواد الذين
«همهم» اشور لتسيير ابلا» (١) ويظر أن كليهما يمت لنفس جنس
الاشوريين ومع ذلك فانهم حيثيون ان نحن اعتمدنا على مظهر لباس الرأس
المخروطى والاحذية ذات المقدم المرتفع الى أعلى • وبالمثل كانت الشعوب
التي تدفع الجزية تتميز بأزيائها كما هو ممثل على المسلة السوداء
للسامنصر الثالث •

وكانت الحياة تدب فى النقوش عن طريق الألوان ذات الظلال
الغامقة التى كانت تستعمل لتأكيد التفصيلات • وقد استعملت نفس
الألوان فى صناعة الطوب الخزفى وفى الصور المرسومة • أما لوحة
الألوان فلم تعرف تنوعا كثيرا : فقد كان هناك الأسود والأبيض والأحمر
والأزرق وفى النادر جدا الأخضر • واللون المذكور أخيرا لا نجده غير
مرتين فى شرائب دور شاروكين لأرضية صورة والأوراق شجرة • ولم
يكن يعنى باللون الحقيقى : فاننا نجد على النقوش الأفواه والشعر
والوجوب للرجال سوداء اللون غالبا • كما نجد أهداب الثياب وحملات
الغلف حمراء أو زرقاء • وكانت الأرضية فى الطوب الخزفى زرقاء عادة
وكانت الأشكال صفراء أو بيضاء • وهكذا نرى على شمبران عقد جنيا
اسمر «سكا ب» «الستيل» وتفايح ارز بين حزمتين من الورد الأبيض •
وبلى نقش فى أسفل الحائط نجد أسدا وثورا وشجرة وقاربا وطائرا
تبرز باللون الأصفر على أرضية زرقاء •

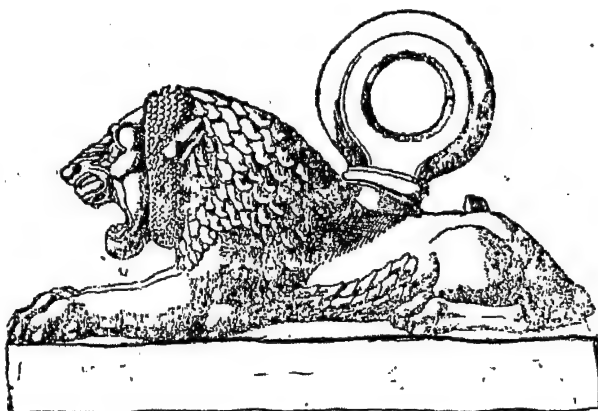
وقد حللت الألوان المعدنية المستعملة في الطوب الخزفي وثبت أن أزرق كلع هو أكسيد النحاس المختلط ببعض الرصاص وأن أزرق دور شاروكين عبارة عن مسحوق اللازورد المستورد من باكتران • وأن الأحمر هو أكسيد الحديد المسمى حجر الدم وأن الأبيض هو أكسيد الصفيح • وأن الأصفر خليط من أئمد الرصاص والصفيح المعروف اليوم « بأصفر نابولي » •

ولم يكن النحت في الحجر مخصصا فقط لزخرفة القصور فقد كانت اللوحات تغطي بمناظر دينية وتستخدم كتمائم لتبعد الشياطين • وباللوفر قطعتان من هذه الآثار الهدف من صنعهما طرد غارات ال «لابارتو» (١) •

٣ - الأشكال المعدنية

استخدم الآشوريون المعادن لتزيين القصور وصناعة التماثيل وأدوات الأثاث • ويرجع تمثال صغير ندرى (٢) يمثل امرأة بيدين مضمومتين الى

عهد السيادة
السومرية
وهناك تمثال
صغير (٣) صلب
على جزئين كان
مكرسا لعشتار
اربيلا من أجل
حياة أحد ملوك



(شكل ٥٣) أسد من البرونز • قصر دور شاروكين (متحف اللوفر) « آشور دان »

ويظهر أنه يمكن نسبته الى ثاني ملك يحمل هذا الاسم حوالى نهاية القرن العاشر • وفي قطعة من القرن السابع نرى الها واقفا فوق حيوان خرافي (٤) وقميص المعبود مزخرف بوريدات منقوشة في مربعات صغيرة.

LXVIII No 403, 105, 106, I, t. XVIII. No 4, 1921.

(١)

XVI No 54 p. 10.

(٢)

IXVIII No 138.

(٣)

Ibid, No 144.

(٤)

نقشا غائرا ولون شعر الحيوان مثل كذلك بخطوط محفورة • أما العيون المجوفة فلا بد أن انسانها كان من مادة أخرى طبقا للطراز الذى يمكن تتبعه فى سومير وأكاد من أقدم العصور • وهناك من نفس العصر أسد رابض (شكل ٥٣) مدفون فى الأرض وربما كان مقيدا بسلسلة الى الحائط عند احدى بوابات قصر سرجون كحارس • وقد اكتشفت سبع برونزية أخرى فى نمرود •

أما العفريت بازوزو الذى كان ينحت أحيانا على الأحجار فكانت تصنع له كذلك تماثيل برونزية صغيرة (١) واننا لنجده يعامل كذلك طبقا للعملية التى تربط فى النحت ما بين استعمال النقش البارز والمجسم على لوحة برونزية فى مجموعة Declercq (٢) وعلى لوحة مشابهة فى المتحف الامبراطورى العثمانى (٣) •

ولعل أهم النقوش البارزة المعدنية هى الواجهات البرونزية من القصر الذى بناه شلمنصر الثالث فى امجور ايلليل (بلاوات) فى القرن التاسع فلقد مثل هذا الملك أهم أحداث حكمه هناك فى مجموعة من الأفاريز • وقد استعملت صفائح من النوع نفسه فى قصور آشور ودور شاروكين وقد ثبت سرجون لوحات برونزية رقيقة من نفس النوع حول الأعمدة الخشبية التى تقلد جذوع النخل وغطاها بطبقة رقيقة من الذهب على الطراز المينى بنماذج ترجع الى أقدم العصور السوميرية •

٤ - الحفر على الأحجار

لم يصلنا من الأختام الأسطوانية الآشورية بمقدار ما وصلنا من البابلية • كما أن ترتيبها طبقا للعصور أصعب ويندر وجود تلك التى

Ibid, No 146-147.

(١)

XLIX, t. II pl. 34.

(٢)

II., t. XX, p. 69.

(٣)

تقدم اسم
شخص من
الأسماء
التاريخية التي
يحتفظ بها
التاريخ ولم
يكن من عادة
الشهود أن
يشبثوا أختامهم
على الوثائق
وهكذا كان
عدد الأختام
المؤرخة قليلا.

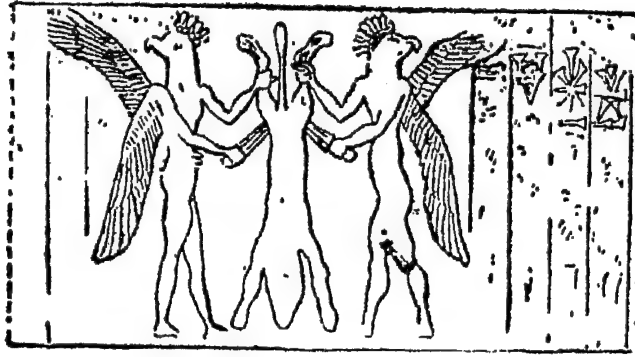


(شكل ٥٤)

اسطوانة الملك « أريبا أداد » (متحف برلين - حفائر آشور)
نقلا عن O. Weber في كتابه

All orientalische Siegel bilder No 316 A.

ولعل أقدم الاسطوانات المؤرخة هي أختام الملك أريبا أداد (شكل ٥٤) وأشور أوباليت (شكل ٥٥) المعاصرين للملكين المصريين أمنحتب الثالث وأمنحتب الرابع حوالي ١٤٠٠ ق.م. وتثبت بصمات الأختام التي جمعت من اللوحات التي عثر عليها في خرائب آشور انه في العصر الذي كانت الكتابة المسمارية واجبة الاستعمال في المراسلات الدبلوماسية في كل الشرق القديم كان الفن الأشوري قد نبذ الصيغة السوميرية ليستوحى الفن الحيثي الذي ظهر تأثيره واضحا فيما بعد بقليل في وثائق خاصة باقليم كركوك (١) . وباللوفر أسطوانة من العقيق قدمها أحد ضباط « أداد نيراري » الثالث الى واحد من رفاقه في السنوات الأخيرة من القرن التاسع وفي خيمة دعائها حراب تمسك بكل منها صورة لـ « أنكيديو » نرى آشوريا يتعبد الى معبود حربي وعلى الوجه الآخر صورة أخرى لأنكيديو يرفع ذراعيه كأنما يسند رمز الاله : وهو هنا الجزء الأعلى من



(شكل ٥٥)

أسطوانة الملك آشور أو بالليت (متحف برلين - حفائر آشور)

شخص داخل دائرة
مكونة من كرات صغيرة .
ومنظر التعبد هذا يظهر
مرة ثانية بدون الخيمة
والأشخاص الثانوية على
عدد من الأسطوانات مع
معبودين في الغالب (١)
ويظهر أن ايماءة المتعبد
وهو يمد إحدى يديه
أفقياً يرفع الأخرى
وراحتها الى الخارج
كان أمراً خاصاً بأشور
(شكل ٥٦) ذلك لأن
البابلي من هذه الفترة
حتى نهاية الامبراطورية
كان يرفع كتفا يديه
ويقلب راحة اليد الى
ناحية وجهه .



(شكل ٥٦)

اسطوانة آشورية (المكتبة الأهلية)



(شكل ٥٧)

اسطوانة آشورية (متحف اللوفر)

وتكون الحيوانات الحقيقية أو الوهمية التي تحفر أحياناً بالمحتات
وأحياناً أخرى بالثقاب موضوعات بعض المناظر التي يكشف فيها الفن بصور
الحيوانات عن كمال يعد كأحسن فنون النحت (٢) .

XLII. b, a. 678.

(١)

XLI, b, No 307.

(٢)

ورغم أن
حفار
الأسطوانات
كان يقصر
فنه عادة في
نطاق الدين
الأن مجموعة
النقوش
البارزة قد
أثرت عليه
بعض التأثير.



(شكل ٥٨)

أسطوانة اشورية (متحف اللوفر)

ففي خور سباد نجد بعض المناظر للصيد الملكي أو الحروب (١) .
وفي المناظر المأخوذة عن الأساطير نجد أن مناظر الصراع شائعة :
فالبجان وهم تقريبا دائما في صورة انسانية وأحيانا مجنحين . . . نجدهم
يفوقون السهام ضد حيوانات حقيقية أو خرافية (شكل ٥٨) أو نراهم
مسلحين ببليطة أو سلاح مقوس بحد محدب يشبه البالات اليونانية harpe
وهم يتغلبون على حيوان ذي أربع أو نعامة (شكل ٥٩) . وفي مكان
آخر تصور هذه البجان بين حيوانين أو وحشين مركبين يقفان ويواجهان
بعضهما البعض ويمسكانهما عادة من الفخذ الأمامي . وهم يظهرون كذلك
- كما في النقوش البارزة - في مجموعات من أزواج عادة . وفي إحدى
اليدين ال « ستيل » واليد الأخرى ممدودة نحو مخروط من الأرض على
شجرة مقدسة يظلها قرص مجنح .

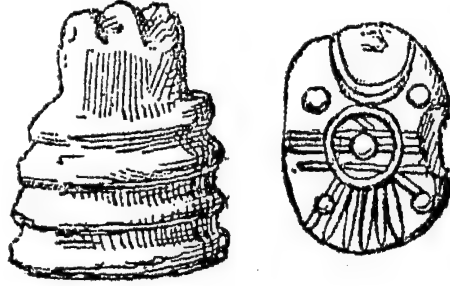
وقد عاد الختم المسطح الذي
عرفه السوميريون من أقدم
العصور ولكنهم نبذوه منذ
عصر لوجالاندا وظل مستعملا
في آسيا الصغرى على « اللوحات
الكابادوكية » في القرن الرابع



(شكل ٥٩) أسطوانة اشورية (المكتبة الاهلية)

والعشرين ثم بعد ذلك فى الامبراطورية الحيثية ٠٠٠ عاد هذا الختم الى الظهور فى آشور فى الألف الأولى (شكل ٦٠) وقد أوجب استعماله

فى بابل حتى استطاع فى عهد السلوقيين أن يطرد الاختتام الأسطوانية من الشرق كله وكان يصنع عادة على شكل مخروط ناقص بقاعدة اهليلجية واستدارة عند



(شكل ٦٠) ختم آشورى (متحف اللوفر)

القمة ٠ ولقد كان المجال على مثل هذه القاعدة أكثر تحديدا من سطح الأسطوانة ٠ ورغم أنه كان يتسع لمنظر صراع الا أن الفنان فى نقش الأحجار كان يفضل أن يحفر عليها جنا خيرا أو رموزا الهية ٠

٥ - الزى والأثاث

ان النقش البارز فى القصور هو المصدر الرئيسى لمعلوماتنا عن الزى الاشورى ٠ ولقد رأينا كيف أن النحاتين جهدوا فى التمييز بين الآلهة والجان والملك والحاشية والأجانب وذلك بواسطة تفصيلات ملابسهم ٠

وكان الزى فى أيام السيادة السوميرية ملفعة مستطيلة تلتف حول العجز كما هى الحال عند ضفاف الفرات ٠ وفى الألف الأولى كانت تتكون من جزئين : قميص بغير أكمام قصير أحيانا وطويل أحيانا أخرى ثم ملفعة مستطيلة تلبس فى أشكال مختلفة تبعا لمرتبة لابسها وتثبت بواسطة حزام أو خيوط مجدولة وحماله ٠ وكان للملفعة أهداب من جوانبها الأربعة وكانت تزين غالبا برسومات دينية أو أزهار أو حواش ٠

وكان يحمى الأقدام فى الحرب حذاء يغطى الساق ٠ وأما فى الحياة المدنية فكانت النعال ذوات الكعوب تربط بأربطة جلدية تلتف حول الاصبع الكبيرة وتدور حول الاخمص مرتين أو ثلاث مرات ٠

وكانت حلاقة الرأس والاحتفاظ بالحية أمرا مقررا منذ فجر التاريخ كما تشهد بذلك بعض الآثار التى عثر عليها فى خرائب آشور ٠ ولكن سرعان ما اختفت هذه العادة كما يثبت ذلك تمثال عتيق عثر عليه فى نفس المكان ٠ وفى القرن التاسع كان الشعر مجعدا ويسقط على الكتفين وكانت اللحية الطويلة يقص شعرها على شكل مربع ولم يكن يحلقها تماما سوى كبار الموظفين وصغار الجنود ٠

وكان التاج ذو القرون من مخصصات الآلهة • وكان الملك يرتدى غطاء الرأس على شكل قمع مخروطى يعلوه سن مدبب ويحيط به اكليل • وكان عامة الناس يسيرون عادة عراة الرؤوس فى الحياة العادية وكان شعرهم يربط أحيانا بعصابة •

وكان الرجال والنساء على السواء يتحلون بحلى من الذهب والفضة والتحاس المذهب وفى عصر سرجون كان الخرز على شكل الزيتون والخرز القنوى يصنع من رقائق الذهب بزخارف مضغوطة للعقود والخواتم والحلقان • وكان الخرز البلورى يزود فى الوسط بحلقات ذهبية • وكانت الأحجار الثمينة المستعملة فى العقود تحاط بالذهب وأزهار اللازورد تحلى بذهب نقى فى وسطها وكانت تلبس حول المعصم وفى أعلى الساعد أساور مفتوحة ثقيلة من البرونز مزينة عند طرفيها برؤوس حيوانات وكانت تكمل الزينة أقراط ضخمة ورموز دينية تعلق حول الرقبة • أما عامة الشعب فكانوا يقنعون بعقود وأساور مكونة من براميل صغيرة وأسطوانات ولوحات وزيتونات وعجلات أو خرز منحوت من أحجار غالبة أو مصنوع من عجائن صناعية تقلد الحجر •

وكان الآشوريون - كالبابليين - يستعملون يوميا زيوتا عطرية ودهونا ومراهم وربما مركبات لازالة الشعر •

كان الأثاث فى القصور فخما جدا فى الألف الأولى وأصبح بمرور القرون أكثر فخامة وزخرفة • وكان عرش سناخريب يرتكز على أربعة أرجل على شكل أقماع الأرز ويعتمد الذراعان فى كل من الجانبين على ثلاثة صفوف متعاقبة بكل منها أربعة تماثيل لأشخاص الواحد منها فوق الآخر • أما المعقد والظهر فتغطيها ملفعة من قماش نفيس •

وعرش « أشور نيسير ابلا » كانت به نقوش برونزية تمثل حيوانات مركبة ترتفع نحو شجرة مقدسة • وهناك متكا من نفس العصر كان مزينا برؤوس حيوانات من المعدن ومغطى بوسادة ذات أهداب • وكانت هناك مقاعدة كثيرة فى دور شاروكين مزينة بنفس الطريقة وكانت تصنع الكراسى والكراسى ذات الأذرع والأسرة والموائد والمقاعد من الأخشاب الثمينة التى عنى بحفرها مع تكسية وتطعيم بالذهب والفضة والبرونز والأحجار الكريمة •

وكانت الأوانى المعدنية المزخرفة تستورد من فينيقيا كما تستورد المصنوعات العاجية من مصر • وقد سرى كذلك استعمال أوانى الزجاج والحجارة ولكن استعمال الفخار كان سائدا • وقد عثر على أوان منقوشه منه فى أعداد قليلة •

الفصل الثالث

الآداب والعلوم

١ - الأدب التاريخي

استخدم الآشوريون الخط المسماري الذي اخترعه السوميريون واستعمله الأكاديون . ورغم أنهم بسطوا الحروف أكثر مما فعل البابليون إلا أن طريقة الكتابة لم ترق رغم أنه كان يوجد بمكاتب الدولة المثل الذي ضربه الكتاب المصريون الذين تخلصوا من هيروغليفيتهم القديمة والكتاب الآراميون الذين كانوا يستعملون حروفا هجائية . لذلك ظل فن الكاتب وعلمه كما كان في بابل تقريبا في نفس العصر .

وتحوى الآداب الآشورية عددا ضخما من النسخ أو المطابقات للنصوص البابلية وهناك نوعان من الأدب فقط يستوقفان النظر : هما الأدب التاريخي والمراسلات الكتابية .

وأهم النصوص التاريخية التي وضعت طبقا لترتيب الملوك الآشوريين تختلف اختلافا بينا من ناحية انشائها عن الوثائق الماثلة في سومير وأكاد . فلقد كان الملك البابلي فوق كل شيء راعي شعبه وهو في النصوص يعنى عناية خاصة بذكر ما قام به من أعمال ليقر النظام في دولته وليدفعها الى التقدم والازدهار وليحميها من أعدائها حين تدعو الضرورة الى ذلك . أما الملك الآشوري فقد كان على العكس من ذلك مخاربا وكان مثله الأعلى أن يوسع الأقاليم الخاضعة للاله آشور وأن يعتبر هو غازيا . ولم تكن للنقوش المنتشرة في قاعات قصره أهداف سوى تمجيده شخصيا . وكانت النصوص التي تصحب النقوش تشيد بمجده وقلما كان يذكر شيء عن الكوارث التي تنتاب الحكم فان ذكرت مثل هذه الأحداث فانما كان ذلك على أساس أنها أمور لا قيمة لها حين لا يستطيع تحويلها الى نجاح باهر .

وكانت صيغة الكتابات الملكية تخضع لنظام ثابت من عصر معن في القدم . وحتى نهاية القرن الثامن قل أن أدخل عليها أى تعديل وكان يسر الكتاب أن ينسخوا الصيغ التي كانت تستعمل في العهود السابقة .

وفى حكم السرجونيين أخذت تصطبغ نصوص الروايات بصبغة شخصية ولعل هذا يتضح جليا فى نصوص آشور بانيبال .

ويمكن تمييز أربعة أنواع من الوثائق : « الحوليات » التى كانت تذكر فيها الحوادث فى ترتيب تاريخى ، و « تاريخ الحروب » الذى يسمح لنا أن نتابع تقدم الحملات ، و « التفاويم » التى تجمع فيها الوقائع حسب الأقاليم التى حدثت فيها ، وأخيرا « النقاير » فى صورة خطابات موجهة الى الاله آشور عند العودة من كل حملة لابلاغه النجاح الذى تم على العدو .

وكانت هذه الكتابات - ماعدا النوع الأخير - تحفر على جدران القصر أو على أسطوانات الأساس . وكانت تتكون عادة من ثلاثة أقسام رئيسية . أما القسم الأول فهو تقرير للملك يقدم ملخصا لأعماله وغالبا سلسلة نسبته . وأما القسم الثانى فيقص أحداث الحكم من حروب ومنشآت . وأما القسم الثالث ، فهو عبارة عن لعنات تصب على من يحطم هذه الكتابة وأحيانا دعوات لمن يعاملها باحترام .

وهناك بداية اسطوانة تجلات فلاسر الأول :

« الاله : آشور السيد العظيم الذى يحكم مجموعة الآلهة الذى يمنح الصولج والتاج الذى يدعم الملكية ، ايلليل ملك كل ال « أنوناكى » أب الآلهة سيد الأقطار ، سن العاقل سيد التاج المجد فى فخاره ، شماش قاضى السماء والأرض الذى ينهى بالعدم محاولات العدو ويساعد العدالة ، اداد القوى الذى يحطم الأقاليم المعادية والأراضى والبيوت ، اينورتا البطل الذى يحطم الأشرار والمعادين ويشبع رغبة القلب ، عشتار الأولى بين الآلهة سيدة الصراع التى تفض المعارك العنيفة - الآلهة العظام الذين يحكمون السماء والأرض والذين يعنى هجومهم المعارك والهلاك والذين عظموا ملكية تجلات فلاسر الأمير المحبوب المفضل فى قلوبكم البطل الرائع الذى اختارته قلوبكم العطوفة . ذلك الذى توجتموه بالتساج العظيم . ذلك الذى عينتموه فى وقار ملكا على أرض ايلليل وأعطيتموه الحكم والمجد والقوة ورسمتم له الى الأبد مصيره الملكى لتمام القوة ولذريته الكهنوتية مكانا فى « اى هارساج كوركورا » - تجلات فلاسر الملك القوى ملك (العالم) كله الذى لا منافس له . ملك الأقاليم الأربعة . ملك الأمراء جميعا . سيد السادة ملك الملوك القوى الكاهن الأعظم الذى أعطى له بأمر شماش صولجان باهر . ذلك الذى حكم الأمم رعايا ايلليل فى جموعهم . الراعى الشرعى الذى مجد اسمه فوق أسماء كل الأمراء . القاضى العظيم الذى قاد آشور ذراعيه والذى أعلن اسمه الى الأبد ليكون راعيا للأقاليم الأربعة ، غازى الأقاليم البعيدة على حدود مملكته فى الأقاليم

العليا والسفلى ، اليوم الساطع الذين يعشى بهاؤه الأقاليم الأربعة .
الشعلة القوية التي تسقط على الأرض المعادية مثل العاصفة الراجعة ٠٠٠
ذلك الذى بأمر ايلليل ليس له منافس والذى جندل وصرع أعداء آشور .

ان آشور والآلهة العظام الذين جعلوا ملكي عظيما قد منحوني القوة
والنفوذ وأمروني أن أهد حدود أراضيهم . لقد وضعوا في يدي أسلحتهم
القوية « اعصار المعارك » .

الأراضي والجبال والمدن والأمراء أعداء آشور قد هزمتهم وأخضعت
بلادهم . لقد حاربت بشجاعة ضد ستين ملكا وكسبت النصر عليهم في
الصراع . لم يكن هناك ضدى ند في حرب أو منافس في معركة . لقد
أضفت الى بلاد آشور أراضي أخرى ولأهلها أهلين آخرين . لقد وسعت
حدود بلادى وغزوت كل بلادهم (أى الستين ملكا) .

ويروى « آشور نتسير ابلا الثانى » فى حولياته أحداث عام ٨٨٤
ق.م . على الصورة التالية : « فى العام المسمى باسمى تبعا لكلمة آشور
مولاي وأينورتا الذى يحب كهنوتى لم يحدث فى عصر الملوك آبائى أن
حاكما لأرض « سوهى » أتى الى آشور ، ولكن حدث أن « ايلو ابنى »
حاكم سوهى أتى مع اخوته وأبنائه ليحضروا فضة وذهباً كجزية فى
نينوى أمامى من أجل خلاص أنفسهم .

وفى نفس العام المسمى باسمى بينما كنت لا أزال فى نينوى جاءتنى
الأنباء بأن الأشوريين وحاكمهم هولائى الذى كان شلمنصر ملك آشور
الأمير الذى حكم قبلى قد أقرهم فى هانزديفا (اننى أقول ان هولاء
الأشوريين) تمردوا بالعصيان وتقدموا نحو « دامداموسا » مدينتى الملكية
بقصد الاستيلاء عليها .

وتبعا لكلمة آشور وعشتار وأداد الآلهة العظام الذين يعاونونى
جمعت عرباتى وجيوشى وفى المكان الذى كانت به صور تجلات فلاسر
وتوكولتى اينورتا ملك آشور ٠٠٠ آبائى ٠٠٠ عند منبع السوبنات ٠٠٠
صنعت صورة لشخصى الملكى وأقمته هناك . فى ذلك الوقت تسلمت
جزية من أرض « اتسالا » قطعانا وماشية ونبىذا وعبرت جبال « كاشيارى »
وتقدمت نحو « كينابو » قلعة « هولائى » وانقضضت على المدينة بجموع
جيوشى فى هجوم شديد كالعاصفة واستوليت عليها وقتلت بالسيف ٦٠٠
من محاربيهم وأسلمت للنار ٣٠٠٠ أسير ولم أترك من بينهم واحدا حيا
ليكون رهينة . وأخذت حاكمهم « هولائى » حيا بيدى وجمعت من جيشهم
أكواما وأسلمت للنار شبانهم وبناتهم وسلخت حاكمهم هولائى وعلقت

جلده على سور « دامداموسا » ثم حطمت المدينة وخربتها وأشعلت فيها النار .

واستوليت على مدينة « ماريرو » فى نفس الاقليم وقتلت بالسيف ٥٠ من محاربيها وأسلمت للنار ٢٠٠ أسير وذبحت ٣٢٢ جنديا من بلاد « نيربو » فى معركة فى الأرض الخلاء واستوليت على أسلابهم (جثثهم) وماشييتهم الكبيرة منها والصغيرة . أما شعب نيربو التى تقع عند سفح جبل أوهيرا فقد حاصرتهم فى قلعتهم « تىلا » وخرجت من « كيناىو » مقتربا نحو « تىلا » وكانت المدينة محصنة تحصينا قويا وتطرقها أسوار ثلاثة وكان لشعبها ثقة فى حوائطها المنيعه وجيوشهم العديدة فلم يأتو ليمسكوا قدمي . وعصفت بالمدينة فى معركة ومذبحة واستوليت عليها وقتلت ٣٠٠٠ من محاربيها واستوليت على جثثهم (أسلابهم) وأهلكهم وقطعناهم وماشييتهم وأخذتها كغنيمة وأسلمت الكثيرين الى النار وأخذت الكثيرين أحياء : قطعت أيدي البعض منهم وأصابهم وجذعت أنوف آخرين أشور كغنيمة الفضة والذهب والأموال والثروات من سومير وأكاد وكذا وصلت آذانهم ثم حرمت غيرهم من نعمة البصر وجعلت من الأحياء كومة ومن الرؤوس كومة أخرى . وربطت رؤوسهم الى دعائم من الكرم حول المدينة أما فتيتهم وفتياتهم فقد ألقيت بهم الى النار .٠٠٠ لقد حطمت المدينة وخربتها ثم أشعلت فيها النار .

وليس هناك من منظر نهب أشهر من نهب سوسة بواسطة جيوش آشور بانيبال . وهاك الرواية الرسمية :

« لقد استوليت على سوسة العاصمة مقر آلهتهم ومكان عرافتهم . ودخلت بناء على أمر آشور وعشتار الى مخابئ قصورهم ومكثت هناك فى انبهاج وفتحت خزائهم المقدس فيه الذهب والفضة والأموال والثروات التى جمعها وكومها ملوك عيلام من أقدمهم حتى معاصري والنس لم يضع عدو من قبلى يده عليها . لقد استخرجتها وعددتها غنيمة . وأخذت الى من « كاردونياش » وكل ما كان قد أخذه ملوك عيلام الأقدمون فى سبع (١) حملات وحملوه معهم الى عيلام من « تساريرو » براق و « اشمارو » لامع وأحجار كريمة وأشياء ذات قيمة وحلى ملكية كان قد أعطاها ملوك أكاد الأقدمون و « شماش شوم أوكين » كحلفاء الى عيلام والملابس القيمة والحلى الملكية والأسلحة الخاصة بالاحتفالات والحروب وحلى أيدي المحاربين وكل أثاث قصورهم التى كانوا يجلسون أو يضطجعون عليها

(١) رقم ٧ هنا معناه عديدة .

والأواني التي كانوا يستعملونها للطعام والشراب والغسيل والتضميخ والعربات والمركبات وال « تسومبي » (١) المزين بال « تساريرو » وال « زاهالو » والخيول والبغال الكبيرة بأطقمها الذهبية والفضية أخذتها كغنيمة وحملتها إلى أشور . وقد حطمت زيغورات سوسة الذي كانت واجهته من اللازورد وكسرت قيمته المحلاة بالبرونز اللامع . أما شوشيناك آله عرافتهم الذي كان يسكن مكانا خفيا والذي لم يشهد عمله الإلهي أى واحد وكذا شومودو ، لاجامارو ، بارتكيرا ، أمان كاسيبار ، أودوران ، سيباك الذي كان ملوك عيلام يحترمونه ألوهيته ، راجيبا ، سونجور سارا ، كارسا ، كيرساماس ، شودانو ، ايباكسينا ، بيلالا ، بانينمرى ، نايرتو ، كندا كاربو ، سيلاجارا ، نابسا . . . كل هؤلاء الإلهة والالهات بكل ما يملكون من ثمين وغال وثوراتهم وأثاثهم . . . وحتى - كهنتهم وال « بوهلالى » . . . حملتها جميعا إلى أشور كغنيمة كما حملت إلى أشور كذلك ٣٢ تمثالا من الذهب والفضة والبرونز والحجر الجيرى الملوك مدن سوسة ، ماداكتو ، هورادى وتمثال « أوما نيجاش » ابن « أمبادرا » وتمثال عشتار ناهونتى وتمثال هلوسى وتمثال تماريتو الثانى الذى أخضعته بنساء على أمر أشور وعشتار . وقد حطمت ال « شيدو » وال « لاماسو » (٢) حراس المعابد بقدر ما يوجد منها وألقيت الثيران المتوحشة زينة البوابات . وجعلت معابد عيلام تختفى تماما وذهب مع الريح كل آله والهة . وقد دخلت جيوشى الصاعقة إلى الأحرار المقدسة حيث لم يكن يسمح لغريب أن يدخلها أو يعبر حدودها وكشفوا عن سرها وأسلموها للنار . وفتحت توابيت ملوكهم الأقدمين والمحدثين الذين لم يعبدوا أشور والذين كان الملوك آبائى قد تركوهم فى سلام وحطمتها وأخرجتها وأخذت عظامهم إلى أشور وأقررت القلق على أرواحهم (ال « اديمه ») وحرمتهم من التقدمات الجنائزية وسكب الماء .

ولمسيرة شهر وخمسة وعشرين يوما اجتمعت أقاليم عيلام ونشرت الملح وأشجار الشوك هناك وحملت معى كغنيمة إلى أشور أبناء الملوك وأخواتهم وأعضاء الأسرة المالكة فى عيلام صغارا وكبارا والحكام ورؤساء هذه المدن ورؤساء حملة الأقواس والقادة وراكبى العربات والفرسان وحملة الأقواس وحملة الدروع والفنانين على كثرتهم والسكان ذكورا وإناثا كبارا وصغارا والخيول والبغال والحير والتطعمان والماشية أكثر من أسراب الجراد .

(١) نوع من العربات العيلامية .

(٢) الجنيات الحارسة (الحافطة) وثيران وسباع مجنحة ذات رؤوس بشرية .

وحملت تراب سوسة • وماذا كتوهلتيماش ومدنهم الأخرى •••
 التراب الذى كنت أريده حملته الى أشور • وفى خلال شهر أخضعت عيلام
 بكل اتساعها وأسكت صوت الانسان وخطى الماشية والقطعان وصرخة
 الفرح وتركت حقولها للخير والغزلان وكل الحيوانات البرية •
 وسنسبتعير من نفس أسطوانة أشور بانيبال التى كتبت فى ٦٣٩ ق م •
 النص الختامى : فبعد أن أشار الى اصلاح القصر المسمى بيت ريدونى
 ينهى الملك قصته قائلا :

« وفى الأيام القادمة بين الملوك الذين سيخلفوننى فليرفع من يضع
 اسمه أشور وعشتار على عرش البلاد وسكانها ••• فليرفع ثانية من
 الخرائب هذا ال « بيت ريدونى » ان شاخ وسقط الى أنقاض • أما الكتابة
 التى فيها اسمى واسم أبى واسم أب أبى الجنس الملكى الوطيد ••
 ليقرأه وليضمخه بالزيت وليقدم التضحيات ويضعها بجانب النص الذى
 يحمل اسمه • ألا فلتمنحه الآلهة بقدر كثرتهم المذكورة فى هذا النص ••
 لتمنحه كما تمنحنى القوة والسلطان •

أما من يحطم الكتابة التى تحمل اسمى واسم أبى واسم أب أبى
 ولا يضعها بجانب الكتابة التى تحمل اسمه ••• ألا فلينتقم أشور وسن
 وشماش وإداد وبعل ونابو وعشتار نينوى ملكة كدمورى وعشتار أربىلا
 واینورتا ونرجال ونوسكو لينتقموا منه جميعا لعدم ذكر اسمى •

٢ - أدب الرسائل

ويتضمن أدب الرسائل فى أشور كما فى بابل الوثائق الرسمية
 والمراسلات الخاصة • وقد وجدت معظم اللوحات فى مكتبة أشور بانيبال
 وهى تبعا لذلك تتصل بالشئون العامة • وبعضها مكتوب بالأشورية
 والبعض الآخر بالبابلية • وهى تسمح لنا بإعادة تكوين فصول معينة
 فى التاريخ أهملتها الكتابات الملكية وتبين كيف كانت الحكومة المركزية
 تطلع أولا بأول على ما يجرى من أحداث على الحدود وفى الدول المجاورة •

وكان سرجون فى بابل فى سنة من السنوات (سنة ٧١٣ على أكثر
 تقدير) واننا لنرى ابنه سناخريب يرسل له التقارير الواردة من مختلف
 الموظفين عن سير الأمور فى أورارتو ، وتبدأ خطاباتة بفقرات التحية « الى
 الملك سيدى من سناخريب خادمك • السلام للملك مولاي • السلام سائده
 فى أشور • السلام سائده فى المعابد وسائده فى كل قلاع الملك • ليفرح

قلب الملك مولاي تماما » (١) ثم يلي ذلك تقارير منسوخة دون تغيير في الأسلوب الذي استعمله مرسلوها فهناك تقرير من بلاد « الأوكيين » بأن ملك أورارتو هزم حين توجه الى بلاد «السيميريين » ويشير « آشور رتسوا » من ناحيته الى مذبحه ضخمة في جيوش هذا الأمير : فمات النبلاء وأسرى القائد العام أما الملك نفسه ففي بلاد « وازاون (بتليس ؟) » . وأرسل والى « هالتسو » من يتحرى الأمر على الحدود : فأنبىء بانتصار السيميريين وبأن ثلاثة نبلاء أورارتيين مرقوا اربا مع جيوشهم واستطاع الملك أن يجد طريقة للهرب والعودة لمقاطعته . وحتى لحظة كتابة التقرير لم يكن معسكره قد تعرض للهجوم وأرسلت حاميات قلاع الحدود أنباء مماثلة وذهب ملك « موتساتسير » وأخوه مع ابنه لتحية ملك أورارتو كما أرسل ملك « هوبوشكيا » رسولا له : وينتهى الخطاب بالإشارة الى ارسال لوحة مباشرة الى الملك من « نابولى » رئيس خدم السيدة « اهات ابيشا » . ويظهر أن هذه السيدة هى ابنة لسرجون تزوجت من ملك « تابال » المدعو « امباريدى » الذى اقتيد أسيرا هو وكل أسرته فى عام ٧١٣ ق م .

وهناك مجموعة أخرى من التقارير بنفس الصورة (٢) تشير أولا الى محاولة ملك أورارتو القبض على الولاة الأشوريين المجتمعين فى « كوماى » ويشير المرسل الى خطاب من « آشور رتسوا » يتضح منه أن ملك أرمينيا مع فرق صغيرة من جيوشه قد دخل الى مدينة « واسى » . أما « آشور رتسوا » من ناحيته فيكتب مباشرة بأنه أرسل حرسه الى أرض الأوكيين الذين ثاروا ضد « أرزابيا » .

وقد كشف عن تسعة تقارير من نفس « آشور رتسوا » تتصل بسير الأمور فى أورارتو وهو يخطر فى أحدها بتحريك الجيوش (٣) : « فى يد نيسان خرج ملك أورارتو من « ثوروشبيا » وذهب الى « اليتسادا » . وشق « كاكادانو » قائده العام طريقه الى مدينة واسى كما تركزت جيوش أورارتو فى اليتسادا » .

وفى تقرير آخر (٤) يؤيد خبر وجود الملك فى واسى ويعلن بأن « ٣٠٠٠ من الأورارتيين المشاه فى طريقهم الى « موتساتسير » تحت قيادة « ستينى » الذى أخذ معه جمالا وانهم عبروا النهر ليلا » . وبأن هناك مجموعة أخرى من الجيش تحت قيادة « شونا » تسير كذلك نحو

LXXXII b, No 197 Cf. xx t. III, p. xv.

(١)

LXXXII b, No 198.

(٢)

LXXXII b. No 492.

(٣)

LXXXII b. 380.

(٤)

« موتساتسير » عبر مقاطعة الأوكين . وليس من شك في أن هاتين الرسالتين لاحقتان للتقرير الثاني لسناخريب الذى يتضمن دخول ملك أورارتو الى « واسى » وللتقرير الأول الذى يتحدث كله عن هزيمة انسيميريين له وعلى ذلك فان الأخير من تاريخ لاحق .

ولم تكن حركات الجيوش هذه التى يشير اليها الموظفون الملكيون مما يروق لملك آشور فكان يستاء ويخشى النتائج فيأمر عمدة القصر أن يطلب الى ملك موتساتسير ألا يسمح للأمرء الذين يزورون مدينته بقصد التعبّد أن يصطحبوا جنودهم معهم . وقد ورد الرد ينطوى على وقاحة تدل على أن مرسلها كان يعتقد أن فى امكانه مقاومة الجار القوى :

« لوحة أورزانا الى عمدة القصر (١) سلام عليك . بالاشارة الى

ما كتبت لى تقول :

(ملك أورارتو بجيوشه . . . أهو يزورك ؟ أين هو ؟) هاك اجابنى زان والى « واسى » ووالى مقاطعة الأوكين أتوا وقاموا بالعبادة فى المعبد وهم يقولون : « سيأتى الملك ، وهو فى « واسى » . ان الولاة (الآخرين) متأخرون سيأتون » وقد قاموا بعبادتهم فى موتساتسير . أما فيما يتصل بما كتبتنه لى فيما يختص « دون موافقة الملك ليس لأحدهم أن يأتى للعبادة مصحوبا بجيوشه فهل حين آتى ملك آشور منعه ؟ ان ما فعله هو يفعله الآخر فكيف اذن أمنع هذا الآخر ؟ » .

وهناك فترة أخرى يزودنا فيها أدب الرسائل بمعلومات شائقة هى نهاية عهد « شماش شوم أوكين » ملك بابل وهى الفترة التى قامت فيها محاولة تمرد ضد النفوذ الآشورى والصراع مع عيلام .

واننا لنجد « نابو بعل شوماتى » الذى ربما كان ملك أرض البحر يكتب (٢) : « يتضح مما نرى الى أن ملك عيلام خلع وثار ضدّه بضع مان قائلة : « لا نريد أن نلقى بأنفسنا بين يديك » واننى أنقل ذلك الى مولاي الملك كما علمت به . لقد سكنت فى أرض البحر منذ أيام « نايد مردوك » . حين قبض « سن بالاتسو اقبى » على ٥٠٠ من قطاع الطرق واللاجئين الذين أتوا عند الجور وناميين وقيدهم بالحديد وسلمهم الى مولاهم ناتانو ملك الأوتيين وهم الذين كان ملك (آشور) قد أعطاه إياهم .

ولقد أصبح « نابو بعل شوماتى » حفيد « مروداخ بالادان » ملكا على أرض البحر عند موت عمه « نايد مردوك » . فلما ثار « شاماش شوم أوكين » أرسل له ملك آشور جيوشا لهاجمته من الجنوب ولكن « نابو

LXXXII b. No 409 cf. xx t. III, p. XII, XIII (traduction). (١)

LXXXII b. No. 839.

(٢)

بعل شوماتى « الذى كان يريد كذلك أن يستعيد استقلاله حاول أن يضم إليه الجنود الأشوريين وقد نجح فى ضمان ولاء عدد منهم . ولما أدرك أن الكارثة لا يستطيع تجنبها هرب معهم إلى عيلام وفى ٦٥٠ ق.م . أحل « آشور بانيبال » محله من يدعى « بعل ابنى » ووجه النداء التالى إلى الأهلين : « أمر الملك إلى أهالى أرض البحر صفارا وكبارا ٠٠٠ أى خدمى ! (١) السلام لكم . لتكن قلوبكم راضية . انظروا كم يمتد تقديري إليكم . قبل خطيئة « نابو بعل شوماتى » أقمت عليكم عاهرات معبد منانو والآن أرسل لكم « بعل ابنى » الدوباشو الخاص بى ليتقدمكم . وبقيّة النص مكسور إلى عدة قطع وفيه يطلب الملك اطاعة أوامره والا اضطر إلى إرسال الجيوش هذا ما أن « اندا بيجاش » كان قد استضاف « نابو بعل شوماتى » وأنصاره فى عيلام فأرسل آشور بانيبال سفيرا يطلب إليه تسليمهم وكتب يقول « ان لم تسلم لى هؤلاء الرجال فانتى ستأتى لأحطم مدنك وستأخذ أهل سوسة وماذاكتو ووهايدالو وسأنزلك عن عرشك وأضع آخر فى مكانك . وكما سسحقت فيما مضى تويمان فانتى ساقضى عليك » وفى خلال المفاوضات استطاع قائد سوسى يدعى « أومانا لداش » أن يغتال اندا بيجاش وأن يستولى على العرش . وفى عام ٦٤٥ ق.م . كتب إلى ملك آشور عن « نابو بعل شوماتى » قائلا : « لوحة أومانا لداش ملك عيلام إلى آشور بانيبال ملك آشور (٢) : السلام لأخى لقد أخطأت ضدك منذ البداية شعوب أرض البحر فقله قدم « نابو بعل شوماتى » من هناك وأرسلت إلى تطلب : « أرسل نابو بعل شوماتى » اننى ذاهب للقبض على نابو بعل شوماتى وسأرسله لك . ان أهالى أرض البحر الذين أحضرهم إلينا معه من البدء نابو بعل شوماتى ٠٠٠ هؤلاء الناس أتوا عن طريق مياه ٠٠٠ انهم دخلوا بالقوة إلى « لاهيرو » وهم هناك اننى سأرسل ضديهم فى حدودهم خدمى وسأرسل لك بأيديهم أولئك الذين أثموا ضدنا فان كانوا فى مقاطعتى فسأرسلهم اليك بأيديهم بواسطة خدمى أما ان كانوا قد عبروا النهر فخذهم بنفسك » . ولما رأى نابو بعل شوماتى انه هالك لا محالة لم يرض بأن يستسلم حيا بل أمر حامل سلاحه أن يقتله وقد سلم جسده إلى ملك آشور الذى أمر أن يقطع رأسه ومنع دفنه .

وبعد أن استقر « بعل ابنى » كملك على أرض البحر بعد هرب « نابو بعل شوماتى » كتب تقريرا مطولا عن سير الأمور فى عيلام (٣) :

Ibid, No 289.

(١)

XCV, p. 350.

(٢)

LXXXII, b, No 280.

(٣)

فقد أرسل ٥٠٠ جندي الى « تسابدانو » أمرا اياهم أن يحصنوا أنفسهم في هذه المدينة وأن يغيروا على غيلام وأن يذبحوا أهلها وأن يعوذوا بأسرى . وتقدمت هذه الجيوش حتى « ايرزيدو » على مسافة قصيرة من سوسة وذبحوا الحاكم المدعو « أمالادين » وأخويه وثلاثة من أعمامه واثنين من أبناء أبناء اخوته ومائتين من النبلاء وأخذ ١٥٠ أسيرا وسرعان ما تقدم سكان لاهيرو ، وتوجوا الى « موشزيب مردوك » ابن أخ « بعل وابني » وقائد الجيوش في « تسابدينو » وأقسموا بالولاء لملك أشور وعيّنوا رماتهم ووضعوهم تحت تصرف الحاكم . وقد أعلن « بعل ابني » أنه سيرسل كل الغنائم الى الملك وأنهى خطابه بأنباء عن بلاط غيلام : يقال ان « أومانيجاش » قد ثار ضده « أومانا لداش » . وان كلا من الجيشين يعسكر أمام الآخر على ضفتي الهمند وان « ايقيشا ابلو » الذي أوفد الى القصر يعرف خططهم . فليسأل عنها . ولقد حظى موشزيب مردوك ابن أخ بعل بالرضا الملكي فاستدعى مرتين أو ثلاثا ليجتمع بالملك وقد كتب أشور بانيبال ذات مرة الى عمه قائلا (١) : « رسالة من الملك الى بعل ابني . اننى بخير . ليكن قلبك مطمئنا . سيسمع ل « موشزيب مردوك » الذى كتبت لى عنه له بالمثل . فى حضرتى فى أقرب وقت وسأحدد الطريق الذى تسلكه قدماء » .

وكان « كودور » حاكم أوروك الذى كان الملك قد أرسل له طبيبا ليعالجه أثناء مرض خطير قد سافر ليمثل بين يدي الملك ويشكره ولكنه استدعى الى مقر عمله حيث كان قد وصل خطاب من الملك . ورغبة منه فى عدم تأجيل التعبير عن عرفانه بالجميل كتب ما يلى : (٢) : « الى ملك الأراضى مولاي . من خادمه كودور . ألا فلتكن أوروك وایانا ملائمة لملك البلاد مولاي . ان « ايقيشا ابلو » الطبيب الذى أرسله الملك مولاي لمعالجتى قد أعاد الى الحياة . ألا فلترض الآلهة العظام للسماء والأرض عن الملك مولاي وليثبتوا عرش الملك مولاي فى وسط السموات الى الأبد . . . لقد كنت ميتا وأعاد الى مولاي الملك الحياة . ان أفضال الملك مولاي على عديدة . اننى أريد أن أذهب وأشهد الملك مولاي لقد قلت لنفسى : سأذهب وأرى وجه الملك مولاي ثم أعود وأخيا » . ولكن حامل المفتاح دعانى للعودة الى أوروك حين أرسل الى يقول : « لقد أحضر رسول فوق العادة خطابا محتوما من القصر لك فيجب أن تعود معى الى أوروك » لقد أرسل الى هذا الأمر وأعادنى الى أوروك ألا فليعلم ذلك الملك مولاي . »

Ibid, No 398.

(١)

Ibid, No. 274.

(٢)

وهناك خطاب يبين مدى عناية بعض ملوك آشور بالبحث عن النصوص القديمة وخاصة ما يتصل منها بالسحر وذلك بقصد زيادة ثروة مكتباتهم (١) .

ولقد كان للسحر قيمته الملحوظة في البلاط وبين العامة على السواء . ولم يكن الملك ليقدم على القيام بأى مشروع همام دون استشارة الآلهة والحصول على قائل ملائم . وكانت أدنى الحوادث تستدعى قيام نبوءات تقوم على أساس المعلومات التى جمعت منذ أقدم عصور الحضارة السوميرية أكادية وهاك مثلا هو خطاب من المدعو « نابوا » المقيم فى آشور - ولدينا منه عدد من التقارير الفلكية (٢) « الى الملك مولاى من خادمه نابوا . فليكن الملك مولاى موضع عطف نابو ومردوك . فى السابغ من كسليمو دخل ثعلب الى المدينة وسقط فى بئر فى الغابة المقدسة بأشور وقد أمسك به وقتل » .

وحين أراد « آشور موكين باليا » أحد اخوة آشور بانبيال الصغار - وهو رجل معتل الصحة - أن يذهب فى رحلة سأل الملك النصيحة فتلقى هذه الاجابة . « الى الملك مولانا » . من خادعك « بالاسى » و « نابواخى أريبا » السلام للملك مولانا . ليكن الملك مولانا موضع عطف نابو ومردوك . بالنسبة لـ « آشور موكين باليا » الذى كتب عنه لنا مولانا الملك ليكن موضع رعاية آشور وبعل وسن وشماش وأداد ألا ليره الملك مولانا فى صحة جيدة . ان الغال طيب للرحلة : الثانى مناسب والرابع مناسب جدا » .

ولقد كان « بالاسى » و « نابواخى أريبا » من بين أهم مراسلى الملك فيما يختص بالملاحظات الفلكية . وقد كان « اداد شوم أو تسور » كذلك فلكيا وكان يعطى استشارات فيما يتصل بالمرض والأيام المناسبة والخسوف ولكن لم يهمل مصالح أسرته . وأراد أن ينهى خطابا طويلا مليئا بالمداهنة بالتوصية على واحد من أولاده (٣) « الى الملك مولاى من خادمه اداد شوم أو تسور . ليكن الملك مولاى موضع العطف الشديد من نابو ومردوك لقد رسم ملك الآلهة اسم الملك مولاى لملكة آشور . أما شماش واداد اللذان لا تحيد نظرتهما عن الملك مولاى فقد ثبتاه إمبراطورا على كل البلاد . حكم سعيد وأيام وطيدة وستو عدالة وأمطار غزيرة وفيضانات وفيرة وأسعار مرتفعة . الآلهة يمجدهونه والخوف من المعبود

(١) انظر صفحة ٢٢٦ .

LXXXIII b. No 142.

(٢)

Ibir, No 2

(٣)

يزداد والمعابد مزدهرة والآلهة العظام للسماء والأرض يتהלلون تحت حكم الملك مولاى الشيوخ يرقصون والشباب يغنون والنساء والعذارى تزوجن والأرامل تزوجن مرة ثانية . والمعاشرة الزوجية تتم والنساء يحملن ويلدن ذكورا وإناثا . أولئك الذين أتموا وينتظرون الموت أعطاهم مولاى الملك حياة جديدة . لقد أطلقت سراح أولئك الذين ظلوا فى السجن سنوات عديدة لقد شفيت أولئك الذين ظلوا مرضى أياما طويلة أشبعت الجوع وسمن الضعاف . البساتين ملأى بالفاكهة ولم يبق سوى « أراد جولا » وسواى مجهدى الروح قلقى القلب . لقد أظهر الملك أخيرا حبه لنيئوى وشعبها ورؤسائها عندما قال : « أحضروا أبناءكم الى هنا وليقفوا أمامى » [الا فليقف ابني « أراد جولا » معهم أمام الملك مولاى . حقا سنسعد مع الشعب كله ونرقص من الفرح . اننى أنظر بعينى مثبتة على مولاى . ولكن جميع الذين يترددون على القصر بغير استثناء لا يحبوننى . ليس لى صديق من بينهم أستطيع أن أقدم له هدية يتقبلها ويهتم بخصيتى . ليشفق الملك مولاى على خدمه . اننى أتضرع ألا يكون بين هؤلاء الناس واحد ممن يغتابوننى يرى نتيجة تدبيراتهم ضدى » .

وهناك بعض الخطابات تشير الى العلاج الطبى ومن العسير أن نتناول بالترجمة أغلبها لأنه رغم تعدد اللوحات الطبية المحفوظة فى المتحف البريطانى فأننا نجهل غالبا المعنى الدقيق للاصطلاحات المستعملة لبيان الأمراض وعلاجها . وهناك « شماش ميتو أوبا لليت » أصغر اخوة أشور بانيبال يسأل الملك أن يرسل طبيبا يعالج امرأة من نساء القصر (١) .

« الى مولاى الملك من خادمه شماش ميتو أوبا لليت . السلام للملك مولاى : ليكن الملك مولاى موضع الرضى الكثير من نابو ومردوك ان « بار جميلات » خادمة الملك مريضة جدا ولا تستطيع أن تاكل شيئا ليأمر الملك مولاى بارسال طبيب ليرأها » .

وتبين الكتب الطبية طرائق علاج الأمراض المختلفة التى تنتاب كافة أجزاء الجسم : وهى جذور وزيوت ومساحيق وهى تتضمن غالبا بالإضافة الى ذلك رقى تطرد تأثير الأرواح الشريرة التى هى سبب الأمراض والاضطرابات . ولقد عالج « اراد ناناى » رجلا كان يهيم الملك أسارحدون أمره شخصيا وقد قدم له تقريراً عن حالة المريض الذى يقاسى ألما من جراء مرض فى العينين أو ربما كان مرض الجحمة « ان حالة الرجل المسكين الذى بعينيه مرض طيبة . لقد عملت له مكمدات على الوجه كله . وفى الليلة الماضية حللت الرباط الذى يربط المكمدات ثم رفعتها وكان هناك

صديد على المكمدات على شكل بقعة كبيرة بحجم طرف اصبعى الصغيرة .
ان كان أحد من آلهتك قد تولى الأمر بنفسه فانه وضع الأمور فى نصايبها
لأن كل شئ على ما يرام . ليفرح قلب مولاي الملك . انه سيشفى فى مدى
سبعة أو ثمانية أيام . ولقد كان نفس « أراد نانى » هذا يعالج الأمير
الصغير « أشور موكن باليا » الذى كان - كما رأينا - معتل الصحة جدا .
ولقد كتب يوما إلى الملك أبيه أنه لا داعى لأن يقلق (١) وفى مرة أخرى
يعطى نصائح للملك نفسه (٢) وحين شكوا الأخير من طبيعة المرض لم
تشخص أجاب الطبيب (٣) : « لقد قلت لمولاي الملك من قبل (« أن القرحة
غير قابلة للشفاء ولا أستطيع وصف علاج لهذه الحالة ») . ومع ذلك
فقد ختمت الآن خطابا أرسله . ألا فليقرأ فى حضرة مولاي الملك .
سأقدم وصفا للملك مولاي : فان وافق الملك مولاي ليدع ساحرا يباشر
عليه عمله . ليستخدم الملك غسولا وسيختفى الألم حالا . ليستعمل الملك
غسول الزيت (٩) مرتين أو ثلاث مرات » .

وكان بدء الشهر يتوقف على ظهور الهلال فى السماء . وكان فلكيو
أشور يرقبون السماء منذ التاسع والعشرين ويقدمون تقريرهم فورا ان
كان الوقت قد جاء للانتقال إلى الشهر التالى . وهناك نموذج أصليا
لتقاريرهم (٤) : « لقد قمنا بالملاحظات فى التاسع والعشرين ولم نشهد
القمر . ليكن الملك مولاي حائزا لرضى نابو ومردوك . من نابو من
أشور » .

وتثبت مجموعات الرسائل وتبرز ماهية تأثير بعض النساء فى
المجتمع الأشورى . فقد كانت « زاكوتو » زوجة « سناخريب » تلعب
دورا هاما فى البلاط وفى الدولة . وعند موت ابنها « أسار حدون » وقفت
فى صف « أشور بانيبال » . وقد اعتبرها « نايد مردوك » ملك أرض
البحر ومولى أشور وصية على العرش حين كان ابنها يحارب فى الغرب .
فكان يوجه إليها التقارير « إلى أم الملك مولاي من خادمها نايد مردوك .
السلام لأم الملك مولاي . ليمنح أشور وشماش ومردوك الصحة للملك
مولاي وليدخلوا السرور فى قلب أم الملك مولاي . جاء رسول من عيلام
ليخطرني أن « القنطرة قد رفعت من مكانها » وحالما علمت بذلك أرسلت
إلى أم الملك مولاي لتصلح القنطرة وتقوى المتاريس (المسامير) . وهناك

Ibid No 109. (١)

Ibid. No 110. (٢)

Ibid, No 391. (٣)

LXXXII b. No 825. (٤)

خطاب آخر من المدعو « ابلبا » يأتيها بأنباء عن ابنها (١) . « الى أم الملك مولاتى من خادمها ابلبا » ليكن بعل و نابو راضيين عن أم الملك مولاتى . اننى أتضرع كل يوم الى نابو ، ناناي من أجل حياة وصحة وطول عمر مولاي ملك كل البلاد ولأم الملك مولاتى . لتفرح أم الملك مولاتى ، لقد أتت رسالة تحمل أنباء طيبة من بعل و نابو من ملك البلاد مولاي » :

ولقد كتب الملك الى أمه مستعملا المقدمة المعتادة المستخدمة في كل خطابات (٢) : « رسالة من الملك الى أم الملك . أنا بخير . السلام لأم الملك . فيما يختص بخادمة « أموشى » التى أرسلتها الى فائنى سأعطى الأوامر فوراً طبقاً لما أخبرتنى به أم الملك ان ما ذكرته حسين جدا . أم سترجل « حاموناي » ؟

٣ - المعلوم

استخدم الآشوريون الموازين المقاييس البابلية ولكنهم أدخلوا عليها بعض التعديلات : وكانت وحدة الأحجام لا تزال ال « قا » أو « سيل » ولكن لم تعد مضاعفاتها ال « جور » ذو ٣٠٠ أو ١٨٠ قا بل ال « ابرو » أو حمل الحمار ذو ال ١٠٠ قا (٨٤٢ لترا) وكان هذا المقياس يستخدم كذلك مقياس أرض مثل جور بابل منذ الاحتلال الكاسى فكانت قطعة الأرض تقدر طبقاً لكمية الحبوب اللازمة لبذر وحدة المساحة .

ولقد استعمل السوميريون القدماء النحاس كنقود قبل استخدام الفضة واستعمله الآشوريون كذلك حتى في فترة السرجونيين ، ولكنهم استخدموا الرصاص قبل ذلك بكثير جداً : وأننا لنرى في الشروط الجزائية الواردة فى القوانين الآشورية من الألف الثانية أن الرصاص كان هو المعدن السائد الاستعمال . وكانت الفضة تستعمل كذلك فى الصفقات وهى تظهر فى شكل سبائك أو حلقات أو صفائح يبين وزنها ونوعها بواسطة بصمات . وقد استعمل الذهب كذلك فى عصر السرجونيين وإن كان أكثر ندرة .

وكانت السنة الآشورية تتكون من ١٢ أو ١٣ شهراً قمرياً كما هى الحال فى بابل . ويظهر أنه لم تكن هناك قواعد علمية تعين النظام الذى تحدد به السنة العادية والسنة الكبيسة . ومنذ أقدم العصور حتى نهاية

Ibid, No 303.

(١)

Ibid, No 324.

(٢)

الامبراطورية كانت تحمل كل سنة اسم شخصية هامة تسمى « لو » وهذه العادة التي شهدناها في الوثائق الكبادوكية للقرن الرابع والعشرين تعاود الظهور في اللوحات التي ترجع للألف الثانية والتي كشف عنها في آشور . وفي عصر السرجونيين كان الملك هو « لو » أول سنة كاملة لحكمه . وكان دوره للتمتع بهذا الامتياز يأتي مرة أخرى بعد ثلاثين سنة . وكان اللقب من بعده من نصيب الوزير الأكبر ثم ال « ترسان » ثم كبار الموظفين الآخرين .

كان للطلب الآشوري نفس الأساس والطرائق المتبعة في بابل . ويظهر أن علم الفلك لم يتقدم . وقد فاقوا أهل بابل في أنهم لم يكونوا يدرسون النجوم الا لمعرفة القال بالنسبة لأحداث الحياة العامة أو الأمور الشخصية . أما من حيث الجغرافيا فان الآشوريين لم يهتموا الا بتسجيل أسماء المقاطعات والمسافات بين نقطتين والأراضي التي يمر بها المسافرين من مكان الى آخر وذلك بقصد استخدامها في الحملات الحربية وقوافل التجار أو الميناءة الكتاب المنوط بهم كتايمة الحوليات الملكية . وغالبا ما كانت الوثائق الجغرافية نسخا من اللوحات البابلية .

ويظهر أن الآشوريين لم يحاولوا أن يحرزوا تقدما يستحق الذكر في العلوم من أية ناحية أو لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا . ولكننا ندين لهم بأنهم احتفظوا لنا في محفوظاتهم ومكتباتهم بعدد كبير من النصوص البابلية الأصل ، لا سيما وأن بعضها لا يعرف من مصادر أخرى والبعض الآخر يقدم لنا منوعات أو تعليقات أو اضافات تجعلها عظمة القيمة بالنسبة لنا .

خاتمة

لسنا نعرف من أين قدم الساميون الذين استقروا في سهل الفرات الأدبي ومع ذلك فانه من الأهمية القصوى أن نستطيع أن نحدد ان كان موطنهم السابق هو بلاد العرب - وفقا لنظرية ظلت سائدة فترة طويلة - أو هو اقليم العاموريين في سوريا وفلسطين طبقا لنظرية أحدث (١) وهذه المسألة لها أهمية كبرى بصفة خاصة لتقدير مدى تأثير الحضارة البابلية على مختلف الشعوب التي احتلت آسيا الصغرى والشاطئ السوري للبحر الأبيض المتوسط .

ولئن ثبتت النظرية القائلة بأن الساميين الأول الذين استقروا بين السوميريين كانوا فرعاً انبثق من مجموعة الساميين الغربيين ولئن أمكن بصفة نهائية اثبات الأصل العاموري لأقدم ملوك كيش وأوروك . وإذا لاحظنا أن أساس القصص التي لدينا عن هؤلاء الملوك حوادث تمت في سوريا في عصر سابق لأقدم الوقائع التي لدينا عنها وثائق معاصرة . . . إذا كان الأمر كذلك ، فإن نظرية القائلين بالمجموعة البابلية تنهار تماماً . ومن ثم فإن حضارة إسرائيل لا تعتبر كلها انعكاساً لحضارة بابل . واذن فإن التقاليد التي خلدها سفر التكوين لم تكن قد وردت من كلدنيا بل على العكس يكون الساميون هم الذين أتوا بها الى السوميريين في المرحلة الأخيرة من هجرتهم نحو الشرق . وإن هؤلاء قد ساروا عليها . وعلى أية حال فنظراً لأن السوميريوأكاديين قد تقدموا في ثقافتهم في سرعة تفوق سرعة الساميين الذين ظلوا في عامور . فانهم لهذا قد أثروا تأثيراً عميقاً في ذلك الاقليم الذي كانوا مضطرين للحضور اليه لاستغلال الأحجار والأخشاب . فمارسوا التجارة على نطاق واسع .

وانه ليلاحظ أن هذا التأثير لا يزال واضحاً في القرن الخامس عشر في عهد خطابات العمارة . ولقد زاد الآشوريون من هذا التأثير بواسطة طريقتهم في الغزو وتأسيس مستعمرات في الأقاليم التي يلقونها بامبراطوريتهم .

وقد خطا النيوبابليون الخطوة الأخيرة في هذا السبيل وبصفة خاصة بالنسبة لليهود الذين صبغوهم بصبغتهم الواضحة خلال سني النفي .

ولقد وافق جبهة من المستشرقين على الرأي القائل بالتأثير المتبادل بين المدينتين المصرية والبابلية في عصور معينة في القدم . ومع ذلك فهناك اختلاف بين وجهات النظر في تحديد حالات معينة ولكنه يسهل تحديد هذه التأثيرات ان نحن وافقنا على النظرية القائلة بأن الأكاديين من أصل عاموري وأن مواضع الربط بين المجموعتين هي المدن الواقعة على الشاطئ السوري فهناك عند بدء الفترة التاريخية كانت مصر قد أسست مستعمرات تجارية غنية استخدمت كقواعد لاستغلال غابات لبنان في عهد الأسرة الثالثة التي تعاصر لوجال راجيسي في أوروك .

أما في الاقليم الكابادوكي فانه كان في أول الأمر مستعمرة تجار أعطى لمن يعبدون آشور في الألف الثالثة ثم فيما بعد الحيثيون الذين نشروا الثقافة البابلية وقد استخدم كلاهما الكتابة المسمارية وكانا يستوحيان الفن السوميري الأكادي ولكنهما خلقا نماذج أخرى مغايرة نحتها أيضا على ضفاف دجلة ومهدا لنمو وتقدم الفن الآشوري الكلاسيكي .

ولقد أثرت الحضارة الآشورية بصفة خاصة على شعوب الجبال في الوديان العليا لدجلة والفرات - على « موتساتسير » « وأورارتو » مثلا في أيام سرجون . ومن جهة أخرى لقد أبرزت البعثة الموفدة الى فارس مدى النشاط الذي بذلته كل من سومير وأكاد في عيلام : ولقد فرض ملوك أجاده وملوك أور لغتهم كما فرضوا كتابتهم على العيلاميين دون أن يتسببوا على أية حال في اختفاء اللغة الانزانية أو يمنعوا بقاء الكتابة المحلية . ولقد صمد فن عيلام كذلك للتأثيرات الأجنبية الى حد ما : وتبين المجموعة الضخمة للأسطوانات والبصمات التي عثر عليها في سوسة فيما يختص بالنقش على الأحجار مجموعات من الرسوم التي لا نجد لها مثيلا في وادي الفرات . ويمكن تتبع التأثير البابلي مرة أخرى في نقوش « مالاير » حوالي ١٠٠٠ ق.م . بل وفيما بعد في الكتابة والفن والعمارة في عصر الفرس الأكمينيين .

ولقد أثرت بابل على العالم اليوناني وخاصة بعد أن اختفت تلك المدينة كقوة سياسية وقد كان هذا التأثير عميقا أحيانا وضعيفا أحيانا أخرى من طريق الشاطئ السوري وآسيا الصغرى في عهود مختلفة . ولقد وصل هذا الأثر الى قبرص قبل عصر حمورابي . وربما الى كريت كذلك . ولكن الاغريق الحقيقيين لم يعرفوا هذا الأثر الا عند اضمحلاله في عهد سيادة الفرس بل خاصة تحت سيادة السلوقيين وعندئذ نشر الكهنة الكلدانيون ورثة التراث القديم لسومير وأكاد وهم الذين لم يحسوا كلالا في نقل اللوحات الخاصة بالطقوس . . . نشروا علومهم في كافة بلاد حوض البحر المتوسط ولعل أشهرهم كان يدعى بيروس .

من هذه التأثيرات على هذه الشعوب المتباينة يبقى شيء لا يزال حيا حتى اليوم وهناك مثلين واضحين هما : التقويم الاسرائيلي الحالي وهو مشتق مباشرة من التقويم البابلي وكذا تقسيم الدائرة الى ٣٦٠ درجة وتقسيم اليوم الى ٢٤ ساعة وهما لا يتفقان مع مبادئ الطريقة المترية ويمكن ارجاعهما الى السوميريين .

ومنذ أقل من قرن من الزمان قامت حفائر منظمة أو خلصة استطاعت أن تكشف عن آلاف الوثائق . ولا زالت هناك مئات من التلال التي لم يتم كشفها يردمها تراب بلاد ما بين النهرين وتحتوي الاجابة عن العديد من الأسئلة التي لم تحل بعد .

ولقد استطاعت مصلحة الآثار في مصر والمنظمات المشابهة لها في سوريا وفلسطين الوصول الى نتائج مرضية جدا في أقاليمها الخاصة بها وأن تثبط من همم الحفارين الذين يقومون بالحفر خلصة والذين يجعلون الأشياء التي يستخرجونها من بطن الأرض تفقد الكثير من قيمتها ، وانه لمن الواجب أن يتابع الكشف في خرائب ميزوبوتاميا على نفس الطريقة على أن يراعى في أعمال الكشف الظروف المحلية .

ولقد اقتصر أعمال الحفر في خورساباد تقريبا على خرائب قصر سرجون وعلى بوابات المدينة ، أما في المدينة نفسها فلم تعمل سوى مجسات . ولكن هذه المدينة ترجع فقط الى القرن السابع ومن المحتمل أنها لا تقدم وثائق ذات قيمة أثرية يمكن مقارنتها بما ينتظر أن يستخرج من مواقع أخرى . أما القصور في نينوي فمعروفة ولكن المدينة لم يتم حفرها حتى مستوى الأرض البكر . أما أشور فقد أماطت اللثام عن سر أصولها البعيدة وعن التأثير السوميري على سكانها في النصف الأول من الألف الثالثة . وفي أماكن أخرى من أشور شرع في بعض أعمال الحفر . أما في منطقة كركوك حيث ظهر تأثير الفن الحيثي حوالى القرن الخامس عشر أو في اربيل حيث شيد معبد من أشهر المعابد أو في أماكن أخرى متعددة تبشر بنتائج طيبة فلم تقم بحوث علمية منتظمة .

ولم تستطع البعثة الألمانية في بابل أن تنفذ الى الطبقات العميقة من موقع بابل وقد عاقها عن العمل وجود المياه التي تصل اليوم في الفصول العادية الى مستوى أعلى من مستوى المدينة حوالى نهاية الألف الثانية . وفي « نقر » لا تزال جامعة بنسلفانيا الأمريكية تباشر عملياتها المهمة المنتجة التي ستظل سنوات عديدة قبل اتمام الكشف عن هذه العاصمة الدينية القديمة لسمر . أما العمل الذي قام به Colonel Cros Ernest de Sarzec

في تلبو فهو عمل هام بالنسبة لتاريخ آثار الألف الثالثة ولكن ظل دون اتمام لأن المكتشف الأول مات أثناء العمل وسقط الثاني مستشهدا في ساحة المجده ولا يزال الأمر متروكا لفرنسي يتناول معولهما ويتابع الكشف عن مدينة جوديا ٠٠٠ فكم من مدينة أخرى ندرك أهميتها البالغة لا تزال خرائبها تنتظر من يكشف عنها ! هناك « وارك » مثلا وهي تقع في مكان أوروك القديمة التي كانت مركزا للثقافة العلمية في العصر السلوكي حيث استطاع الحفاريون الذين يحفرون خلسة ن يستخرجوا عددا من اللوحات . لقد كانت هذه مدينة جلعامش ذلك الملك القديم الذي يسبق الفترة التاريخية . ولابد أن الطبقات السفلى للتل تحوى بقايا أسوار التحصين القديمة التي تتناولها القصص المتوارثة . وربما نجد هناك عناصر تكون صفحة جديدة في التاريخ ٠٠٠ لا التاريخ المحلي فحسب - رغم أن في هذا وحده ما يكفي من حيث أهميته - بل كذلك في تاريخ العلاقات بين السوميريين وشعوب شمال سوريا التي خلدت ملحمة هذا البطل ذكرها .

وكم من خرائب لا تظهر أهميتها لأول وهلة قد يسفر كشفها عن نتائج مثيرة ولعل مثل Tapé Moussian في سوسيانا حين تحمل M. J. - E. Gautier شخصيا كل نفقات أبحاثه دليل على ذلك . ان متابعة العمل في خرائب سوسه ليس أمرا غير متصل بموضوعنا لانه وجدت فيها عناصر للمقارنة تفيد في إعادة احياء التاريخ البابلي كما وجدت أحيانا بعض الوثائق التي لها صلة بموضوعنا وقد سبق أن كشف « دى مورجان » هناك عن قانون حمورابي ولوحة « نارام سن » وأسلابا أخرى من بابل المهزومة جنبا الى جنب مع وثائق تشير الى احتلال ملوك أور الفعلي لأرض عيلام . وقد كشف هناك عن الجبانة الأركية التي ترجع أهميتها الى مجموعتين للأواني الملونة التي وجدت فيها . ويكشف فيها اليوم M. de Maequeneme عن جبانة أخرى ترجع أقدم آثارها الى عصر ملوك أور بينما أحدثها ليست أقدم بكثير من الاحتلال الأكيمي .

وهناك أقاليم أخرى قد تنهض دليلا على نمو وتوسع المدينة البابلية أو الأشورية فنحن نعرف مثلا موقع « مارى » تلك المدينة الواقعة على الفرات الأوسط التي بسطت نفوذها على سومير وأكاد حوالى عصر أول ملك فى لجش - أورنيينا - والتي خرج منها بعد عدة قرون « إيشى ايرا » مؤسس أسرة ايسين . ونحن نعرف كذلك موقع « ترقا » عاصمة دولة « هانا » التي ازدهرت حوالى ٢٠٠٠ ق م ٠٠٠ ان حفائر منظمة فى أطلال هاتين المدينتين لكفيلة بأن تكشف عن نتائج خطيرة .

ولو أن الحكومات اليوم فى الظروف الحالية أقل قدرة على منح

الاعانات المالية الكبيرة اللازمة لمتابعة الحفائر الأثرية وهي العمل الحقيقي لتاريخ الشرق فإنه من واجب الأفراد أن يتولوا هذا الأمر وأن يشتركوا في تلك الجمعيات العظيمة في كل دولة ممن تعد هذا العمل موضع فخر . . وذلك بالاتفاق مع المعاهد العلمية أن تزود الحفارين بالوسائل المادية اللازمة للكشف عن وثائق هذه المدن القديمة التي هي التراث المشترك للجنس البشري .

المراجع

BIBLIOGRAPHIE

I. Periodiques

Revue d'Assyriologie et d'Archéologie orientale	i
Recueil de travaux relatifs a la philologie et a l'archéologie égyptiennes	ii
Babyloniaca	iii
Journal asiatique	iv
Syria	v
Revue archéologique	vi
Revue biblique	vii
Revue de l'histoire des religions	viii
Rivista degli studi orientali	ix
Proceedings of the Society of Biblical Archaeology	x
Journal of the Royal Asiatic Society	xi
American Journal of Semitic Languages and Literature	xii
Journal of the American Oriental Society	xiii
Journal of the Society of Oriental Research	xiiii
Zeitschrift für Assyriologie	
Orientalische Literaturzeitung	vx
Mitteilungen der Deutschen Orient-Gesellschaft zu Berlin	xvi
Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft	xvii

II. OUVRAGES COLLECTIFS

Délégation en Perse. Mémoires publiés sous la direction de M. J. de Morgan.	xviii
Mission de Chaldée Inventaire des tablettes de Tello conservées au Musée impérial ottoman	xix
Musée du Louvre. Département des antiquités orientales	xx
Babylonian Inscriptions in the collection of James B. Niss, 1917 et suiv.	xxi
Babylonian Records in the Library of J. Pierpont Morgan, 1912 et suiv.	xxii
Cuneiform Texts from Babylonian tablets. etc., in the British Museum, 1896 et Suiv.	xxiii
Hilprecht Anniversary Volume, 1909	xxiv
The Eothen Series	xxiv
The Babylonian Expedition of the University of Pennsylvania :	
Series A : Cuneiform Texts	xxv
Series D : Researches and treatises	xxvi
University of Pennsylvania. The Museum. Publications of the Babylonian Section	xxvii
Yale Oriental Series :	
Babylonian Texts, 1915 et suiv.	xxviii
Researches	xxix
Assyriologische Bibliothek	xxx
Keilinschriftliche Bibliothek, 1889 et suiv.	xxxI
Boghazkoi-Studien	xxxI
Königliche Museen zu Berlin, Mittheilungen aus den Orientalischen Sammlungen, 1889 et suiv.	xxxii
Vorderasiatische Bibliothek	xxxii

Vordorasiatische Schriftdenkmaler der königlichen Museen zu Berlin, 1907 et suiv.	xxxiii
Wissenschaftliche Veröffentlichung der Deutschen Oriental-Gesellschaft.	xxxiv
Der Alte Orient	xxxiv

III. *OUVERGES PARTICULIERS*

Allotte De La Fuye, Documents Présargoniques, 1908 et suiv.	xxxv
Afred Boissier, Documents assyriens relatifs aux présages, 1894.	xxxvi
P. E. Botta et E. Flandin, Monument de Ninive, 1819	xxxvii
Erienne Combe, Histoire du culte de Sin, 1908	xxxviii
Georges Contenau, Contribution a l'histoire économique d'Umma.	xxxix
— La déesse nue bebylonienne, 1904.	xi
— La civilisation essayro-babylonienne, 1922	xl
Gaston Cros, Léon Heuzey et Fa. Thureau-Dangin, Nouvelles fouilles de Tello, 1910.	xli
Edouard Cuq, Le mariage à Babylone d'après les lois de Hammurabi, 1905.	xlii
Edouard Cuq, Notes d'épigraphie et de papyrologie juridiques, 1908-1909.	xliii
Edouard Cuq, La Propriété foncière en Chaldée, 1906	xliv
Etude sur les contrats del' époque de la Ire dynastie babylonienne 1910.	xl v
Edouard cuq, Les nouveaux fragments du code de Hammurabi sur le pret à intérêt et les sociétés, 1918.	xlvi
Edouard cuq, Le cautionnement en Chaldée, 1918	xlvii

— Les pierres de bornage babyloniennes du British Museum, 1920.	xlvi
De Clercq et Joachim Menant, Collection de Clerq, Catalogue méthodique et raisonné, 1888.	xl
Louis Delaporte. Catalogue des cylindres orientaux du Musée Guimet, 1906.	xi
Louis Delaporte. Catalogue des cylindres orientaux de la Bibliothèque nationale, 1910.	xli
Louis Delaporte et Fr. Thureau-Dangin. Catalogue des cylindres orientaux du musée du Louvre, 1920-1922	xlii
Paul Dhorme, Choix de textes religieux assyro-baby- loniens, 1907.	xlili
— La religion assyro-babylonienne, 1910	xliv
Marcel Dieulafoy. L'acropole de Suse, 1893	xl
J. E. Gautier, Archives d'une famille de Dilbat	xlvi
Léon Heuzey, Les origines orientales de l'art	xlvi
— Musée du Louvre catalogue des antiquités chaldéennes, 1902	xlvi
Charles Fossey, Manuel d'assyriologie, 1904	xl
— La magie assyrienne, 1909	i
— Textes assyriens et babyloniens relatifs à la divination, 1905.	li
Henri De Genouillac, Tablettes sumériennes archa- iques, 1909.	lii
— La trouvaille de dréhem, 1911	lii
M. J. Lagrange, Etudes sur les religions semitiques, 2 edit, 1905.	liv
Stephen Langdon. Le poeme sumérien du Paradis, du déluge et de la chute de l'homme.	lv
Léon Legrain, Le temps des rois d'Ur, 1912.	lvi

— Catalogue des cylindres orientaux de la collection Louis cugnin, 1911.	lvii
Francois Martin, Lettres néo-babyloniennes	lviii
— Textes Religieux Assyriens et babyloniens, 1990.	lix
Gaston Maspero-Histoire Ancienne des Peuples del' orient classique, 1895.	lx
Gaston Maspero-Histoire Ancienne des Peuples del' orient 8. Édif 1909.	lxi
Jaochim Menant-Les Écritures cuneiformes, 1864.	lxii
— catalogues des cylindres orientaux du ca- binet royal des Médailles de La Haye, 1878.	lxxiii
Jules Oppert, Expédition scientifiques en Mésopo- tamie 1869.	lxiv
Victor Place, Ninive et l'assyrie, 1867.	lxv
G. Perrot et ch. chipiez. Histoire de l'art dans l'an- tique, t. ii, 1884.	lxvi
L. Pillet, Le Palais de Darius l'à Suse, 1914.	lxvii
J. Plessis, Etudes sur les textes concernant Ishtar- astarté, 1921.	lxvii
Edmond Pottier, Musée du Louvre. Les antiquités assyriennes, 1917.	lxviii
Max Ringelmann, Essei sur l'histoire du génie rural, t. ii, 1907.	lxix
Ernest de Sarzec et Léon Heuzey, découvertes en chaldée, 1884.	lxx
Vincent Scheil, Une saison de fouilles à sippar	lxxi
— La loi de Hammurabi, 1904 (cf. XVIII, t. IV.)	lxxii
— Recueil de lois assyriennes, 1921.	lxxiii

- V. Scheil et M. dieulafoy, Esagil ou le temple de
Bel-Marduk à babylone, 1913. lxxiv
- Francois Thureau-dangin, Recueil de Tablettes
Chaldeennes lxxv
- Les Inscriptions de Sumer et d'akkad, 1905 lxxvi
- Francois Thureau-dangin, chronologie des dynasties
de sumer et d'akkad, 1918. lxxvii
- Francois Thurea-dangin, Rituels eccadiens, 1921 lxxvii
- Charles Virolleaud, L'astrologie chaldéenne, 1908
et suiv.
- Edgar James Benks, Bismya or the Lost City of Adab,
1912. lxxviii
- G. A. Barton. Haverford Library Collection of Cunei-
from Tablets. 910. lxxx
- E. A Wallis Budge, Assyrian Sculptures in the
Biritish Museum Reign of Ashur-Nasir-pal, 1914. lxxxi
- E. A. Wallis budge et L. W. King, Annals of the
kings of assyria, 1902. lxxxii
- Harper, assyrian and babylonian Letters lxxxii
- H. V. Hilprecht, Exploration in bible Lands during
the 19th century, 1907. lxxxiii
- Mary Inda Hussey, Sumerian Tablets in the Har-
vard Semitic Museum, 1912. lxxxiv
- Morris Jashirow, aspects of Religious Belief and
Practice in Babylonia and assyria, 1911. lxxxv
- Leonard W. King, a history of Sumer and akkad
1010. lxxxvi
- A History of Babylon, 1915. lxxxviii
- Studies in Eastern History, 1904 lxxxviii
- The Letters and Inscriptions of Hummu-
rabi, 1898 lxxxix

— Babylonian Boundary Stones and Memorial Tablets in the British Museum, 1912	xc
— Bronze Reliefs from gates of Shalmaneser King of Assyria.	xc i
Leonard W. King' The seven tablets of Creation, 1902.	xcii
— Babylonian magic and Sorcery, 1896.	xciii
C. H. W. Johns, Assyrian deeds and document, 1898	xciv
— Babylonien and Assyrian Laws, Contracts Tablets, 1904.	xcv
Stephen Langdon, Tablets from the Archives of drehem,	xcvi
— Sumerian and Babylonian Psalms, 1909	xcvii
— Babylonian Liturgies,	xcvili
Layard, The monuments of Nineveh, 1853.	xcviii
Archibald Paterson, Assyrian Sculptures	xcix
— Assyrian Sculptures, Palace of Sinacherib	xcx
Théophilus G. Pinches' The amherst Tablets, 1908	ci
Thompson, The Devils and Evil Sprits of Babylonia	cii
William Hayes Ward, Cylinders and other oriental Seals in the Library of J. Pierpont morgan, 1909.	ciii
William hays Ward, The Seal cylinders of Western Asia, 1910.	civ
E. G. Ulauber, Politisch-religiose Texte aus der Sargonidenzeit, 1913.	cv
J. Kohler et F. R. Peiser, Aus dem babylonischen Rechtsleben 1890.	cvi
J. Kohler to F. E. Peiser Hammurabis Gesetz, 1904	cvii
— Urkunden aus der Zeit der dritten babylonischen dynestie, 1905,	cviii

A. T. Olmstead history of assyrie, 1923.	cvi
J. Kohler et F. E. Peiser, Babylonische Vertage des Berliner museums, 1920.	cvi
J. Kohler et A. Ungnad, Assyrische Rechtsurkunden.	cix
— hundert ausgewählte Rechtsurkunden. aus der Spätzeit des babylonischen Schrift- tums von Xerxes bis mithridates II (485-93 v. chr.)	cx
Koldewey, das neuerscheinende Babylon, 1913	sxb
F. X. Kugler, die babylonische Mondrechnung 1900.	cxi
— Sternkunde und Sterndienst in Babel, 1907 et suiv.	cxii
Edouard Meyer, Geschichte der altertums	cxiii
J. N. Strassmaier, Babylonische Texte	cxiv
K. L. Tallquist. die assyrische Beschwörungsserie maqlu, 1894.	cxv
M. V. Nikolski, documents économiques de l'ancien époque de chaldée (en russe).	cxvi

اقرأ فى هذه السلسلة

برتراند راسل	احلام الاعلام وقصص اخرى
ى • رادونسكايا	الالكترونيات والحياة الحديثة
الدس مكسلى	نقطة مقابل نقطة
ت • و • فريمان	الجغرافيا فى مائة عام
رايموند وليامز	الثقافة والمجتمع
ر • ج • فوريس	تاريخ العلم والتكنولوجيا (٢ •)
ليسترديل راي	الأرض الغامضة
والترالن	الرواية الانجليزية
لويس فارجاس	المرشد الى فن المسرح
فرانسوا هوماس	آلهة مصر
د • قدرى حفى وآخرون	الانسان المصرى على الشاشة
اولج فولكف	القاهرة مدينة الف ليلة وليلة
هاشم النحاس	الهوية القومية فى السينما العربية
ديفيه وليام ماكذوال	مجموعات التقود
عزيز الشوان	الموسيقى - تعبير نفى - ومنطق
د • محسن جاسم الموسوى	عصر الرواية - مقال فى النوع الأدبى
اشراف س • بى • كوكس	ديلان توماس
جون لويس	الانسان ذلك الكائن الفريد
جول ويست	الرواية الحديثة
د • عبه المعطى شعراوى	المسرح المصرى المعاصر
انور المعداوى	على محمود طه
بييل شول وادبنيث	القوة النفسية للاهرام
د • صفاء خلوصى	فن الترجمة
الف ثى ماتلى	تولستوى
فيكتور برومير	ستندال

افريقيا الطريق الآخر

السحر والعلم والدين

الكون ذلك المجهول

تكنولوجيا فن الزجاج

حرب المستقبل

الفلسفة الجوهرية

الاعلام التطبيقى

تبسيط المفاهيم الهندسية

فن المايما والبانتومايم

تحول السلطة (٢ ج)

التفكير المتجدد

السيناريو فى السينما الفرنسية

فن الفرجة على الافلام

خفايا نظام النجم الأمريكى

بين تولستوى ودستوفسكى (٢ ج)

ما هى الجيولوجيا

الحمر والبيض والاسود

انواع الفيلم الأمريكى

رحلة الأمير رودلف ٣ ج .

رحلات ماركوبولو ٣ ج

الفيلم التسجيلى

الرومانتيكية والواقعية

نظرية التصوير

تاريخ العلم والتحضارة فى الصين

الحب

كنوز الفراعنة

اطلالات على الزمن الآتى

الرواية اليوم

مشكلات القرن الحادى والعشرين

بادى اونيمود

فيليب عطية

جلال عبد الفتاح

محمد زينهم

مارتن فان كريفله

سوندارى

فرانسيس ج . برجين

ج . كارفيل

توماس ليهبارت

الفين توفلر

ادوارد وبونو

كريستيان سالين

جوزيف . م . بوجن

بول وارن

جورج ستاين

ويليام ه . ماثيوس

جارى ب . ناش

ستالين جين . سولومون

عبد الرحمن الشيخ

عبد العزيز جاويه

محمود سامى عطا الله

يانكو لافرين

ليوناردو دافنشى

جوزيف نيدهام

ه . ليوبوسكاليا

ت . ج . ه . جيمس

ه . السيد نصر الدين

مالكولم براد برى

يوسف شرارة

- السينما العربية
دليل تنظيم المتاحف
سقوط المطر وقصص أخرى
جماليات فن الاخراج
التاريخ من شتى جوانبه (٣ ج)
الحملة الصليبية الأولى
التمثيل للسينما والتلفزيون
العثمانيون في اوريا
صناع الخلود
الكنائس القبطية القديمة في مصر (٢ ج)
رحلات فارتيما
الهم يصنعون البشر (٢ ج)
في انتقد السينمائي الفرنسي
السينما الخيالية
السلطة والفرد
الأزهر في ألف عام
رواد الفلسفة الحديثة
سفر نامة
مصر الرومانية
كتابة التاريخ في مصر
القرن التاسع عشر
الاتصال والهيمنة الثقافية
مختارات من الأدب الآسيوية
كتب غيرت الفكر الانساني (٥ ج)
الشموس المتفجرة
مدخل الى علم اللغة
حديث النهر
من هم القطار
ماستريخت
معالم تاريخ الانسانية (٤ ج)
الحملات الصليبية
خسارة الاسلام
رحلة بيرتون (٣ ج)
- اعلاه / موني براح وآخرون
آدامز فيليب
نادين جورهيمر وآخرون
زيجمونت مبشر
ستيفن اوزمنت
جوناثان ريلي سميث
توني بار
بول كونر
موريس بير براير
الفريد ج ٠ بتلر
رودريجو فارتيما
فانس بكاره
اختيار / د ٠ رفيق الصبيان
بيتر نيكولز
برتراند راسل
بيارد دودج
ريتشارد شاخ
ناصر خسرو علوي
نفتالي لويس
جاك كرابس جونيور
هربرت شيلر
اختيار / صبري الفضل
احمد محمد الشفواني
اسحق عظيموف
لوريتو توه
اعداد / سوريال عبد الملك
د ٠ ابرار كريم الله
اعلاه / جابر محمد الجزار
ه ٠ ج ٠ ولن
ستيفن رانسيمان
جوستاف جرونيبارم
ريتشارد ف ٠ بيرتون

أدمز متز	الحضارة الإسلامية
ارنوله جزل	الطفل (٢ ج)
فيكتور موجو	رسائل واحاديث من المنفى
فيرنز هيزنبرج	الجزء والكل (محاورات في مضممار
سدنى هوف	الفيزياء الذرية)
ف . ع ادنيكوف	القرات الغامض ماركس والماركسيون
هادى نعمان الهيتى	فن الادب الروائى عند تولستوى
ه . نعمة رحيم العزاوى	ادب الاطفال
ه . فاضل احمد الطائى	احمد حسن الزيات
جلال العشرى	اعلام العرب فى الكيمياء
هنرى باربوس	فكرة المسرح
السيه عليوة	الجيم
جاكوب برونوفسكى	صنع القرار السياسى
ه . روجر ستروجان	التطور الحضارى للانسان
كساتى ثير	هل نستطيع تعميم الاخلاق للأطفال
ا . سبنسر	تربية الدواجن
ه . ناعوم بيتروفيتش	الموتى وعالمهم فى مصر القديمة
جوزيف دامموس	التصل والطب
ه . لينوار تشامبرز رايت	سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى
ه . جون شنهلر	سياسة الولايات المتحدة الامريكية ازاء
بيير البير	مصر ١٨٣٠ - ١٩١٤
ه . غبريال وهبة	كيف تعيش ٣٦٥ يوماً فى السنة
ه . رمسيس عوض	الصحافة
ه . محمد نعمان جلال	اثر الكوميديا الالهية لدانتى فى الفن
فرانكلين ل . باومر	التشكيلى
شوكت الربيعى	الادب الروسى قبل الثورة البلشفية
	وبعدها
	حركة عدم الانحياز فى عالم متغير
	الفكر الاوروبى الحديث (٤ ج)
	الفن التشكيلى المعاصر فى الوطن العربى
	١٨٨٥ - ١٩٨٥

٥٠ محيى الدين أحمد حسين	التنشئة الأسرية والأبناء الصغار
دوركاس ماكلينتوك	مصور أفريقية
بيتر لورى	المخدرات حقائق اجتماعية ونفسية
بوريس فيدروفيتش سيرجيف	وظائف الأعضاء من الألف الى الياء
ويليام بينز	الهندسة الوراثية
ديفيد الدرتون	تربية أسماك الزينة
جميعها : جون ر ٠ بورر	الفلسفة وقضايا العصر (٣ ج)
وميلتون جوله ينجر	
أرنولد توينبى	الفكر التاريخى عند الإغريق
٥٠ صالح رضا	قضايا وسلامح الفن التشكيلى
٥٠ م ٠ كنج وآخرون	التغذية فى البلدان النامية
جورج جاموف	بداية بلا نهاية
٥٠ السيه طه أبو سيدة	الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية
جاليليو جاليليه	حوار حول النظامين الرئيسيين
أريك موريس وآلان هو	للمكون
سيريل الدريد	الارهاب
آرثر كيستلر	أختاتون
توماس ا ٠ هاريس	القبيلة الثالثة عشرة
مجموعة من الباحثين	التوافق النفسى
روى أرمن	الدليل البيلىوجرافى
ناجى متشيو	لغة الصورة
بول هاريسون	الثورة الإصلاحية فى اليابان
ميخائيل ألبى ، جيمس لفلوك	العالم الثالث غدا
فيكتور مورجان	الانقراض الكبير
اعداد محمد كمال اسماعيل	تاريخ النقود
الفردوسى الطوسى	التحليل والتوزيع الأوركستراالى
بيرتون بورتر	الشاهنامة (٢ ج)
جاك كرابس جونيور	الحياة الكريمة (٢ ج)
	كتابة التاريخ فى مصر

عن النقد السينمائي الأمريكي

توانيم زرادشت

نظريات الفيلم الكبرى

مختارات من الأدب القصصي

الحياة في الكون كيف نشأت وابن توبيد

حرب الفضاء

ادارة الصراعات الدولية

الميكروكمبيوتر

مختارات من الأدب الياباني

الفكر الاوربي الحديث ٤ ج

تاريخ ملكية الاراضي في مصر الحديثة

اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة

كتابة السيناريو للسينما

الزمن وقياسه

أجهزة تكيف الهواء

الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعي

سبعة مؤرخين في العصور الوسطى

التجربة اليونانية

مراكز الصناعة في مصر الاسلامية

العلم والطلاب والمدارس

الشارع المصري والفكر

حوار حول التنمية الاقتصادية

تبسيط الكيمياء

الصادات والتقاليد المصرية

التذوق السينمائي

التخطيط السياحي

البستور الكونية

دراما الشاشة (٢ ج)

اواره ميرى

اختيار / د . فيليب عطية

ج . دادلى اندرو

جوزيف كورناه

د . جوهان دورشنر

طائفة من العلماء الأمريكيين

د . السيد عليوة

د . مصطفى عناني

صبرى الفضل

فرانكلين ل . باومر

جابريل باير

انطونى دى كرسبني

داويت سوين

زاقيلسكى ف . س

ابراهيم القرضاوى

بيتسر رداى

جوزيف داهموس

س . م بورا

د . عاصم محمه رزق

رونالد د . سمبسون

د . انور عبه الملك

والت وتيمان روستو

فريد س هيس

جون يوركهارت

آلان كاسييار

سامى عبه المعطى

فريد هويل

شاندرا ويكراما ماسينج

حسين حلمى المهندس

المراة الفرعونية
نظرية التصوير
التربية عن طريق الفن
معجم التكنولوجيا الحيوية
البرمجة بلغة السي
الكيمياء فى خدمة الانسان
مجمّل تاريخ الأدب المعاصر
نظرية الأدب المعاصر
مشكلات القرن الحادى والعشرين
كنوز الفراعنة
البرنامج النووى الاسرائيلى
بحثا عن عالم افضل
العلم وآفاق المستقبل
كونتنا المتمدّد
الاقتصاد السياسى للعلم والتكنولوجيا

كريستيان دديروش
ليوناردو دافنشى
هربرت ريد
وليم بينز
روبرت لافو
رولاند جاكسون
ايفور ايفانس
ديفيد بوشنبدر
يوسف شرارة
ت . ج . ه . جيميز
د . ممدوح حامد عطية
كارل بوبر
اسحق عظيموف
ايفرى شاتزمان
نومان كلارك



General Council of the Syrian Arab Republic
مطابع الهيئة السورية العامة للكتاب
(General Council of the Syrian Arab Republic)
Bibliothèque de la République arabe syrienne

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/٢٩٣٥

ISBN — 977 — 01 — 5110 — 6

تهدف الهيئة المصرية العامة للكتاب من مشروع الألف كتاب الثانى أن تواصل مسيرة المشروع الأول لتكوين مكتبة متكاملة للقارئ العربى فى شتى جوانب المعرفة عن طريق الترجمة والتأليف فضلاً عن إعادة طبع أهم الأعمال الفكرية والعلمية والأدبية التى أسهمت فى تكوين الثقافة المصرية والعربية فى العصر الحديث والتى بات الاطلاع عليها اليوم متعزراً لشباب هذا الجيل لعدم طباعتها.

وفى هذا الإطار يسعى المشروع إلى إلقاء الضوء على الحضارات العالمية المختلفة ومن بين الكتب التى صدرت فى هذا الميدان:

التجربة اليونانية
حضارة الإسلام

الحضارة الفينيقية
الحيثيون
موجز تاريخ العلم والحضارة فى الصين

(انظر قائمة الإصدارات فى آخر الكتاب)

وهذا الكتاب الذى بين يدى القارئ يقدم صورة متكاملة للحضارتين البابلية والآشورية اللتين إزدهرتا على ضفاف نهري دجلة والفرات قبل خمسة آلاف عام وظلتا على مدار ثلاثة آلاف عام تسهمان فى إثراء التراث الإنسانى بإبداعاتهما فى مجالات الآداب والعلوم والفنون.

مع تحيات الهيئة المصرية العامة للكتاب